المعبودات

في عهد أنبياء الديانات السماوية

في القرآن الكريم

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

للباحث/عبد الحكيم عاطف محمد الصلاحي

تحت إشراف

الدكتور/محمد راشد

الأستاذ/ المساعد بكلية أصول الدين

قسم السنة

جامعة عليكره الإسلامية

عليكره – الهند

٢٠١٦ م


بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١١ ـ ١٥]

الإهداء

إلى من رضي بالله رباً ،وبالإسلام ديناً،وبمحمدٍ -ﷺ-نبيا ورسولا.............

إلى والدي الكريم"ابن حاتم "- رحمه الله- رحمة واسعة- وأسكنه فسيح جناته ....

إلى والدتي الغالية التي ما زالت رافعة الكفين تدعو لي بالتوفيق.............

إلى إخواننا المسلمين الموحدين في مشارق الأرض ومغاربها.................

إلى مَن يتبعون القرآن الكريم ومنهج النبي الأمين -ﷺ- بفهم الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم-،الذين يحافظون على ثوابت الأمة ....

إلى أرواح الشهداء و المعذبين والمحرومين في مجتمعهم الإسلامي.......................

إلى رجال المقاومة والفداء في غزة وتونس ومصر والشام السوري وليبيا واليمن ....

إلى أحرار تركيا الشرفاء من رفعوا راية الإسلام ونكسوا المتآمرين......................

إلى كل الأحرار غير المستعبدين في كل بقعة من بقاع الأرض ....

إلى زوجتي" أم معاذ" التي كانت عوناً لي في مشواري العلمي......................

"إلى أولادي وقرة عيني "..

أهدي بحثي هذا

((شكر وتقدير))

((**فالشكر لله وحده أولاً وآخراً فله سبحانه الحمد والشكر**))

فالحمد لصاحبه ومستحقه سبحانه وتعالى الذي أنعم علينا بنعم كثيرة لا تحصى،

﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]

وعملاً بقوله -ﷺ-: "**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**"[(١)]

وبعد شكر المولى عزّ وجل أرى لزاماً علي أن أتوجه بالشكر الجزيل، والثناء العاطر إلى كل من أعانني على إنجاز هذا العمل.

وأخص بالذكر ((**والدي الكريمين**))، على ما لقيت منهما من تربية وتوجيه وتعليم، فأسأل الله أن يثقل موازينهما، وأن يعينني على برهما، والإحسان إليهما.

وأشكر إخواني الكرام من ((**أسرتي الكريمة**))الذين كانوا عوناً ومسانداً لي في إنجاز هذا البحث.

ثم لا أنسى أن أشكر ((**جامعة عليكره الإ سلامية**)) في كلية أصول الدين، قسم السنة، على منحي هذه الفرصة لإعداد رسالة الدكتوراه.

كما أخص بالشكر والتقدير فضيلة الدكتور / ((**محمد راشد**")) الذي تفضل بالإشراف على رسالتي فكان له الفضل بعد الله في التوجيه والإرشاد، والنصح وحرصه واهتمامه على إتمام هذا البحث فله مني كل الشكر والتقدير، وجزاه الله خير الجزاء.

---

(١) مسند أحمد ت شاكر (٨/ ٦١)برقم (٧٩٢٦)وسنن أبي داود ت الأرنؤوط "باب في شُكرِ المعروف"(٧/ ١٨٨) برقم (٤٨١١) قال الأرنؤوط وإسناده صحيح . وهو في صحيح الأدب المفرد- بَابُ مَنْ لم يشكر للناس (ص: ٩٩) ٢١٨/١٦٠ (صحيح) - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

وأشكر عمادة كلية التربية يافع ممثلة بالدكتور /((**عبد الحكيم محمد عقيل**)) بما تفضل به من مساعدتنا وتيسير أمورنا فله كل الشكر . وأشكر كل من ساعدني وأمدني بفائدة، أو دلالة وأخص بالذكر فضيلة الدكتور/((**أحمد محمود محمد علي**))أستاذ الفقه وأصوله في كلية التربية يافع أشكره على ملاحظاته وكرم أخلاقة .

واشكر فضيلة الدكتور/ ((**علي جريشة**)) -رحمه الله- على ما أفادني في بحثي من ملاحظاته فله كل الشكر

واشكر كل من ساهم في إلتحاقي للدكتوراه وأخص منهم زميلي وأخي الدكتور/ ((**خالد الصومعي**)) وأخي الدكتور /((**أحمد علي صالح الجونة**))، ، فلهم جميعاً وافر الشكر وجزيله .

وأشكر كل من ساعدني وأمدني بفائدة، أو دلالة ولم يسعني ذكره في هذا المقام .

وختاماً ، فإني لا أدّعي أني وفيت الموضوع حقه، ولا أني أصبت في كل ما قلت وقصدت؛ لأن الخطأ والزلل والنقص من طبيعة البشر ، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده عزّ وجل، فله الفضل والمنّ والحمد ، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله منه

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب العالمين وإله المرسلين وقيوم السماوات والأراضين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين الذي فتح الله به أعيناً عمياً ، وأذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور المبعوث بالكتاب المبين الفارق بين الهدى والظلال والغي والرشاد والشك واليقين أنزله الله لنقرأه تدبراً ونتأمله تبصراً ونسعد به تذكراً وعلى آله الطيبين الأطهار وأصحابه الهادين الأبرار خير هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً ،وأقلها تكلفاً ، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه –ﷺ– ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد –ﷺ– كانوا على الهدى المستقيم .يقول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[النساء: ١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾الأحزاب: [٧٠ - ٧١].

أما بعد :

فإن الإله المعبود بحق هو الله سبحانه وتعالى وما سواه فهو باطل قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢] وما أنزل الله الكتب ولاأرسل الرسل إلا من أجل عبادته وحده لا شريك له قال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥] وكانت الصيحة الأولى في كل رسالة ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]

فكل عبادة لغير الله هي طاغوت وهي عدول عن الحق والهدى لأن العبودية هي ذروة الشرف التي بعث الله بها رسله وهي الأصل الذي لم يتغير منذ نوحٍ إلى محمدٍ –ﷺ–وكان كل نبي من الأنبياء في الأديان السماوية يجد أصنافاً وألواناً من المعبودات المختلفة من الأصنام الأرضية أو الأجرام السماوية أو الطواغيت البشرية الذين عظموهم وعبدوهم من دون الله، فصرفت العقول عن الخالق الرازق المالك المدبر لهذا الكون إلى هذه المعبودات والطواغيت فبئست هذه المعبودات الباطلة والأصنام الزائفة التي لا تنفع ولا تضر ..

❖ أولاً: أهمية الموضوع :

فإن موضوع المعبودات في عهد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الدراسات المهمة التي إهتم بها القرآن الكريم.

فلم يزل الله تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد -ﷺ-ولعل أهمية الموضوع تكمن في أن الله بعث رسله ليعبدوه وحده لاشريك له ،وأنه الإله المعبود بحق وماسواه من المعبودات من الاصنام والأوثان والكوكب والشياطين والطواغيت البشرية والوضعية باطل.

وإذا كان الله قد خلق الخليقة ليعبدوه سبحانه وتعالى ويعظموه ويفردوه بكل عبادة فكيف بهم أن ينصرفوا إلى هذه المعبودات التي خلقها الله.

وإنما عبد الناس غير الله وأشركوا معه غيره لأنهم عظموا المخلوقين ورفعوهم فوق منزلتهم فالشرك- والعياذ بالله- هو أخطر الذنوب، وأعظم ذنب عُصي الله به، وهو: عبادة غيره معه سبحانه وتعالى بصرف أيٍّ نوع من أنواع العبادة لغير الله ولأن غفلة الناس هي التي جعلت بعضا من نفوس الناس تلتفت إلى آلهة أخرى.

وهذا الموضوع يبين طريق الأنبياء في الدعوة إلى الله وهو سلسلة تشرح وتقص لنا ماواجهه كل نبي من الأنبياء من اصناف متعددة للمعبودات التي عبدها اقوامهم لنتعرف على واقع الأمم وكيف قابلوا دعوة المرسلين .

ولا شك أن التوحيد هو الذي بعثت له الرسل، وأنزلت من أجله الكتب، ومن أجله خلقت الجنة والنار، ومن أجله خلقت الخليقة كلها.

والرسالة هي روح العالم ونوره وحياته ، فأيُّ صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور.

ولقد عني الإسلام كذلك بأن يقرر أن هذه هي الحقيقة التي جاء بها الرسل أجمعون . فقررها في سيرة و دعوة كل رسول؛ وجعلها محور الرسالة من عهد نوح عليه السلام ، إلى عهد محمد خاتم النبيين – عليه الصلاة والسلام.

❖ **ثانياً:أسباب اختيار الموضوع :**

أولاً : إن الدعوة إلى عبادة الله تعالى وإفراده بالوحدانية وترك ما دونه من المعبودات كانت هي الغاية الأولى التي من أجلها أرسل الله رسله وأنزل كتبه فأحببت أن أخدم هذه الغاية .

ثانياً : بيان حقيقة هذه المعبودات وإقامة الحجة على من عبدها بدلالة بطلانها.

ثالثاً : إن خطر هذه المعبودات كبير وعظيم في الدنيا والآخرة مما يترتب عليه صلاح هذا الكون أو فساده .

رابعاً : لأن هذا البحث فيه عرض وبيان لدعوة الأنبياء والمرسلين وكيف صبروا في الدعوة لمواجهة هذه المعبودات.

خامساً : لبيان كيف ظهرت هذه المعبودات وتطورت وعبدت من دون الله حتى لا يتهاون في مسألة الشرك وعبادة غير الله .

سادساً : لأن هذه المعبودات تتجدد عبر التاريخ وإن كانت قد أنتهى بعضها ولكن لا يزال من يعظم أصناف هذه المعبودات البشرية والأحكام والقوانين الوضعية في هذه الأزمان .

❖ **ثالثاً: المنهج العلمي للبحث :**

فقد سلكت في منهجي في البحث ما التزمت به جاهداً وهو كالتالي:

١- أن أحرص في الرجوع الى المصادر الأصلية وعزوها إلى أصحابها للأمانة العلمية .

٢- بيان مواضع الآيات القرآنية من مصحف المدينة وذلك بذكر السورة وترقيم لآيات

٣- في موضعها" بنفس مكانها" في الصفحة .

٤- اختيار الأساليب المناسبة التي تتبعها الأنبياء في دعوة أقوامهم وما قاله أهل التفسير وأهل العلم في هذه الآيات.

٥- تخريج الأحاديث النبوية المذكورة في بحثي فأن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بالعزو إليهما أو أحدهما وماكان خارجهما خرجته وبين درجته في الصحة.

٦- الرجوع إلى كتب العقيدة الموثقة والمخرجة لأن الموضوع يتناول سيرة الأنبياء وصراعهم مع هذه المعبودات وهذا داخل في الدعوة إلى الإيمان.

٧- أبين ما أشكل ولم يوضح في اللغة أو في المعاني القرآنية والحديثية وما يحتاج إلى بيان وتوضيح مااستطعت إلى ذلك سبيلا .

٨- ترجمة الأعلام المذكورين في الرسالة .

٨-الخاتمة وتتمثل في" نتائــج البحث وتوصيــاته" .

٩- وضع الفهارس العلمية لرسالتي لموضوعات البحث ومراجعه.

❖ **رابعاً:الدراسات السابقة:**

بحسب إطلاعي على البحوث والدراسات التي تتعلق بهذا الموضوع فمجمل البحوث تكون منصبة حول مواضيع العباده والدعوة الى التوحيد والتحذير من الشرك وكلها ابحاث يستفاد منها إلا ان جمع دراسة عامة حول المعبودات عند الإنبياء ببحث مستقل لم أجد ولكن وجدت جزئيات تتحدث عن دعوة الأنبياء وقصصهم في القرآن وكان مما وجدته في مايتعلق بالمعبودات بحثاً بعنوان

١-"بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعاً وبعث به خاتمهم محمداًﷺ" وكانت بتاريخ ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، لفضيلة الشيخ /عبد العزيز بن عبدالله بن باز رحمة الله عليه ، ذكر فيها رحمه الله ماواجهه الإنبياء من الشرك وعبادة غير الله

٢- البحث الموسوم: "الوثنية الحديثة وموقف الإسلام منها"(١٤٠٧هـ -١٩٨٧م) للباحث/يوسف محمد صالح الأحمد رسالة ماجستير- مقدمة لجامعة أم القرى، فرع العقيدة تحدث فيها الباحث عن إن الوثنية ليست مجرد إقامة الأوثان وعبادتها..وانما الوثنية هي العبودية لغير الله سواءً في العقائد والشعائر أو في الشرائع والأحكام وما إقامة الأوثان والأصنام وعبادتهاإلا مظهر من مظاهر الوثنية التقليدية.

٣- البحث الموسوم "منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام" المؤلف: د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي نال بها مؤلفها درجة العالمية العالية الدكتوراه"١٤٢٤ هـ/٢٠٠٤ م تحدث فيه مؤلفه عن تسرب الشرك إلى البشرية ومنهج " الأنبياء في محاربته.

❖ **خامساً:صعوبات البحث :**

فانه مامن شك أن لكل عمل صعوبة سواء كان بحثاً او غيره فالباحث يواجه بعض العوائق وهذا أمرطبيعي وأهم صعوبات البحث التي واجهتني تتمثل بالتالي :

١- الكيفية التي ينبغي أن يُنظَّم عليها، البحث في أبوابه وفصوله ومباحثه ، واختيار العناوين المناسبة لكل منها.وهي صعوبة تواجه كثير من الباحثين .

٢- صعوبة في بعض المعلومات الدقيقة التي تحتاج إلى التحري والبحث .

٣- تجدد بعض الأفكار التي تطرأ أثناء البحث مما يضطرني إلى العدول عن ماكتبته وتغييره.

٤- ومن الصعوبات الشخصية الظروف الخاصة بالسفر والظروف التي تمر بها البلد كان له تاثير في سير بحثي وإنجازه،ولكن ومع كل هذا يهون الصعب ويتيسر الأمر وتحقق الآمال لأستسهلن الصعب أو أُدرك المنى *** فما انقادت الآمال إلا لصابر

❖ سادساً:نطاق البحث:

إن موضوع المعبودات التي واجهها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القرآن قد أخذ حيزاً كبيراً في كتاب الله تعالى من خلال ذ كر قصصهم مع أقوامهم والأحداث التي تعرضوا لها ،ولذلك فسينصب جهدنا وتركيزنا حول من تناولهم القرآن وسماهم بأولو العزم من الرسل .

فجميع الأنبياء دعوا إلى عبادة الله ولكن أبرز من واجهة المعبودات هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد -ﷺ-، فتفاوت كل نبي عن الآخر بما لاقاه من معبودات ومن حديث القرآن عنه بل إن بعض الأنبياء لم يذكر إلا بآيات قلائل وكن جهده منصباً حول حادثة معينه وقع بها قومه يريد معالجتها مثل نبي الله لوط ،ومن الأنبياء من ذكر باسمه ولم يقص علينا القرآن بشانه شيء .

فخلاصة البحث أنه يدور حول الأنبياء الذين لاقوا أصنافاً عديدة من المعبودات .

❖ سابعاً:خطة البحث :

فقد قسمت مادة بحثي هذا وجعلته في مقدمة"مدخل تمهيدي"وسبعة أبواب،وخاتمة .

أما المقدمة فاحتوت على أهمية الموضوع ،وسبب اختياره ، ومنهج البحث،والدراسات السابقة ،وأهم الصعوبات ،وحدود البحث ونطاقه .

وأما المدخل التمهيدي فتحدثت فيه عن المصطلحات التي احتواها موضوع البحث وبيان معناه اللغوي والاصطلاحي .

أما الأبواب:فجعلته في سبعة أبواب ، وإليك خطته وما احتوته ابواب هذا البحث بالتفصيل وهي كالتالي :

الباب الأول : الدعوة إلى عبادة الله وفيه فصلان :

الفصل الأول :– الغاية من إرسال الرسل وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التوحيد وأنواعه.

المبحث الثاني: التوحيد اساس دعوة الرسل.

المبحث الثالث: إخلاص العبادة لله.

الفصل الثاني : الإله المعبود بحق هو الله وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإله المعبود بحق هو الله وماسواه باطل.

المبحث الثاني: معنى لاإله الا الله ونفي الأنداد

المبحث الثالث : الآثار الواردة في السنة الداعية إلى عبادة الله .

الباب الثاني : ويتناول أصناف المعبودات عند الديانات وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : معبودات المشركين وفيه أربعة مباحث .

المبحث الأول : عبدة الأصنام والأوثان

المبحث الثاني : عبدة الكواكب والنجوم .

المبحث الثالث : عبدة الجن والشياطين .

المبحث الرابع : عبدة الملائكة .

الفصل الثاني : معبودات اليهود وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عبدة الطاغوت .

المبحث الثاني : عبدة الأحبار والرهبان.

المبحث الثالث: عبدة العجل.

الفصل الثالث : معبودات النصارى وفيه مبحثان :

المبحث الأول : عبدة عيسى

المبحث الثاني : عبدة روح القدس.

الفصل الرابع : معبودات الصابئة والمجوس وفيه مبحثان:

المبحث الأول : معبودات الصابئة.

المبحث الثاني : معبودات المجوس.

الفصل الخامس : معبودات أهل الأهواء والدهريين وفيه مبحثان:

المبحث الأول : معبودات أهل الأهواء.

المبحث الثاني : معبودات الدهريين.

الباب الثالث : **المعبودات في عهد أنبياء الديانات السماوية وفيه ثلاثة فصول** .

الفصل الأول: سجود الملائكة لآدم عليه السلام وفيه مبحثان:

المبحث الأول : معنى السجود وحكمته.

المبحث الثاني :كيفية سجود الملائكة لآد م عليه السلام.

الفصل الثاني: المعبودات في عهد نبي الله نوح عليه السلام وفيه مبحثان:

المبحث الأول : التعريف بنوح عليه السلام وديانة قومه.

المبحث الثاني :الآلهة المعبودة عند قوم نوح.

الفصل الثالث: المعبودات في عهد نبي الله هود وصالح عليهما السلام وفيه مبحثان:

المبحث الأول : المعبودات في عهد نبي الله هود.

المبحث الثاني : المعبودات في عهد نبي الله صالح عليه السلام.

الباب الرابع : **المعبودات في عهد نبي اللّه إبراهيم عليه السلام وفيه فصلان** :

الفصل الأول: نبذة عن إبراهيم الخليل وقومه وأولويات دعوته وفيه مبحثان :

المبحث الأول :التعريف بإبراهيم عليه السلام وديانة قومه.

المبحث الثاني: أولويات دعوته.

الفصل الثاني: أصناف المعبودات التي واجهها إبراهيم عليه السلام وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : عبدة الكواكب .

المبحث الثاني: عبدة الأصنام .

المبحث الثالث : الحوار الدائر بين إبراهيم عليه السلام وعبدة الأصنام.

المبحث الرابع : مدعي الأولوهية الذي خاصم إبراهيم في توحيد ربه.

المبحث الأول : عروض المشركين للمساومة .

المبحث الثاني : مفارقة النبي صلى الله عليه وسلم لمعبودات المشركين.

المبحث الثالث : غلبة الحق وزوال الباطل .

الباب السابع : **المعبودات المعاصره وفيه فصلان**.

الفصل الأول : عبادة الطواغيت وفيه مبحثان:

المبحث الأول : الأنظمة الوضعية .

المبحث الثاني : الطواغيت البشرية .

الفصل الثاني: عبدة المصالح والمنافع وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : عبدة الشهوات .

المبحث الثاني : عبدة الأموال.

المبحث الثالث : عبدة الاهواء

الخاتمة: فكتبت فيها ما خلصت إليه من بحثي وذكرت أهم النتائج التي استخرجتها مع الإشارة الى بعض التوصيات .

الفهارس: فوضعت فهرساً ختامياً لما احتواه بحثي وركزت فيه على فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات ،واقتصرت على هذا نظراً لكون البحث اشتمل على تناول لآيات كثيرة في القرآن فأحببت أن أختصر خشية الإطالة .

مدخل تمهيدي

ويتناول بيان المصطلحات في عنوان البحث وهي كالتالي:

أولاً : تعريف العبادة في اللغة والاصطلاح

ثانياً : مفهوم المعبودات في القرآن .

ثالثاً : معنى الدين في اللغة والاصطلاح .

رابعاً : معنى النبي والرسول.

خامساً: معنى القرآن والكتب السماوية

أولاً: تعريف العبادة في اللغة والاصطلاح

أولاً:تعريف العبادة في اللغة:

قال ابن منظور(١)-رحمه الله-:" ومعنى العبادةِ في اللغة الطاعةُ مع الخُضُوعِ ومنه طريقٌ مُعَبَّدٌ إِذا كان مذللاً بكثرة الوطء"(٢).

وقال الزبيدي(٣)-رحمه الله- :" والعُبُودِيّةُ والعُبُودَةُ " بِضَمِّهِما "والعِبَادَةُ " بالكسر : " الطَّاعةُ " .

وقال بعضُ أَئِمَّةِ الاشتقاق : "أَصْلُ العُبُودِيّةِ : الذُّلُّ والخُضُوعُ . وقال آخَرُونَ : العُبُودَةُ : الرِّضا بما يَفْعَلُ الرَّبُّ ، والعِبَادَةُ : فِعْلُ ما يَرْضَى به الرَّبُّ"(٤).

وقال ابنُ الأَثِير(٥)- رحمه الله- :" ومعنى العِبَادَةِ في اللغة الطَّاعَةُ مَعَ الخُضُوع"(٦) .

وقال الرازي(٧)- رحمه الله-:" وأصل العبودية الخضوع والذل والتعبيد التذليل يقال طريق معبد"(٨)

---

(١)ابن منظور: (٦٣٠ - ٧١١ ه = ١٢٣٢ - ١٣١١ م) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الافريقى، صاحب (لسان العرب): الإمام اللغوي الحجة. من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري. ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس وعاد إلى مصر فتوفى فيها، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره ،قال ابن حجر: كان مغرى باختصار كتب الأدب المطولة أشهر كتبه (لسان العرب - ط) الأعلام للزر كلي (٧/ ١٠٨) خير الدين الزركلي الجزء الاول دار العلم للملايين ص. ب ١٠٨٥ - بيروت تلفون: ٢٢٤٥٠٢ - ٢٩١٠٢٧جميع الحقوق محفوظة الطبعة الخامسة: أيار (مايو) ١٩٨٠م)

(٢) لسان العرب ٣/ ٢٧٣) المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: دار صادر - بيروت الطبعة الأولى

(٣) مرتضى الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ = ١٧٣٢ - ١٧٩٠ م) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق لحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى: علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين. أصله من واسط (في العراق) ومولده بالهند (في بلجرام) ومنشأه في زبيد (باليمن) رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، فاشتهر فضله وانهالت عليه الهدايا والتحف، وكاتبه ملوك الحجاز والهند واليمن والشام والعراق والمغرب الأقصى والترك والسودان والجزائر. وتوفى بالطاعون في مصر. من كتبه (تاج العروس في شرح القاموس - ط) الأعلام للزر كلي (٧/ ٧٠)

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس (٨/ ٣٣٠) المؤلف : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي تحقيق مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية

(٥) ابن الأثير (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ = ١١٥٠ - ١٢١٠ م) المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو السعادات، مجد الدين: المحدث اللغوي الأصولي. ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر. وانتقل إلى الموصل، فاتصل بصاحبها، فكان من أخصائه. وأصيب بالنقرس فبطلت حركة يديه ورجليه. ولازمه هذا المرض إلى أن توفى في إحدى قرى الموصل، قيل: إن تصانيفه كلها، ألفها في زمن مرضه، إملاء على طلبته، وهم يعينونه بالنسخ والمراجعة. من كتبه " النهاية - ط " في غريب الحديث، أربعة أجزاء، و " جامع الأصول في أحاديث الرسول - ط " عشرة أجزاء، جمع فيه بين الكتب الستة، الأعلام للزر كلي (٥/ ٢٧٢)

(٦) تاج العروس ج٨/ص٣٣١)

(٧) (الرازي ٠٠٠ - بعد ٦٦٦ هـ = ٠٠٠ - بعد ١٢٦٨ م) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، زين الدين: صاحب (مختار الصحاح - ط) في اللغة، فرغ من تأليفه أول رمضان سنة ٦٦٠ هـ وهو من فقهاء الحنفية، وله علم بالتفسير والأدب. أصله من الري. زار مصر والشام الأعلام للزر كلي (٦/ ٥٥)

(٨) مختار الصحاح ج١/ص المؤلف : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي تحقيق : محمود خاطر الناشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت- الطبعة طبعة جديدة ، ١٤١٥ه – ١٩٩٥م

والتعبيدأيضا: "الاستعباد وهو اتخاذ الشخص عبدا وكذا الاعتباد وفي الحديث رجل اعتبد محررا[١]وكذا الإعبادوالتعبد أيضا يقال تعبده أي اتخذه عبداً والعبادة الطاعة والتعبد التنسك[٢]

قال الزمخشري[٣] -رحمه الله:" أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا تجعل لله ند ولا شريك"[٤]

قال الشنقيطي[٥]- رحمه الله: "أصلُ العبادةِ الذلُّ والخضوعُ، ومنه قِيلَ للعبدِ "عبد" لِذُلِّهِ وخضوعِه بين يَدَيْ سَيِّدِهِ، فكلُّ خاضعٍ ذليلٍ يقال له عبدٌ وعابدٌ. فالعبادة الذُّلُّ والخضوع" [٦] .

ثانياً:تعريف العبادة في الاصطلاح:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٧]- رحمه الله-:"العبادة " هي إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه : من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة ؛ وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) سنن ابن ماجه (١/ ٣١١) المؤلف : محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي الناشر : دار الفكر - بيروت . ونص الحديث عن عبد الله بن عمرو قال : - قال رسول الله -ﷺ- «ثلاثة لا تقبل لهم صلاة الرجل يؤم القوم وهم له كارهون . والرجل لا يأتي الصلاة إلا دبارا " يعني بعد ما يفوته الوقت ". ومن اعتبد محرراً » " ومن اعتبد محررا " الإعتباد كالاستعباد . وهو اتخاذ الشخص عبدا . ومحرراً أي معتقاً ، أي اتخذه عبدا إما بكتمان العتق عنه أو بالقهر والغلبة بأن يستخدمه كرها بعد العتق " . قال الشيخ الألباني : ضعيف إلا الجملة الأولى منه فصحيحة.

(٢) مختار الصحاح (ج١/ص١٧٢) .

(٣) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان؛ كان إمام عصره من غير ما دفع، تشد إليه الرحال في فنونه وكان الزمخشري المذكور معتزلي الاعتقاد متظاهراً به، حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن: قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب. وأول ما صنف كتاب " الكشاف وكانت ولادة الزمخشري يوم الاربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بومخشر. وتوفي ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، بجرجانية خوارزم، بعد رجوعه من مكة، رحمه الله تعالى"انظروفيات الأعيان (٥/ ١٦٨، ١٧٣) المؤلف : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان المحقق : إحسان عباس الناشر : دار صادر - بيروت الطبعة الأولى: ١٩٩٤م .

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (١/ ١٢٦) المؤلف : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٥) الشنقيطي، محمد الأمين (١٣٢٥ - ١٣٩٣هـ، ١٩٠٧ - ١٩٧٣م) محمد الأمين بن محمد المختار. عالم ومحقق ومفسر ولد في بلاد شنقيط (موريتانيا الآن)، طلب العلم في سن مبكرة فحفظ القرآن ودرس الفقه المالكي، ثم رحل إلى الحج، وآثر البقاء في المملكة العربية السعودية، فدرس على شيوخها وتتلمذ على كثير من علمائها، تولى التدريس في المعاهد العلمية والكليات الشرعية في الرياض والمدينة، وكان ضمن هيئة كبار العلماء أبرزكتبه تفسيره المشهور أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ويُعد تفسير الشنقيطي متميزًا في بابه، توفي الشنقيطي بمكة.

(٦) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٣/ ٥٧٥) المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) المحقق: خالد بن عثمان السبت إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ

(٧) ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ – ١٣٢٨) م أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان وأفتى ودرس وهو دون العشرين. أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي الوفيات أنها تبلغ ثلاث مئة مجلد، الأعلام للزر كلي (١/ ١٤٤) .

والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة . وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه . وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه ؛ والتوكل عليه"[١]

وعرفها ابن القيم[٢] بأنها: "كمال المحبة مع كمال الذل" . وقال في النونية:

وعبادة الرحمن غاية حبه *** مع ذل عابده هما قطبان[٣] .

وعرفها علماء الحنفية بعدة تعريفات نأخذ منها هذه الثلاثة للإيجاز لا الحصر:

١–عرفوها بأنها:"عبارة عن الاعتقاد والشعوربأن للمعبود سلطة غيبية في العلم والتصرف فوق الأسباب، يقدر بها على النفع والضر؛ فكل دعاء وثناء وتعظيم ينشأ من هذا الاعتقاد فهو عبادة" وقد أثنى الحنفية على هذا التعريف بأنه جامع لأنواع من العبادة .

٢– هو أن العبادة : "عبارة عما يجمع كمال المحبة، والخضوع، والخوف ، والرجاء ، والطاعة"

٣– أن العبادة : "غاية حب العابد للمعبود ، مع ذل العابد لمعبوده"[٤] .

قال العلماء :"أصل العبادة الطاعة وكل عبادة فلها معنى قطعاً لأن الشرع لا يأمر بالعبث ثم معنى العبادة قد يفهمه المكلف وقد لا يفهمه[٥] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩) المؤلف : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ) المحقق : أنور الباز - عامر الجزار- الناشر : دار الوفاء الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م

(٢) ابن قيم الجوزية(٦٩١ - ٧٥١ هـ = ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء.مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصي.وأطلق بعد موت ابن تيمية.وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عددا عظيما، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا. الأعلام للزر كلي (٦/ ٥٦)

(٣) نونية ابن القيم ، الكافية الشافية (ص: ٣٥) لمؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) مكتبة ابن تيمية، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ .

(٤) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (١/ ٣١٨) - (٣٢١) المؤلف : أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى : ١٤٢٠هـ) الناشر : دار الصميعي الطبعة : الأولى - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

(٥) المجموع شرح المهذب (٨/ ٢٤٣) للإمام ابي زكريا محي الدين بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ دار الفكر

قال الشعراوي[1]- رحمه الله-:" العبادة ماذا تعني؟ تعني طاعةَ عابدٍ لمعبود في أَمْره ونَهْيه ، فالذين يعبدون ما دون الله من صنم أو وَثَنٍ أو شمس أو قمر ، بماذا أمرتْهم هذه المعبودات؟ وعن أيِّ شيء نهتْهُم؟ وماذا أعدَّتْ هذه المعبودات لمنْ عبدها؟ وماذا أعدَّتْ لمَنْ عصاها؟[2]

(١) محمد متولي الشعراوي،(المتوفى: ١٤١٨هـ) ، العالم الفقيه المفسِّر، من أبرز علماء عصره، وأحد دعائم الفكر الإسلامي الحديث بمصر، وركيزة من ركائز الدعوة الإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين. للشيخ الشعراوي أسلوب فريد في التفسير يجمع بين أصالة التفاسير القديمة ومعاصرة الواقع العلمي المبتكر.
(٢) تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٠٩٧) محمد متولي الشعراوي مطابع أخبار اليوم ، رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م)

ثانياً: مفهوم المعبودات في القرآن

معنى المعبودات:

القرآن الكريم لم يذكر ما يعبد من دون الله بلفظ المعبودات ولكن جاءَت بلفظ الآلهة وكانت العرب في الجاهلية يَدْعُونَ معبوداتهم من الأَوثان والأَصنام آلهةً وهي جمع إله [1] .

وإله حقه ألا يجمع، إذ لا معبود سواه، لكن العرب لاعتقادهم أن ههنا معبودات جمعوه، فقالوا:الآلهة. قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا﴾

[الأنبياء: ٤٣] وقال: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ﴾[الأعراف: ١٢٧] وقرئ: (وإلاهتك) [2] .

قال الشنقيطي- **رحمه** الله-:" :"في قوله تعالى ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ ﴾ [مريم: ٨١] اتخذوا من دون الله آلهة أي معبوداتٍ من أصنام وغيرها يعبدونها من دون الله، وأنهم عبدوهم لأجل أن يكونوا لهم عزاً أي أنصاراً وشفعاء ينقذونهم من عذاب الله[3] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٣]

قال القرطبي[4]- **رحمه** الله-: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ ذكر ما صنع المشركون على جهة التعجيب في اتخاذهم الآلهة ، مع ما أظهر من الدلالة على وحدانيته وقدرته. ﴿لا يَخْلُقُونَ﴾يعني الآلهة. ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لما اعتقد المشركون فيها أنها تضر وتنفع ، عبر عنها كما يعبر عما يعقل.

---

(١) لسان العرب (١٣/ ٤٦٧).
(٢) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسن بن محمد (ص: ٢١) تحقيق محمد سيد كيلاني، لبنان: دار المعرفة
(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٠/ ٢٩٧) تأليف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي١٣٩٣ هـ بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع - ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م
(٤) القرطبي (٠٠٠ - ٦٧١ هـ = ٠٠٠ - ١٢٧٣ م) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها. من كتبه " الجامع لأحكام القرآن - ط " الأعلام للزركلي (٥/ ٣٢٢)

﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ أي لا دفع ضر وجلب نفع ، فحذف المضاف. وقيل : لا يقدرون أن يضروا أنفسهم أو ينفعوها بشيء ، ولا لمن يعبدهم ، لأنها جمادات [1].

عبادة معبودات من دون الله: قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ١٠٢ ﴾ [الكهف: ١٠٢] .

أي أفظن أواعتقد الذين كفروا بي، واتخذوا أولياء أي معبودات من دوني كالملائكة والمسيح والشياطين أن ذلك ينفعهم، أو يدفع عنهم العذاب؟ كلا، لا تنفعهم تلك المعبودات، وسيظهر لهم خطؤهم، كما قال تعالى: ﴿ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴾ [مريم : ٨٢] [2] .

واتخذ مشركو العرب معبودات من دون الله لا تستطيع خَلْق شيء، والله خلقها وخلقهم، ولا تملك لنفسها دَفْعَ ضر أو جلب نفع، ولا تستطيع إماتة حي أو إحياء ميت، أو بعث أحد من الأموات حيًا من قبره [3] .

المعبودات على قسمين :

لأن المعبودات على قسمين: معبود بحق، ومعبود بالباطل، المعبود بحق هو الله، والمعبود بالباطل هو ما سوى الله من كل المعبودات، قال– تعالى–: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ، هذا معنى: لا إله إلاَّ الله [4].

فَلَهُمْ معبوداتٌ أرضيةٌ، ومعبوداتٌ سماويةٌ، معبود اتهم الأرضيةُ: أصنامٌ وتماثيلُ يزعمونَ أنهم يجعلونَ صُوَرَهَا وأشكالَها على هيئةِ الملائكةِ، وَيَعْبُدُونَهَا لِتَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، وكذلك يعبدونَ الكواكبَ السيارةَ التي هي الشمسُ، والقمرُ وزحلُ والمشتري والزهرةُ وعطاردُ والمريخُ كما هي معروفةٌ.[5].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٣) المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ) المحقق : هشام سمير البخاري الناشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (١٦/ ٣٦) المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي دمشق: دار الفكر المعاصر ـ الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ

(٣) التفسير الميسر (١/ ٣٦٠) المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م

(٤)إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٦١) الشيخ صالح بن فوزان الفوزان الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(٥) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (١/ ٤٠٦)

خطوات الانحراف في عبادة المعبودات:

قال سيد قطب رحمه الله[١] :"ولعل أول خطوة في هذا الانحراف كانت هي تعظيم ذكرى الفئة المؤمنة القليلة التي حملت في السفينة مع نوح! ثم تطور هذا التعظيم جيلاً بعد جيل فإذا أرواحهم المقدسة تتمثل في أشجار وأحجار نافعة؛ ثم تتطور هذه الأشياء فإذا هي معبودات ، وإذا وراءها كهنة وسدنة يعبّدون الناس للعباد منهم باسم هذه المعبودات المدعاة في صورة من صور الجاهلية الكثيرة . ذلك أن الانحراف خطوة واحدة عن نهج التوحيد المطلق الذي لا يتجه بشعور التقديس لغير الله وحده ولا يدين بالعبودية إلا لله وحده الانحراف خطوة واحدة لا بد أن تتبعه مع الزمان خطوات وانحرافات لا يعلم مداها إلا الله "[٢] .

أشكال المعبودات:

إذًا من المعبودات ما هو سماوي يعني: نسبةً إلى السماء كالشمس والقمر والكواكب، ومنها أو منه ما هو أرضي نسبةً إلى الأرض، يعني: الشرك الذي وقع العرب فيه هو عبادة الآلهة الأرضية كما أن منها ما هو عبادةٌ للآلهة السماوية، إذًا كل منهما له جهة، وهي كل ما عُبد من دون الله تعالى من الأشياء الموجودة على ظهر الأرض سواء كانت تعقل أو لا تعقل، تعقل مثل ماذا؟ مثل الصالحين والمقبورين، أو لا تعقل مثل ماذا؟ الأصنام، إذًا منها ما يعقل، ومنها ما لا يعقل، ولذلك قلت لكم فيما سبق: أن مفردات الطاغوت هذه ليست خاصة بزمن النبي -ﷺ-، فما وجد غيره في زمن من الأزمان لا يقاس عليه، لا، بل المعنى هو صرف عبادة لغير الله تعالى حيث ما تعلق هذا المعنى بأي معبود سواء وجد في عهد النبي -ﷺ- أو لا وُجِدَ المعنى، إذ الشرك مُعَلَّل والتوحيد مُعَلّل، [والحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا[٣]

---

(١) سيد قطب (١٣٢٤ - ١٣٨٥هـ، ١٩٠٦ - ١٩٦٦م)). سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، أديب ومفكر إسلامي مصري، ولد بقرية موشة بمحافظة أسيوط في صعيد مصر، وبها تلقى تعليمه الأوّلي وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بمدرسة المعلمين الأولية (عبدا لعزيز) بالقاهرة، ونال شهادتها والتحق بدار العلوم وتخرج عام ١٣٥٢هـ، ١٩٣٣م. عمل بوزارة المعارف بوظائف تربوية وإدارية، وابتعثته الوزارة إلى أمريكا لمدة عامين وعاد عام ١٣٧٠هـ، ١٩٥٠م. انضم إلى حزب الوفد المصري لسنوات وتركه على أثر خلاف عام ١٣٦١هـ، ١٩٤٢م. وفي عام ١٣٧٠هـ، ١٩٥٠م انضمّ إلى جماعة الإخوان المسلمين، وحوكم بتهمة التآمر على نظام الحكم وصدر الحكم بإعدامه، وأعدم عام ١٣٨٥هـ، ١٩٦٦م ومر بمراحل أهمها (المرحلة الإسلامية،) فقد جمعت بين العمل الإسلامي والكتابة الإسلامية وفيها نشر كتاب في ظلال القرآن (١٩٥١ - ١٩٦٤م) في ثلاثين جزءًا، جمع فيه خلاصة ثقافاته الفكرية والأدبية وتأملاته القرآنية العميقة

(٢) في ظلال القرآن (٤/ ١٨٩٦) .دار الشروق بيروت- القاهرة الطبعة الثانية والثلاثون ،١٤٢٣ ه -٢٠٠٣م

(٣) شرح كتاب التوحيد للحازمي (٤٣/ ٢) .

ثالثاً: معنى الدين في اللغة والاصطلاح

أ- تعريف الدين لغة:

١- و"الدِّين" : "الجزاء والمُكافأة ". و دِنْتُه بفعلِه دَيْناً : جَزَيته وقيل الدِّين المصدر و الدِّين الاسم . و يومُ الدِّين : يومُ الجزاء . وفي المثل : كما تَدِينُ تُدان أَي كما تُجازِي تُجازَى أَي تُجازَى بفعلك وبحسب ما عملت وقيل : كما تَفْعَلَ يُفْعَل بك قال خُوَيلد بن نَوْفل ألكلابي للحرث بن أَبي شمر الغَسَّاني وكان اغتصه ابنتَه

يا أَيُّها المَلِك المَخوفُ أَما تَرَى *** ليلاً وصُبْحاً كيفَ يَخْتَلِفانِ

هل تَسْتَطِيعُ الشمسَ أَن تأْتي بها *** ليلاً وهل لك بالمَلِيكِ يَدانِ

يا حارِ أَيْقِنْ أَنَّ مُلْكَكَ زائلٌ وا *** عْلَمْ بأَنَّ كما تَدِينُ تُدان

و دانَه دَيْناً أَي جازاه . وقوله تعالى : ﴿ أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ [الصافات: ٥٣] أَي: مَجْزِيُّون مُحاسَبون ومنه الدَّيَّانُ في صفة الله عز وجل[١] .

٢- و "الدين" : " الطاعة و أصل المعنى وقد دنته ودنت له أي أطعته قال عمر بن كلثوم

وأياماً لنا غراً كراماً *** عصينا الملك فيها إن ندينا [٢].

قال ابن فارس:[٣]"دين" الدال والياء والنون أصلٌ واحد إليه يرجع فروعُه كلُّها.

وهو جنسٌ من الانقياد والذُّل. فالدِّين: الطاعة، يقال دان له يَدِين دِيناً، إذا أصْحَبَ وانقاد وطَاعَ. وقومٌ دِينٌ، أي مُطِيعون منقادون[٤] .

قال الفيروز آبادي[٥]:" والدِّينُ بالكسر : الجَزاءُ وقد دِنْتُه بالكسر دَيْناً ويُكْسَرُ وإلا سْلامُ وقد دِنْتُ به بالكسر والعادةُ والعِبادةُ والمُوَاظِبُ من الأَمْطَارِ أو اللَّيِّنُ منها والطاعة كالدِّيْنَة بالهاء

---

(١) لسان العرب (١٣/ ١٦٤).

(٢) تاج العروس (ص: ٨٠٤٠).

(٣) ابن فارس(٣٢٩ - ٣٩٥ هـ = ٩٤١ - ١٠٠٤ م) أحمد بن فارس بن زكرياء القز ويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته. من تصانيفه (مقاييس اللغة) الأعلام للزر كلي (١/ ١٩٣)

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٣١٩) المؤلف : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المحقق : عبد السلام محمد هارون الناشر : دار الفكر الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

(٥) الفيروز آبادي (٧٢٩ - ٨١٧ هـ = ١٣٢٩ - ١٤١٥ م) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي: من أئمة اللغة والأدب. ولد بكار زين (بكسر الراء وتفتح) من أعمال شيراز. وانتقل إلى العراق، وجال في مصر والشام، ودخل بلاد الروم والهند. ورحل إلى زبيد (سنة ٧٩٦ هـ) فأكرمه ملكها الأشراف إسماعيل وقرأ عليه، فسكنها وولي قضاءها. وانتشر اسمه في الآفاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفى في زبيد. أشهر كتبه (القاموس المحيط).

فيهما والذُّلُّ والدَّاءُ والحِسابُ والقَهْرُ والغَلَبَةُ والاستعلاء والسُّلطانُ والمُلْكُ والحُكْمُ والسِّيرَةُ والتَّدْبيرُ والتَّوْحيدُ واسْمٌ لجميعِ ما يُتَعَبَّدُ الله عَزَّ وجلَّ به"[1] .

ب- الدين في استعمال القرآن الكريم:

لقد وردت ألفاظ متعددة لمعنى الدين في استعمال القرآن الكريم وفي كل آية يكون معناها مختلفاً بحسب الصياغ والدلاله نذكربعضاً منها:

١- الدين يوم الحساب قَالَ تَعَـالَى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]

عن ابن مسعود وناس من الصحابة:" أنهم فسروا يوم الدين بيوم الحساب[2] .

٢- الطاعة والشرع: قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ ﴾[البقرة: ١٩٣]

فالدين في هذه الآية يعني" الدين " هنا الطاعة والشرع:[3] أي: يكونَ دينُ الله هو الظاهر "العالي" [5] على سائر الأديان .

٣- قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر: ٢] أيّ: "الطاعة"[4] والدين: "العبادة والطاعة" ورأسها توحيد الله، وأنه لا شريك له [5].

٤- المعتقد والملة: قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] الدين في هذه الآية المعتقد والملة بقرينة قوله : { قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} ([6]. والدين هنا ملة الإسلام واعتقاده[7]

٥- الطاعة والملة : قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران: ١٩]

---

(١) القاموس المحيط (ص: ١١٩٨) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير(١/ ٢٦) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٢٤٩) المؤلف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان - الطبعة : الأولى: ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

(٤) الكشف والبيان (٨/ ٢٢١) المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان الطبعة : الأولى - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٢/ ٧٨) المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

(٦) .الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٧٩)

(٧) تفسير البحر المحيط (٢/ ٢٩٢) المؤلف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض شارك في التحقيق ١- د.زكريا عبد المجيد النوقي٢- د.أحمد النجولي الجمل دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت الطبعة : الأولى-١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

الدين في هذه الآية الطاعة والملة ، والإسلام بمعنى الإيمان والطاعات ؛ قاله أبو العالية ، وعليه جمهور المتكلمين [1].

٦- الشريعة: قوله تعالى:﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩]

و"الدين"هاهنا الشريعة وهي مثل قوله تعالى" إن الدين عند الله الإسلام " هنا يعني الشريعة [2].

٧- و قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [يوسف: ٧٦] و " دين الملك " فسره ابن عباس: بسلطانه وفسره قتادة: بالقضاء والحكم[3] .

٨- الطاعة والملك: قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ [النحل: ٥٢] الدين في هذه الآية يعني " الطاعة والملك[4] ومعنى "واصباً" : دائماً .

٩- قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر: ٢] الدين " هنا يعم المعتقدات وأعمال الجوارح[5] .

١٠- توحيد الله : قا ل تعالى: ﴿ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[الشورى: ١٣] إقامة الدين هو توحيد الله ورفض ما سواه وهو توحيد الله وطاعته ، والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء ، وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلما[6].يعني: "أقيموا التوحيد"[7].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٤٣).

(٢) تفسير الالوسي (٩/ ٩٢) : الدر المنثور المؤلف : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي الناشر : دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٣م.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٢٧٤) .

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٧/ ١١٥).

(٥) تفسير الثعالبي (٤/ ٤٧) الجواهر الحسان في تفسير القرآن المؤلف :عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٠) المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

(٧) بحر العلوم (٣/ ٢٢) - المؤلف : أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي تحقيق: د.محمود مطرجي، دار النشر : دار الفكر – بيروت.

١١- قوله تعالى: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾[الشورى: الدين هنا العوائد والأحكام والسيرة ويدخل في ذلك أيضاً المعتقدات لأنهم في جميع ذلك وضعوا لأنفسهم أوضاعاً يسيرون عليها ويلتزمون بها[١] .

١٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ٦ ﴾ [الذاريات: ٥ - ٦] والدين هنا الجزاء.وقال:مجاهد:الحساب[٢].

١٣- قوله تعالى حكاية عما قاله فرعون لقومه عن موسى عليه السلام: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ ﴾ [غافر: ٢٦] الدين هنا السلطان[٣]

١٤- قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٥] الدين هنا الجزاء أَيْ حِسَابُهُمْ وَجَزَاؤُهُمْ[٤]،[٥]

ج-تعريف ا لدين في الاصطلاح:

أن كل مايتخذه الناس ويتعبدون له يصح أن يسمى ديناً، سواء كان صحيحاً، أو باطلاً، بدليل قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ آل عمران: ٨٥ وقوله؟عز وجل: ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ الكافرون: ٦، فسمى الله ما عليه مشركي العرب من الوثنية ديناً [٦].

وهو الاستسلام له بِالتَّوْحِيدِ وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وأهله[٧].

والديانة، اسمٌ لجميع ما يتعبَّد به لله، شريعة ومِلَّة [٨].

---

(١) تفسير الثعالبي (٤/ ١٠٧)

(٢) تفسير النسفي (٤/ ١٤٥) المؤلف : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي دار النشر : دار النفائس - بيروت ٢٠٠٥م

(٣) تفسير البحر المحيط (٧/ ٤٤٠)

(٤) تفسير القرطبي (١٢/ ٢١٠)

(٥) وانظر كل هذا في كتاب موجز الأديان في القرآن(ص١٠-١٢) للدكتور/عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت -لبنان ، الطبعة الأولى :١٤٢٣ه-٢٠٠٢م.

(٦) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص: ١٠) لمؤلف: سعود بن عبد العزيز الخلف الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

(٧) شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان (ص: ١٥٧) صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى - ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

(٨) معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٧٩٦) المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

معنى الملة :

والمِلَّةُ بالكسْرِ : الشريعَةُ أَو الدِّينُ كمِلَّةِ الإسلامِ والنَّصرانِيَّةِ واليَهودِيَّةِ .

وقيل : هي مُعظَمُ الدِّينِ وجُملَةُ ما يجيءُ به الرُّسُلُ وكلامُ المُصنِّفِ يَشيرُ إلى تَرادُفِ الثّلاثَةِ[١].و المِلَّةُ الدِّين والشريعة[٢] .

وقال الراغب[٣]:" الملة: من أمللتُ الكتاب، وهي اسم لما شرعه الله تعالي لعباده على لسان أنبيائه ليتوصلوا به إلي آجل ثوابه، والدين ملة، لكن الملةَ تُقال باعتبار دعا الله وإنزال كتبه والدين باعتبار طاعة العباد له بإجابة دعائه والانقياد لأمره، والشيء الواحد قد يسمى باسمين[٤].

الفرق بين الملة والدين:

إن الملة إسم لجملة الشريعة، والدين إسم لما عليه كل واحد من أهلها ألا ترى انه يقال فلان حسن الدين ولا يقال حسن الملة وإنما يقال هو من أهل الملة ويقال لخلاف الذمي الملي نسب إلى جملة الشريعة فلا يقال له ديني وتقول ديني دين الملائكة ولا تقول ملتي ملة الملائكة لان الملة إسم للشرائع مع الاقرار بالله.

والدين: ما يذهب إليه الانسان ويعتقد أنه يقربه إلى الله وإن لم يكن فيه شرائع مثل دين أهل الشرك وكل ملة دين وليس كل دين ملة واليهودية ملة لان فيها شرائع وليس الشرك ملة وإذا أطلق الدين فهو الطاعة العامة التي يجازى عليها بالثواب مثل قوله تعالى " إن الدين عند الله الاسلام " وإذا قيد إختلف دلالته وقد يسمى كل واحد من الدين والملة بإسم الآخر في بعض المواضع لتقارب معنييهما[٥].

---

(١) تاج العروس (ص: ٧٥٢١)

(٢) مختار الصحاح (ص: ٦٤٢)

(٣) الراغب الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني ** العلامة الماهر، المحقق الباهر، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني، الملقب بالراغب، صاحب التصانيف كان من أذكياء المتكلمين، لم أظفر له بوفاة ولا بترجمة سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٨/ ١٢٠- ١٢١).

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٣٠٥) المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٥) معجم الفروق اللغوية (ص: ٥٠٩) المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

رابعاً: معنى النبي والرسول

أولا:تعريف النبي :

أ – النبي في اللغة:

١– النبو: العلو والارتفاع وقد نبا والنبوة والنباوة والنبي ما ارتفع من الأرض وفي الحديث فأتي بثلاثة قرصة فوضعت على نبي(١) أي على شيء مرتفع من الأرض من النباوة والنبوة الشرف المرتفع من الأرض (٢).

٢– والنبي : علم من أعلام الأرض التي يهتدى بها ؛ قال بعضهم : ومنه اشتقاق النبي لأنه أرفع خلق الله اولأنه يهتدى به .

وقال ابن السكيت(٣) ، فإن جعلت النبي مأخوذا من النباوة أي أنه شرف على سائر الخلق(٤)

٣– والنبيء: "المخبر عن الله تعالى"(٥).

ب– تعريف النبي اصطلاحاً:

النبي: هو من أَوْحَى الله إليه بشرعٍ لنفسه أو أَمرَه بالتبليغ إلى قوم موافقين؛ يعني موافقين له في التوحيد (٦).

النبي من بُعِثَ لتقرير شرعٍ سابق، والرسول من بعثه الله بشريعة يدعو الناس إليها، سواء كانت جديدة أو متقدمة. والله أعلم (٧).

---

(١) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (٢/ ٣٠٨) تأليف: محمد بن فتوح الحميدي تحقيق : د. علي حسين البواب دار النشر / دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - الطبعة: الثانية١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م .

(٢) لسان العرب (١٥/ ٣٠١).

(٣) ابن السكيت(١٨٦ - ٢٤٤ هـ = ٨٠٢ - ٨٥٨ م) يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، ابن السكيت: إمام في اللغة والأدب. أصله من خوزستان (بين البصرة وفارس) تعلم ببغداد ومات فيها. من كتبه " إصلاح المنطق - ط " قال المبرد: ما رأيت للبغداديين كتابا أحسن منه، الأعلام للزر كلي (٨/ ١٩٥).

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس (٤٠/ ١١).

(٥) القاموس المحيط (ص: ٦٧).

(٦) العقيدة الطحاوية - صالح آل الشيخ (ص: ٧٩).

(٧) موسوعة الألباني في العقيدة (٨/ ١٢٧) موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني «موسوعة تحتوي على أكثر من (٥٠) عملاً ودراسة حول العلامة الألباني وتراثه الخالد» المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) صَنَعَهُ: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان

الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء - اليمن الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .

ثانياً: تعريف الرسول لغة اصطلاحاً:

أ- تعريف الرسول لغة :

١- الذي يُتابعُ أَخْبارَ الذي بَعَثَهُ أَخْذاً مِنْ قَوْلِهم : جاءَتِ الإِبِلُ رَسْلاً ، أي مُتَابِعَةً ...وسُمِّيَ الرَّسُولُ رَسُولاً ، لأَنَّهُ ذُو رِسالَةٍ[١].

و في قوله عز وجل حكاية عن موسى وأخيه﴿ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الشعراء: ١٦] معناه إنا رِسالة رَبّ العالمين أَي ذَوَا رِسالة رب العالمين[٢].

٢- والإِرْسالُ أيضاً : التَّوْجِيهُ وبهِ فُسِّرَ إِرْسالُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ أَنْبِياءَهُ عليهِمُ السَّلامُ كأَنَّهُ وَجَّهَ إليهم أَنْ أَنْذِرُوا عِبادِي[٣].

ب- تعريف الرسول اصطلاحاً:

فالرسول : هو الرجل المبعوث من الله إلى الناس بشريعة . والنبي : مَن أوحَى الله إليه بإصلاح أمر قوم بحملهم على شريعة سابقةٍ أو بإرشادهم إلى ما هو مستقر في الشّرائع كلها فالنبي أعمّ من الرسول ، وهو التحقيق[٤] .

و «الرسول» - كما قال العلماء :" هو من أوحي إليه بشرع، وأُمِر بتبليغه؛ هذا الذي عليه أكثر أهل العلم؛ و «النبي» هو الذي لم يؤمر بتبليغه ما لم يدل الدليل على أن المراد به الرسول؛ ففي القرآن الكريم كل من وصف بالنبوة فهو رسول؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[النساء: ١٦٣- ١٦٥] [٥] .

والتعريف المختار أن "الرسول من أوحي إليه بشرع جديد ، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله"[٦].

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس (٢٩/ ٧٣ ، ٧٤).
(٢) لسان العرب (١١/ ٢٨١).
(٣) تاج العروس (ص: ٧١٠٦).
(٤) التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية (١٧/ ٢٩٧) المؤلف : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس ـ ١٩٩٧ م.
(٥) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣/ ٤٤٢) المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
(٦) النبوات لابن تيمية (ص: ٢٥٥) المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : المطبعة السلفية ـ القاهرة ، ١٣٨٦هـ.

فالرسول هو (من أوحي إليه بشرع وأُمر أن يبلّغ وفِي لِسَانِ الشَّرْعِ : إِنْسَانٌ ، ذَكَرٌ ، حُرٌّ ، أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ ، وَأُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ[1].

ثالثاً: الفرق بين النبي والرسول:

فالفرق بين النبي والرسول على المشهور : "أن الرسول إنسان ذكر أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه والنبي إنسان ذكر أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه" .

وكل من النبي والرسول يوحى إليه، لكن النبي قد يبعث في قوم مؤمنين بشرائع سابقة؛ كأنبياء بني إسرائيل؛ يأمرون بشريعة التوراة، وقد يوحى إلى أحدهم وحي خاص في قصة معينة[2].

لقد ذكر العلماء فروقًا بين النبي والرسول، وأحسنها أن من نبأه الله بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبي ورسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول، فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس، فالرسالة أعم من جهة نفسها[3].

ويرى شيخ الإسلام في كتاب "النبوات": أن النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[الحج: ٥٢][4].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ١٢) المؤلف : محمد خليل هراس الناشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الطبعة : الأولى تاريخ النشر : ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص: ١٦٥) المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان الناشر: دار ابن الجوزي الطبعة: الرابعة ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٣) شرح الطحاوية (ص: ١٥٨) المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ) تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي) الطبعة: الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٤) النبوات لابن تيمية (ص: ١٨٤).

اختلاف عباراتهم في معنى النبي و الرسول:

وإنَّما اختلفت عباراتهم في معنى الرسول والنبي .

ففي كلام جماعة من علمائنا لا نجد تفرقة ، وأنّ كلّ نبيء فهو رسول لأنَّه يوحى إليه بما لا يخلو من تبليغه ولو إلى أهل بيته . وقد يكون حال الرسول مبتدأ بنبوة ثمّ يعقبها إرساله ، فتلك النبوة تمهيد الرسالة كما كان أمر مبدإ الوحي إلى رسول الله -ﷺ - فإنَّه أخبر خديجة ، ونزل عليه : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] والقول الصحيح أنّ الرسول أخصّ ، وهو من أوحي إليه مع الأمر بالتبليغ ، والنبي لا يؤمر بالتبليغ[1] .

---

(١) التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية (٦/ ٣٢)

خامساً: معنى القرآن والكتب السماوية

أولاً:معنى القرآن:

أ- القرآن في اللغة :

ومعنى القُرآن معنى الجمع وسمي قُرْآناً لأَنه يجمع السُّوَر فيَضُمُّها وقوله تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾[القيامة:١٧] أَي جَمْعَه وقِراءَته [(١)].

و قَرأَ الكتاب قِراءَةً قُرُءانا بالضم و قَرَأَ لا شيء قُرْآنا بالضم أيضا جمعه وضمه ومنه سمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها [(٢)].

وقيل: سمى بذلك لكونه جامعا لثمرة الكتب السماوية السابقة، أو لكونه جامعا لثمرة كل العلوم، كما أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل: ٨٩][(٣)].

وقال ابن الأثير : "تكرر في الحديث ذكر القراءة والاقتراء والقاريء والقرآن ، والأصل في هذه اللفظة الجمع ، وكل شيء جمعته فقد قرأته ، وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض"[(٤)].

قرأالكتاب قراءة وقرآنا تتبع كلماته نظرا ونطق بها وتتبع كلماته ولم ينطق بها وسميت "حديثا " بالقراءة الصامتة والآية من القرآن نطق بألفاظها عن نظر أو عن حفظ فهو قارئ جمعه قراء وعليه السلام قراءة أبلغه إياه والشيء قرءا وقرآنا جمعه وضم بعضه إلى بعض[(٥)].

ب- القرآن اصطلاحاً:

١- للعلماء في تعريف القرآن الكريم صيغ متعددة بعضها طويل ولعل أقربها تعريفهم للقرآن بأنه:" كلام الله تعالى المنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته"[(٦)].

---

(١) لسان العرب (١/ ١٢٨).
(٢) مختار الصحاح (ص: ٥٦٠).
(٣) مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن (ص: ٤٦) المؤلف: عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد الناشر: دار البيان العربى – القاهرة.
(٤) تاج العروس من جواهر القاموس (١/ ٣٧١).
(٥) المعجم الوسيط (٢/ ٧٢٢) المؤلف / إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار تحقيق / مجمع اللغة العربية دار النشر : دار الدعوة.
(٦) دراسات في علوم القرآن (ص: ٢١) المؤلف: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢- هوكلام الله تعالى المنزل على محمد-ﷺ-المكتوب بين دفتي المصحف، المبدوء بسورة الحمد، المختوم بسورة الناس، المعجز بلفظه ومعناه، المتعبّد بتلاوته، المنقول بالتواتر [١].

٣- القرآن الكريم، هو كلام الله المنزل من السماء على سيدنا محمد-ﷺ-خاتم الأنبياء، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، الناسخ للشرائع السالفة» [٢].

٤- القرآن عند الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية ويوافقهم عليه المتكلمون أيضا القرآن على أنه اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس [٣].

والقرآن أي ألمتلو ، أو المجموع، ومما ذكره العلماء في معنى المجموع أي الذي جمع كل ما في كتب الأولين .

ج- منزلة القرآن من الكتب المتقدمة :

القرآن آخر الكتب السماوية وهو خاتمها، وهو أطولها، وأشملها، وهو الحاكم عليها. قال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[المائدة: ٤٨] وقال تعالى :﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يونس٣٧ وقال:﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف ١١١] :

قال الشوكاني:[٤] "أي أنزلنا إليك يا محمد القرآن حال كونه متلبسا بالحق وحال كونه مصدقا لما بين يديه من كتب الله المنزلة لكونه مشتملا على الدعوة إلى الله والأمر بالخير والنهي عن الشر كما اشتمل عليه قوله : ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ عطف على مصدقا والضمير في عليه عائد

---

(١) مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن (ص: ٤٦).

(٢) موسوعة علوم القرآن (ص: ٢٦) المؤلف: عبد القادر محمد منصور الناشر: دار القلم العربى - حلب الطبعة: الأولى، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٩) المؤلف : محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى : ١٣٦٧هـ) الناشر : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة : الطبعة الثالثة.

(٤) الشوكاني(١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ = ١٧٦٠ - ١٨٣٤ م) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها. وكان يرى تحريم التقليد.له ١١٤ مؤلفا، منها (نيل الاوطار من أسرار منتقى الأخبار - ط) ثماني مجلدات،، و (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة - ط) و (التعقبات على الموضوعات - خ) و (الدرر البهية في المسائل - الفقهية - خ) و (فتح القدير - ط) في التفسير، خمسة مجلدات الأعلام للزر كلي (٦/ ٢٩٨).

إلى الكتاب الذي صدقه القرآن وهيمن عليه والمهيمن الرقيب وقيل الغالب المرتفع وقيل الشاهد : وقيل الحافظ وقيل المؤتمن(١).

و عن ابن عباس رضي الله عنهما : أي شاهدا عليه ، وهو قول مجاهد(٢) وهو قول قتادة قال حسان(٣) .

إن الكتاب مهيمن لنبينا **** والحق يعرفه ذوو الألباب(٤).

د- مكانة القرآن وعظمته:

القرآن هو كتاب الساعة الذي يخاطب الأجيال كافة حتى يرث الله الأرض ومن عليها فلا غرو أن يضمنه منزله كل ما تحتاج إليه الأمم على اختلاف أجيالها من المناسبات الملائمة لأحوالهم وليس ذلك في قدرة أحد إلا العليم بأسرار الخلق وخفيات السموات والأرض ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الفرقان: ٦](٥).

"يقول تعالى لرسوله محمد -ﷺ-مبينا له عظمة القرآن: ﴿ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾أي: كتاب جليل حوى كل ما يحتاج إليه العباد، وجميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعيةمحكماًمفصلاً"(٦).

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٢/ ٧٠).

(٢) مجاهد بن جبر(٢١ - ١٠٤ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٢ م) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت ؟ وتنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة. وكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها: ذهب إلى " بئر برهوت " بحضرموت، وذهب إلى " بابل " يبحث عن هاروت وماروت. أما كتابه في " التفسير " فيتقيه المفسرون، وسئل الأعمش عن ذلك، فقال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب، يعني النصارى واليهود. ويقال: إنه مات وهو ساجد الأعلام للزر كلي (٥/ ٢٧٨).

(٣) حسان بن ثابت ابن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك ابن النجار. سيد الشعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس. أبو الوليد ؛ ويقال: أبو الحسام. الأنصاري الخزرجى ألنجاري المدني، ابن الفريعة شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن سعد: عاش ستين في الجاهلية، وستين في الاسلا م وصاحبه حدث عنه ابنه عبدا لرحمن، والبراء بن عازب، وسعيد بن المسيب، وأبو سلمة، وآخرون وحديثه قليل. قال ابن سعد: عن الواقدي: لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهدا. كان يجبن.قال ابن إسحاق: توفي حسان سنة أربع وخمسين. سير أعلام النبلاء (٢/ ٥١٢؛٥٢٢).

(٤) تفسير البغوي (٢/ ٥٧)ا لمؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) المحقق : عبد الرزاق المهدي الناشر : دار إحياء التراث العربي -بيروت الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ٣٠٨).

(٦) تفسير السعدي (ص: ٢٨٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

ثانياً: معنى الكتب السماوية:

أ- في اللغة:"كتب": الكِتابُ معروف والجمع كُتُبٌ وكُتْبٌ كَتَبَ الشيءَ يَكْتُبه كَتْباً وكِتاباً وكِتابةً وكَتَّبه خَطَّه (١)

ومادة "كتب" تدور حول الجمع والضم، وسمي الكاتب كاتباً؛ لأنه يجمع الحروف ويضم بعضها إلى بعض.

ب- أما في الشرع: فالمراد بها الكتب التي أنزلها الله_تعالى_على رسله؛ رحمة للخلق، وهداية لهم؛ ليصلوا بها إلى سعادة الدنيا والآخرة"(٢).

ونورد هنا معاني هذه الكتب وما قيل فيها من أقوال :

أولاً:التوراة :

قال القرطبي:" والتوراة معناها الضياء والنور، مشتقة من ورى الزند ووري لغتان إذا خرجت ناره. وأصلها تورية على وزن تفعلة، .....

وقيل: التوراة مأخوذة من التورية، وهي التعريض بالشيء والكتمان لغيره، فكأن أكثر التوراة معاريض وتلويحات من غير تصريح وإيضاح(٣).

وهي اسم عبراني للكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام ليكون شريعة له ولقومه.قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[الأنبياء: ٤٨] يعنى التوراة (٤).

---

(١) لسان العرب (١/ ٦٩٨) وتكتبت الخيل أي تجمعت قال شمر كل ما ذكر في الكتب قريب بعضه من بعض وإنما هو جمعك بين الشيئين يقال اكتب بغلتك وهو أن تضم بين شفريها بحلقة ومن ذلك سميت الكتيبة لأنها تكتبت فاجتمعت ومنه قيل كتبت الكتاب لأنه يجمع حرفا إلى حرف.

(٢) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين (ص: ٣٣٢) إعداد: أحمد بن علي الزاملي عسيري إشراف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤٣١ هـ

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٥)

(٤) التفسير الوسيط لطنطاوي (٢/ ٢١) المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى تاريخ النشر: أجزاء ١ - ٣: يناير ١٩٩٧م.

ثانياً:الإنجيل:

نَجَل الشيءَ يَنْجُلُه نَجْلاً : أَظْهَره ، قيل : ومنه اشتِقاقُ الإنجيل[١].

والإنجيلُ عربيٌّ مشتقٌّ من نَجَلت الشيءَ: استخرجْتُه، كأنَّه أمرٌ أبرِزَ وأُظهِرَ بما فيه [٢].

الإنجيل مأخوذ من قول العرب: قد نجلت الشيء: إذا استخرجته وأظهرته. فسمي الإنجيل: إنجيلاً، لأن الله أظهره للناس بعد طموس الحق ودروسه[٣].

(الإنجيل) كتاب الله المنزل على عيسى عليه السلام وهي كلمة يونانية معناها البشارة[٤] .

ثالثاً:ألزبور:

قال أَبو هُرَيْرَة –ﷺ– : ألزبور : ما أُنزِل على دَاوودَ ، مِنْ بَعْد الذِّكر : من بعد التَّوْراة . وفي البصائر للمُصَنِّف : وسُمِّيَ كِتَابُ دَاوودَ زَبُورًّ ، لأَنَّه نَزَلَ من السَّماءِ مَسْطُوراً[٥] .

وألزبور كتاب يتضمن الزجر عن خلاف الحق من قولك زبره إذا زجره وسمي زبور داود لكثرة مزاجره .

وقال الزجاج:[٦]" ألزبور كل كتاب ذي حكمة" [٧] .

والزَّبُور :الكتاب الذي أُنزِل على نبي الله داود ، ومعنى ألزبور : الشيء المكتوب ، فإنْ أطلقتَها على عمومها تُطلَق على كل كتاب أنزله الله[٨] .

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[الإسراء: ٥٥] و قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس (٣٠/ ٤٥٧؛٤٥٨) واختلف في لفظ الإنجيل فقيل : اسم عبراني ، وقيل : سرياني ، وقيل : عربي ، وعلى الأخير قيل : مشتق من النجل ، وهو الأصل ، أو من نجلت الشيء : أي أظهرته ، أو من نجله : إذا استخرجه ، وقيل غير ذلك ، وحكى شمر عن الأصمعي : الإنجيل : كل كتاب مكتوب وافر السطور ، وهو إفعيل من النجل

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣٩٦)

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٧٣) المؤلف: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ) المحقق: د. حاتم صالح الضامن الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.

(٤) المعجم الوسيط (١/ ٢٩).

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس (١١/ ٤٠٠).

(٦) الزجاج (٢٤١ - ٣١١ هـ = ٨٥٥ - ٩٢٣ م) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد. من كتبه (معاني القرآن - خ) و (الاشتقاق) و (خلق الانسان - ط) و (الامالي) في الأدب واللغة، و (فعلت وأفعلت - ط) في تصريف الالفاظ و (المثلث - خ) في اللغة، مهيأ للنشر في بغداد، و (إعراب القرآن - ط) ثلاثة أجزاء. الأعلام للزركلي (١/ ٤٠) .

(٧) الفروق اللغوية (ص: ٢٦٥).

(٨) تفسير الشعراوي (ص: ٥٩٥٤).

رابعاً:صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى:

و"الصحيفة" ما يكتب فيه من ورق ونحوه ويطلق على المكتوب فيها صحف وفي التنزيل قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[الأعلى: ١٨ –١٩] [(١)].

كانت صحف إبراهيم ؟ قال : "كانت أمثالا كلها ..

قال :" قلت يا رسول اللّه ، فما كانت صحف موسى ؟ قال : "كانت عبرا كلها :

عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح! وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب. وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها! وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم هو لا يعمل" !

قال : قلت يا رسول اللّه ، فهل في أيدينا شيء مما كان في يديه إبراهيم وموسى ، مما أنزل اللّه عليك ؟ قال : "نعم اقرأ يا أبا ذر : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى: ١٤

قال ابن عثيمين[(٢)] –رحمه الله– :وهي صحف جاء بها إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام، وفيها من المواعظ ما تلين به القلوب وتصلح به الأحوال [(٣)].

الكتب السماوية كلُّها أنزلت لغايةٍ واحدةٍ:

أنزلت الكتب السماوية كلُّها لغايةٍ واحدةٍ، وهدف واحد وهو أن يُعْبَدَ الله وحده لا شريك له، ولتكون منهج حياة للبشر الذين يعيشون في هذه الأرض، تقودهم بما فيها من هداية إلى كل، ولتكون روحاً ونوراً تحيي نفوسهم، وتكشف ظلماتها، وتنير لهم دروب الحياة كلها .

---

(١) المعجم الوسيط (١/ ٥٠٨) ولسان العرب (٩/ ١٨٦).

(٢) محمد بن صالح العثيمين (١٣٤٧-١٤٢١هـ، ١٩٢٨- ٢٠٠١م). محمد بن صالح بن محمد عثيمين المقبل الوهيبي التميمي، عالم وفقيه سعودي، وأستاذ في كلية الشريعة بفرع جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في منطقة القصيم، وعضو هيئة كبار العلماء. ولد في عنيزة بمنطقة القصيم التي كانت مساجدها مكاناً لكثير من الحلقات العلمية الشرعية والنقاشات الفكرية. حفظ القرآن الكريم في صغره، ثم اتجه إلى طلب العلوم الشرعية والعربية على أيدي كثير من العلماء المتخصصين وامتاز الشيخ بالعلم الغزير، والفهم الواضح للدين؛ عقيدة وشريعة، والأسلوب الجيد في العرض واتباع الحكمة في أسلوب الدعوة. حاز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م

(٣) تفسير القرآن للعثيمين (٢٥/ ١٥).

الباب الأول

الدعوة إلى عبادة اللّه وفيه فصلان :

الفصل الأول : الغاية من إرسال الرسل وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التوحيد وأنواعه.

المبحث الثاني: التوحيد اساس دعوة الرسل.

المبحث الثالث: إخلاص العبادة لله.

الفصل الثاني : الإله المعبود بحق هو الله وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإله المعبود بحق هو الله وماسواه باطل.

المبحث الثاني: معنى لاإله الا الله ونفي الأنداد.

المبحث الثالث : الآثار الواردة في السنة الداعية إلى عبادة الله.

الباب الاول

الدعوة إلى عبادة اللّه

تمهيد

إن لبَّ دعوات الرسل وجوهر الرسالات السماوية هو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ونبذ ما يُعبد من دونه ، وقد عرض القرآن هذه القضية وأكدها في مواضع متعددة ، الدعوة إلى عبادة الله وحده ، أي إلى إفراده سبحانه بالألوهية وخصائصها ، في حياة العباد كلها؛ وجعل الحاكمية والتحاكم إليه وحده في شؤون الحياة كافة ، واستنكار ادعاء الألوهية أو إحدى خصائصها لغيره سبحانه وتعالى

وتضافرت جهود الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– على الدعوة إلى دين الله الذي لا يقبل من الناس سواه، وحملوا كلهم راية التوحيد، وهتفوا جميعاً بقومهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ﴾ [الأعراف: الآيات ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥].

وقد قرر الله هذه الحقيقة قاعدة عامة في دعوة كل الرسل –عليهم الصلاة والسلام–، بعد أن ذكرها على لسان كل منهم ، فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]

وهذه الدعوة التي جاء بها رسل الله– تعالى– هي دعوة إلى توحيد الله– تعالى– ، وإخلاص العبادة بكل أنواعها، لله الواحد الأحد، وهي تنديد بالكفر والشرك وأهلهما، ودعوة إلى اجتناب الأوثان والطواغيت، مهما تعددت أشكالها وألوانها وصورها، ودعوة إلى إسقاط الأقنعة الزائفة التي يتستر وراءها أولئك الذين يتسلطون على رقاب العباد وأموالهم، ويزعمون لأنفسهم حق السيادة عليهم، وحق التشريع لهم والطاعة والاتباع.

دعوة خالصة واضحة لا لبس فيها ولا غموض . دعوة إلى الله لا لقومية ولا لعصبية ، ولا لأرض ولا لراية . ولا لمصلحة ولا لمغنم ، ولا لتمليق هوى ، ولا لتحقيق شهوة . ومن شاء أن يتبع هذه الدعوة على تجردها فليتبعها . ومن أراد غيرها معها فليس هذا هو الطريق .

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[الأنعام: ١٤] ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[الشعراء:٢١٣

الفصل الأول

الغاية من إرسال الرسل

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التوحيد وأنواعه.

المبحث الثاني: التوحيد اساس دعوة الرسل.

المبحث الثالث: إخلاص العبادة لله.

الفصل الأول

الغاية من إرسال الرسل

تمهيد

ولقد كانت مهمة الأنبياء الأولى الأمر بتوحيد الله فهو القضية الكبرى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦] وقال تعالى ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله –تعالى: "الرسالة ضرورية للعباد ، لا بدَّ لهم منها ، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته ، فأيُّ صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور ؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة ، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ، وينالہ من حياتها وروحها فهو في ظلمة ، وهو من الأموات ، قال الله تعالى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾[الأنعام: ١٢٢] [١] .

لا شك أنه التوحيد الذي بعثت به الرسل، وأنزلت من أجله الكتب، ومن أجله خلقت الجنة والنار، ومن أجله خلقت الخليقة كلها، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: ٥٦] و ما من نبي إلا ويأتي إلى قومه فيقول لهم: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[المؤمنون: ٣٢] .

يعتبر توحيد الألوهية أول دعوة الرسل، ، وأول واجب على المكلف، وآخر ما يخرج به الإنسان من الدنيا إلى غيره. أن الأصل في البشرية هو توحيد الله، والله خلق آدم. . وذريته على التوحيد، ولذلك جاء في الحديث القدسي: "خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم[٢] الشياطين"[٣]

---

(١) الرسل والرسالات (ص: ٣٢) المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي ،الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة: الرابعة، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

(٢) "فاجتالتهم" أى أضلتهم جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي (ص: ٤٩٦٢) أزالتهم عمَّا كانوا عليه مشكل الآثار للطحاوي (٨/ ٣٦٤).

(٣) مختصر صحيح مسلم للمنذري ت الألباني (٢/ ٥٢٣) رقم -١٩٧٣«للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري» "باب: في أهل الجنة وأهل النار وعلاماتهم في الدنيا" الطبعة: السادسة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م المؤلف: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦ هـ) المحقق: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان.

المبحث الأول

مفهوم التوحيد وأقسامه

تعريف التوحيد في اللغة والاصطلاح :

أ- التوحيد لغة: الوَاحِدُ: هُوَ الَّذِي لَا يَتَجَزَّأُ وَلَا يُثنَّى وَلَا يَقْبَلُ الانْقِسَام، وَلَا نظِيرَ لَهُ وَلَا مِثْلَ وَلَا يَجْمَعُ هاذَيْنِ الوَصْفَيْنِ إلاَّ الله عَزَّ وَجَلَّ .

وَقَالَ الأَزهريُّ:" والواحِدُ مِن صفاتِ الله تَعَالى مَعْنَاه أَنَّه لَا ثَانِيَ لَهُ، ويَجوز أَن يُنْعَتَ الشيْءُ بأَنَّه واحِدٌ، فأَمَّا أَحَدٌ فَلَا يُنْعَتُ بِهِ غَيْرُ الله تَعالى، لِخُلُوصِ هَذَا الاسمِ الشريفِ لَهُ، جَلَّ ثَنَاؤه.[(١)] .

«الْواحِدُ»: هُوَ الفَرْد الَّذِي لَمْ يَزل وحدَه؛ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ آخَرُ [(٢)].

التَّوْحِيد:الْإِيمَان بِاللَّه تَعَالَى وَحده لَا شريك لَهُ[(٣)] .

التَّوْحِيد:الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد[(٤)] .

فالتوحيد يطلق على ثلاثة معان :

الأول : جعل الشيء واحدًا .

الثاني : الحكم على الشيء بأنه واحد .

الثالث:العلم والاعتقاد بأن هذا الشيء واحد أي : نسبة الشيء إلى الانفراد ، ونفي الشركاء عنه[(٥)]

ب- التوحيد اصطلاحًا:

من العلماء من عرفه فقال: هو إفراد الله بالعبادة. - ومنهم من قال: هو إفراد الله بأفعال العباد.

ومنهم من عرفه فقال: هو إفراد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وفي أسمائه وصفاته.

والتعريف الثالث هو الأولى؛ لأنه يجمع أقسام التوحيد الثلاثة، بخلاف التعريفين الأولين، فإنهما لا يتعلقان إلا بتعريف توحيد الألوهية ،

---

(١) تاج العروس (٩/ ٢٦٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٥٩) لمؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٣) المعجم الوسيط (٢/ ١٠١٦).

(٤) التعريفات (ص: ٦٩).

(٥) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (١/ ٨٤).

هذاوإن علماء الحنفية قد عرفوا (التوحيد) بعدة تعريفات ولكنها متقاربة المعاني ، وإن كانت عبارتها شتى ، نذكر منها ما يلي :

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي[١] إمام الحنفية في عصره – مبينًا عقيدة الأئمة الثلاثة للحنفية على الإطلاق : أبو حنيفة[٢] ، وأبو يوسف[٣] ، ومحمد بن الحسن الشيباني[٤] رحمهم الله تعالى ، معرفًا للتوحيد "نقول في توحيد الله – معتقدين بتوفيق الله : إن الله واحد لا شريك له ، ولا شيء مثله ، ولا شيء يعجزه ، ولا إله غيره"[٥] .

ولو تأملنا مدى المطابقة بين كلمة "توحيد"، وبين مفردات العقيدة، لوجدناها جزئية. وهذا يثير تساؤلا مفاده: إذاكانت المطابقة بين كلمة "توحيد" ومصطلح "عقيدة" بما يحويه من مباحث جزئية، فلماذا سمي علم العقيدة بـ"التوحيد"؟ ولم أطلق العلماء في القرون الماضية على ما صنفوه من كتب في علم العقيدة اسم "التوحيد"؟ [٦] .

---

(١) الطحاوي٢٣٩ - ٣٢١ هـ = ٨٥٣ - ٩٣٣ م أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الازدي الطحاوي، أبو جعفر: فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر. ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، وتفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفيا. ورحل إلى الشام سنة ٢٦٨هـ فاتصل بأحمد بن طولون، فكلم من خاصته، وتوفي بالقاهرة. وهو ابن أخت المزني.من تصانيفه (شرح معاني الآثار- ط) في الحديث، مجلدان، و (بيان السنة - ط)(مناقب أبي حنيفة) وغيرها.الأعلام للزر كلي (١/ ٢٠٦).

(٢) أبو حنيفة (٨٠ - ١٥٠ هـ = ٦٩٩ - ٧٦٧ م) النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة: إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. قيل: أصله من أبناء فارس. ولد ونشأ بالكوفة. وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء. وأراده عمر بن هبيرة (أمير العراقين) على القضاء، فامتنع ورعا. وأراده المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء ببغداد، فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل، فحبسه إلى أن مات (قال ابن خلكان: هذا هو الصحيح). وكان قوي الحجة، من أحسن الناس منطقا، قال الإمام مالك، يصفه: رأيت رجلا لو كلمته في السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته ! وكان كريما في أخلاقه، جوادا، حسن المنطق والصورة، جهوري الصوت، إذا حدث انطلق في القول وكان لكلامه دوي، وعن الإمام الشافعي: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة.الأعلام للزر كلي (٨/ ٣٦).

(٣) أبو يوسف (١١٣ - ١٨٢ هـ = ٧٣١ - ٧٩٨ م) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف: صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه. كان فقيها علامة، من حفاظ الحديث. ولد بالكوفة. وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه " الرأي " وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد. ومات في خلافته، ببغداد، وهو على القضاء. وهو أول من دعي " قاضي القضاة " ويقال له: قاضي قضاة الدنيا !، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه، على مذهب أبي حنيفة. الأعلام للزر كلي (٨/ ١٩٣).

(٤) الشيباني (١٣١ - ١٨٩ هـ = ٧٤٨ - ٨٠٤ م) محمد بن الحسن بن فرقد، من موالي بني شيبان، أبو عبد الله: إمام بالفقه والأصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة.أصله من قرية حرسته، في غوطة دمشق، وولد بواسط.ونشأ بالكوفة، فسمع من أبي حنيفة وغلب عليه مذهبه وعرف به وانتقل إلى بغداد، فولاه الرشيد القضاء بالرقة ثم عزله.ولما خرج الرشيد إلى خراسان صحبه، فمات في الري. قال الشافعي: (لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغة محمد ابن الحسن، لقلت، لفصاحته) ونعته الخطيب البغدادي بإمام أهل الرأي. الأعلام للزر كلي (٦/ ٨٠).

(٥) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (١/ ٨٤).

(٦) المفيد في مهمات التوحيد(ص: ١٢). المؤلف: الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي الناشر: دار الاعلام الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ- ١٤٢٣هـ

تسمية العقيدة بالتوحيد :

إن تسمية العقيدة بالتوحيد من باب تسمية الشيء بأشرف أجزائه؛ لأن توحيد الله عز وجل هو أشرف مباحث علم العقيدة. أما المباحث الأخرى؛ من إيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، ومباحث الإمامة، والصحابة، وغيرها، فهي تعتمد عليه، وتستند إليه؛ إذ هو أساسها وجوهرها، فهي تدخل فيه بالاستلزام.

الفرق بين العقيدة والتوحيد:

إذاً ما الفرق بين المعنيين؟ فنقول: العقيدة أعم من جهة موضوعها؛ إذ هي تشمل التوحيد، وغيره من المباحث؛ فيدخل فيها أركان الإيمان الستة، ويدخل فيها ردود علماء الإسلام على الديانات الأخرى، والفرق، والتيارات المعاصرة، وغيرها.

بخلاف التوحيد الذي يقتصر على توحيد الله عز وجل، وهو أشرف أجزاء العقيدة. ويلاحظ أيضا أن مباحث الإيمان بالكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقضاء والقدر يدخل في إطار العقيدة بالمطابقة[١].

أقسام التوحيد :

ذكر أهل العلم – رحمهم الله تعالى – بعد استقراء نصوص الكتاب والسنة أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام

١- توحيد الربوبية .

٢- توحيد الألوهية .

٣- توحيد الأسماء والصفات .

قال الشيخ ابن باز[٢]-رحمه الله- ما ذكره أهل العلم ثلاثة الأول توحيد الربوبية الثاني توحيد الألوهية الثالث توحيد الأسماء والصفات وعلموا ذلك بالتتبع والإستقراء والنظر في الآيات

(١) المفيد في مهمات التوحيد(ص: ١٢)

(٢) ابن باز، عبد العزيز (١٣٣٠-١٤٢٠هـ، ١٩١٢ - ١٩٩٩م). عبدا لعزيز بن عبد الله بن باز عالم وفقيه سعودي، والرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد منذ عام ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م. ثم أصبح مفتيًا عامًا للبلاد. وُلد بالرياض، في أسرة يغلب على كثير من فضلائها طلب العلم. وكان بصيرًا في أول الدراسة ثم أصابه المرض في عينيه عام ١٣٤٦هـ فضعف بصره ثم ذهب بالكلية في مستهل محرم ١٣٥٠هـ. وهو أحد العلماء الذين وهبوا حياتهم كلّها خدمة للإسلام والمسلمين اتّصف الشيخ عبدا لعزيز بلين الجانب وخفض الجناح من ناحية، والشجاعة والجرأة والجهر بالحق من ناحية أخرى، مع سكينة ووقار وسماحة وسعة صدر وحسن إصغاء حاز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤٠٢هـ ١٩٨٣م. توفي رحمه الله يوم الخميس ١٤٢٠/١/٢٧هـ نقلا عن الموسوعة العربية العالمية http://www.mawsoah.net

والأحاديث فوجدوا أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة فنوعوا التوحيد إلى ثلاثة أنواع الأول توحيد الربوبية وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والملك والتدبير وتفصيل ذلك أولا بالنسبة لإفراد الله تعالى بالخلق فالله تعالى وحده هو الخالق لا خالق سواه قال الله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله[1] .

قال العلامة ابن القيم– رحمه الله – وليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه: لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والبغض، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها، ومن عرف هذا عرف قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[2]؛[3] .

قال الشيخ بكر أبو زيد [4] – نفع الله به – : " هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن منده[5] وابن جرير الطبري وغيرهما وقرره شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ، وقرره الزبيدي في " تاج العروس " وشيخنا الشنقيطي في " أضواء البيان " رحم الله الجميع[6] .

---

(١) فتاوى مهمة لعموم الأمة (ص: ٤) المؤلف: عبد العزيز بن باز ، محمد بن صالح العثيمين المحقق: إبراهيم الفارس الناشر: دار العاصمة - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ

(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٣٦٩) إن الله تعالى قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عن عتبان بن مالك قال الشيخ الألباني (صحيح) انظر حديث رقم : ١٧٩٣ في صحيح الجامع ؛ وصحيح وضعيف الجامع الصغير (٧/ ١٢١) برقم(٢٦٧٤).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٣٩) المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م .

(٤) الشيخ بكر أبو زيد (١٣٦٥ - ١٤٢٩ هـ) بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، ينتهي نسبه إلى بني زيد الأعلى، وهو زيد بن سويد بن زيد بن سويد بن زيد بن حرام بن سويد بن زيد القضاعي، من قبيلة بني زيد القضاعية المشهورة في حاضرة الوشم، وعالية نجد، وفيها ولد عام ١٣٦٥ هـ. درس في الكتاب حتى السنة الثانية الابتدائي، ثم انتقل إلى الرياض عام ١٣٧٥ هـ، وفيه واصل دراسته الابتدائية، ثم المعهد العلمي، ثم كلية الشريعة،

(٥) الشيخ، الإمام، المحدث، المفيد، الكبير، المصنف، أبو القاسم عبد الرحمن ابن الحافظ الكبير أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمدحيى بن منده العبدي الأصبهاني. ولد: سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة. وهو أكبر إخوته. قال أبو عبد الله الدقاق: ومناقبه أكثر من أن تعد. كان صاحب خلق وفتوة وسخاء وبهاء، وكانت الإجازة عنده قوية، وكان يقول: ما حدثت بحديث إلا على سبيل الإجازة كيلا أوبق. وله تصانيف كثيرة وردود على المبتدعة وقال يحيى بن منده: كان عمي سيفا على أهل البدع، وهو أكبر من أن يثني عليه مثلي، كان - والله - آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، كثير الذكر، قاهرا لنفسه، عظيم الحلم، كثير العلم، قرأت عليه قول شعبة: من كتبت عنه حديثا فأنا له عبد. سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٨/ ٣٤٩- ٣٥٢).

(٦) القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص: ٢٩) المؤلف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر الناشر: دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية / دار ابن عفان، القاهرة، مصر الطبعة: الثالثة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

توحيد الألوهية :

ويقال له: توحيد العبادة، وهو الاعتقاد الجازم – مع العلم والعمل والاعتراف – بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها، وإخلاص الدين كله لله، وهو يستلزم توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات ويتضمنهما؛ لأن الألوهية التي هي صفة تعمُّ أوصاف الكمال، وجميع أوصاف الربوبية والعظمة؛ فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والإفضال، فتوحُّدُهُ سبحانه بصفات الكمال، وتفرّدُه بالربوبية، يلزم منه أن لا يستحقّ العبادة أحد سواه.

وتوحيد الألوهية باختصار: هو إفراد الله تعالى بعبادة العباد.

وتوحيد الألوهية: هو مقصود دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية، وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له، وهو متضمن لشيئين:

أحدهما: القول العلمي، وهو إثبات صفات الكمال له، وتنزيهه عن النقائص، وتنزيهه عن أن يماثله أحد في شيء من صفاته، فلا يوصف بنقص بحال، ولا يماثله أحد في شيء من الكمال..

والتوحيد العملي الإرادي أن لا يعبد إلا إياه، فلا يدعو إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه(٢).

علاقة توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية:

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية؛ بمعنى أن توحيد الربوبية يدخل ضمن توحيد الألوهية، فمن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئا؛ فلا بد أن يكون قد اعتقد أنه هو ربه وخالقه؛ كما قال إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾[الشعراء: ٧٥ – ٨٠].

---

(١) نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة (ص: ١٢) المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني الناشر: مطبعة سفير، الرياض توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

(٢) الصفدية (٢/ ٢٢٨) المؤلف : تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى : ٧٢٨هـ) المحقق : محمد رشاد سالم الناشر : مكتبة ابن تيمية، مصر الطبعة : الثانية، ١٤٠٦هـ

والربوبية والألوهية تارة يذكران معا؛ فيفترقان في المعنى، ويكون أحدهما قسيما للآخر؛ كما قال في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ [الناس: ١ – ٢] ؛ فيكون معنى الرب هو المالك المتصرف في الخلق، ويكون معنى الإلة أنه المعبود بحق المستحق للعبادة وحده، وتارة يذكر أحدهما مفردًا عن الآخر، فيجتمعان في المعنى؛ كما في قول الملكين للميت في القبر: من ربك؟ ومعناه: من إلهك وخالقك؟ وكما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [الحج: ٤٠] [١].

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص: ٣٥)

المبحث الثاني

التوحيد أساس دعوة الرسل

لقد قرر القرآن الكريم أن الأساس الذي قامت عليه دعوة الرسل هو: تقرير وحدانية الله تعالى، وتنزيهه عن الشركاء والأنداد والأبناء والآباء، وصرف وجوه العباد له وحده؛ في العبادة والطاعة، والذكر والدعاء، والاستعانة والاستغاثة، والتوكل والرجاء، ونحو ذلك من كل ما لا يليق إلا به سبحانه وتعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦] قال الشنقيطي :"ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه بعث في كل أمة رسولاً بعبادة الله وحده، واجتناب عبادة ما سواه. وهذا هو معنى "لا إله إلا الله"، لأنها مركبة من نفي وإثبات، فنفيها هو خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، وإثباتها هو إفراده جل وعلا بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم صلوات الله وسلامه[1].

التوحيد أول دعوة الرسل:

التوحيد أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله

فالتوحيد مفتاح دعوة الرسل ولهذا قال النبي لرسوله معاذ ابن جبل[2] –رضي الله عنه– وقد بعثه إلى اليمن «إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله وحده فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة».. وذكر الحديث[3] ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله [4]

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٧/ ٩٧).

(٢) معاذ بْن جبل بْن عَمْرو بْن أوس بْن عائذ بْن عدي بْن كعب بْن عَمْرو بْن أدي بْن سعد بْن عَليّ بْن أسد بْن ساردة بْن تزيد بن جشم بْن الخزرج الأنصاري الخزرجي ثُمَّ الجشمي، وَكَانَ معاذ يكنى أبا عبد الرحمن، وهو أحد السبعين الَّذِينَ شهدوا العقبة من الأنصار، وشهد بدرا وأحدا، والمشاهد كلها مع رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآخى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه وبين عَبْد اللَّهِ بْن مسعود. وَكَانَ عمره لِمَا أسلم ثماني عشرة سنة. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنَ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ " عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ... " وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ: " وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ " أسد الغابة ط العلمية (٥/ ١٨٧) المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.

(٣) "متفق عليه" ، صحيح البخاري (٢/ ١١٩)رقم ، ١٤٥٨،المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، صحيح مسلم (١/ ٥١)رقم، ٣١. المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ١٥٤)

وزيدة دعوة الرسل كلهم ومدارها على قوله: ﴿ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[النحل: ٢]أي: على معرفة الله تعالى وتوحده في صفات العظمة التي هي صفات الألوهية وعبادته وحده لا شريك له فهي التي أنزل الله بها كتبه وأرسل رسله، وجعل الشرائع كلها تدعو إليها، وتحث وتجاهد من حاربه وقام بضدها[١].

يعلم مما تقدم أن الرسل، عليهم الصلاة والسلام، عباد لله اصطفاهم لحمل رسالته إلى خلقه، مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة من بعد الرسل.

ولقد عني الإسلام كذلك بأن يقرر أن هذه هي الحقيقة التي جاء بها الرسل أجمعون . فقررها في سيرة كل رسول ، وفي دعوة كل رسول؛ وجعلها محور الرسالة من عهد نوح عليه السلام ، إلى عهد محمد خاتم النبيين – عليه الصلاة والسلام – تتكرر الدعوة بها على لسان كل رسول : ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٧٣] [٢] .

وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام:

ويعلم أن وظيفتهم التي كلفوا بها هي: دعوة الناس إلى التوحيد، وتحذيرهم من الشرك وأمرهم بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والتزام الطاعات، وتجنب المعاصي وقد دعا خاتم النبيين محمد – صلى الله عليه وسلم – إلى ما دعوا إليه ونهى عما نهوا عنه قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[الأنبياء: ١٠٨] [٣] .

ومكانة التوحيد أعلى مكانة وأعز مطلب وأوجبه، وهو توحيد الله بالعبادة وهو حقه . تعالى . على العبيد ومن قام بهذا التوحيد فقد جاء بأقسام التوحيد الأخرى، أن توحيد العبادة يتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات،

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٣٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

(٢) في ظلال القرآن (٢/ ٨١٨) .

(٣) الإرشاد إلى توحيد رب العباد (ص: ٣٤) جمع وتأليف: عبد الرحمن بن حماد آل عمر الناشر: دار العاصمة، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله–: "في الفتاوى : ولهذا كان رأس الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمنة عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً سواه"[1].

قال ابن القيم– رحمه الله–: "عن التوحيد كلاماً جميلاً في الفوائد ، قال رحمه الله : التوحيد أشرف شيء وأنزهه وأنظفه وأصفاه، وأدنى شيء يخدشه ويدنسه ويؤثر فيه، فهو كأبيض ثوبٍ يكون، يؤثر فيه أدنى أثر، وكالمرآة الصافية جداً، أدنى شيءٍ يؤثر فيها ولهذا –وتنبهوا– تشوشه اللحظة واللفظة والشهوة الخفية، فإن بادر صاحبه وقلع ذلك الأثر بضده، وإلا استحكم وصار طبعاً يتعسر عليه قلعه. .

فلا إله إلا الله هي كلمة التوحيد وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات لا إله إلا الله فطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة، ونصبت القبلة، وجردت سيوف الجهاد لا إله إلا الله محض حق الله على جميع العباد، والكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر ومن عذاب النار، والمنشور الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به.

لا إله إلا الله الحبل الذي لا يصل إلى الله من لا يتعلق بصدده لا إله إلا الله كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، ينقسم بها الناس إلى شقي وسعيد، ومقبول وطريد، وانفصلت دار الكفر من دار الإيمان، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان بلا إله إلا الله، وهي العمود الحامل للفرض والسنة « ومن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة »

أنواع التوحيد الذي دعت إليه الرسل:

ثم التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان:

- توحيد في الإثبات والمعرفة.
- وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول توحيد في الإثبات والمعرفة :

هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد أفصح القرآن عن هذا [النوع] كل

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٥).

الإفصاح، كما في أول "الحديد" و"طه" وآخر "الحشر" وأول "الم تنزيل، السجدة" وأول "آل عمران" وسورة "الإخلاص" بكمالها، وغير ذلك.

والثاني توحيد الطلب والقصد:

وهو توحيد الطلب والقصد، مثل ما تضمنته سورة: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾، ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾[سورة آل عمران: ٦٤]، وأول سورة "تنزيل الكتاب" وآخرها، وأول سورة "يونس" وأوسطها وآخرها، وأول سورة "الأعراف" وآخرها، وجملة سورة "الأنعام".

وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن، فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في [الدنيا] من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم. فـ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ توحيد، ﴿الرحمن الرحيم﴾ توحيد، ﴿مالك يوم الدين﴾ توحيد، ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ توحيد، ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾[1] .

---

(١) شرح الطحاوية (ص: ٨٩) المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ) تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي) الطبعة: الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م

المبحث الثالث

إخلاص العبادة لله

وحدانية الله سبحانه وتعالى من خلال القرآن الكريم :

فهو كتابه الدال عليه لمن أراد معرفته وطريقه الموصلة لسالكها إليه ونوره المبين الذي أشرقت له الظلمات ورحمته المهداة التي بها صلاح جميع المخلوقات والسبب الواصل بينه وبين عباده إذا انقطعت الأسباب وبابه الأعظم الذي منه الدخول فلا يغلق إذا غلقت الأبواب وهو الصراط المستقيم الذي لاتميل به الآراء والذكر الحكيم الذي لا تزيغ به الأهواء [(١)].

إن النصوص الدالة على وحدانية الله في القرآن الكريم كثيرة جدًا بل إن القرآن كله ناطق بتوحيد الله – جل جلاله –من أول سوره الى نهايته .

١ – ففي فاتحة التوحيد :

قال ابن القيم :"إعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال وتضمنتها فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها ومدارها عليها وهي الله والرب الرحمن وبنيت السورة على الإلهية والربوبية والرحمة ف إياك نعبد مبنى على الإلهية وإياك نستعين على الربوبية وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة والحمد يتضمن الأمور الثلاثة فهو المحمود في إلهيته وربوبيته ورحمته والثناء والمجد كمالان لجده"[(٢)].

ويتجلى ذلك في قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]

قال ابن كثير:" وقدم المفعول وهو ﴿ إياك ﴾ ، وكرر؛ للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة. والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين، وهذا كما قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] فالأول: تبرؤ من الشرك. والثاني: تبرؤ من الحول والقوة، والتفويض.[(٣)].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٢٧)

(٢) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ١١) المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٠ ه

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٣٤)

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ . . وهذه هي الكلية الاعتقادية التي تنشأ عن الكليات السابقة في السورة . فلا عبادة إلا لله ، ولا استعانة إلا بالله .

وهنا كذلك مفرق طريق . . مفرق طريق بين التحرر المطلق من كل عبودية ، وبين العبودية المطلقة للعبيد! وهذه الكلية تعلن ميلاد التحرر البشري الكامل الشامل . التحرر من عبودية الأوهام والتحرر من عبودية النظم ، والتحرر من عبودية الأوضاع . وإذا كان الله وحده هو الذي يُعبد ، والله وحده هو الذي يُستعان ، فقد تخلص الضمير البشري من استذلال النظم والأوضاع والأشخاص ، كما تخلص من استذلال الأساطير والأوهام والخرافات [١].

قال الشنقيطي :"أشار في هذه الآية الكريمة إلى تحقيق معنى لا إله إلا الله؛ لأن معناها مركب من أمرين: نفي وإثبات. فالنفي: خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، والإثبات: إفراد رب السماوات﴿٤﴾ [الإخلاص: ١ – ٤]

قال ابن كثير:" هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا وزير، ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله، عز وجل؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله" [٢].

وقد ورد أيضا أن اسم الله الأعظم هو الرحمن الرحيم ، من حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ[٣] رضي الله عنها ، أَنَّ النَّبِي–ﷺ– قَالَ : اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ في هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ : ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة: ١٦٣ ، وَفَاتِحَةِ آلِ عِمْرَانَ : والأرض وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه المشروع."[٤] .

---

(١) في ظلال القرآن (١/ ٢٥)
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٧- ٥٢٨)
(٣) أسماء بنت يزيد بن السكن أم عامر، وأم سلمة. الانصارية الاشهلية. بنت عمة معاذ بن جبل من المبايعات المجاهدات. روت عن النبي صلى الله عليه وسلم جملة أحاديث. وقتلت بعمود خبائها يوم اليرموك تسعة من الروم سكنت دمشق، . قال عبد بن حميد: أسماء بنت يزيد، هي أم سلمة الانصارية. قلت: وقيل: إنها حضرت بيعة الرضوان، وبايعت يومئذ عاشت إلى دولة يزيد بن معاوية سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٧).
(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٦)

٢- سورة الإخلاص:

ومن الآيات المحكمات التي تبين حقيقة التوحيد صافٍ من أدران الشرك والتثليث والبنوة وغيرها .

فمن ذلك : يقول الله – تعالى – : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[آل عمران: ٢] [1].

يقول تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾[النحل: ٥١] نهى الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة جميع البشر عن أن يعبدوا إلهاً آخر معه، وأخبرهم أن المعبود المستحق لأن يعبد وحده واحد، ثم أمرهم أن يرهبوه، أي: يخافوه وحده؛ لأنه هو الذي بيده الضر والنفع، لا نافع ولا ضار سواه. وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة؛ كقوله: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] وقوله: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾[ق: ٢٦] ، وقوله: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء: ٢٢]، وقوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٩]. [2]

---

(١) مسند أحمد (٤٥/ ٥٨٤) رقم،٢٧٦١١، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.و المنتخب من مسند عبد بن حميد (ص: ٤٥٦) رقم (١٥٧٨) ، المؤلف: أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام (المتوفى: ٢٤٩هـ) المحقق: صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي الناشر: مكتبة السنة - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ – ١٩٨٨م و سنن أبي داود ت الأرنؤوط (٢/ ٦١٣) ،١٤٩٦المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م ،وسنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (٥/ ٢٤)رقم، ٣٨٥٥المؤلف: ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م وسنن الدارمي (٤/ ٢١٣٣) رقم، ٣٤٣٢المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م ،وشرح السنة للبغوي (٥/ ٣٨) رقم،١٢٦٠المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، وشرح مشكل الآثار (١/ ١٦٤) رقم، ١٧٨،المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م ،وشعب الإيمان (٤/ ٤٩) رقم،٢١٦٦،المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهندالناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م ومصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٤٧)رقم، ٢٩٣٦٣،المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ه قال الشيخ الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : ٩٨٠ في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٢٢٩) .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٧/ ١١٣).

لاإقرار أن مع الله معبودات أخرى:

ويقول تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[الأنعام: ١٩]

قل –أيها الرسول لهؤلاء المشركين–: أيُّ شيء أعظم شهادة في إثبات صدقي فيما أخبرتكم به أني رسول الله؟ قل: الله شهيد بيني وبينكم أي: هو العالم بما جئتكم به وما أنتم قائلونه لي، وأوحى الله إليَّ هذا القرآن مِن أجل أن أنذركم به عذابه أن يحلَّ بكم، وأنذر به مَن وصل إليه من الأمم. إنكم لتقرون أن مع الله معبودات أخرى تشركونها به. قل لهم –أيها الرسول–: إني لا أشهد على ما أقررتم به، إنما الله إله واحد لا شريك له، وإنني بريء من كل شريك تعبدونه معه(١).

إنه لا بد أن تقف العصبة المسلمة في الأرض ، من الجاهلية التي تغمر الأرض ، هذا الموقف . لا بد أن تقذف في وجهها بكلمة الحق هذه عالية مدوية ، قاطعة فاصلة ، مزلزلة رهيبة . . ثم تتجه إلى الله تعلم أنه على كل شيء قدير ، وأنه هو القاهر فوق عباده . وأن هؤلاء العباد – بما فيهم الطواغيت المتجبرون – أضعف من الذباب ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه! وأنهم ليسوا بضارين من أحد إلا بإذن الله؛ وليسوا بنافعين أحداً إلا بإذن الله ، وأن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ولا بد أن تستيقن العصبة المسلمة كذلك أنها لن تنصر ولن يتحقق لها وعد الله بالتمكين في الأرض ، قبل أن تفاصل الجاهلية على الحق عند مفترق الطريق . وقبل أن تعلن كلمة الحق في وجه الطاغوت ، وقبل أن تشهد على الجاهلية هذا الإشهاد ، وتنذرها هذه النذارة ، وتعلنها هذا الإعلان ، وتفاصلها هذه المفاصلة ، وتتبرأ منها هذه البراءة(٢) .

فساد الكون بتعدد الالهة:

قال–جل وعلا–:﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٢]

قول تعالى ذكره: لو كان في السماوات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء، وله العبادة والألوهية التي لا تصلح إلا له﴿لَفَسَدَتَا﴾ يقول: لفسد أهل السماوات والأرض

---

(١) التفسير الميسر (١/ ١٣٠) المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.
(٢) في ظلال القرآن (٢/ ١٠٥٨،١٠٥٩).

﴿فسبحان الله عما يصفون﴾ يقول جل ثناؤه: فتنزيه لله وتبرئة له مما يفتري به عليه هؤلاء المشركون به من الكذب[1].

ولهذا قال: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ﴾ أي: في السماوات والأرض ﴿ آلِهَةٌ إلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ في ذاتهما، وفسد من فيهما من المخلوقات.

وبيان ذلك: أن العالم العلوي والسفلي، على ما يرى، في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام، الذي ما فيه خلل ولا عيب، ولا ممانعة، ولا معارضة، فدل ذلك، على أن مدبره واحد، وربه واحد، وإلهه واحد، فلو كان له مدبران وربان أو أكثر من ذلك، لاختل نظامه، وتقوضت أركانه فإنهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، فإنه محال وجود مرادهما معا، ووجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل على عجز الآخر، وعدم اقتداره واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور، غير ممكن، فإذًا يتعين أن القاهر الذي يوجد مراده وحده، من غير ممانع ولا مدافع، هو الله الواحد القهار، ولهذا ذكر الله دليل التمانع في قوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾[المؤمنون: ٩١] [2] .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢١ – ٢٤]

شهادة الذرية بالوحدانية:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- : " إن حقيقة التوحيد أن نعبد الله وحده . فلا يدعى إلا هو ، ولا يخشى إلا هو ، ولا يتقى إلا هو ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يكون الدين إلا له ، لا لأحد من الخلق وأن لا نتخذ الملائكة والنبيين أرباباً ، فكيف بالأئمة والشيوخ والعلماء والملوك وغيرهم[3] .

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٤٢٥) المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

(٢) تفسير السعدي (ص: ٥٢١)

(٣) منهاج السنة النبوية (٣/ ٤٩٠) المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية المحقق: محمد رشاد سالم الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

وقال عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣]

ويبين ابن القيم–رحمه الله– حاجة البشرية إلى توحيد الله ، وإلى هذا القسم من أقسامه خاصة فيقول : "اعلم أن حاجة العبد أن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً في محبته ولا في خوفه ولا في رجائه ولا في التوكل عليه ، ولا في العمل له ولا في الحلف به ، ولا في النذر له ، ولا في الخضوع له ، ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب ، أعظم من حاجة الجسد إلى روحه والعين إلى نورها ، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به .

فإن حقيقة العبد وروحه قلبه لا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو ، فلا تطمئن الدنيا إلا بذكره ، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته ، ولابد لها من لقائه ، ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له ، ورضاه وإكرامه لها " [(١)] .

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي " رحمه الله " : " أعظم الأصول التي يقررها القرآن ويبرهن عليها توحيد الألوهية والعبادة ، وهذا الأصل العظيم أعظم الأصول على الإطلاق ، وأكملها وأفضلها ، وأوجبها وألزمها لصالح الإنسانية ، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله ، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه ، وبوجوده يكون الصلاح ، وبفقده يكون الشر والفساد وجميع الآيات إما أمر به أو بحق من حقوقه ، أو نهى عن ضده ، أو إقامة حجة عليه أو بيان جزاء أهله في الدنيا والآخرة ، أو بيان الفرق بينهما وبين المشركين[(٢)] .

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ـ ابن قيم الجوزية : (ص:٩٩) تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر الناشر : دار ابن القيم ـ الدمام الطبعة الثانية ، ١٤١٤ﻫ – ١٩٩٤م.

(٢) الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة (ص: ١٤٩) المؤلف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: السنة الحادية عشرة- العدد الرابع- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

الفصل الثاني

الإله المعبود بحق هو اللّه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الإله المعبود بحق هو الله وماسواه باطل.

المبحث الثاني : معنى لاإله الا الله ونفي الأنداد.

المبحث الثالث : الآثار الداعية إلى عبادة الله.

الفصل الثاني

الإله المعبود بحق هو الله

تمهيد

تضمنت كلمة لا إله إلا الله أن ما سوى الله تعالى ليس بإله وأن إلهية ما سواه من أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، فتضمنت هذه الكلمة نفي الإلهية عما سواه، وإثباتها له وحده لا شريك له، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه إلها واحدا والنهي عن اتخاذ غيره معه إلها ... وقد دخل في الإلهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تأله القلب لله: بالحب والخضوع، والانقياد له وحده لا شريك له ؛ لأنه الإله الحق الذي تألهه القلوب: محبة وإجلالا، وإنابة، وإكراما، وتعظيما، وذلا، وخضوعا، وخوفا، ورجاء، وتوكلا .

قال عنها الإمام ابن القيم –رحمه الله–: " كلمة قامت بها الأرض والسموات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة، ونصبت القبلة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وبها أمر الله سبحانه جميع العباد؛ فهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومفتاح عبوديته التي دعا الأمم على ألسن رسله إليها [(١)].

وقد حصر الله جل وعلا الوحي كله في هذه الكلمة؛ حيث قال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٨] وذلك أنها تحتوي على مضمون كل الكتب السماوية والشرائع الإلهية، وتشملها؛ لأنها مركبة من نفي كل الآلهة –غير الله–، ونفي عبادتها، وإثبات كل العبادات لله وحده، ففيها يدخل كل تقرب إلى الله [(٢)].

فكونه سبحانه أهلا أن يعبد ويحب ويثنى عليه أمر ثابت له لذاته، فهو سبحانه الإله الحق المبين، والإله هو الذي يستحق أن يؤله محبة وتعظيما وخشية وخضوعا وتذللا وعبادة، فهو الإله الحق ولو لم يخلق خلقه، وهو الإله الحق ولو لم يعبدوه، فهو المعبود حقا، الإله حقا، المحمود حقا[(٣)].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٣- ٤).
(٢) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف (١/ ١١٥).
(٣) لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٥٤).

المبحث الأول

الإله المعبود بحق هو الله وماسواه باطل

معنى الإله:

" أله "الإِلَهُ: الله عز وجل وكل ما اتخذ من دونه معبوداً إِلَهٌ عند متخذه والجمع آلِهَةٌ والآلِهَةُ الأَصنام سموا بذلك لاعتقادهم أَن العبادة تَحُقُّ لها[١] .

" التأليه " القول بوجود إله مدبر للكون ' "الله " علم على الإله المعبود بحق أصله إله دخلت عليه ال ثم حذفت همزته وأدغم اللامان[٢] .

تَفَرَّدَ سبحانه بهذا الاسمِ لا يشرِكُه فيه غَيْرُه ، فإذا قيلَ الإله انْطَلَقَ على اللَّهِ سبحانه وعلى ما يُعْبَدُ مِن الأصْنامِ ،

وإذا قُلْتَ اللَّه لم يَنْطَلِق إلاَّ عليه سبحانه وتعالى ، ولهذا جازَ أَن يُنادَى اسم اللَّه ، وفيه لامُ التَّعْريفِ وتُقْطَعُ هَمْزَتُه ، فيُقالُ يا أَللَّهُ ، ولا يَجوزُ يا الإلاهُ على وَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ مَقْطوعَة هَمْزَتُه ولا مَوْصُولَةٍ ، انتَهَى [٣].

ونذكر بعض التعريفات لأهل العلم والفضل:-

١- عن ابن عباس[٤] رضي الله عنهما قال: "الله" ذو الألوهية والمَعْبودية على خلقه أجمعين.[٥] .

٢- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: الإله "هو المعبود المطاع"[٦] .

---

(١) لسان العرب (١٣/ ٤٦٧)
(٢) المعجم الوسيط (١/ ٢٥)
(٣) تاج العروس من جواهر القاموس (٣٦/ ٣٢١)
(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو العباس القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كني بابنه العباس، وهو أكبر ولده، وأمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية، وهو ابن خالة خالد بن الوليد.
وكان يسمى البحر، لسعة علمه، ويسمى حبر الأمة، ولد والنبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بالشعب من مكة، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فحنكه بريقه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل غير ذلك، وعن ابن عباس، قال: ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: " اللهم علمه الحكمة " وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن عمر كان إذا جاءته الأقضية المعضلة، قال لابن عباس: " إنها قد طرت لنا أقضية وعضل، فأنت لها ولأمثالها، ثم يأخذ بقوله، وما كان يدعو لذلك أحدا سواه" وتوفي سنة ثمان وستين بالطائف، وهو ابن سبعين سنة، وقيل: إحدى وسبعين سنة، وقيل: مات سنة سبعين، وقيل: سنة ثلاث وسبعين، وهذا القول غريب. توفي رضي الله عنه، فصلى عليه محمد بن الحنفية، فأقبل طائر أبيض، فدخل في أكفانه، فما خرج منها حتى دفن معه، فلما سوي عليه التراب، قال ابن الحنفية: مات والله اليوم حبر هذه الأمة ". أسد الغابة ط العلمية (٣/ ٢٩١)
(٥) تفسير الطبري (١/ ١٢٣)
(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير) (٢/ ١٥٦)

٣- وقال ابن القيم-رحمه الله- : "الإله هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً وإنابة وإكرامًا وتعظيمًا وذلاً وخضوعًا وخوفًا ورجاءً وتوكلاً."[١] .

٤- وقال ابن رجب[٢]-رحمه الله-: "الإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً ومحبة وخوفًا ورجاء وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل"[٣] .

٥- وقال ابن عثيمين -رحمه الله-: " إله الناس" أي مألوههم ومعبودهم، فالمعبود حقًّا الذي تألهه القلوب وتحبه وتعظمه هو الله عز وجل [٤] .

فمعنى قوله:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]

١- قال الطبري-رحمه الله-: "والذي يستحق عَليكم أيها الناس الطاعةَ له، ويستوجب منكم العبادة، معبودٌ واحدٌ وربٌّ واحد، فلا تعبدوا غيرَه، ولا تشركوا معه سواه، فإنّ من تُشركونه معه في عبادتكم إياه، هو خَلقٌ من خلق إلهكم مثلكم، وإلهكم إله واحد، لا مثلَ لهُ وَلا نَظير [٥].

٢- قال ابن كثير -رحمه الله-:"يُخبرُ تعالى عن تفرده بالإلهية، وأنه لا شريك له ولا عَديل له، بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لا إله إلا هو وأنه الرحمن الرحيم"[٦] .

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٨) المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ) المحقق: محمد حامد الفقي مصر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م

(٢) ابن رجب (٧٣٦ - ٧٩٥ هـ = ١٣٣٥ - ١٣٩٣ م) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين: حافظ للحديث، من العلماء. ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق. من كتبه (شرح جامع الترمذي) و (جامع العلوم والحكم - و (الاقتباس من مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس) الأعلام للزركلي (٣/ ٢٩٥).
قال فيه أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي الامام الفقيه المجتهد المحدث الحافظ المفسر الاصولي الزاهد تقي الدين أبو العباس شيخ الاسلام وعلم الاعلام وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره توفي الشيخ زين الدين بن رجب في شهر رجب سنة خمس وتسعين وسبعمائة ودفن بمقبرة الباب الصغير جوار قبر الشيخ الفقيه الزاهد أبي الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازي ثم المقدسي الدمشقي الرد الوافر (ص: ١٠٦-: ١٠٧) المؤلف: محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى: ٨٤٢هـ) المحقق: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ.

(٣) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها (ص: ٢٣) المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) المحقق: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت ط ٤ ١٣٩٧هـ.

(٤) تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٥٥) المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)
إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م

(٥) تفسير الطبري (٣/ ٢٦٥).

(٦) تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٤).

٣- قال العز بن عبد السلام[١]-رحمه الله- :" وإلهكم إله واحد " ! لا ثاني له ولا نظير ، أو إله جميع الخلق واحد بخلاف ما فعلته عبدة الأصنام فإنهم جعلوا لكل قوم إلهاً غير إله الآخرين [٢].

٤- قال السيد طنطاوي-رحمه الله- :" والإله في كلام العرب هو المعبود مطلقاً ولذلك تعددت الآله عندهم . والمراد به في الآية الكريمة المعبود بحق بدليل الإخبار عنه بأنه واحد .

والمعنى : وإلهكم الذي يستحق العبادة والخضوع إله واحد فرد صمد ، فمن عبد شيئاً دونه ، أو عبد شيئاً معه ، فعبادته باطلة فاسدة ، لأن العبادة الصحيحة هي ما يتجه بها العابد إلى المعبود بحق الذي قامت البراهين الساطعة على وحدانيته وهو الله رب العالمين"[٣] .

٥- قال الشعراوي-رحمه الله- :" وتلك هي قضية الحق الأساسية ، و ﴿ وإلهكم ﴾ يعني أن المعبود إله واحد ، فالواقع أن الإله الحق موجود قبل أن يوجد الكفر . و ﴿ لاَّ إله إلاَّ هُوَ ﴾ هذه قضية ثانية ، لأن غفلة الناس هي التي جعلت بعضا من نفوس الناس تلتفت إلى آلهة أخرى"[٤] .

٦- قال ابن عثيمين :" قوله تعالى: ﴿ وإلهكم ﴾ الخطاب للبشر كلهم؛ أي أيها الناس معبودكم الحق الذي تكون عبادته حقاً؛ و﴿ إله ﴾ بمعنى مألوه؛ فهي بمعنى اسم المفعول؛ و«المألوه» معناه المعبود حباً، وتعظيماً ـ وهو إله واحد؛ و﴿ إلهكم ﴾ مبتدأ؛ و﴿ إله ﴾ خبر؛ و﴿ واحد ﴾ صفة لـ﴿ إله ﴾؛ وجملة ﴿إلهكم إله واحد ﴾ طرفها الأول معرفة؛ والثاني نكرة موصوفة، ومؤكد بالوحدانية يعني أن إله الخلق إله واحد؛ ووحدانيته بالألوهية متضمنة لوحدانيته بالربوبية؛ إذ لا يُعبد إلا من يُعلم أنه رب"[٥]

---

(١) العز بن عبد السلام ،عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمي المغربي أصلاً، الدمشقي مولداً، ثم المصري داراً ووفاة والشافعي مذهباً ، يكنى بأبي محمد، ولقب بعدة ألقاب، بعز الدين، وشاع بين الناس، الإمام العز، ولقب بسلطان العلماء، لقبه به تلميذه ابن دقيق العيد، كما لقب بشيخ الإسلام واتفق أنه ولد في دمشق، واختلف في تحديد سنة ولادته، فقيل بدمشق سنة ٥٧٧هـ. و العز بن عبد السلام مدرسة شامخة في فهم مقاصد الشريعة، وفقه المصالح والمفاسد وفك الاشتباك بين السياسة الشرعية والعقائد، فقد ساهم في نهضة الأمة فقهياً وفكرياً، وجهادياً وسياسياً، وأخلاقياً، فاستحق أن نسجله بماء الذهب على صفحات الزمن في سلسلة فقهاء النهوض. الشيخ عز الدين بن عبد السلام ـ سلطان العلماء وبائع الأمراء (ص: ٤ـ ٦، بترقيم الشاملة) د. الصلابي .

(٢) تفسير العز بن عبد السلام (١/ ١٧٦) المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي الناشر: دار ابن حزم ـ بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (١/ ٣٢٨)

(٤) تفسير الشعراوي (٢/ ٦٨٢) المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم(ليس على الكتاب الأصل ـ المطبوع ـ أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م)

(٥) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٢٠٦).

كلمة واحدة تدين لهم بها العرب:

عن ابن عباس قال: مرض أبو طالب فأتته قريش وأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده . وعند رأسه مقعد رجل . فقام أبو جهل فقعد فيه فشكوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك يقع في آلهتنا قال: ما شأن قومك يشكونك يا ابن أخي؟ قال:

«يا عم! إنما أردتهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية» فقال: وما هي؟ قال: (لا إله إلا الله) فقاموا فقالوا: أجعل الآلهة إلها واحدا؟ قال: ونزلت: ﴿ص والقرآن ذي الذكر .... ﴾ إلى قوله: ﴿إن هذا لشيء عجاب﴾[(١)] .

وقال قوم هود: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٠]

قال سيد قطب: إنه مشهد بائس لاستعباد الواقع المألوف للقلوب والعقول . هذا الاستعباد الذي يسلب الإنسان خصائص الإنسان الأصيلة : حرية التدبر والنظر ، وحرية التفكير والاعتقاد . ويدعه عبداً للعادة والتقليد ، وعبداً للعرف والمألوف ، وعبداً لما تفرضه عليه أهواؤه وأهواء العبيد من أمثاله ، ويغلق عليه كل باب للمعرفة وكل نافذة للنور . .

وهكذا استعجل القوم العذاب فراراً من مواجهة الحق ، بل فراراً من تدبر تفاهة الباطل الذي هم له عبيد؛ وقالوا لنبيهم الناصح الأمين { فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين }[(٢)] .

الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل:

قال ابن كثير: في قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]

أي: إنما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على أنه الحق، أي: الموجود الحق، الإله الحق، وأن كل ما سواه باطل فإنه الغني عما سواه، وكل شيء فقير إليه؛ لأن كل من في السموات والأرض الجميع خلقه وعبيده، لا يقدر أحد منهم على تحريك ذَرّة إلا بإذنه، ولو اجتمع كل أهل الأرض على أن

---

(١) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه (٩/ ٣٧٣) مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ) مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

(٢) في ظلال القرآن (٣/ ١٣١١).

يخلقوا ذبابا لعجزوا عن ذلك؛ ولهذا قال: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ أي: العلي: الذي لا أعلى منه، الكبير: الذي هو أكبر من كل شيء، وكل شيء خاضع حقير بالنسبة إليه.قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي ذو الحق ؛ فدينه الحق وعبادته حق. والمؤمنون يستحقون منه النصر بحكم وعده الحق ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ أي الأصنام التي لا استحقاق لها في العبادات(١).

قال الخازن:(٢) "ذلك بأن الله هو الحق" : أي ذو الحق في قوله وفعله ، ودينه حق وعبادته حق" وأن ما يدعون" يعني المشركين" من دونه هو الباطل " يعني الأصنام التي ليس عندها ضر ولا نفع " وأن الله هو العلي " أي العالي على كل شيء " الكبير " أي العظيم في قدرته وسلطانه" (٣).

أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : "ألا كل شيء ما خلا اللّه باطل "(٤) .

وهذا تصديق قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج : ٦٢]

،وقال تعالى : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢] قال طائفة من السلف : كل عمل باطل إلاما أريد به وجهه،

و [الإله] هو المألوه أي المستحق لأن يُؤْلَه أي يُعْبَد، ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلا اللّه وحده، وكل معبود سواه . من لدن عرشه إلى قرار أرضه باطل.

فالآلهة التي جعلها عابدوها آلهة يعبدونها كثيرة، لكن هى لا تستحق العبادة فليست بآلهة، كمن جعل غيره شاهداً أو حاكماً أو مفتياً أو أميراً وهو لا يحسن شيئا من ذلك (٥).

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٥٠)

(٢) الخازن :(٦٧٨ - ٧٤١ هـ = ١٢٨٠ - ١٣٤١ م) علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي علاء الدين المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. بغدادي الأصل، نسبته إلى " شيحة " بالحاء المهملة، من أعمال حلب. ولد ببغداد، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميساطية فيها. وتوفي بحلب. له تصانيف، منها " لباب التأويل في معاني التنزيل - ط " في التفسير، يعرف بتفسير الخازن، الأعلام للزر كلي (٥/ ٥)

(٣) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٢٦٣) المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: تصحيح محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ

(٤) صحيح البخاري (٥/ ٤٢) رقم، (٣٨٤١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أصدق كلمة قالها الشاعر، كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم"و صحيح مسلم (٤/ ١٧٦٨) رقم ،(٢٢٥٦)وغيرهما.

(٥) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٠٢)

قال سيد قطب: في قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [الحج : ٦٢]

ذلك . . ذلك النظام الكوني الثابت الدائم المنسق الدقيق . . ذلك النظام قائم بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل . قائم بهذه الحقيقة الكبرى التي تعتمد عليها كل حقيقة ، والتي يقوم بها هذا الوجود . فكون الله هو الحق . سبحانه . هو الذي يقيم هذا الكون ، وهو الذي يحفظه ، وهو الذي يدبره ، وهو الذي يضمن له الثبات والاستقرار والتماسك والتناسق ، ما شاء الله له أن يكون . ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ﴾ . . كل شيء غيره يتبدل . وكل شيء غيره يتحول . وكل شيء غيره تلحقه الزيادة والنقصان ، وتتعاوره القوة والضعف ، والازدهار والذبول ، والإقبال والإدبار . وكل شيء غيره يوجد بعد أن لم يكن ، ويزول بعد أن يكون . وهو وحده سبحانه الدائم الباقي الذي لا يتغير ولا يتبدل ولا يحول ولا يزول(١) .

قال الشعراوي: وما دام الله تعالى هو (الحق) فما يدَّعونه من الشركاء هم الباطل ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الباطل . . ﴾ [لقمان : ٣٠] ، فلا يوجد في الشيء الواحد حَقَّان ، فإنْ كان أحدهما هو الحق فغيره هو الباطل ، فالحق واحد ومقابله الباطل . وأيُّ باطل أفظع من عبادتهم للأصنام واتخاذها آلهة وشركاء مع الله عز وجل؟

كيف وهي حجارة صوَّروها بأيديهم وأقاموها ليعبدوها من دون الله ، والحجارة جماد من جمادات الأرض ، والجماد هو العبد الأول لكل المخلوقات ، عبد للنبات ، وعبد للحيوان ، وعبد للإنسان؛ لأنه مُسخَّر لخدمة هؤلاء جميعاً (٢) .

ولو كان معه آلهة كما يقول المشركون لاتخذ العباد السبل الموصلة إلى عبادة الله الملك الحق ، لأن جميع هؤلاء المعبودين من دون الله إنما كانوا يعبدون الله ويتقربون إليه ، فحري بمن أراد أن يتقرب إلى من بيده النفع والضر أن يعبد الإله الحق الذي يعبده من في السماوات والأرض بما فيهم هؤلاء الآلهة المعبودون من دون الله قال تعالى : ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٤٢] ، وليقرأ مريد الحق قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٧٩٦) .
(٢) تفسير الشعراوي (١٩/ ١١٧٤٤) .

يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾[الإسراء: ٥٦]﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: ٢٢] [١]

تقرير أنّ كلّ ما يعبد من دون الله مخلوق مربوب لا قدرة له على الخلق ؛ وهذا يقتضي ضرورة بطلان الشّرك ، وأنّ الإله الحقّ هو خالق هذه المعبودات والخلق أجمعين ؛ قال تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٣] وقال ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩١] ، وقال : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان : ١١] ، يقول ابن القيّم : " إن زعموا أنّ آلهتهم خلقت شيئًا مع الله طولبوا بأن يروه إيّاه ، وإن اعترفوا بأنّها أعجز وأضعف وأقلّ من ذلك كانت إلهيتها باطلاً ومحالاً "[٢] .

ويقول ابن القيّم : في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

يدعو الإله الحق لا يدعو سوا	***	قط في الأشياء و الأكوان
وبحق حمدك وهو حمد واسع أل	***	أكوان بل أضعاف ذي الأكوان
وبأنك الله الإله الحق معب	***	ود الورى متقدس عن ثان
بل كل معبود سواك فباطل	***	من دون عرشك للثرى التحتاني[٣] .

خلاصة بطلان إلهية ما سوى الله:

بعد أن ذكر الشيخ الأمين رحمه الله تعالى البراهين العظيمة الدالة على أن المعبود بحق هو الله سبحانه وتعالى المتصف بصفات الجلال والكمال أكد أن هناك براهين قطعية دلت على أن الآلهة المعبودة من دون الله باطلة، وعبادتها لا يرضى بها صاحب العقل السليم؛ إذ إنها متصفة بصفات النقص الدالة على العجز، والتي ينزه المعبود بحق عن الاتصاف بها.

---

(١) الإسلام أصوله ومبادئه (ص: ٢٨) المؤلف : محمد بن عبد الله بن صالح السحيم ،الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة : الأولى، تاريخ النشر : ١٤٢١هـ

(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٦٥) المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: علي بن محمد الدخيل الله الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ

(٣) نونية ابن القيم = الكافية الشافية (ص: ٣٦٥) المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ

يقول –رحمه الله– عند تفسير قوله تعالى؛ ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴾ [الفرقان: ٣] "ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الآلهة التي يعبدها المشركون من دونه متصفة بستة أشياء، وكل واحدة منها برهان قاطع أن عبادتها مع الله لاوجه له بحال، بل هي ظلم متناه، وجهل عظيم، وشرك يخلد به صاحبه في نار جهنم، وهذا بعد أن أثنى الله على نفسه جل وعلا بالأمور الخمسة المذكورة في الآية التي قبلها، التي هي براهين قاطعة على أن المتصف بها المعبود وحده.

والأمور الستة التي هي من صفات المعبودات من دون الله:

الأول منها: أنها لا تخلق شيئاً؛ أي لا تقدر على خلق شيء.

والثاني: أنها مخلوقة كلها؛ أي خلقها خالق كل شيء.

والثالث: أنها لا تملك لأنفسها ضراً ولا نفعاً.

والرابع والخامس والسادس: أنها لاتملك موتاً، ولاحياة، ولانشوراً؛ أي بعثا بعد الموت. وهذه الأمور الستة المذكورة في هذه الآية الكريمة جاءت مبينة في مواضع أخر من كتاب الله تعالى"[(١)]

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف (١/ ١٥٣- ١٥٤) المؤلف: عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويان الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

المبحث الثاني

معنى لاإله الا الله ونفي الأنداد

"لاإله الا الله" هي العروة الوثقى، وهي كلمة الحق، وكلمة التقوى، وهي القول الثابت، والكلمة الطيبة، وأعظم الحسنات، وشهادة الحق، وكلمة الإخلاص، ودعوة الحق، وأفضل الذكر، وأفضل ما قاله النبيون، وهي أفضل الأعمال، وتعدل عتق الرقاب، وتفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية، وهي الكلمة العظيمة التي عنها يُسأل الأولون والآخرون فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فجواب الأولى: بتحقيق"لا إله إلا الله": معرفةً، وإقراراً وعملاً، وجواب الثانية: "أن محمداً رسول الله": معرفةً، وإقراراً، وانقياداً، وطاعة [١]

وهي دعوة الحق : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾ [الرعد: ١٤]

وقد فسر السلف دعوة الحق بالتوحيد والإخلاص فيه والصدق. ومرادهم هذا المعنى.

فقال علي[٢] رضي الله عنه: دعوة الحق التوحيد، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: شهادة أن لا إله إلا الله. وقيل: الدعاء بالإخلاص. والدعاء الخالص لا يكون إلا لله. ودعوة الحق دعوة الإلهية وحقوقها وتجريدها وإخلاصها. وقيل : الدعاء بالإخلاص والدعاء الخالص لا يكون إلا لله وحده ودعوة الحق دعوة الإلهية وحقوقها وتجريدها وإخلاصها وهي دعوة الحق[٣] .

قال تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾ أي لله سبحانه وتعالى الدعوة الحق وهي أنه الإله الحق الذي لا إله إلا هو، أما غيره فإطلاق لفظ الإله إطلاق باطل، فالأصنام والأوثان وكل ما عبد من دون الله إطلاق لفظ إله عليه إطلاق باطل، والدعوة إلى عبادته باطلة، أما الدعوة الحق فإنها لله وحده.[٤] .

قال سيد قطب :"والمشهد هنا ناطق متحرك جاهد لاهف . . فدعوة واحدة هي الحق ، وهي التي تحق ، وهي التي تستجاب .

---

(١) العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة (ص:٧ - ٨).

(٢) علي بن أبي طالب(٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ = ٦٠٠ – ٦٦١) م علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن: أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشيد، ن وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي وصهره، وأحد الشجعان الابطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس اسلاما بعد خديجة. ولد بمكة، وربي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه. وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد. ولما آخى النبي صلى الله عليه واله وسلم بين أصحابه قال له: أنت أخي، وولي الخلافة بعد مقتل عثمان ابن عفان (سنة ٣٥ هـ الأعلام للزركلي (٤/ ٢٩٥).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣١).

(٤) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٣/ ١٦) المؤلف : جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري الناشر : مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة : الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

إنها دعوة الله والتوجه إليه والاعتماد عليه وطلب عونه ورحمته وهداه . وما عداها باطل وما عداها ضائع وما عداها هباء" [(١)].

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢]

قال أبو جعفر: "يقول تعالى ذكره لخلقه: أيها الناس، فهذا الذي يفعل هذه الأفعال، فيرزقكم من السماء والأرض ، ويملك السمع والأبصار، ويخرج الحي من الميت والميت من الحي، ويدبر الأمر "الله ربُّكم الحق" ، لا شك فيه " فماذا بعد الحق إلا الضلال" ، يقول: فأي شيء سوى الحق إلا الضلال ، وهو الجور عن قصد السبيل؟

يقول: فإذا كان الحقُّ هو ذا، فادعاؤكم غيره إلهًا وربًّا، هو الضلال والذهاب عن الحق لا شك فيه"فأنى تصرفون" ، يقول: فأيّ وجه عن الهدى والحق تُصرفون ، وسواهما تسلكون ، وأنتم مقرُّون بأن الذي تُصْرَفون عنه هو الحق؟[(٢)] .

﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ أي هذا الذي يفعل هذه الأشياء هو ربكم الحق ، لا ما أشركتم معه. ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ﴾ ،{ذَا} صلة أي ما بعد عبادة الإله الحق إذا تركت عبادته إلا الضلال. وقال بعض المتقدمين : ظاهر هذه الآية يدل على أن ما بعد الله هو الضلال ؛ لأن أولها ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ وآخرها ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ﴾ فهذا في الإيمان والكفر ، ليس في الأعمال[(٣)].

قال ابن الجوزي[(٤)] : قوله تعالى ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾

قال الخطابي[(٥)]: "الحق هو المتحقق وجوده وكل شيء صح وجوده وكونه فهو حق"

قال ابن عباس:" كيف تصرف عقولكم إلى عبادة من لا يرزق ولا يحيى ولا يميت ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٠٥١- ٢٠٥٢).
(٢) التفسير الطبري (١٥/ ٨٤)
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٣٥)
(٤) ابن الجوزي(٥٠٨ - ٥٩٧ هـ = ١١١٤ - ١٢٠١ م) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها. الأعلام للزر كلي (٣/ ٣١٦)
(٥) الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الإمام، العلامة، الحافظ، اللغوي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، الخطابي، صاحب التصانيف. ولد: سنة بضع عشرة وثلاث مائة أخبرنا أبو طاهر السلفي، قال: وأما أبو سليمان الشارح لكتاب أبي داود، فإذا وقف منصف على مصنفاته، واطلع على بديع تصرفاته في مؤلفاته، تحقق إمامته وديانته فيما يورده وأمانته، وكان قد رحل في الحديث وقراءة العلوم، وطوف، ثم ألف في فنون من العلم، وصنف، وفي شيوخه كثرة، وكذلك في تصانيفه، منها (شرح السنن) قال أبو يعقوب القراب: توفي الخطابي ببست، في شهر ربيع الآخر، سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٧/ ٢٣- ٢٧)

هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس: ٣٢ – ٣٥] "[1] .

قال سيد قطب :﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ . . والحق واحد لا يتعدد ، ومن تجاوزه فقد وقع على الباطل ، وقد ضل التقدير : ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ فأنى تصرفون ﴾ . . وكيف توجهون بعيداً عن الحق وهو واضح بين تراه العيون؟بمثل هذا الانصراف عن الحق الواضح الذي يعترف المشركون بمقدماته وينكرون نتائجه اللازمة ، ولا يقومون بمقتضياته الواجبة ، قدر الله في سننه ونواميسه أن الذين يفسقون وينحرفون عن منطق الفطرة السليم وسنة الخلق الماضية لا يؤمنون[2]

معنى لا إله إلا الله :

فـ " لا إله إلا الله " معناها : "لا معبود بحق إلا الله" .

وقولنا : " بحق " لنخرج من عُبِدَ بالباطل، وهم كل من صرف له نوع من أنواع العبادة من دون الله تعالى ، وهم كثير من الأصنام ومن الصالحين ومن غيرهم .

فالله تعالى هو المستحق للعبادة وحده ، وكل من عبد سواه فالباطل فلا حق في الألوهية لمخلوق ، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " لا إله إلا أنت فِيهِ إِثْبَاتُ آن فيه إثبات انفراده بالإلهية ، والألوية تتضمن كمال علمه وقدرته ، ورحمته وحكمته ، ففيها إثبات إحسانه إلى العباد ، فإن الإله هو المألوه ، المألوه هو الذي يستحق أن يعبد ، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزمك أن يكون هو المحبوب غاية الحب ، المخضوع له غاية الخضوع ، والعبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل "[3] .

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٢٩) المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت -الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ.

(٢) في ظلال القرآن (٣/ ١٧٨٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٤٩).

وقال الأستاذ أبو الأعلى المودودي[١]:" معنى لا إله إلا الله : أنه ليس ... أحد جدير بأن يعبده الناس ويسجدوا له بالطاعة والعبادة إلا الله . فما لهذا الكون من مالك ولا حاكم إلا هو وحده ، وكل شيء مفتقر إليه ، مضطر إلى استعانته" [٢] .

سئل الشيخ محمد بن عبدا لوهاب[٣] عن معنى لا إله إلاّ الله، فأجاب بقوله:

"اعلم رحمك الله أنّ هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون"[٤] .

قال ابن باز – رحمه الله – : "معنى لا إله إلا الله، فإن معناها: لا معبود حق إلا الله، فكل ما عبد من دون الله من بشر أو ملك أو جني أو غير ذلك فكله معبود بالباطل، والمعبود بالحق هو الله وحده، كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾[٥] .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾[محمد: ١٩]

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهة، ويجوز لك وللخلق عبادته، إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كل شيء، يدين له بالربوبية كل ما دونه" [٦] .

قال الشوكاني : "فاعلم أنه لا إله إلا الله } أي إذا علمت أن مدار الخير هو التوحيد والطاعة ومدار الشر هو الشرك والعمل بمعاصي الله فاعلم أنه لا إله غيره ولا رب سواه والمعنى : اثبت على ذلك واستمر عليه لأنه صلى الله عليه و سلم قد كان عالما بأنه لا إليه إلا الله قبل هذا وقيل

---

(١) أبو الأعلى المودودي (١٣٢١ ه - ١٩٠٣ م = ١٣٩٩ ه - ١٩٧٩ م) ينتمي أبو الأعلى المودودي إلى أسرة تمتد جذورها إلى شبه جزيرة العرب، فقد هاجرت أسرته منذ أكثر من ألف عام إلى جشت بالقرب من مدينة هراة، ثم رحل جده الأكبر "ضواجه مودود" إلى الهند في أواخر القرن التاسع الهجري. وكان أبوه سيد أحمد حسن مودود الذي ولد في دلهي بالهند سنة (١٢٦٦ هـ = ١٨٥٠م) واحدًا من طلاب جامعة عليكرة، وقد عمل مدرسًا، ثم عمل بالمحاماة، وفي (٣ من رجب ١٣٢١ هـ = ٢٥ من سبتمبر ١٩٠٣م) رزق بابنه "أبو الأعلى المودودي"،

(٢) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (١/ ٩١) .

(٣) ابن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ = ١٧٠٣ - ١٧٩٢ م) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي: زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب. ولد ونشأ في العيينة (بنجد) ورحل مرتين إلى الحجاز، فمكث في المدينة مدة قرأ بها على بعض أعلامها.

(٤) دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية (ص: ٩١) المؤلف: أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله الحصين الناشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(٥) العقيدة الصحيحة وما يضادها (ص: ٥) المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة السابعة العدد الثالث محرم ١٣٩٥ هـ/ يناير ١٩٧٥ م.

(٦) تفسير الطبري (٢٢/ ١٧٣).

ما علمته استدلالا فاعلمه خبرا يقينا وقيل المعنى : فاذكر أنه لا إله إلا الله فعبر عن الذكر بالعلم"[1] .

اتخاذ الناس الانداد مع الله:

معنى قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]

قال الأخفش[2] : الند : الضد والشبه :﴿وتجعلون له أندادا ﴾ [فصلت : ٩]

أي !أضدادا وأشباها[3] .

قال القرطبي :"فلا تجعلوا} نهي. ﴿لله أندادا﴾أي أكفاء وأمثالا ونظراء ، واحدها ند .

قال الشاعر :

نحمد الله ولا ند له *** عنده الخير وما شاء فعل.

وقال حسان :

أتهجوه ولست له بند *** فشركما لخيركما الفداء"[4] .

قال الزمخشري: "أندادا "أمثالا من الأصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على أوامرهم ونواهيهم"[5] .

قال ابن كثير: "يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا "له" أندادًا، أي: أمثالا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له ولا ندَّ

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير(٥/ ٤٣)

(٢) الاخفش الأوسط(٠٠٠ - ٢١٥ هـ = ٠٠٠ - ٨٣٠ م سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء،البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالاخفش الأوسط: نحوي، عالم باللغة والأدب، من أهل بلخ. سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه. وصنف كتبا، منها (تفسير معاني القرآن - خ) و شرح أبيات المعاني - خ) و (الاشتقاق) و (معاني الشعر) و (كتاب الملوك) و (القوافي - خ) (الأعلام للزر كلي (٣/١٠١-١٠٢).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس (٨/ ٣١٠) ولسان العرب (٣/ ٤١٣) يجعلون أندادا أي أضدادا وأشباها . ويقال : ند فلان و نديده و نديدته أي مثله وشبهه . وقال أبو الهيثم : يقال للرجل إذا خالفك فأردت وجها تذهب به ونازعك في ضده : فلان ندي و نديدي للذي يريد خلاف الوجه الذي تريد وهو مستقل من ذلك بمثل ما تستقل به ويقال : نادت فلانا إذا خالفته .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٣٠).

(٥) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٢١١) المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

له، ولا شريك معه[١]،وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعل لله ندًا وهو خلَقَك"[٢] .

قال البيضاوي[٣]:"في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ من الأصنام. وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ولعل المراد أعم منهما وهو ما يشغله عن الله يُحِبُّونَهُمْ يعظمونهم ويطيعونهم كَحُبِّ اللَّهِ كتعظيمه والميل إلى طاعته، أي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة"[٤] .

.يقول السيد طنطاوي: ويرى بعض العلماء أن المراد بالأنداد هنا الأصنام التي اتخذها المشركون آلهة للتقرب بها إلى الله ، وقيل : المراد بها الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم فيما يحلونه لهم ويحرمونه عليهم . والأولى أن يكون المراد بهذه الأنداد كل مخلوق أسند إليه أمر اختص به الله – تعالى – من نحو التحليل ، والتحريم وإيصال النفع وغير ذلك من الأمور التي انفرد بها الخالق – عز وجل – [٥] .

قال السعدي:[٦] "ما أحسن اتصال هذه الآية بما قبلها، فإنه تعالى، لما بين وحدانيته وأدلتها القاطعة، وبراهينها الساطعة الموصلة إلى علم اليقين، المزيلة لكل شك، ذكر هنا أن﴿ مِنَ النَّاسِ ﴾

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٦).

(٢) عن عبد الله بن مسعود قال : " سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم ، قال : أن تجعل لله ندا و هو خلقك ، قلت : ثم أى ؟ قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك ، قلت : ثم أى قال : أن تزاني بحليلة جارك " متفق عليه . أخرجه البخارى (٣/١٩٥ ، ٣٠٢) ، (٤/١١٥ ، ٣٠٠ ، ٣١٤ ، ٤٨٨) و مسلم (١/٦٣) و أبو داود أيضا (٢٣١٠) والنسائى (٢/١٦٥) والترمذى (٢/٣٠٥)و أحمد(١/٤٣٤) من طرق عن أبى وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله به

(٣) البَيْضاوي(٠٠٠ - ٦٨٥ هـ = ٠٠٠ - ١٢٨٦ م) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء (بفارس - قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة. وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها. من تصانيفه " أنوار التنزيل وأسرار التأويل - ط " يعرف بتفسير البيضاوي، و " طوالع الأنوار - ط " في التوحيد، و " منهاج الوصول إلى علم الأصول - ط " و " لب اللباب في علم الإعراب - خ " و " نظام التواريخ - خ " كتبه باللغة الفارسية، ورسالة في موضوعات العلوم وتعاريفها - خ " و " الغاية القصوى في دراية الفتوى - خ " في فقه الشافعية الأعلام للزركلي (٤/ ١١٠) .

(٤) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١١٧) المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

(٥) التفسير الوسيط لطنطاوي (١/ ٣٣٦).

(٦) السَّعْدي، (١٣٠٧ - ١٣٧٦هـ). عبدا لرحمن بن ناصر بن عبدا لله. عالم ومفسّر سعودي ولد في القصيم بالمملكة العربية السعودية. مات والده ولم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، طلب العلم وجدّ فيه فحفظ القرآن الكريم والمتون فاشتهر أمره وعلت منزلته وكثر تلاميذه، ترك عدة كتب نافعة، أكثرها في تفسير القرآن وعلومه، أبرزها تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، واختصر هذا التفسير بكتاب سماه تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، وكتبه قيِّمة محققة تخلو من الدخيل والغرائب، أسلوبها سهل ميسر. نقلا عن الموسوعة العربية العالمية Global Arabic Encycloped http://www.mawsoah.net

مع هذا البيان التام من يتخذ من المخلوقين أندادا لله أي: نظراء ومثلاء، يساويهم في الله بالعبادة والمحبة، والتعظيم والطاعة.

ومن كان بهذه الحالة – بعد إقامة الحجة، وبيان التوحيد – علم أنه معاند لله، مشاق له، أو معرض عن تدبر آياته والتفكر في مخلوقاته، فليس له أدنى عذر في ذلك، بل قد حقت عليه كلمة العذاب[1].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾

من الناس من يتخذ من دون الله انداداً . . كانوا على عهد المخاطبين بهذا القرآن أحجاراً وأشجاراً ، أو نجوماً وكواكب ، أو ملائكة وشياطين . . وهم في كل عهد من عهود الجاهلية أشياء أو أشخاص أو شارات أو اعتبارات . . وكلها شرك خفي أو ظاهر ، إذا ذكرت إلى جانب اسم الله ، وإذا أشركها المرء في قلبه مع حب الله ، فكيف إذا نزع حب الله من قلبه وأفرد هذه الأنداد بالحب الذي لا يكون إلا لله؟[2].

وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار

وجعلو لله شركاء "أندادا" عبدوهم معه ، ودعوا الناس إلى عبادتهم ، ليصرفوهم عن سبيل الله القويم ، فقل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين بدلوا نعمة الله كفرا ، وجعلو لله أندادا ، وصدوا الناس عن اتباع دينه الحنيف : استمتعوا في الدنيا ، قدر ما تستطيعون وافعلوا ما يمكنكم فعله ، فإن أعمالكم هذه ستوردكم موارد الهلاك ، وسيكون مصيركم في نار جهنم جزاء وفاقا .

وأندادا – أمثالا من الأوثان يعبدونها[3] .

قال ابن القيم:

حق الإله عبادة بالأمر لا **** بهوى النفوس فذاك للشيطان

من غير إشراك به شيئا هما **** سببا النجاة فحبذا السببان[4].

وقال آخر:

قَدْ شَهِدَ اللهُ العظيمُ المَاجِدُ ** ** بِأَنَّهُ الإلهُ نِعْمَ الشَّاهِدُ

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٩).
(٢) في ظلال القرآن (١/ ١٥٣).
(٣) أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٧٨١) .
(٤) نونية ابن القيم = الكافية الشافية (ص: ٢٥٠).

وخَلْقُهُ أَمْلاَكُهُمْ والعُلَمَاء ** ** أَشْهَدَهُمْ فَشَهِدُوا إِذْ أَلْهَمَا

فَخَابَ عَبْدٌ جَعَلَ المَخْلُوقَا ** ** نِدًا لَهُ وأَبْطَلَ الحُقُوقَا

اللهُ رَبَّانَا وأَسْدَى النِّعْمَهْ ** ** لِنُخْلِصَ التَّوْحِيدَ هَذِي الحكمة[1].

(١) مجموعة القصائد الزهديات (٢/ ٦) المؤلف: أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ) الناشر: مطابع الخالد للأوفسيت - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ.

المبحث الثالث

الآثار الواردة في السنة إلى عبادة الله الداعية

فقد وردت أحاديث كثيرة تحث على عبادة الله تعالى ونفي الشريك وتأمر بتوحيد الله سبحانه وتعالى ونذكر منها ماتيسر وليس على سبيل الحصر:

(أ)- الأحاديث الداعية الى توحيد الله :

١- من رواية أبي مالك الأشجعي(١) عن أبيه قال سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » (٢) .

٢- قَالَ جَرِيرٌ(٣) «أَتيتُ رسول الله -ﷺ- وهو يبايع. فقلت: يا رسول الله، ابْسُطْ يَدَكَ حتى أُبايعك ، واشْتَرِطْ عَلَيَّ ، وأنت أَعْلَمُ. قال: أُبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتُنَاصِح المسلمين ، وتُفَارِق المشركين»(٤) .

٣- وفي حديث جبريل «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (٥) .

---

(١) أبو مالك الاشجعي سعد بن طارق، بن أشيم. كوفي صدوق. روى عن أبيه، وعبد الله بن أبي أوفى، وأنس بن مالك، وموسى بن طلحة، وأبي حازم الاشجعي، وربعي بن حراش. وعنه: الثوري، وأبو عوانة، وحفص بن غياث، وخلف بن خليفة، وأبو معاوية، ويزيد بن هارون وعبيدة بن حميد، وعدة. قال النسائي: ليس به بأس، وقال أحمد ويحيى: ثقة. سير أعلام النبلاء (٦/ ١٨٤).

(٢) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (٣/ ٤٠٥) . وفي لفظٍ عن أبي مالك الأشجعي قال : سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : (من وحد الله وكفر بما يعبد من دونه حرم ماله ودمه وحسابه على الله) المعجم الكبير للطبراني (٨/ ٣١٨) رقم،٨١٩٢ المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة الطبعة: الثانية ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعي - الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).

(٣) جرير بن عَبْد الله بن جابر، وهو الشّليل بن مالك بن نصر بن ثعلبة ابن جشم بن عويف بن خزيمة [بن حرب] بن على بن مالك بن سعد ابن نذير بن قسر، وهو مالك بن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث البجلي. قالَ أبو عمر رحمه الله: كان إسلامه في العام الذي توفي فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ. وقال جرير: أسلمت قبل موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين يوما. وروى شعبة وهشيم عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله البجلي قال: ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني قط إلا ضحك وتبسم وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل وافدا عليه: يطلع عليكم خير ذي يمن، كأن على وجهه مسحة ملك، فطلع جرير وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي كلاع وذي رعين باليمن. وكان عمر رضي الله عنه يقول: جرير بن عبد الله يوسف هذه الأمة، يعني في حسنه، ونزل جرير الكوفة وسكنها، وكان له بها دار، ثم تحول إلى قرقيسياء، ومات بها سنة أربع وخمسين. وقد قيل: إن جريرا توفي سنة إحدى وخمسين. وقيل: مات بالسراة في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة لمعاوية. .انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢٣٦- ٢٣٨) المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: علي محمد البجاوي الناشر: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

(٤) سنن النسائي (٧/ ١٤٨)،برقم (٤١٧٧)،المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ قال الشيخ الألباني : صحيح

(٥) أخرجه أحمد (٤٢٦/٢ ، رقم ٩٤٩٧) ، والبخارى (٢٧/١ ، رقم ٥٠) ، ومسلم (٣٩/١ ، رقم ٩) ، وابن ماجه (٢٥/١ ، رقم ٦٤) من حديث أبى هريرة

٤- عن أبي هريرة[1] – رضي الله عنه – أنَّ أعرابيا جاء إلى رسولِ الله -ﷺ-،فقال: يا رسول الله ، دُلَّني على عمَل إذا عملتُه دَخَلْتُ الجنةَ ، قال : تعبدُ الله،ولا تُشرك به شيئا، وتقيمُ الصلاةَ المكتوبةَ ، وتُؤدِّي الزَّكاة المفروضةَ ، وتصومُ رمضانَ ، قال : والذي نفسي بيده لا أزيدُ على هذا شيئا ، ولا أنقص منه ، فلما ولَّى قال النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- : «مَنْ سَرَّه أن ينظرَ إلى رجل من أهل الجنة ، فلينظر إلى هذا»[2].

٥- عن معاذ بن جبل[3] – رضي الله عنه – قال : قلت : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال : لقد سألتنى عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان وتحج البيت[4].

٦- عن عائشة[5] "أنها حدثته أنها قالت للنبي -ﷺ- هل أتى عليك يومٌ كان أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيته منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت – وأنا مهمومٌ – على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع

---

(١) أبو هريرة(٢١ ق هـ - ٥٩ هـ = ٦٠٢ - ٦٧٩ م) عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب ب أبي هريرة: صحابي، كان أكثر الصحابة حفظا للحديث ورواية له. نشأ يتيما ضعيفا في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فأسلم سنة ٧ هـ ولزم صحبة النبي، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثا، نقلها عن أبي هريرة أكثر من ٨٠٠ رجل بين صح أبي وتابعي. وولي إمرة المدينة مدة. ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين، ثم رآه لين العريكة مشغولا بالعبادة، فعزله. وأراده بعد زمن على العمل فأبى. وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها. وكان يفتي، وقد جمع شيخ الإسلام تقي الدين السبكي جزءا سمي (فتاوي أبي هريرة) ولعبد الحسين شرف الدين كتاب في سيرته (أبو هريرة - ط) الأعلام للزركلي (٣/ ٣٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١٠٥)،برقم (١٣٩٧) و صحيح مسلم (١/ ٤٤، برقم (١٥).

(٣) معاذ بن جبل الأنصاري ثم الخزرجي، شهد العقبة وبدرا والمشاهد، إمام الفقهاء، وكبير العلماء بعثه النبي صلى الله عليه وسلم عاملا على اليمن مات بعمواس عام الطاعون بالشام في خلافة عمر بن الخطاب قبض معاذ بن جبل وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة " معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥/ ٢٤٣١- ٢٤٣٣)

(٤) أخرجه أبو داود الطيالسى في مسند (١/ ٤٥٥) ، برقم (٥٦١) المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ) المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر - مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ و أحمد (٣٦/ ٣٤٤)، برقم (٢٢٠١٦) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٧)، برقم(٣٥٤٨) أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠
و شرح مشكل الآثار (١١٦/٤) ، برقم (١٤٧٨) و سنن الترمذي (٥/ ١١، برقم ٢٦١٦) والسنن الكبرى للنسائي (١٠/ ٢١٤،) برقم (١١٣٣٠) وسنن ابن ماجه (٥/ ١١٦)، برقم (٣٩٧٣) عن معاذ.

(٥) عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، من قريش: (٩ ق هـ - ٥٨ هـ = ٦١٣ - ٦٧٨ م) أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والادب. كانت تكنى بأم عبد الله. تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية بعد الهجرة، فكانت أحب نسائه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه. ولها خطب ومواقف. وما كان يحدث لها أمر إلا أنشدت فيه شعرا. وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم. وكان (مسروق) إذا روى عنها يقول: حدثتني الصديقة بنت الصديق. وكانت ممن نقم على (عثمان) عمله في حياته، ثم غضبت له بعد مقتله، فكان لها في هودجها، بوقعة الجمل، موقفها المعروف.
وتوفيت في المدينة. روي عنها ٢٢١٠ أحاديث. ولبدر الدين الزركشي كتاب (الاجابة لما استدركته عائشة على الصحابة - ط) ولسعيد الافغاني (عائشة والسياسة - ط) ولزاهية مصطفى قدورة (عائشة أم المؤمنين - ط) . الأعلام للزركلي (٣/ ٢٤٠)

قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد إن الله سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين فقال النبي -ﷺ- بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا(١) .

٦- وفي حديث رستم الطويل، وسألتك بماذا يأمركم فزعمت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم(٢) .

٧- وفي الحديث : "أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] (٣).

٨- وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله -ﷺ- « يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد ». قال الله ورسوله أعلم. قال « أن يعبد الله ولا يشرك به شىء - قال - أتدرى ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك ». فقال الله ورسوله أعلم. قال « أن لا يعذبهم » (٤).

« فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله»قال صاحب "التحرير: اعلم أن الحق كل موجود متحقق أو ما سيوجد لا محالة، وا سبحانه هو الحق الموجود الأزلي الباقي الأبدي، والموت والجنة والنار حق: أي إنها واقعة لا محالة، فحق الله على العباد ما يستحقه عليهم وحقهم عليه معناه محقق لا محالة اهـ. ملخصا. وقال غيره : قول الرجل: حقك واجب علي: أي متأكد قيامي به قاله المصنف قلت: "الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد"أي واجبه الثابت عليهم "أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا"من المعبودات (٥) .

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ٣٢٣١) برقم،(١١٥) و صحيح مسلم (٣/ ١١١)،برقم(١٤٢٠).
(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٢٩٩برقم، ١٨٦٠٧) المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
(٣) صحيح البخاري "باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذا خليلا» (٥/ ٧،برقم ٣٦٦٨ ٧)
(٤) صحيح البخاري "باب إرداف الرجل خلف الرجل" (٧/ ١٧٠،برقم ٥٩٦٧) و صحيح مسلم، "باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار" (١/ ٥٨،برقم ٤٨)
(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٤/ ٣٣٠) المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ) اعتنى بها: خليل مأمون شيحا الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

قوله «أتدري» أي أتعرف «ما حق الله على العباد» الحق كل موجود متحقق أو ما سيوجد لا محالة ويقال للكلام الصدق حق لأن وقوعه متحقق لا تردد فيه وكذا الحق المستحق على الغير إذا كان لا تردد فيه والمراد هنا ما يستحقه الله على عباده مما جعله محتما عليهم.

وقال القرطبي:" حق الله على العباد هو ما وعدهم به من الثواب وألزمهم إياه بخطابه «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا» المراد بالعبادة عمل الطاعات واجتناب المعاصي وعطف عليها عدم الشرك لأنه تمام التوحيد والحكمة في عطفه على العبادة أن بعض الكفرة كانوا يدعون أنهم يعبدون الله ولكنهم كانوا يعبدون آلهة أخرى فاشترط نفي ذلك والجملة حالية والتقدير يعبدونه في حال عدم الاشراك به[١] .

٩- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما بعث النبي -ﷺ-معاذا نحو اليمن قال له : « إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات » . . . . ، الحديث ،[٢] .

١٠-عن ابن عمر[٣] عن النبى -ﷺ- قال « بنى الإسلام على خمس على أن يعبد الله ويكفر بما دونه

وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » [٤] .

---

(١) تحفة الأحوذي (٧/ ٣٣٥ - ٣٣٦) بشرح جامع الترمذي المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

(٢) صحيح البخاري (٩/ ١١٤) "بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى" (٩/ ١١٤،برقم ٧٣٧٢) والإيمان لابن منده، "ذِكْرُ أَوَّلِ مَا يُدْعَى إِلَيْهِ الْعَبْدُ وَهُوَ التَّوْحِيدُ" (١/ ٣٧٩ برقم، ٢١٣) المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ والسنن الكبرى للبيهقي باب ما فرض الله تبارك وتعالى على أهل دينه من المسلمين (٧/ ٣ ، برقم١٣١١٢)

(٣) عبد اللَّه بن عمر: بن الخطاب»(١٠ ق هـ - ٧٣ هـ = ٦١٣ - ٦٩٢ م) عبد اللَّه بن عمر: بن نفيل القرشي العدوي، يأتي نسبه في ترجمة أخيه، أبو عبد الرحمن. ولد سنة ثلاث من المبعث النبوي فيما جزم به الزّبير بن بكّار، قال: هاجر وهو ابن عشر سنين وأسلم مع أبيه وهاجر وعرض على النبيّ صلى اللَّه عليه وسلّم ببدر فاستصغره ثم بأحد فكذلك ثم بالخندق فأجازه، وهو يومئذ ابن خمس عشرة سنة كما ثبت في الصحيح. عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر: ما منّا من أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها غير عبد اللَّه بن عمر وقال الزّبير بن بكّار: وكان ابن عمر يحفظ ما سمع من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلّم، ويسأل من حضر إذا غاب عن قوله وفعله، وكان يتبع آثاره في كل مسجد صلّى فيه، وكان يعترض براحلته في طريق رأى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلّم عرض ناقته، وكان لا يترك الحجّ، وكان إذا وقف بعرفة يقف في الموقف الّذي وقف فيه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلّم. . الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٥٥- ١٦٠)

(٤) صحيح مسلم "باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس" (١/ ٤٥ ،برقم ٢٠) و إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ٢٤٨) المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : ١٤٢٠هـ) إشراف: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م

ب – نفى الأنداد والآلهة :

١١– قال عبد الله: قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو لله ندا وهو خلقك» قال: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قال: ثم أي؟ قال: «ثم أن تزاني بحليلة جارك» فأنزل الله عز وجل تصديقها: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما﴾ [الفرقان: ٦٨] [(١)] .

قال ابن بطال[(٢)]:" أن الله خلق كل شىء فقدره تقديرا ، فلا ينسب شيئا من الخلق إلى غيره ، فلهذا ذكر هذه الآيات فى نفى الأنداد والآلهة المدعوة معه ، فمنها ما حذر به المؤمنين ، ومنها ما وبخ به الكافرين الضالين ، ثم أثنى على المؤمنين فى قوله : ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ﴾ [الفرقان : ٦٨] ، يريد كما يدعو عبدة الأوثان لترزقهم، وتعافيهم ، وهى لا تملك لهم ضرا ولا نفعا[(٣)] .

قَوْله أَن تجْعَل لله ندا بِكَسْر النُّون أَي مثلا وَجمعه أنداد وَيُطلق الند على الضِّدّ أَيْضا قوله أن تجعل لله ندا بكسر النون أي مثلا وجمعه أنداد ويطلق الند على الضد [(٤)] .

قال القسطلاني[(٥)]:" أن تجعل لله ندًّا" أي مثلًا ونظيرًا ﴿وهو خلقك﴾ وغيره لا يستطيع خلق شيء موجود الخلق يدل على الخالق،

---

(١) صحيح البخاري "باب قول الله تعالى: {ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم} [النساء: ٩٣] (٩/ ٢،برقم ٦٨٦١) ،ومسلم في الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده (١/ ٩١ ،برقم ١٤٢)، ومسند ابن أبي شيبة (١/ ١٦٥ ،برقم ٢٣٨) المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي الناشر: دار الوطن - الرياض الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م

(٢)ابن بطال : شارح صحيح البخاري العلامة أبو الحسن؛ علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي ثم البلنسي ويعرف بابن اللجام. أ خذ عن: أبي عمر الطلمنكي وابن عفيف وأبي المطرف القنازعي ويونس بن مغيث. قال ابن بشكوال: كان من أهل العلم والمعرفة عني بالحديث العناية التامة؛ شرح الصحيح في عدة أسفار رواه الناس عنه واستقضي بحصن لورقة. توفي في صفر سنة تسع وأربعين وأربع مائة. قلت: كان من كبار المالكية. ذكره القاضي عياض. سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٠٣)

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠/ ٥٢٢) المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

(٤) فتح الباري - ابن حجر (١/ ١٩٤) المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ

(٥) القسطلاني(٨٥١ - ٩٢٣ هـ = ١٤٤٨ - ١٥١٧ م) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين: من علماء الحديث. مولده ووفاته في القاهرة. له (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري - ط) عشرة أجزاء. و (المواهب اللدنية في المنح المحمدية - ط) في السيرة النبوية، و (لطائف الإشارات في علم القرآت - خ) و (الكنز) في التجويد، و (الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر) و (شرح البردة) سماه (مشارق الأنوار المضية - خ) منه نسخة في دمشق، كما في تعليقات عبيد، وأخرى في خزانة الرباط (٢٠٨٣ كتاني) الأعلام للزركلي (١/ ٢٣٢)

واستقامة الخلق تدل على توحيده ولو كان المدبر اثنين لم يكن على الاستقامة، ولذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل(١):

أربًا واحدًا أم ألف رب *** أدين إذا تقسمت الأمور

تركت اللات والعزى جميعًا *** كذلك يفعل الرجل البصير(٢)

والندّ المثل من ندّ ندودًا إذا نفر، وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر، وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله أنداد لأنهم لما تركوا عبادته إلى عبادتها شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله، وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بأن جعلوا أندادًا لمن يمتنع أن يكون له ند(٣)

قال ابن حجر(٤):" في باب قول الله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا "

وقوله وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ثم ذكر آيات وآثارا إلى ذكر حديث بن مسعود سألت النبي صلى الله عليه و سلم أي الذنب أعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك الند بكسر النون وتشديد الدال يقال له النديد أيضا وهو نظير الشيء الذي يعارضه في أموره وقيل ند الشيء من يشاركه في جوهره وهو ضرب من المثل لكن المثل يقال في أي مشاركة كانت فكل ند مثل من غير عكس قاله الراغب قال والضد أحد المتقابلين وهما الشيئان المختلفان اللذان لا يجتمعان في

---

(١) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى ابن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك القرشي العدوي والد سعيد بن زيد أحد العشرة، وابن عم عمر بن الخطاب، يجتمع هو وعمر في نفيل. سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " يبعث أمة وحده يوم القيامة ". وكان يتعبد في الجاهلية، ويطلب دين إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ويوحد الله تعالى، ويقول: إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم. وكان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء ماء وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله تعالى، إنكارا وإعظاما له، وكان لا يأكل مما ذبح على النصب، واجتمع به رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسفل بلدح قبل أن يوحى إليه، وكان يحيى الموءودة. أسد الغابة ط العلمية (٢/ ٣٦٨).

(٢) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٧/ ١٠) المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ

(٣) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٧/ ٢٠)

(٤) ابن حَجَر العَسْقَلاني(٧٧٣ - ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩ م) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاويّ: (انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر) وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه. وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - ط) أربعة مجلدات، و (لسان الميزان - ط) ستة أجزاء، تراجم، و (الإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام - خ) و (ديوان شعر - خ) رأيته في الاسكوريال (الرقم ٤٤٤) وطبع في الهند، و (فتح الباري في شرح صحيح البخاري - ط) الأعلام للزركلي (١/ ١٧٨).

شيء واحد ففارق الند في المشاركة ووافقه في المعارضة قال بن بطال غرض البخاري في هذا الباب اثبات نسبة الأفعال كلها لله تعالى سواء كانت من المخلوقين خيرا أو شرا فهي لله تعالى خلق وللعباد كسب ولا ينسب شيء من الخلق لغير الله تعالى فيكون شريكا وندا ومساويا له في نسبة الفعل إليه وقد نبه الله تعالى عباده على ذلك بالآيات المذكورة وغيرها المصرحة بنفي الأنداد والآلهة المدعوة معه فتضمنت الرد على من يزعم انه يخلق أفعاله(١) .

« أن تجعل لله ندا » بكسر النون أي مثلا ونظيرا في دعائك أو عبادتك « وهو خلقك » فوجود الخلق يدل على الخالق واستقدامة الخلق تدل على توحيده إذ لو كان إلهين لم يكن على الاستقامة(٢) .

قال أن تدعو أي تجعل لله ندا بالكسر أي مثلا ونظيرا في دعائك وعبادتك وقيل الند المثل المزاحم الذي يضاده في أموره من ند نفر وأما الضد فهو أحد متقابلين لا يمكن اجتماعهما وهو خلقك الجملة حال من الله أو من فاعل أن تدعو وفيه إشارة إلى ما استحق به تعالى أن تتخذه ربا وتعبده فإنه خلقك أو إلى ما به امتيازه تعالى عن غيره في كونه إلها أو إلى ضعف الند أي أن تدعو له ندا وقد خلقك غيره وهو لا يقدر على خلق شيء

«نداً» بكسر النون أي شريكا ونظيراً، والند في اللغة: المثل المناوي: أي المماثل المخالف المضاد المعادي، من ند ندوداً إذا نفرا، وناددت الرجل أي خالفته، خص بالمخالف في الأفعال والأحكام المماثل في الذات والصفات، كما خص المساوي للمماثل في القدر والشكل فيما يشارك في القدر والمساحة، والشبه فيما يشارك في الكيفية، والمثل عام في جميع ذلك، والضد أحد المتقابلين لا يمكن اجتماعها «وهو خلقك» أي وغيره لا يستطيع خلق شيء، فوجود الخلق يدل على الخالق، واستقامة الخلق تدل على توحيده، إذ لو كان المدبر اثنين لم يكن على الاستقامة(٣) .

١٢–عَنْ عَبْدِ اللَّهِ –ﷺ–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَةً وَقُلْتُ أُخْرَى: «مَنْ مَاتَ

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر (١٣/ ٤٩١) .

(٢) عون المعبود وحاشية ابن القيم،تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته (٦/ ٣٠١) المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.

(٣) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ١٢٢) المؤلف : أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى : ١٤١٤هـ) الناشر : إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند الطبعة : الثالثة - ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م

يَجْعَلُ لِلَّهِ نِدًّا أُدْخِلَ النَّارَ» وَقُلْتُ أُخْرَى: «مَنْ مَاتَ لاَ يَجْعَلُ لِلَّهِ نِدًّا أُدْخِلَ الجَنَّةَ»[١] .

١٣- عن أبي موسى الأشعري[٢]-رضي الله عنه-، قال: قال النبي -ﷺ-:

«ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد، ثم يعافيهم ويرزقهم»[٣]

وقوله لا أحد أصبر على أذى من الله أي أشد حلما عن فاعل ذلك وترك المعاقبة عليه وهو مفسر في الحديث يجعلون له ندا وولدا وهو يرزقهم وهو من معنى اسمه تعالى الصبور والحليم ومعناه الذي لا يعاجل العصاة بالنقمة بل يعفوا ويؤخر ذلك إلى أجل معلوم عنده بمقدار والحليم بمعناه إلا أن في الحليم الصفح مع القدرة والامن العقوبة والصبور تخشى عاقبة أخذه [٤] .

١٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى : كذبني ابن آدم ، ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته ، وأمّا شتمه إياي فقوله : اتخذ الله ولداً ، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ، ولم يكن لي كفواً أحد » [٥] .

قال الفضيل بن عياض[٦] : "ما من ليلة يختلط ظلامها إلا نادى الجليل – جلّ جلاله – مَن أعظم مني جوداً ، الخلائق لي عاصون ، وأنا أكلؤهم في مضاجعهم ، كأنهم لم يعصوني ، وأتولى حفظهم ، كأنهم لم يذنبوا ، أجود بالفضل على العاصي ، وأتفضل على المسيء .

---

(١) .صحيح البخاري (٨/ ١٣٩،برقم ٦٦٨٣)

(٢) عبد اللَّه بن قيس بن سليم بن حضّار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر، أبو موسى الأشعري مشهور باسمه، وكنيته معا، وأمه ظبية بنت وهب بن عك، أسلمت وماتت بالمدينة، وكان هو سكن الرّملة ، وخالف سعيد بن العاص ثم أسلم وهاجر إلى الحبشة. وقيل: بل رجع إلى بلاد قومه ولم يهاجر إلى الحبشة، وهذا قول الأكثر، فإن «٥» موسى بن عقبة وابن إسحاق والواقدي لم يذكروه في مهاجرة الحبشة. وقدم المدينة بعد فتح خيبر، صادفت سفينته سفينة جعفر بن أبي طالب، فقدموا جميعا. واستعمله النبيّ صلى اللَّه عليه وسلّم على بعض اليمن: كزبيد، وعدن وأعمالهما، واستعمله عمر على البصرة بعد المغيرة، فافتتح الأهواز ثم أصبهان، ثم استعمله عثمان على الكوفة، ثم كان أحد الحكمين بصفين، ثم اعتزل الفريقين، انظرالإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٨١)

(٣) صحيح البخاري باب قول الله تعالى: {إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين} [الذاريات: ٥٨] (٩/ ١١٥) برقم (٧٣٧٨) وفي لفظ عن عبد الله بن قيس قال رسول الله -ﷺ- « ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله تعالى إنهم يجعلون له ندا ويجعلون له ولدا وهو مع ذلك يرزقهم ويعافيهم ويعطيهم»خرجه مسلم في " باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل" (٤/ ٢١٦٠،برقم ٤٩) وصحيح ابن حبان - مخرجا ذكر الإخبار عن تفضل الله جل وعلا بأنواع النعم على من يستوجب منه أنواع النقم (٢/ ٤٠٧،برقم٦٤٢) المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤ ه- ١٩٩٣م

(٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٣٨) المؤلف : القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي دار النشر : المكتبة العتيقة ودار التراث

(٥) رواه البخاري كتاب التفسير:" باب قوله: {الله الصمد} [الإخلاص: ٢] (٦/ ١٨٠،برقم ٤٩٧٥)و صحيح ابن حبان - مخرجا (١/ ٥٠٠،برقم ٢٦٧) وسنن النسائي (٤/ ١١٢،برقم ٢٠٧٨) والمعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٣٠٨،برقم ١٠٧٥١)

(٦) الفضيل بن عياض(١٠٥ - ١٨٧ هـ = ٧٢٣ - ٨٠٣ م) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي: شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد الصلحاء. كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي. ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها. ثم سكن مكة وتوفي بها الأعلام للزركلي (٥/ ١٥٣).

من ذا الذي دعاني فلم ألبه ؟ من ذا الذي سألني فلم أعطه ؟

وفي أثر إلهي: "إني والإنس والجن في نبأ عظيم: أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي"[١].

١٥- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ -ﷺ-: « مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ. قَالَ: «جَعَلْتَ لِلَّهِ نِدًّا بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ» [٢] .

قال ابن العثيمين:-رحمه الله-" والكراهة هنا يراد بها التحريم يعني أنك إذا تقول ما شاء الله وشاء فلان أو ما شاء الله وشئت أو ما أشبه ذلك وذلك أن الواو تقتضي التسوية إذا قلت ما شاء الله وشاء فلان كأنك جعلت فلانا مساويا لله عز وجل في المشيئة والله تعالى وحده له المشيئة التامة يفعل ما يشاء الله ولكن أرشد النبي صلى الله عليه وسلم لما نهى عن ذلك أرشد إلى قول مباح فقال ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان لأن ثم تقتضي الترتيب بمهلة يعني أن مشيئة الله فوق مشيئة فلان وكذلك قول ما شاء الله وشئت فإن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت قال أجعلتني لله ندا ينكر عليه بل قل ما شاء"[٣] .

---

(١) عالم الجن والشياطين (ص: ١٤٩و ١٧٤) المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

(٢) أخرجه الطبرانى (٢٤٤/١٢ ، رقم ١٣٠٠٥) ، وأخرجه أيضًا : البخارى فى الأدب المفرد ،" بَابُ قَوْلِ الرَّجُلِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ" (٢٧٤/١ ، رقم ٧٨٣)

(٣) شرح رياض الصالحين (٦/ ٤٩٣) المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة: ١٤٢٦ هـ

الباب الثاني

أصناف المعبودات عند الديانات وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول : معبودات المشركين وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : عبدة الأصنام والأوثان.

المبحث الثاني : عبدة الكواكب والنجوم .

المبحث الثالث : عبدة الجن والشياطين .

المبحث الرابع : عبدة الملائكة .

الفصل الثاني : معبودات اليهود وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عبدة الطاغوت .

المبحث الثاني : عبدة الأحبار والرهبان.

المبحث الثالث: عبدة العجل.

الفصل الثالث : معبودات النصارى وفيه مبحثان :

المبحث الأول : عبدة عيسى .

المبحث الثاني : عبدة روح القس .

الفصل الرابع : معبودات الصابئة والمجوس وفيه مبحثان:

المبحث الأول : معبودات الصابئة.

المبحث الثاني : معبودات المجوس.

الفصل الخامس :معبودات أهل الأهواء والدهريين وفيه مبحثان:

المبحث الأول : معبودات أهل الأهواء.

المبحث الثاني : معبودات الدهريين.

الباب الثاني

أصناف المعبودات عند الديانات

تمهيد

قال الشهرستاني[1] في الملل والنحل: "والعرب الجاهلية أصناف، فصنف أنكروا الخالق والبعث، وقالوا بالطبع المحيي، والدهر المفني، كما أخبر عنهم التنزيل "﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤] وصنف اعترفوا بالخالق، وأنكروا البعث، وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله تعالى " ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق: ١٥] وصنف عبدوا الأصنام، وكانت أصنامهم مختصة بالقبائل ...

وكان منهم من يميل إلى اليهود، ومنهم من يميل إلى النصرانية، ومنهم من يميل إلى الصابئة، ويعتقد في أنواء المنازل اعتقاد المنجمين في السيارات، حتى لا يتحرك إلا بنوء من الأنواء. ويقول مطرنا بنوء كذا، وكان منهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الجن"[2].

وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها فخشي رسول الله – ﷺ – على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم، كان إذا مات نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم؛ فقال – صلى الله عليه وسلم –:"اللهم لا تجعل قبري وثنًا"[3] .

وقال البخاري في صحيحه:: عن ابن عباس، قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الانعام: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ الأنعام: ١٤٠ [4] .

---

(١) الشهرستاني(٤٧٩ - ٥٤٨ هـ = ١٠٨٦ - ١١٥٣ م) محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني: من فلاسفة الإسلام. كان إماما في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة. يلقب بالأفضل. ولد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم) وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠ هـ فأقام ثلاث سنين، وعاد إلى بلده. وتوفي بها. قال ياقوت في وصفه: (الفيلسوف المتكلم، صاحب التصانيف، كان وافر الفضل، كامل العقل، ولولا تخبطه في الاعتقاد ومبالغته في نصرة مذاهب الفلاسفة والذب عنهم لكان هو الإمام.) الأعلام للزركلي (٦/ ٢١٥)

(٢) المختصر في أخبار البشر (١/ ٩٨) المؤلف: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ) الناشر: المطبعة الحسينية المصرية الطبعة: الأولى.

(٣) موطأ مالك (١/ ١٧٢،برقم ٨٥) المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ) صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان عام النشر: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص: ٢٢) المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الرابعة.

(٤) مختصر صحيح الإمام البخاري"باب جهل العرب" (٢/ ٤٦٢) ١٤٩٩المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتَبة المَعارف للنَّشْر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

الفصل الأول

معبودات المشركين

وفيه أربعة مباحث

الفصل الأول

معبودات المشركين

تمهيد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وأصل الشرك في بني آدم كان من الشرك بالبشر الصالحين المعظمين ، فإنهم لما ماتوا ، عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم ، فهذا أول شرك كان في بني آدم ، وكان في قوم نوح ، فإنه أول رسول بعث الله إلى أهل الأرض ، يدعوهم إلى التوحيد ، وينهاهم عن الشرك"[(١)]

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غير الله سبحانه وتعالى، وهذا يشمل كل ما عُبد من دون الله، لأن الاسم الموصول من صيغ العموم، فيشمل كل ما عُبد من دون الله من آدميِّين، أو أحجار، أو أشجار، أو ملائكة، أو غير ذلك. والقطمير هو الغشاء الرقيق الذي يكون على النواة وهو شيء حقير: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] [(٢)]

بيان معنى الشرك :

أ - الشرك في اللغة :

١- الشِّرك النصيبُ تسميةً بالمصدر ومنه بِيْعَ شِرْكٌ من دار وأما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣] فاسمٌ من أَشْرَك بالله إذا جَعَل له شَريكاً وفُسّر بالرياء في قوله عليه السلام :إن أخوف ما أخاف على أمتي الشرك والشهوة الخفية[(٣)؛(٤)] .

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر (ص: ٣٩٤) المؤلف: ناصر بن علي عايض حسن الشيخ الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٢٠٦)

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٧/ ٢٨٤) ٧١٤٥ مسند أحمد ط الرسالة (٢٨/ ٣٤٦) ١٧١٢٠و الزهد لأبي داود (ص: ٣٠٦) ٣٥٣ المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

(٤) المغرب في ترتيب المعرب (١/ ٢٤٩)

٢- شرك : جمع الشريك شركاء ... و شاركه صار شريكه و اشتركا في كذا و تشاركا و شركة في البيع والميراث يشركه مثل علمه يعلمه شركة والاسم الشرك وجمعه أشراك كشبر وأشبار و الشرك أيضا الكفر وقد أشرك بالله فهومشرك وقوله تعالى﴿ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾ [طه: ٣٢] أي اجعله شريكي فيه[١] .

٣- وعرف علماء الحنفية " الشرك " لغة : فذكروا أن" الشرك" بمعنى : الحصة والنصيب ، وكون أحد الشيئين فأكثر خليطًا مع آخر في أمر ما حسيا كان أو معنى.

و"الإشراك" إفعال : وهو جعل الشيء خليطًا مع آخر في حصة ونصيب.

ب – الشِّرك في الاصطلاح :

١-فالشرك عند علماء الحنفية – له عدة تعريفات نأخذ ماقاله :" الإمام ابن أبي العز[٢] رحمه الله: هو "الاعتقاد في الصالحين أنهم شفعاء عند الله " [٣] .

٢- فالشرك- والعياذ بالله- هو أخطر الذنوب، وأعظم ذنب عُصي الله به، وهو: عبادة غيره معه سبحانه وتعالى بصرف أيِّ نوع من أنواع العبادة لغير الله[٤].

فهو تسوية المخلوق بالخالق قال تعالى حكاية عن المشركين باعترافهم : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٧ - ٩٨]

و يُروى أن بعض المشركين كان له صنم، فجاء الثعلب وبال عليه، فلما رآه عابده فكّر وقال:

أرب يبول الثعلبان برأسه *** لقد هان من بالت عليه الثعالب

فعند ذلك فكّر وترك عبادة الأصنام[٥].

---

(١) مختار الصحاح (ص: ١٦٤)
(٢) ابن أبي العز الحنفي ٧٢٠ - ٧٩٩هـ، ١٣٢٠ - ١٣٩٦م أحمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد العزيز بن صالح بن أبي العز وهيب بن عطاء ابن جبير بن جابر وهيب، قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس بن قاضي القضاة عماد الدين المعروف بابن أبي العز وبابن الكشك الحنفي الدمشقي مولده سنة عشرين وسبعمائة بدمشق تقريبا، كان إماما عالما بارعا، فقيها مفننا، ولي قضاء القضاة الحنفية بدمشق غير مرة. وحسنت سيرته، ثم أشخص إلى ديار مصر في سنة سبع وسبعين وسبعمائة، وولي بها قضاة الحنفية عوضا عن صدر الدين محمد بن عبد الله التركماني بعد موته، وخلع عليه يوم الخميس العشرين من المحرم سنة سبع وسبعين وسبعمائة، ثم استعفى بعد مدة، وتوجه إلى دمشق، وأعيد إلى قضاء الحنفية بها على عادته، وقد وليها غير مرة قبل ذلك، ثم صرف بعد مدة عن القضاة، ولزم داره إلى أن مات قتيلاً بدمشق في مستهل ذي الحجة سنة وتسعين وسبعمائة. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (١/ ٢٤١- ٢٤٢) المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ) حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب
(٣) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (١/ ٣٦١)
(٤) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٣١)
(٥) المصدر السابق (١/ ٢٠٦).

المبحث الأول

عبدة الأصنام والأوثان

أولاً: تعريف الأصنام :

أ –الصنم في اللغة:

١– تمثال من حجر أو خشب أو معدن كانوا يزعمون أن عبادته تقربهم إلى الله– تعالى– وفي التنزيل العزيز: ﴿ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] (١)

٢– وَقَالَ الجَوْهَرِيُّ(٢): هُوَ "الوَثَنُ" ، وَهُوَ صَرِيحٌ فِي أَنَّهما مُتَرادِفَان.

وفَرَّق بَيْنَهُما هِشامٌ الكَلْبِيُّ(٣) فِي كِتابِ الأَصْنامِ لَهُ بِأَنَّ المَعْمُولَ من الخَشَبِ أَو الذَّهَبِ والفِضَّة أَو غَيْرِها من جَوَاهِرِ الأَرْضِ صَنَم، وَإِذا كَانَ من حِجارةٍ فَهُوَ وَثَنٌ.

٣–وقيل : إن الوَثَنَ ما كان له جُثَّةٌ من خَشَب أو حَجَر أو فِضَّة يُنْحَت و " يُعْبَد " ، والصَّنَم الصُّورَة بلا جُثَّة .

٤– وقيل : الصَّنمُ : "ما كان على صُورَة خِلْقَة البَشَر . والوَثَن : ما كان على غَيْرِها" .

٥– وقال آخَرُون : ما كَانَ له جِسْم أو صُورَة فصَنَمٌ ، فإن لم يَكُن له جِسْمٌ أو صُورَةٌ فهو وَثَنٌ

٦– وقيل : الصَّنم من حِجَارة أو غَيْرِها . والوَثَن : ما كَانَ صخورةً مُجَسَّمة .

وقد يُطْلَق الوَثَنُ على الصَّلِيب ، وعلى كل ما يَشْغَل عن اللهِ تَعالَى(٤).

٧– وقال ابن فارس(٥) :"صنم" الصاد والنون والميم كلمةٌ واحدةٌ لا فرعَ لها، وهي الصَّنَم.

---

(١) المعجم الوسيط (١/ ٥٢٦)

(٢) ا لْجَوْهَري(٠٠٠ - ٣٩٣ هـ = ٠٠٠ - ١٠٠٣ م) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر: أول من حاول (الطيران) ومات في سبيله. لغويّ، من الأئمة. وخطه يذكر مع خط ابن مقلة. أشهر كتبه (الصحاح) أصله من فاراب، ودخل العراق صغيرا، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور. وصنع جناحين من خشب وربطهما بحبل، وصعد سطح داره، ونادى في الناس: لقد صنعت ما لم أسبق إليه وسأطير الساعة، فازدحم أهل نيسابور ينظرون إليه، فتأبط الجناحين ونهض بهما، فخانه اختراعه، فسقط إلى الأرض قتيلا الأعلام للزركلي (١/ ٣١٣)

(٣) ابن السَّائب الكَلْبي (٠٠٠ - ٢٠٤ هـ = ٠٠٠ - ٨١٩ م) هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي، أبو المنذر: مؤرخ، عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها، كأبيه كثير التصانيف من أهل الكوفة، ووفاته فيها. له نيف ومئة وخمسون كتابا، منها " جمهرة الأنساب - خ " قطعة منه، و " الأصنام - ط ". الأعلام للزركلي (٨/ ٨٧- ٨٨)

(٤) تاج العروس (٣٢/ ٥٢٤- ٥٢٥)

(٥) ابن فارس : الإمام العلامة، اللغوي المحدث، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، اللغوي، نزيل همذان، وصاحب كتاب "المجمل". وكان رأسا في الأدب، بصيرا بفقه مالك، مناظرا متكلما على طريقة أهل الحق، ومذهبه في النحو على طريقة الكوفيين، جمع إتقان العلم إلى ظرف أهل الكتابة والشعر. وله مصنفات ورسائل، وتخرج به أئمة. ومات بالري في صفر سنة خمس وتسعين وثلاث مائة، وفيها ورخه أبو القاسم بن مندة، ووهم من قال: مات سنة تسعين. سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٢/ ٥٣٨- ٥٣٩)

وكان شيئاً يُتَّخَذُ من خشبٍ أو فضّة أو نُحاسٍ فيُعبَد" [1] .

ب – الصنم اصطلاحاً:

١– الصنم: جثة متخذة من فضة، أو نحاس، أو خشب، كانوا يعبدونها متقربين به إلى الله تعالى، وجمعه: أصنام. قال الله تعالى: ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً ﴾[الأنعام: ٧٤] وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴾[الأنبياء: ٥٧]

٢– قال بعض الحكماء: "كل ما عبد من دون الله، بل كل ما يشغل عن الله تعالى يقال له: صنم، وعلى هذا الوجه قال إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] فمعلوم أن إبراهيم مع تحققه بمعرفة الله تعالى، واطلاعه على حكمته لم يكن ممن يخاف أن يعود إلى عبادة تلك الجثث التي كانوا يعبدونها، فكأنه قال: اجنبني عن الاشتغال بما يصرفني عنك[2].

ثانياً– تعريف الوثن :

الوَثْنُ والوَاثِنُ: المقيم الراكد الثابت الدائم قال الليث :يروى بالثاء والتاء ومعناهما الدّوْمُ على العهد وقد وَتَنَ ووَثَنَ بمعنى واحد قال أَبو منصور المعروف وَتَنَ يَتِنُ بالتاء وُتُوناً ولم أَسمع وَثَنَ بالثاء بهذا المعنى لغير الليث قال ولا أَدري أَحفظه عن العرب أَم لا والوَثْنة بالتاء الكَفْرَةُ والمَوْثُونة بالثاء المرأَةُ الذليلة وامرأَة موثونة بالثاء إذا كانت أَديبةً وإِن لم تكن حَسْناء والوَثَنُ الصنم ما كان وقيل الصنم الصغير[3] .

"وثن ": الواو والثاء والنون. كلمةٌ واحدة، هي الوَثَن واحد الأوثان: حِجارةٌ كانت تُعْبَد. وأصلها قولهم استَوْثَنَ الشّيءُ: قَوِيَ. وأَوْثَنَ فلانٌ الحِمْلَ: كَثَّره. وأوثَنْتُ له: أعطيتُه جزيلاً .

"الوثن " التمثال يعبد سواء أكان من خشب أم حجر أم نحاس أم فضة أم غير ذلك ويقال هي

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٣١٤)

(٢) الموسوعة القرآنية (٨/ ٣٢٤) المؤلف: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ) الناشر: مؤسسة سجل العرب

الطبعة: ١٤٠٥ هـ والمفردات في غريب القرآن (ص: ٤٩٣- ٤٩٤) المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ

(٣) لسان العرب (١٣/ ٤٤٢).

وثن فلان امرأته " جمعه " أوثان ووثن" والوثني " من يتدين بعبادة الوثن يقال رجل وثني وقوم وثنيون وامرأة وثنية ونساء وثنيات" والوثنية مذهب عبدة الأوثان(١) .

"الوَثَن " : ماله جُثّة من خشب أو حجر أو فضّة أو جوهرٍ يُنحت والجمع" أوثان " . وكانت العرب تَنصِبُها وتَعبدها(٢) .

ثالثاً- الفرق بين الصنم والوثن:

قال ابن الأَثير:" الفرق بين الوَثَنِ والصَّنَم:

١- أنَّ الوَثَن كلُّ ما لَه جُثَّة مَعْمولة من جَواهِر الأرض أو من الخَشَب والحِجارة كصُورة الآدَميّ تُعْمَل وتُنْصَب فتُعْبَد . والصَّنَم : الصُّورة بِلا جُثَّة .

٢- ومنهم من لم يَفْرُق بَيْنَهما وأطلَقَهما على المَعْنَيَين . وقد يُطْلَق الوَثَن على غير الصُّورة ومنه حديث عَديٍّ بن حاتم « قَدِمْتُ على النَّبي -ﷺ-وفي عُنُقي صَليبٌ من ذَهَب فقال لي ألْقِ هذا الوثَنَ عنك » (٣)،(٤) .

٣- قال ابن عرفة(٥):"ما تخذوه من آلهةٍ فكان غيرَ صُورةٍ فهو وَثَنٌ فإذا كان له صورة فهو صَنَمٌ

٤- وقيل الفرق بين الوَثَن والصنمِ أَن الوَثَنَ ما كان له جُثَّة من خشب أَو حجر أَو فضة يُنْحَت ويُعْبَد والصنم الصورة بلا جثة ومن العرب من جعل الوَثَنَ المنصوبَ صنماً "(٦) .

والوثن ما عُبد من دون الله من قبر، أو شجر، أو حجر، أو بقاع، أو غير ذلك، أما الصنم فهو: ما عُبد من دون الله وهو على صورة إنسان أو حيوان، كما كان قوم إبراهيم يعبدون التماثيل: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٢]

---

(١) المعجم الوسيط (٢/ ١٠١٢).
(٢) المغرب في ترتيب المعرب (ص: ٤٧٧).
(٣) المعجم الكبير للطبراني (١٧/ ٩٢) ٢١٨ سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٢٧٨) ٣٠٩٥ السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ١٩٨) ٢٠٣٥٠و صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٩٥،برقم ٣٠٩٥) وحسنه الألباني.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٥١).
(٥) ابن عَرَفَة(٧١٦ - ٨٠٣ هـ = ١٣١٦ - ١٤٠٠ م) محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، أبو عبد الله: إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره. مولده ووفاته فيها. تولى إمامة الجامع الأعظم سنة ٧٥٠ هـ وقدم لخطابته سنة ٧٧٢ وللفتوى سنة ٧٧٣. من كتبه (المختصر الكبير - ط) في فقه المالكية، و (المختصر الشامل - خ) في التوحيد، و (مختصر الفرائض - خ) و (المبسوط) في الفقه سبعة مجلدات، قال فيه السخاوي: شديد الغموض، الأعلام للزركلي (٧/ ٤٣).
(٦) لسان العرب (١٢/ ٣٤٩) .

٥- والفرق بين الوثن والصنم: أن الأوثان كل ما عبد من غير صورة، مثل الحجر والشجر والقبر وما أشبه ذلك من المعبودات التي يطلب منها البركة ويطلب منها النفع ودفع الأذى وما أشبه ذلك، وهذه الأمور من خصائص الله جل وعلا، ولا يجوز طلبها من غيره.

والصنم: هو ما كان مصوراً على صورة آدمي، أو صورة حيوان،[١] .

رابعاً التَّمَاثِيلُ :

والتماثيل: جمع تمثال، وهو: ما كان على صورة إنسان، أو حيوان هذا هو الفرق بين الوثن والصنم، وقد يراد بالصنم الوثن، والعكس[٢] .

ولم تكن التماثيل المجسمة محرمة الاستعمال في الشرائع السابقة، وقد حرمها الإسلام لأن الإسلام أمعن في قطع دابر الإشراك لشدة تمكن الإشراك من نفوس العرب وغيرهم. وكان معظم الأصنام تماثيل فحرم الإسلام اتخاذها لذلك، ولم يكن تحريمها

لأجل اشتمالها على مفسدة في ذاتها ولكن لكونها كانت ذريعة للإشراك. واتفق الفقهاء على تحريم اتخاذ ما له ظل من تماثيل ذوات الروح إذا كانت مستكملة الأعضاء التي لا يعيش ذو الروح بدونها وعلى كراهة ما عدا ذلك مثل التماثيل المنصفة ومثل الصور التي على الجدران وعلى الأوراق والرقم في الثوب ولا ما يجلس عليه ويداس. وحكم صنعها يتبع اتخاذها. ووقعت الرخصة في اتخاذ صور تلعب بها البنات لفائدة اعتيادهن العمل بأمور البيت[٣] .

قال القرطبي:" ما ملخصه: والتماثيل جمع تمثال. وهو كل ما صور على مثل صورة حيوان أو غير حيوان. وقيل: كانت من زجاج ونحاس ورخام، تماثيل أشياء ليست بحيوان.

وذكر أنها صور الأنبياء والعلماء، وكانت تصور في المساجد ليراها الناس. فيزدادوا عبادة واجتهادا. وهذا يدل على أن ذلك كان مباحا في زمانهم، ونسخ ذلك بشرع محمد صلّى الله عليه وسلم[٤].

---

(١) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - للغنيمان (٦٣/ ٣).
(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٣٠٠).
(٣) التحرير والتنوير (٢٢/ ١٦٢).
(٤) التفسير الوسيط لطنطاوي (١١/ ٢٧٦).

قيل: يحتمل أن اتخاذ الصور كان مباحا في شريعتهم وهذا مما يجوز أن يختلف فيه الشرائع، لأنه ليس من الأمور القبيحة في العقل كالقتل والظلم والكذب، ونحوها مما يقبح في كل الشرائع[1] .

(١) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٤٤٤).

المبحث الثاني

عبدة الكواكب والنجوم

التعريف بالكواكب والنجوم:

الكوكب: النجم. يقال: كوكب وكوكبة. وكوكب الشيء: معظمُه. وكوكب الروضَة: نَوْرُها. وكوكب الحديد: بريقه وتوقُّده. وقد كَوْكَبَ[1] .

ومعنى النجوم: من **نجم** الشيء،ومعناه :

١- ظهر وطلع وبابه دخل يقال **نجم** السن والقرن والنبت إذا طلعت.

٢- والنجم الوقت المضروب ومنه سمي المنجم ويقال **نجم** المال تنجيما إذا أراده نجوماً.

٣- والنجم من النبات ما لم يكن على ساق قال تعالى﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾[الرحمن: ٦]

٤- والنجم الكوكب والنجم الثريا وهو اسم لها علم كزيد وعمرو فإذا قالوا طلع النجم يريدون الثريا[2]

٥- وقال أَهلُ اللُّغَةِ اسمُ النَّجْمِ يَجْمَعُ الكَوَاكِبَ كُلَّهَا .

قال ابنُ سِيدَه:" وقد خَصَّ" الثُّرَيَّا " فَصَارَ لَهَا عَلَمًا وهو من بَابِ الصَّعِقِ [3]

مَعْنَى السجود في الآية: ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾

١- وسجودهما بسجود ظلالهما ، قاله الضحاك[4].

وقال الفراء[5] : سجودهما أنهما يستقبلان الشمس إذاطلعت ثم يميلان معها حتى ينكسر الفيء

---

(١) الصحاح في اللغة (٢/ ١٢٠)

(٢) مختار الصحاح ج١/ص٢٧٠)

(٣) تاج العروس ج٣٣/ص٤٧٦)

(٤) الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، صاحب (التفسير) . كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه. وكان له أخوان: محمد، ومسلم، وكان يكون ببلخ وبسمرقند. قال غير واحد: وفاة الضحاك في سنة اثنتين ومائة. وقال أبو نعيم الملائي: توفي سنة خمس ومائة. وقال الحسين بن الوليد، والنيسابوري: توفي سنة ست ومائة. سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤/ ٥٩٨- ٦٠٠)

(٥) الفرَّاء(١٤٤ - ٢٠٧ هـ = ٧٦١ - ٨٢٢ م) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلميّ، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبوزكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابينه، فكان أكثر مقامه بها، فإذا جاء آخر السنة انصرف إلى الكوفة فأقام أربعين يوما في أهله يوزع عليهم ما جمعه ويبرهم. وتوفي في طريق مكة. وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها الأعلام للزركلي (٨/ ١٤٥)

٢- وقال الزجاج[١] : سجودهما دوران الظل معهما ،

كما قال تعالى:﴿ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ ﴾[النحل:٤٨]

٣- وقال الحسن[٢] ومجاهد[٣] : النجم نجم السماء ، وسجوده في قول مجاهد دوران ظله ، وهو اختيار الطبري .

وقيل : سجود النجم أفوله ، وسجود الشجر إمكان الاجتناء لثمرها ، حكاه الماوردي[٤].

وقيل : إن جميع ذلك مسخر لله ، فلا تعبدوا النجم كما عبد قوم من الصابئين النجوم[٥] .

اختلاف المفسرين في معنى قوله يسجدان :

قال ابن جرير: اختلف المفسرون في معنى قوله:﴿ يَسْجُدَانِ ﴾ بعد إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق، عن ابن عباس قال: النجم ما انبسط على وجه الأرض -يعني من النبات. وقد اختاره ابن جرير رحمه الله.

وقال مجاهد: النجم الذي في السماء.. وهذا القول هو الأظهر والله أعلم؛ لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ

---

(١) الزجاج الإمام، نحوي زمانه، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج، البغدادي، مصنف كتاب "معاني القرآن"، وله تآليف جمة. لزم المبرد، فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهما، فنصحه وعلمه، ثم أدب القاسم بن عبيد الله الوزير، فكان سبب غناه، ثم كان من ندماء المعتضد. مات سنة إحدى عشرة وثلاث مائة. وقيل: مات في تاسع عشر جمادى الآخرة، سنة عشرة. سير أعلام النبلاء ط الحديث (١١/ ٢٢٢)

(٢) الحسن البَصْري(٢١ - ١١٠ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٨ م) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة. وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة. وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه. وله مع الحجاج ابن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه. واستكتبه الربيع الأعلام للزركلي (٢/ ٢٢٦)

(٣) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي الأسود الإمام، شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي. ويقال: مولى عبد الله بن السائب روى عن: ابن عباس - فأكثر وأطاب - وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه. وروى: ابن إسحاق، عن أبان بن صالح، عن مجاهد، قال: عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أقفه عند كل آية، أسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت وقال حماد الخياط، وأبو عبيد، وجماعة: مات سنة ثلاث ومائة. وقال ابن المديني، وغيره: سنة أربع ومائة. وجاء عن ابن المديني: سنة ثمان ومائة سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤/ ٤٥٠- ٤٥٦) .

(٤)المَاورْدي (٣٦٤ - ٤٥٠ هـ = ٩٧٤ - ١٠٥٨ م) علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي: أقضى قضاة عصره. من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد. وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جُعل " أقضى القضاة " في أيام القائم بأمر الله العباسي. وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء، وربما توسط بينهم وبين الملوك وكبار الأمراء في ما يصلح به خللا أو يزيل خلافا. نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد. من كتبه " أدب الدنيا والدين - ط " و " الأحكام السلطانية - ط " والنكت والعيون - خ " ثلاث مجلدات كما في تذكرة النوادر ، في تفسر القرآن، الأعلام للزركلي (٤/ ٣٢٧).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٥٤)

﴿ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج: ١٨] [(١)].

يقول الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تر يا محمد بقلبك، فتعلم أن الله يسجد له من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من الخلق من الجنّ وغيرهم، والشمس والقمر والنجوم في السماء، والجبال، والشجر، والدوابّ في الأرض، وسجود ذلك ظلاله حين تطلع عليه الشمس، وحين تزول، إذا تحولّ ظلّ كل شيء فهو سجوده" .

وأما سجود الشمس والقمر والنجوم، فإنه كماروي الى أبي العالية الرياحي[(٢)] إذ يقول: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر، إلا يقع لله ساجدا حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين، وزاد محمد: حتى يرجع إلى مطلعه[(٣)] .

قال ابن كثيرفي قوله ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ ﴾ [الحج: ١٨]

يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها وسجود كل شيء مما يختص به، كما قال:﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴾[النحل: ٤٨]

وقوله: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ ﴾ إنما ذكر هذه على التنصيص؛ لأنها قد عُبدت من دون الله، فبين أنها تسجد لخالقها، وأنها مربوبة مسخرة﴿ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾[فصلت: ٣٧] [(٤)]

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٨٩)

(٢) أبو العالية الرّياحي : بكسر الراء بعدها تحتانية مثناة خفيفة، مولاهم اسمه رفيع، بفاء ثم مهملة مصغرا، ابن مهران.

أدرك الجاهلية، ويقال: إنه قدم في خلافة أبي بكر، ودخل عليه، فذكر البخاري في تاريخه، من طريق مسلم بن قتيبة، عن أبي خلدة، قال: سألت أبا العالية: هل رأيت النبيّ صلى اللَّه عليه وسلّم؟ قال: أسلمت في عامين من بعد موته. وأخرج الحاكم من طريق علي بن نصر الجهنيّ، عن أبي خلدة، قال: سألت أبا العالية: أدركت النبيّ صلى اللَّه عليه وسلّم؟ قال: لا، جئت بعده بسنتين أو ثلاثة. ورأيت في كتاب أوهام أبي نعيم في كتابه في الصحابة للحافظ عبد الغني المقدسي- أن أبا نعيم ذكر أبا العالية الرّياحي في الصحابة، وخلط في ترجمته شيئا من ترجمة أبي العالية البراء وقد أرسل أبو العالية عن كثير من الصحابة، منهم ابن مسعود، وأبو ذر، وحذيفة، وعلي. وروى عن أبي موسى، وأبي أيوب، وثوبان، ورافع بن خديج، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وغيرهم. الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٢٤٧)

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ٥٨٦)

(٤) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٠٣)

وفي الصحيح عن أبي ذر[1] – ﷺ–، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتدري أين تذهب هذه الشمس؟". قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: "فإنها تذهب فتسجد تحت العرش، ثم تستأ مر فيوشك أن يقال لها: ارجعي من حيث جئت"[2]

وفي حديث الكسوف "إن الشمس والقمر خَلْقان من خَلْق الله، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكن الله عز وجل إذا تَجَلى لشيء من خلقه خشع له"[3] .

يقول سيد قطب :"ويتدبر القلب هذا النص ، فإذا حشد من الخلائق مما يدرك الإنسان ومما لا يدرك وإذا حشد من الأفلاك والأجرام . مما يعلم الإنسان ومما لا يعلم . وإذا حشد من الجبال والشجر والدواب في هذه الأرض التي يعيش عليها الإنسان . إذا بتلك الحشود كلها في موكب خاشع تسجد كلها لله ، وتتجه إليه وحده دون سواه . تتجه إليه وحده في وحدة واتساق. إلا ذلك الإنسان فهو وحده الذي يتفرق﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ ﴾ فيبدو هذا الإنسان عجيباً في ذلك الموكب المتناسق وهنا يقرر أن من يحق عليه العذاب فقد حق عليه الهوان

﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج:١٨]

فلا كرامة إلا بإكرام الله ، ولا عزة إلا بعزة الله وقد ذل وهان من دان لغير الديان[4] .

---

(١)أبو ذر الغفاري اختلف فِي اسمه اختلافا كثيرا، فقيل: جندب بن جنادة، وهو أكثر وأصح ما قيل فِيهِ.
والمشهور جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صعير بن حرام بن غفار، وقيل: جندب بن جنادة بن سفيان بن عُبَيْد بن حرام بن غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة الغفاري، وأمه رملة بنت الوقيعة، من بني غفار أيضا. وَكَانَ أبو ذر من كبار الصحابة وفضلائهم، قديم الإسلام يقال: أسلم بعد أربعة وَكَانَ خامسا، ثُمَّ انصرف إلى بلاد قومه وأقام بِهَا، حَتَّى قدم عَلَى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة. وتوفي أَبُو ذر بالربذة سنة إحدى وثلاثين، أو اثنتين وثلاثين، وصلى عَلَيْهِ عبد الله بن مسعود، ثُمَّ مات بعده فِي ذَلِكَ العام. وقال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أبو ذر فِي أمتي عَلَى زهد عيسى ابن مريم ". وقال عَلِيّ: وعى أبو ذر علما عجز الناس عَنْهُ، ثُمَّ أوكي عَلَيْهِ فلم يخرج مِنْه شيئا. أسد الغابة ط العلمية (٦/ ٩٦)

(٢) مختصر صحيح مسلم للمنذري (٢/ ٥٦٨،برقم ٢١٣٨)

(٣) السنن الكبرى للنسائي (٢/ ٣٤٧،برقم١٨٨٥) مسند أحمد مخرجا (٣٠/ ٢٩٥،برقم١٨٣٥١) والمستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٤٨١،برقم ١٢٣٥) وصحيح ابن خزيمة ط ٣ (١/ ٦٨٥،برقم ١٤٠٢ المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ) حَققهُ وعَلّق عَلَيه وَخَرّجَ أحَاديثه وَقدَّم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م قال الشيخ الألباني : (ضعيف) انظر حديث رقم : ١٤٧٤ في ضعيف الجامع. الكتاب: ضعيف الجامع الصغير وزيادته المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ أشرف على طبعه: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: المجددة والمزيدة والمنقحة.

(٤) في ظلال القرآن (٤/ ٢٤١٤)

دلالة هذه الكواكب:

وأنت إذا تأملت أحوال هذه الكواكب وجدتها تدل على المعاد كما تدل على المبدأ وتدل على وجود الخالق وصفات كماله وربوبيته وحكمته ووحدانيته أعظم دلالة وكل ما دل على صفات جلاله ونعوت كما له دل على صدق رسله فكما جعل الله النجوم هداية في طريق البر والبحر فهي هداية في طرق العلم بالخالق سبحانه وقدرته وعلمه وحكمته والمبدأ والمعاد والنبوة ودلالتها على هذه المطالب لا تقتصر عن دلالتها على طرق البر والبحر بل دلالتها للعقول على ذلك أظهر من دلالتها على الطرق الحسية فهي هداية في هذاوهذا[1] .

الحكمة من خلق النجوم:

خلق الله النجوم لحكمة سامية، أرشدنا الله تعالى إليها، ووردت هذه الحكم مجموعة فيما رواه البخاري تعليقاً أن قتادة قال: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الملك: ٥]، خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف مالا علم له به[2] .

وسل الجاريات يسرا من الكواكب والشمس والقمر : من الذي خلقها وأحسن خلقها ورفع مكانها وزين بها قبة العالم وفاوت بين أشكالها ومقاديرها وألوانها

وحركاتها وأماكنها من السماء فمنها الكبير ومنها الصغير والمتوسط والأبيض والأحمر والزجاجي اللون والدري اللون والمتوسط [3] .

وإن أناسا جهلة بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة: من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا. ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والقصير والطويل والحسن والدميم، وما علم هذا النجم

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ١٨٨)
(٢) الروايات التفسيرية في فتح الباري (٣/ ١٢٣٨)
(٣) التبيان في أقسام القرآن (ص: ١٧٤)

وهذه الدَّابَّةِ وَهَذَا الطَّيْرِ بِشَيْءٍ مِنَ الغيب، وقضى الله تعالى أنه ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾[النمل: ٦٥] (١) .

عبدة الكواكب (الشمس والقمر):

من علامات وحدانيته وقدرته قوله تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣]

كل هذا من آيات الله ﴿لاَ تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ ﴾لا تعبدوا الشمس ﴿وَلاَ لِلْقَمَرِ ﴾ ولا القمر ﴿ واسجدوا لِلَّهِ ﴾ واعبدوا الله ﴿الذي خَلَقَهُنَّ﴾ يعني خلق الشمس والقمر والليل و النهار ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ إن كنتم تريدون عبادة الله فلا تعبدوا الشمس والقمر ولكن اعبدوا الله الذي خلقهما ويقال إن كنتم تريدون بعبادة الشمس والقمر عبادة الله فلا تعبدوهما فإن عبادة الله في ترك عبادتهما(٢)

وقال الزجاج: إن الله تعالى خلق الأنعام لتركب وتؤكل، فحرموها على أنفسهم وجعل الشمس والقمر والحجارة مسخرة للناس، فجعلوها آلهة يعبدونها، فقدغيروا ما خلق الله(٣).

وقد جاء في الحديث أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت »(٤)

قال ابن القيم –رحمه الله–: " وهؤلاء المشركون يعظمون الشمس والقمر والكواكب تعظيما يسجدون لها، ويتذللون لها، ويسبحونها تسابيح لها معروفة في كتبهم، ودعوات لا ينبغي أن يدعى بها إلا خالقها وفاطرها وحده (٥).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم قال ابن كثير: وهوكلام جليل متين صحيح ،مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٦٨٠) المؤلف: محمد علي الصابوني (اختصار وتحقيق) الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص: ٤٠٣) ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (المتوفى: ٦٨هـ) جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان

(٣) تفسير القرطبي (٥/ ٣٩٤)و أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٣١٠)

(٤) "متفق عليه" صحيح البخاري "بَابُ الصِّرَاطُ جَسْرُ جَهَنَّمَ "(٩/ ١٢٨،برقم ٧٤٣٧) وصحيح مسلم "باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٣،برقم ٢٩٩)

(٥) الآيات الكونية دراسة عقدية (ص: ٢٦٩) رسالة: مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض إعداد: عبد المجيد بن محمد الوعلان إشراف: عبد الكريم بن محمد الحميدي، الأستاذ المشارك العام الجامعي: ١٤٣٢ هـ / ١٤٣٣ هـ

١ –عبدة الكواكب من قوم إبراهيم:

قوم إبراهيم هم الكشدانيون الذين كانوا يعبدون الكواكب في قديم الزمان، ويزعمون أنها المدبرة لهذا العالم السفلي .

ونشأت عبادة الكواكب عندهم من التعلق بالملائكة، واعتقاد أنهم وسطاء بين الله وبين خلقه، وأنهم موكلون بتصريف هذا العالم، ثم تنبهوا إلى أن الأفلاك والكواكب أقرب الأجسام المرئية إلى الله تعالى، وأنها أحياء ناطقة مدبرة للعالم وأنها بالنسبة للملائكة كالروح للجسد، فهي الهياكل، والملائكة الأرواح، وأنها متصفة بصفات مخصوصة. ولوجود هذه الصفات استحقت أن تكون آلهة تعبد(١) .

اتخاذهم الكواكب أربابا من دون الله:

فإن إبراهيم عليه السلام سلك هذه السبيل لأن قومه كانوا يتخذون الكواكب أربابا يدعونها ويسألونها ولم يكونوا هم ولا أحد من العقلاء يعتقد أن كواكباً من الكواكب خلق السموات والأرض وإنما كانوا يدعونها من دون الله على مذهب هؤلاء المشركين ولهذا قال الخليل عليه السلام أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين

وقال الخليل أيضا إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين والخليل صلوات الله عليه أنكر شركهم بعبادة الكواكب العلوية وشركهم بعبادة الأوثان التي هي تماثيل وطلاسم لتلك الكواكب أو هي تماثيل لمن مات من الأنبياء والصالحين وغيرهم وكسر الأصنام كما قال تعالى عنه فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون(٢) .

والمقصود هنا أن الشرك بعبادة الكواكب وقع كثيرا وكذلك الشرك بالمقبورين من دعائهم والتضرع إليهم والرغبة إليهم ونحو ذلك

وهكذا كان أهل حران يعبدون الكواكب والأصنام وكل من كان على وجه الأرض كانوا كفارا، سوى إبراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط عليهم السلام.

---

(١) التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام (ص: ٤٧).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٣٠٣- ٣٠٤) المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

وكان الخليل عليه السلام هو الذي أزال الله به تلك الشرور، وأبطل به ذاك الضلال ؛ فإن الله سبحانه وتعالى آتاه رشده في صغره، وابتعثه رسولا واتخذه خليلا في كبره، قال الله تعالى: " ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥١] [١] .

٢-قبيلة سبأ وعبادتهم للشمس من دون الله:

فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل: ٢٤]

وهذا إخبار من الله من قبيلة سبأ بأنهم لا يعرفون سبيل الحق الذي هو إخلاص السجودلله وحده، دون ما خلق من الكواكب وغيرها، لذلك اتجهوا إلى عبادة الشمس والسجود لها من دون الله [٢] .

وكان يعتقد هؤلاء أن جميع الموجودات السفلية صادرة من الشمس، لذلك فهي تستحق التعظيم والعبادة، فكانوا يسجدون لها إذا طلعت وإذا غربت، وإذا توسطت الفلك، ولهذا يقارنها الشيطان في هذه الأوقات لتقع عبادتهم وسجودهم له، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تحري الصلاة في هذه الأوقات، قطعاً لمشابهة الكفار، وسدًّا لذريعة الشرك .

فقال: "إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب، ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، فإنها تطلع بين قرني شيطان"[٣] .

قال علماء التاريخ: وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم، كان فيه ثلاثمائة وستون طاقة من شرقه ومثلها من غربه ، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة، وتغرب من مقابلتها، فيسجدون لها صباحًا ومساءً؛[٤] .

كانت أمة بلقيس ممن يعبد الشمس لأنهم كانوا زنادقة فيما يروى، وقيل: كانوا مجوسا يعبدون الأنوار، وقد زين لهم الشيطان أعمالهم أي ما هم فيه من الكفر،

---

(١) قصص الأنبياء (١/ ١٦٩) قصص الانبياء للامام أبى الفداء إسماعيل بن كثير ٧٠١ - ٧٧٤ ه تحقيق مصطفى عبد الواحد دار الكتب الحديثة ١٤ شارع الجمهورية بعابدين ت: ٩١٦١٠٧ الطبعة الاولى ١٣٨٨ ه - ١٩٦٨ م.
(٢) انظر: "تفسير ابن كثير": (٣٦١/٣).
(٣) صحيح البخاري بَابُ صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ (٤/ ١٢١) ٣٢٧٢ -٣٢٧٣ صحيح مسلم باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها (١/ ٥٦٧.برقم٢٩٠)
(٤) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ١٨٧)

وصدهم عن طريق التوحيد، فهم لا يهتدون إلى الله وتوحيده، وزين لهم ألا يسجدوا لله، أو فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله [1] .

الإنكاروالصدعن عبادة الشمس:

قال الطبري :وقوله:﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾[النمل: ٤٣] يقول: إن هذه المرأة كانت كافرة من قوم كافرين. وكسرت الألف من قوله "إنها"على الابتداء. ومن تأول قوله:﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ التأويل الذي تأولنا، كانت "ما"من قوله ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ﴾ في موضع رفع بالصد، لأن المعنى فيه لم يصدها عن عبادة الله جهلها، وأنها لا تعقل، إنما صدها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر، وكان ذلك من دين قومها وآبائها، فاتبعت عبادة الله في ترك عبادتهما[2] .

قال ابن الجوزي: قوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله قال الفراء معنى الكلام هي عاقلة إنما صدها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر وكان عادة من دين آبائها والمعنى وصدها أن تعبد الله ما كانت تعبد قال وقد قيل صدها سليمان أي منعها ما كانت تعبد قال الزجاج المعنى صدها عن الإيمان العادة التي كانت عليها لأنها نشأت ولم تعرف إلا قوما يعبدون الشمس وبين عبادتها بقوله إنها كانت من قوم كافرين[3] .

قال القرطبي :قوله تعالى : ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ الوقف على ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حسن ؛ والمعنى : منعها من أن تعبد الله ما كانت تعبد من الشمس والقمر فـ {مَا} في موضع رفع. النحاس : المعنى ؛ أي صدها عبادتها من دون الله وعبادتها إياها عن أن تعلم ما علمناه عن أن تسلم. ويجوز أن يكون {مَا} في موضع نصب ، ويكون التقدير : وصدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله ؛ أي حال بينها وبينه. ويجوز أن يكون المعنى : وصدها الله ؛ أي منعها الله عن عبادتها غيره فحذفت {عن} وتعدى الفعل[4] .

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (١٩/ ٢٨٨) المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر : دار الفكر المعاصر ـ دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٩/ ٤٧٢).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٣٦٤- ٣٦٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٠٨).

٣- عبادة الكواكب عند العرب:

وقد تعبد العرب للشمس في مواضع مختلفة في جزيرة العرب، وترجح عبادتها إلى ما قبل الميلاد، وفي زمن لا نستطيع تحديده؛ لعدم وجود نصوص لدينا يمكن أن تكشف لنا عن وقت ظهور عبادة الشمس عند العرب؛ وعبدها أقوام آخرون من غير العرب من الساميين، مثل البابليين، والكنعانيين والعبرانيين؛

وذكر القرطبي: أن أول من عبد "الشعرى": "أبو كبشة"؛ ولذلك كان: مشركو قريش يسمون النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي كبشة حين دعا إلى الله تعالى وخالف أديانهم، وقالوا: ما لقينا من ابن أبي كبشة، وكان الحارث -وهو غبشان ابن عمرو بن ملكان- ويكنى أبا كبشة ممن يعبد الشعرى.

والشعرى: هي المقصودة في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ [النجم : ٤٩] وكان ناس في الجاهلية يعبدون هذا النجم الذي يقال له: الشعرى" وهو: النجم الوقاد الذي يتبع "الجوزاء" ويقال له: "المرزم" وقد كان من لا يعبد "الشعرى" من العرب: يعظمها، ويعتقد تأثيرها في العالم .

ويذكرون أن بعض "طيئ" عبدوا "الثريا" وبعض قبائل ربيعة عبدوا "المرزم" وأن كنانة: عبدت "القمر".

ويتبين من بعض الأعلام المركبة مثل: "عبد الثريا" و"عبد نجم" أن "الثريا" و"نجما" صنمان معبودان في الجاهلية.

وقد ذهب بعض المفسرين: إلى أن النجم المذكور في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ "الثريا" والعرب تسمي "الثريا" نجما، وقال بعض آخر: إن النجم هنا: الزهرة؛ لأن قوما من العرب كانا يعبدونها وعبد بعض الجاهليين "المريخ" واتخذوه إلها، كما عبد غيرهم "سهيلا" وعطارد، والأسد، وزحل". وقد ذكر أهل الأخبار: أن أهل الجاهلية يجعلون فعلا للكواكب حادثا عنه، فكانوا يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وكانوا يجعلون لها أثرا في الزرع، وفي الإنسان.

فأبطل ذلك الإسلام، وجعله من أمور الجاهلية جاء في الحديث: "ثلاث من أمور الجاهلية: الطعن في الأنساب، والنياحة، والاستسقاء بالأنواء"[١] .

اعتقاد التأثير في الأنواء، إشراك بالله:

عن زيد بن خالد الجهني[٢]، قال: «صلى بنا رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: " هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر بي، فأما من قال: مطرنا بفضل اللَّه ورحمته، فذلك مؤمن بي، وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء[٣] كذا، فذلك كافر بي، ومؤمن بالكواكب»

ومغزى الحديث أن من اعتقد للنجوم تأثيرا في العالم، وما يحدث فيه من الحوادث، كان عند اللَّه ممن كفر به، وعبد النجوم، ومن عزا كل ما يحدث في العالم من خير وشر، ومن حوادث وأمور إلى اللَّه وحده كان عند اللَّه من عباده المقبولين، الذين تبرأوا من عبادة النجوم والكواكب.

وقد دل الحديث على أن الإيمان بأن من الساعات ما تأتي بالسعد ومنها ما يأتي بالنحس، وسؤال المنجمين عن ساعة سعد ونحس، والاعتماد على ما يخبرون به، من الشرك، فإن لها صلة بالنجوم، والإيمان بالنجوم وتأثيرها من خصائص عبادته.[٤]

قال الخطابي :"فأما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والحس الذي يعرف به الزوال ويعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهي عنه. وذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيئاً

---

(١) تاريخ الفكر الديني الجاهلي (ص: ٢٦٦- ٢٦٨) المؤلف: محمد إبراهيم الفيومي (المتوفى: ١٤٢٧هـ) الناشر: دار الفكر العربي الطبعة: الرابعة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

(٢) زيد بن خالد الجهنيّ اختلف في كنيته وفي وقت وفاته وسنه اختلافا كثيرا، فقيل: يكنى أبا عبد الرحمن. وقيل: أبا طلحة. وقيل: أبا زرعة، كان صاحب لواء جهينة يوم الفتح. توفي بالمدينة سنة ثمان وستين وهو ابن خمس وثمانين. وقيل: بل مات بمصر سنة خمسين. وهو ابن ثمان وسبعين سنة، وقيل: توفي بالكوفة في آخر خلافة معاوية، وقيل: إن زيد بن خالد توفي سنة ثمان وسبعين، وهو ابن خمس وثمانين سنة. وقيل: سنة اثنتين وسبعين، وهو ابن ثمانين سنة الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٥٤٩)

(٣) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد (٢/ ٣٢٨).

النوء: واحد الأنواء من المنازل، وهي الكواكب الثمانية والعشرون التي هي منازل القمر، كانوا يزعمون أن القمر إذا نزل بعض تلك الكواكب مطروا، فأبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم، وجعل سقوط المطر من فعله سبحانه دون فعل غيره، وقيل: النوء سقوط نجم من المنازل يقال: [ناء] النجم ينوء إذا سقط وغاب، وقيل: ناء إذا ظهر وطلع. انظر:"غريب الحديث"لابن الجوزي: (٢ / ٤٣٩- ٤٤٠) ، و"فتح الباري": (٢ / ٥٢٤).

(٤) رسالة التوحيد المسمى بـ تقوية الإيمان (ص: ١٥٣- ١٥٤) المؤلف: إسماعيل بن عبد الغني بن وَلي الله بن عبد الرحيم العُمري الدهلوي (المتوفى: ١٢٤٦هـ) نقلها للعربية وقدم لها: أبو الحسن علي الحسني الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ) اعتنى بها: سيد عبد الماجد الغوري الناشر: دار وحي القلم - دمشق، سورية الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.

بأكثر من أن الظل ما دام متناقصاً فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي، وهذا علم يصح دركه من جهة المشاهدة، إلاّ أن أهل هذه الصناعة قد دبروه بما اتخذوا له من الالة التي يستغنى الناظر فيها عن مراعاة مدته ومرا صدته[1].

(١) معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود(٤/ ٢٣٠) المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) الناشر: المطبعة العلمية - حلب الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.

المبحث الثالث

عبدة الجن والشياطين

تعريف الجن والشياطين:

أ- أصل الجن

قال الراغب[(١)]: "أصل الجن الستر عن الحاسة فلما جن عليه الليل رأى كوكبا وقيل جنه سترة أو جنه جعل له ما يجنه كقولك قبرته وأقبرته وسقيته وأسقيته"[(٢)] .

"جنن": جَنَّ الشيءَ يَجُنُّه جَنّاً سَتَرَه وكلُّ شيء سُتر عنك فقد جُنَّ عنك وجَنَّه الليلُ يَجُنُّه جَنّاً وجُنوناً وجَنَّ عليه يَجُنُّ بالضم جُنوناً وأَجَنَّه سَتَرَه... وفي الحديث "جَنَّ عليه الليلُ"[(٣)] :أَي سترَه وبه سمي الجِنُّ لاسْتِتارِهم واخْتِفائهم عن الأبصار ومنه سمي الجَنينُ لاسْتِتارِه في بطنِ أُمِّه وجِنُّ الليل وجُنونُه وجَنانُه شدَّةُ ظُلْمتِه وادْلِهْمامُه وقيل اختلاطُ ظلامِه لأَن ذلك كلَّه ساترٌ سترعنك فقد جن[(٤)]

ب-الشيطان في اللغة:

"الشَطَنُ": الحبْل. قال الخليل: هو الحبْل الطويل، والجمع الأشْطانُ. وشَطَنْتُهُ أَشْطُنُهُ، إذا شددتَه بالشَطَنِ، وشَطَنَ عنه: بَعُدَ. وأَشْطَنَهُ: أبعدَه. ابن السكيت: شَطَنَهُ يَشْطُنُهُ شَطْناً، إذا خالفه عن نيَّة وجهه. وكلُّ عاتٍ من الإنس والجنّ والدوابّ شَيْطان[(٥)]

"الشيطان" : روح شرير مغو وكل متمرد مفسد والحية الخبيثة ويقال في تقبيح الشيء كأنه وجه شيطان أو رأس شيطان وفي التنزيل العزيز طلعها كانه رؤوس الشياطين [الصافات: ٦٥][(٦)].

---

(١) الرَّاغِب الأَصْفَهَاني(٠٠٠ - ٥٠٢ هـ = ٠٠٠ - ١١٠٨ م) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. من كتبه (محاضرات الأدباء - ط) مجلدان، و (الذريعة إلى مكارم الشريعة - ط) و (الأخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب) و (جامع التفاسير) كبير، طبعت مقدمته، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، و (المفردات في غريب القرآن - ط) و (تحقيق البيان - خ) في اللغة والحكمة، وكتاب في (الاعتقاد - خ) و (أفانين البلاغة) (١) الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٥)

(٢) تاج العروس (ص:٧٩٩٥)

(٣) المعجم الكبير للطبراني (١٣/ ٩٢) ٢٣٠ المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٦٣٤) ٦٣٣٩ المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠

(٤) لسان العرب (١٣/ ٩٢)

(٥) الصحاح في اللغة (١/ ٣٥٧)

(٦) المعجم الوسيط (١/ ٤٨٣)

أصل الشيطان:

وقد نازع في هذه المسألة بعض المتقدمين والمتأخرين ، وحجتهم في ذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف :٥٠]

إختلفوافي الاستثناء هل هو متصل اومنفصل، وقد نقلت لنا كتب التفسير والتاريخ أقوال عدد من العلماء ، يذكرون أن إبليس كان من الملائكة ، وأنه كان خازناً للجنة ، أو للسماء الدنيا ، وأنه كان من أشرف الملائكة ، .... إلى آخر تلك الأقوال(١)

القائلون بأن إبليس من الملائكة :

قال الإمام الطبري :وكان ابن عباس يقول: لو لم يكن من الملائكة لم يُؤمر بالسجود، وكان على خِزانة سماء الدنيا (٢).

قا ل الإمام القرطبي :قوله: ﴿إلا إبليس﴾ نصب على الاستثناء المتصل، لأنه كان من الملائكة على قول الجمهور: ورجحه الطبري، وهو ظاهر الآية.

وعن قتادة(٣): أنه كان من أفضل صنف من الملائكة يقال لهم الجنة. وقال سعيد بن جبير: إن الجن سبط من الملائكة خلقوا من نار وإبليس منهم، وخلق سائر الملائكة من نور(٤) .

القائلون بأنه ليس من الملائكة:

وممن جزم بأنه ليس من الملائكة في الأصل لظاهر هذه الآية الكريمة: الحسن البصري، وقصره الزمخشري في تفسيره(٥).

---

(١) عالم الجن والشياطين (ص: ١٧)

(٢) تفسير الطبري (١/ ٥٠٥).

(٣) أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث ابن سدوس، السدوسي البصري الأكمه، كان تابعيا وعالما كبيرا، قال أبو عبيدة: ما كنا نفقد في كل يوم راكبا من ناحية بني أمية ينيخ على باب قتادة فيسأله عن خبر أو نسب أو شعر، وكان قتادة أجمع الناس. وقال معمر: سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله تعالى: (وما كنا له مقرنين) ، فلم يجبني، فقلت: إني سمعت قتادة يقول: مطيقين، فسكت، فقلت له: ما تقول يا أبا عمرو فقال: حسبك قتادة، فلولا كلامه في القدر - وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا ذكر القدر فأمسكوا وكانت ولادته سنة ستين للهجرة. وتوفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط وفيات الأعيان (٤/ ٨٥). المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٧١م.

(٤) تفسير القرطبي (١/ ٢٩٤).

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢٩١).

وعن الحسن قال: قاتل الله أقواماً زعموا أن إبليس كان من الملائكة والله يقول كان من الجن وعنه قال:

"ما كان من الملائكة طرفة عين"[١]

حجة من قال إنه ليس من الملائكة:

وأصل ما يدل على أنه ليس من الملائكة أنه تعالى أثبت له ذرية ونسلاً في هذه الآية وهو قوله﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴾[الكهف: ٥٠] والملائكة ليس لهم ذرية ولا نسل فوجب أن لا يكون إبليس من الملائكة[٢]

واحتج بعض أصحاب هذا القول بأن الله جل وعز وصف الملائكة فقال : ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]، وقوله تعالى :﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ ﴾الكهف ٥٠ والجن غير الملائكة[٣].

وحجة من قال إنه ليس منهم أمران :

أحدهما : عصمة الملائكة من ارتكاب الكفر الذى ارتكبه إبليس ، فهم – كما قال الله عنهم : ﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٧] .

والثانى : أن الله – تعالى – صرح فى هذه الآية الكريمة بأنه كان من الجن ، والجن غير الملائكة قالوا : وهو نص قرآني فى محل النزاع[٤]

حجة من قال إنه من الملائكة:

أجاب أهل المقالة الأولى بأنه لا يمتنع أن يخرج إبليس من جملة الملائكة لما سبق في علم الله بشقائه عدلا منه ،[٥]

بما تكرر واحتج من قال بأنه منهم :

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن (٨/ ٦٦).

(٢) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢١/ ٤٧٢) المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٩٤).

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢٩٠).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٩٤) .

بما تكرر فى الآيات القرآنية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [ص: ٧٣] .
وكذلك أن الله استثنى إبليس من جملة الملائكة فالاستثناء متصل وليس منفصل(١) .

الروايات في المسالة:

عرض الحافظ ابن كثير الروايات في ذلك قال: "وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف إشارة إلى الروايات عن ابن عباس أن إبليس من الملائكة الذين خلقوا من نار واسمهم الجن – وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها والله أعلم (٢)

وما احتجوا به من أن الله استثنى إبليس من الملائكة ... ليس دليلا قاطعا ، لاحتمال أن يكون الاستثناء منقطعا ، بل هو كذلك حقا ، للنص على أنه من الجن في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف :٥٠] (٣)
وقد ثبت لدينا بالنص الصحيح أن الجن غير الملائكة والإنس ، فقد أخبر المصطفى –ﷺ– : «أن الملائكة خلقوا من نور ، وأن الجن خلقوا من مارج من نار ، وأن آدم خلق من طين »(٤)

التحقيق والجمع في المسألة:

والذي حققه ابن تيمية: أنه كان منهم باعتبار صورته وليس منهم باعتبار أصله ولا باعتبار مثاله ولم يخرج من السجود لآدم أحد من الملائكة لا جبرائيل و ولا ميكائيل ولا غيرهما(٥)

وقد حاول ابن القيم أن يجمع بين الرأيين فقال : والصواب التفصيل في هذه المسألة ، وأن القولين في الحقيقة قول واحد ، فإن إبليس كان من الملائكة بصورته وليس منهم بمادته

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٨/ ٥٣٤).
(٢) تفسير البغوي (٥/ ١٧٨) معالم التنزيل المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ] المحقق : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م
(٣) عالم الجن والشياطين (ص: ١٨)
(٤) مختصر صحيح مسلم للمنذري ت الألباني (٢/ ٥٧٨،برقم ٢١٦٩)" باب: قوله تعالى:"وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَار" عن عائشة قالت قال رسول الله -ﷺ- « خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم»
(٥) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٤٦)

وأصله . كان من نار وأصل الملائكة من نور ، فالنافي كونه من الملائكة . والمثبت لم يتواردا على محل واحد[1] .

يقول الشيخ الشنقيطي : "وما يذكره المفسرون عن جماعة من السلف كابن عباس وغيره: من أنه كان من أشراف الملائكة، ومن خزان الجنة، وأنه كان يدبر أمر السماء الدنيا، وأنه كان اسمه عزازيل كله من الإسرائيليات التي لا معول عليها"[2] .

(وأظهر الحجج في المسألة، حجة من قال: إنه غير ملك؛ لأن قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ ﴾ ، وهو أظهر شيء في الموضوع.ويدعمه أيضاً ماقاله الإمام ابن كثير رحمه الله ومن الأدلة في السنة مايدل أنه خلقاً آخر غير الملائكة "وأن الملائكة خلقوا من نور ، وأن الجن خلقوا من مارج من نار ، وأن آدم خلق من طين" .

المراد بعبادة الشيطان:

ولقد صد الشيطان منكم خلقًا كثيرا عن طاعتي، وإفرادي بالألوهة حتى عبدوه، واتخذوا من دوني آلهة يعبدونها. قال تعالى ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ ﴾[يس: ٦٠ – ٦١]

والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل ، وجوز أن يراد بها عبادة غير الله تعالى من الآلهة الباطل وإضافتها إلى الشيطان لأنه الآمربها والمزين لها فالتجوزفي النسبة[3].

ألم أعهد إليكم في ترك عبادة الشيطان والمراد بعبادة الشيطان عبادة غير الله لأن الشيطان لا يعبده أحد ولم يرد عن أحد أنه عبد الشيطان إلا أنه عبر عن عبادة غير الله بعبادة الشيطان

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل (١/ ٢٩١) المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢٩١)

(٣) التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٨/ ٣٧٩) مؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م)

لوقوعها بأمر الشيطان وتزيينه والانقياد فيما سوّله ودعا إليه بوسوسته فسمي إطاعة الشيطان والانقياد له عبادة له تشبيهاً لها بالعبادة من حيث أن كل واحد منهما ينبئ عن التعظيم والإجلال ولزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته تعالى. قال ابن عباس رضي الله عنهما : من أطاع شيئاً عبده دل عليه ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] [(١)].

كل عبودية لغير الله كبرت أم صغرت هي في نهايتها عبادة للشيطان:﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [يس:٦١] وهذا هو المؤدى الأخير مهما تنوعت الأساليب وتعددت السبل. يشمل ذلك العرب الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ [النساء: ١١٧] .

"لقد تغيرت ولا شك بعض مظاهر العبادة، فلم يعد هناك تلك الإناث التي كان العرب في شركهم يعبدونها، ولكن عبادة الشيطان ذاتها لم تتغير، وحلت محل الإناث القديمة أوثان أخرى، الدولة والزعيم والمذهب والحزب والعلم والتقدم والإنتاج والحضارة والتطور والمجتمع والوطن والقومية والإنسانية والعقلانية والمودة والجنس والحرية الشخصية"[(٢)] .

يئس الشيطان ان يعبد:

قول النبي عليه الصلاة والسلام : « إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم »[(٣)] .

فإن قال قائل: إن النبي صلى الله عليه وسلم – قد خطب الناس بعرفة، وقال: "إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب" ، فكيف تقع عبادته.) فالجواب: أن إخبار النبي – صلى الله عليه وسلم – بيأسه لا يدل على عدم الوقوع، بل يجوز أن يقع، على خلاف ما توقعه الشيطان، لأن الشيطان لما حصلت الفتوحات، وقوي الإسلام، ودخل الناس في دين الله

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢٤/ ٧٩) المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

(٢) مجلة البيان (٩/ ٩)

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٢٢/ ٢٦٥،برقم ١٤٣٦٦) ، ومسلم (٢١٦٦/٤ ، برقم ٢٨١٢) وسنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٣٣٠،برقم ١٩٣٧) عن جابر بن عبد الله .

أفواجاً، يئس أن يعبد سوى الله في هذه الجزيرة ولكن حكمة الله تأبى إلا أن يكون ذلك، وهذا نقوله ولا بد، لئلا يقال: إن جميع الأفعال التي تقع في الجزيرة العربية لا يمكن أن تكون شركاً[(١)] .

قال ابن رجب على الحديث: المراد أنه يئس أن تجتمع الأمة كلها على الشرك الأكبر.

وأشار ابن كثير إلى هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ ﴾ [المائدة: ٣] قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني يئسوا أن تراجعوا دينهم [(٢)].

فأشار إلى أن معنى الحديث يوافق لمعنى الآية، وإن معنى الحديث أنه يئس أن يرجع المسلمون عن دينهم إلى الكفر.

قال غير واحد من المفسرين: "إن المشركين كانوا يطمعون في عودة المسلمين إلى دينهم. فلما قوي الإسلام وانتشر يئسوا من رجوعهم عن الإسلام إلى الكفر، وهذا معنى إياس الشيطان لما رأى من ظهور الإسلام وانتشاره وتمكنه من القلوب ورسوخه فيها، وعلى هذا فلا يدل الحديث: أن الشيطان يئس من وجود شرك في جزيرة العرب أبد الآبدين.[(٣)].

ثم إن في قوله : " أيس أن يعبده المصلون " إشارة إلى أن أهل الصلاة ، هم الذين لا تتأتى منهم عبادة الشيطان،لأن المصلين لا شك أنهم آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر؛ ومن أقام الصلاة فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وأعظم المنكر الذي سينكره المصلي ،

هو : الشرك بالله –جل وعلا– فيكون الشيطان بذلك قد يأس أن يعبده من أقام الصلاة على حقيقتها كما أراد الله –جل وعلا[(٤)] .

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢١٠) المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ .

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ٢٥).

(٣) دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث (ص: ٣٥) لمؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سلطان بن خميس الملقب بـ"أبابطين" (المتوفى: ١٢٨٢هـ) المحقق: عبد السلام بن برجس بن ناصر العبد الكريم الناشر: دار العاصمة الطبعة: الثانية ، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٦ م.

(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١: ٢٨٢) المؤلف: دروس ألقاها صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم طُبعت الناشر: دار التوحيد الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

المبحث الرابع

عبدة الملائكة

تعريف الملائكة :

أ- الملائكة لغة:

المَلَكُ واحد الملائكة إنما هو تخفيف المَلأَك واجتمعوا على حذف همزه وهو مَفْعَلٌ من الأَلُوكِ وقد ذكرناه في المعتل والمَلَكُ من الملائكة واحد وجمع قال الكسائي:" أَصله مَأْلَكٌ بتقديم الهمزة من الأَلُوكِ وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل مَلأَكٌ"[(١)].

و " الملائِكَةُ " مشتقة من لفظ "

١- الأَلُوكِ " وقيل من " المَأْلَك " الواحد " مَلَكٌ " وأصله " مَلأْكٌ " ووزنه مَعْفَلٌ

فنقلت حركة الهمزة إلى اللام وسقطت فوزنه معل فإنَّ الفاء هي الهمزة وقد سقطت

٢-وقيل مأخوذ من " لَأَكَ " إذا أرسل " فَمَلْأَك" مفعل فنقلت الحركة وسقطت الهمزة وهي عين فوزنه مَفَلٌ وقيل فيه غير ذلك[(٢)] .

ب -الملائكة في الاصطلاح:

وهم خلق من مخلوقات الله ، لهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة ، ولهم قوى عظيمة ، وقدرة كبيرة على التنقل ، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله ، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره ، فلا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون[(٣)] .

إعتقادات المشركين في الملائكة:

الإيمان بالملائكة الذين هم عباد الله المكرمون والسفرة بينه تعالى وبين رسله عليهم الصلاة والسلام الكرام خلقا والكرام على الله تعالى البررة الطاهرين ذاتا صفة وأفعالا المطيعين لله عز و جل وهم عباد من عباد الله عز و جل خلقهم الله تعالى من النور لعبادته ليسوا بناتاً

---

(١) لسان العرب (١٠/ ٤٩١).
(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ١٩).
(٣) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٩٩)

لله عز و جل ولا أولاداً ولا شركاء معه ولا أندادا تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علوا كبيرا قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٧] [١].

١- دعواهم أن الملائكة بنات الله:

حيث قالوا الملائكة بنات الله لأن الولد جزء من الوالد والملائكة من عباده تعالى[٢] .

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴾[الزخرف: ١٥] ، أي نصيبا وبعضا وهو قولهم: الملائكة بنات الله[٣].

فالملائكة عباد الله ، ونسبة بنوتهم له معناها عزلهم من صفة العبودية ، وتخصيصهم بقرابة خاصة بالله؛ وهم عباد كسائر العباد ، لا مقتضى لتخصيصهم بصفة غير صفة العبودية في علاقتهم بربهم وخالقهم . وكل خلق الله عباد له خالصو العبودية . وادعاء الإنسان هذا الادعاء يدمغه بالكفر الذي لا شبهة فيه : ﴿ إن الإنسان لكفور مبين ﴾ .

ثم يحاجهم بمنطقهم وعرفهم ، ويسخر من سخف دعواهم أن الملائكة إناث ثم نسبتهم إلى الله[٤].

وقوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾[الزخرف: ١٩] أي حيث قالوا الملائكة بنات الله وعبدوهم لذلك طلباً لشفاعتهم والانتفاع بعبادتهم. قال تعالى موبخاً لهم مقيما الحجة على كذبهم: أشهدوا خلقهم أي أحضروا خلقهم عندما كان الله يخلقهم، والجواب لا، ومن أين لهم ذلك وهم ما زالوا لم يخلقوا بعد ولا آباؤهم بل ولا آدم أصلهم عليه السلام[٥] .

---

(١) معارج القبول (٢/ ٦٥٦)
(٢) تفسير الجلالين (ص: ٦٤٨) المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الحديث – القاهرة الطبعة: الأولى
(٣) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل (٧/ ٧٨) المؤلف: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ
(٤) في ظلال القرآن (٥/ ٣١٨١)
(٥) أيسر التفاسير للجزائري (٤/ ٦٣٣)

﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٠]

قال ابن عاشور: تفريع على مقدر يدل على تقديره المفرع عليه . والتقدير : أفضلكم الله فأعطاكم البنين وجعل لنفسه البنات . ومناسبته لما قبله أن نسبة البنات إلى الله ادعاء آلهة تنتسب إلى الله بالبنوة ، إذ عبد فريق من العرب الملائكَة كما عبدوا الأصنام ، واعتلوا لعبادتهم بأن الملائكة بنات الله تعالى كما حكى عنهم في قوله : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا﴾ إلى قوله : ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ [الزخرف : ١٩ – ٢٠] . فلما نهوا عن أن يجعلوا مع الله إلهاً آخر خصص بالتحذير عبادة الملائكة لئلا يتوهموا أن عبادة الملائكة ليست كعبادة الأصنام لأن الملائكة بنات الله ليتوهموا أن الله يرضى بأن يعبدوا أبناءه .

وقد جاء إبطال عبادة الملائكة بإبطال أصلها في معتقدهم ، وهو أنهم بنات الله [(١)] .

و { إن } هنا هى النافية . ويدعون من الدعاء وهو هنا بمعنى العبادة لأن من عبد شيئا فإنه يدعوه عند احتياجه إليه .

والمراد بالإناث : الأصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله .

أى : أن هؤلاء المشركين ما يعبدون من دون الله إلا أصناما ، أو ما ينادون من دون الله لقضاء حاوئجهم إلا أوثاناً لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا .

وعبر عن الأصنام بالإناث لأن المشركين سموا أكثر هذه الأصنام بأسماء الإناث ، كاللات والعزى ومناة .

قال الحسن : كان لكل حى من أحياء العرب صنم يعبدونه ويسمونه أنثى بنى فلان وكانوا يزينونه بالحلى كالنساء .

وقيل : المراد بالإناث هنا الملائكة ، لأن بعضهم كان يعبد الملائكة ويقولون عنها : بنات الله . قال – تعالى – ﴿ وَجَعَلُواْ الملائكة الذين هُمْ عِبَادُ الرحمن إِنَاثاً﴾ وقيل : المراد بها هنا : الجمادات التى لا حياة فيها ومع ذلك يعبدونها . ذلك علموا أن جعلهم الملائكة آلهة يساوي جعلهم الأصنام آلهة .[(٢)] .

---

(١) التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية (١٥/ ١٠٧)
(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (٣/ ٣١٣)

٢-اتخاذهم أرباباً من دون الله:

قال الشنقيطي :وقوله تعالى في هذه الآية الكريمه ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾الأنبياء: ٢٩ الآية . دليل قاطع على أن حقوق الله الخالصة له من جميع أنواع العبادة لا يجوز أن يصرف شيء منها لأحد ولو ملكاً مقرباً، أو نبياً مرسلاً. ومما يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[آل عمران: ٧٩ - ٨٠] [١].

قال ابن كثير :ثم قال: ﴿ وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ أي: ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله، لا نبي مرسل ولا ملك مُقَرَّب﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾أي: لا يَفْعَل ذلك؛ لأنَّ من دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان، وهو عبادة الله وحده لا شريك له،[٢].

وإنما خص الملائكة والنبيين بالذكر لأن الذين وصفوا بعبادة غير الله عز وجل من أهل الكتاب لم يحك عنهم إلاّ عبادة الملائكة وعبادة المسيح وعزير، فلهذا المعنى خصهم بالذكر [٣].

الملائكة عِبَادٌ مُكْرَمُونَ:

قال تعالى ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٢/ ١٧)
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٧)
(٣) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٢٦٣)

[الأنبياء: ٢٦ – ٢٩]   قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ﴾ نزلت في خزاعة حيث قالوا : الملائكة بنات الله ، وكانوا يعبدونهم طمعا في شفاعتهم لهم

وروى معمر [١] عن قتادة قال قالت اليهود – قال معمر في روايته – أو طوائف من الناس : خاتن إلى الجن والملائكة من الجن ، فقال الله عز وجل : ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له. ﴿بَلْ عِبَادٌ﴾ أي بل هم عباد ﴿مُكْرَمُونَ﴾أي ليس كما زعم هؤلاء الكفار [٢] .

يقول تعالى ردًا على من زعم أن له –تعالى وتقدس–ولدًا من الملائكة، كمن قال ذلك من العرب: إن الملائكة بنات الله، فقال: ﴿ سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾أي: الملائكة عباد الله مكرمون عنده، في منازل عالية ومقامات سامية، وهم له في غاية الطاعة قولا وفعلا [٣] .

وكيف يأمر بعبادتهم وهي كفر بالله العظيم ثم أبطل تعالى دعوى من زعم أن الملائكة بنات الله ونزه نفسه عن ذلك ، وبين أنهم عباد مكرمون بكرامته لهم عاملون بأمره مشفقون من خشيته وأنهم لا يملكون الشفاعة لأحد إلا من رضي الله عنه من أهل التوحيد . ثم ختم السياق ببيان جزاء من ادعى الألوهية منهم وأن جزاءه جهنم ،[٤] . .

---

(١) معمر بن راشِد(٩٥ - ١٥٣ هـ = ٧١٣ - ٧٧٠ م) معمر بن راشد بن أبي عمرو الأزدي الحداني بالولاء، أبو عروة: فقيه، حافظ للحديث، متقن، ثقة. من أهل البصرة. ولد واشتهر فيها. وسكن اليمن. وأراد العودة إلى بلده فكره أهل صنعاء أن يفارقهم، فقال لهم رجل: قيدوه. فزوجوه، فأقام. وهو عند مؤرخي رجال الحديث: أول من صنف باليمن الأعلام للزركلي (٧/ ٢٧٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١١/   ٢٨١)

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٣٨)

(٤) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ١٤٢)

الفصل الثاني

معبودات اليهود

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : عبدة الطاغوت .

المبحث الثاني : عبدة الأحبار والرهبان.

المبحث الثالث : عبدة العجل.

الفصل الثاني

معبودات اليهود

تمهيد:

القرآن الكريم قد جاء بعقيدة التوحيد الصحيحة، إذ أفرد الله سبحانه بالعبودية، وبيَّن أنه الخالق والمدبر لكل أمر في هذا الكون من مبتداه إلى منتهاه، وأن مقاليد الكون كلها بيده سبحانه، وهذا واضح لكل قارئ لكتاب الله وضوح الشمس في كبد السماء؛ بينما تقوم عقيدة اليهود المحرَّفة على وصف الخالق بصفات بشرية لا تليق بجلاله سبحانه،(1).

هي تقول بوجود إله حق، إلا أن مفهوم الإله في تلك العقيدة أنه إله قومي خاص بشعب إسرائيل فحسب .

كانت عقيدة اليهود قبل أن يحرفوها، عقيدة التوحيد والإيمان الصحيح المنزلة من الله – تعالى – على موسى – عليه السلام –، لكنهم حرفوها وبدلوها وابتدعوا فيها ما لم ينزله الله.

بداية الانحراف:

بدأ انحراف بني إسرائيل (اليهود) في عهد موسى – عليه السلام –، وهو حي بين أظهرهم، حيث طلبوا منه أن يريهم الله – تعالى –، فقالوا له ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[البقرة: ٥٥]

– ثم لما مات موسى – عليه السلام –، أخذوا يحرفون دين الله ويبدلون في التوراة فقالوا ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾[التوبة: ٣٠]،وقالوا﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾[المائدة:١٨] .

وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه } أثبتت اليهود لأنفسها ما أثبتته لعزير حيث قالوا﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾[التوبة: ٣٠] : { عزير ابن الله } وأثبتت النصارى لأنفسها ما أثبتته للمسيح حيث قالوا : ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾[التوبة: ٣٠] : وقيل هو على حذف مضاف : أي نحن أتباع أبناء الله وهكذا أثبتوا لأنفسهم أنهم أحباء الله بمجرد

---

(١) ولكن في عصر تدوينهم للتوراة بعد فقدها طرأت على فكرة الألوهية انتكاسة كبيرة، فتصوروا الله تعالى في صورة مجسمة ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والغفلة والجهل. فيقولون: إن الرب حزن لأنه خلق الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه...الخ القول المبين في سيرة سيد المرسلين - الرقمية (ص: ٧١) المؤلف: محمد الطيب النجار (المتوفى: ١٤١١هـ) الناشر: دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان.

الدعوى الباطلة والأماني العاطلة فأمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه و سلم أن يرد عليهم فقال : ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم ﴾ أي إن كنتم كما تزعمون فما باله يعذبكم بما تقترفونه من الذنوب بالقتل والمسخ وبالنار في يوم القيامة كما تعترفون بذلك لقولكم : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ﴾[البقرة: ٨٠] [1] .

قال ابو الحسن الندوي[2]-رحمه الله-:" فاليهودية أصبحت مجموعة من الطقوس والتقاليد لا روح فيها ولا حياة وتأثرت بعقائد الأمم التي جاورتها واحتكت بها والتي وقعت تحت سيطرتها فأخذت كثيراً من عاداتها وتقاليدها الوثنية الجاهلية وقد اعترف بذلك مؤرخو اليهود فقد جاء في دائرة المعارف اليهودية: "إن سخط الأنبياء وغضبهم على عبادة الأوثان تدل على أن عبادة الأوثان والآلهة، كانت قد تسربت الى نفوس الإسرائيليين، ولم تستأصل شأفتها الى أيام رجوعهم من الجلاء والنفي في بابل، وقد اعتقدوا معتقدات خرافية وشركية، إن التلمود أيضاً يشهد بأن الوثنية كانت فيها جاذبية خاصة لليهود" [3].

تعريف اليهود في اللغة والاصطلاح :

أ- اليهود في اللغة :

اليهود لغة: "هَوَدَ ألهود التَّوْبَةُ هادَ يَهُودُ هوْداً، وتَهَوَّد تابَ ورجع إلى الحق، فهو هائدٌ وقومٌ هُودٌ، مِثْلُ حائِكٍ وحوك وبازِلٍ وبُزْلٍ، قال أَعرابي: إِنِّي امرُؤٌ مِنْ مَدْحِهِ هائِدُ وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن (٣/ ٣٨١)

(٢)علي أبو الحسن الندوي (١٣٣٣ هـ = ١٩١٤ م - ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م) : علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين ، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما . كان والده علامة الهند ومؤرخها ، وكانت والدته من السيدات الفاضلات ولد بقرية «تكية» بمديرية «راي بريلي» في الولاية الشمالية بالهند في ٦ محرم ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٤ م حفظ القرآن الكريم، وتعلم الأردية والإنجليزية والعربية . التحق بدار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٢٩م . عين مدرساً في دار العلوم ندوة العلماء عام ١٩٣٤م ، ودرس العلوم الدينية والأدب العربي . بدأ رحلاته الدعوية منذ عام ١٩٣٩م في الهند، وأسس مركزاً للتعليمات الإسلامية عام ١٩٤٣ م . اختير عضواً في المجلس الانتظامي لندوة العلماء عام ١٩٤٨م ، واختير أميناً عاماً لندوة العلماء عام ١٩٦١م . أسس حركة رسالة الإنسانية عام ١٩٥١م ، والمجمع الإسلامي العلمي عام ١٩٥٩م، في لكنو بالهند . دعا إلى تأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، واختير أول رئيس لها عام ١٩٨٦م . حصل على عضوية كثير من الهيئات والمؤسسات الدعوية العلمية والعالمية منها: رابطة العالم الإسلامي - المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية في القاهرة - رئيس مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية - رابطة الجامعات الإسلامية - وكان عضواً في مجامع اللغة العربية في كل من دمشق والقاهرة وعمان ترك الشيخ أبو الحسن ثروة علمية كبيرة من المؤلفات الدعوية والفكرية والأدبية قارب ثلاثمائة عنوان باللغة العربية،..

(٣) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي (ص: ٥٩-: ٦٠) المؤلف: علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: دار ابن كثير - دمشق الطبعة: الثانية عشرة - ١٤٢٥ هـ

قال ابن سيده : عدّاه بإلي لأَن فيه معنى رجعنا وقيل معناه تبنا إليك ورجعنا وقَرُبْنا من المغفرة وكذلك قوله تعالى فتُوبوا إلى بارِئِكم وقال تعالى إِن الذين آمنوا والذين هادوا المُتَهَوِّدُ المُتَوَصِّلُ بِهَوادةٍ إِليه قال ابن الأَعرابي :هادَ إِذا رجَع من خير إِلى شرّ أَو من شرّ إِلى خير وهادَ إِذا عقل ويَهُودُ اسم للقبيلة [١]

قال أبو عُبيدة: التَّهَوُّدُ التوبة والعمل الصالِح ويقال أيضا هادَ و تَهَوَّدَ أي صار يَهُودِياً و الهُودُ بوزن العُود اليَهُود و هُودٌ اسم نبي ينصرف تقول هذه هُود إذا أردت سورة هُود فإن جعلت هُودا اسم السورة لم تصرفه وكذلك نُوح ونُون و التَّهْوِيدُ الالرُّويد مثل الدَّبيب والتَّهْوِيد تصيير الإنسان يَهُودِيا وفي الحديث:{فأَبواه يُهَوِدانه} [٢]،[٣] .

فأمَّا اليَهود فمِن هاد يَهُودُ، إذا تاب هَوْداً. وسُمُّوا به لأنَّهم تابُوا من عبادة العجل[٤].

وقال الزجاج: قال المفسرون في قوله عز وجل:﴿إنَّا هُدْنا إليك﴾ إنا تُبنا إليك، وأما قوله عز وجل: ﴿وعَلَى الذينَ هَادُوا حَرَّمْنا كلَّ ذي ظُفُر﴾ فمعناه دَخَلوا في اليهودية. [٥] .

ب- اليهود في الاصطلاح:

اليهودية: هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذي أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيداً بالتوراة ليكون لهم نبيًّا[٦] .

وهي ديانة سماوية كسائر الديانات تأمر بالإيمان بالله تعالى وحده لاشريك له وإحسان المعاملة مع الناس ، فكانت نبوة موسى عليه السلام تعليم بني إسرائيل وتحريرهم من العبودية للفراعنة ، وهي اليوم ديانة طائفة تدعو للتمييز بين اليهود وغيرهم في المعاملات والعبادات والأخلاق.

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، (٣/ ٤٣٩)

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٩٤،برقم ١٣٥٨) بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ و صحيح مسلم "باب معنى كل مولود يولد على الفطرة "(٤/ ٢٠٤٧.برقم ٢٦٥٨) وهو بتمامه كما في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه كان يحدث قال النبي صلى الله عليه و سلم (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء)

(٣) مختار الصحاح (ص: ٧٠٥)

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ١٨)

(٥) تهذيب اللغة (٦/ ٢٠٦) المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

(٦) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٤٩٥) المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ

المبحث الأول

عبدة الطاغوت

تعريف الطاغوت في اللغة و الاصطلاح :

أ- الطاغوت في اللغة: اخْتُلِفَ في تَفْسيرِهِ على عدة أقوال:

فقيلَ : "هُوَ ما عُبِدَ منْ دُونِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وكُلُّ رَأْسٍ في الضَّلالِ !طاغُوتٌ ".

وقيلَ : "الأَصْنامُ" –وقيلَ : "الشَّيْطَانُ" وقيلَ : "الكَهَنَةُ".

وقيلَ : مَرَدَةُ أَهْلِ الكِتَابِ ، كذا في اللِّسانِ ، وزادَ الرّاغِبُ : ويُرَادُ بهِ السّاحِرُ والماردُ منَ الجنِّ ، والصّارِفُ عنْ طَرِيقِ الخَيْرِ[1] .

الطاغوتُ الشيطان والكاهِنُ وكلُّ رأْسٍ في الضَّلال قد يكون واحداً قال تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ ﴾ [النساء: ٦٠]

وقال تعالى والذين كفَروا أَوْ لِياؤهم الطاغوتُ يُخْرِجُونهم فَجَمَع

وقال الكسائي[2] :"الطاغوتُ واحدٌ وجِماعٌ وقال ابن السكيت هو مثل الفُلْكِ يُذَكَّرُ ويؤنَّث قال تعالى والذين اجْتَنَبُوا الطاغوتَ أَن يَعْبُدوها"

وقال الأَخفش:" الطاغوتُ يكونُ للأَصْنامِ والطاغوتُ يكون من الجِنِّ والإِنس"

وقال ابن عباس:" الطاغوتُ كعبُ ابنُ الأَشْرفِ والجِبْتُ حُيَيُّ بن أَخْطَبَ وجمعُ الطاغوتِ طَواغِيتُ وفي الحديث لا تَحْلِفُوا بآبائكُمْ ولا بالطَّواغِي وفي الآخر ولا بالطَّواغِيتِ فالطَّوَاغِي جمع طاغيَةٍ وهي ما كانوا يَعْبُدونه من الأَصْنامِ وغَيْرِها ومنه هذه طَاغِيَةُ دَوْسٍ وخَثْعَمَ أَي صَنَمُهم ومَعْبودُهم

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس (٢٢/ ٥٤٠).

(٢) عليّ بن حمزة الكسائيّ» ت ١٨٩ هـ الإمام الحجة، شيخ قراء الكوفة، وإمام المسلمين في القراءات والعربية، فريد عصره في لغة العرب، وأعلم أقرانه بالغريب. هو أبو الحسن مولى بني أسد، وكان من أولاد الفرس من سواد العراق، إليه انتهت رئاسة القراءة بالكوفة بعد وفاة شيخه «حمزة». ذكره «الذهبي» ت ٧٤٨ هـ ضمن علماء الطبقة الرابعة من علماء القراءات كما ذكره «ابن الجزري» ت ٨٣٣ هـ ضمن علماء القرآن. قال «ابن الجزري»: كان الكسائي إمام الناس في القراءة في زمانه، وأعلمهم بالقراءات اهـ. وقال «ابن معين»: ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي، وقال «الذهبي»: ولد «الكسائي» في حدود سنة عشرين ومائة معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ (١/ ٤٤٢) المؤلف: محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ) الناشر: دار الجيل - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

قال ويجوز أَن يكون أَراد بالطَّواغِي من طَغَى في الكُفرِ وجاوَزَ الحَدَّ وهم عُظَماؤهم وكُبَراؤهم قال وأَما الطَّواغِيتُ فجمع طاغوت وهو الشيطانُ أَو ما يُزَيِّن لهم أَن يَعْبُدوا من الأَصْنامِ ويقال للصَّنَم طاغوت[1] .

وقال أهل المعاني : الطاغوت : كلّ مايغطي الإنسان ، وهو فاعول من الطغيان زيدت التاء فيه بدلاً من لام الفعل ، كقوله : حانوت وتابوت.

وقال أهل الإشارة:طاغوت كلّ امرئ نفسه بيانه قوله﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣] .[2]

ب –الطاغوت في الإصطلاح :

يقول العلامة ابن القيم –رحمه الله– :" الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ".[3]

معنى وعبد طاغوت:

"وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ" أي: وجعل منهم من عبد الطاغوت وهو الشيطان، و ذلك بطاعته والانقياد لما يجلبه عليه ويزينه له من الشر والفساد، إنه أنتم يا معشر يهود، إنكم لشر مكاناً يوم القيامة وأضل سبيلاً اليوم في هذه الحياة الدنيا.[4] .

والمراد بالطاغوت: الطغيان المادي أو هو كل رأس في الضلال؛ هذه الصفات، وتلك السمات؛ ساقها الله تعالى وصفاً لليهود [5] .

قال سيد قطب:" فأما قضية عبادتهم للطاغوت فتحتاج إلى بيان هنا لأنها لفتة ذات دلالة خاصة في سياق هذه السورة إن الطاغوت هو كل سلطان لا يستمد من سلطان الله وكل

---

(١) لسان العرب (١٥/ ٧).
(٢) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢/ ٢٣٦).
(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٤٠) .
(٤) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (١/ ٦٤٧) .
(٥) أوضح التفاسير (١/ ١٣٨).

حكم لا يقوم على شريعة الله وكل عدوان يتجاوز الحق والعدوان على سلطان الله وألوهيته وحاكميته هو أشنع العدوان وأشده طغيانا وأدخله في معنى الطاغوت لفظا ومعنى وأهل الكتاب لم يعبدوا الأحبار والرهبان ؛ ولكن اتبعوا شرعهم وتركوا شريعة الله فسماهم الله عبادا لهم ؛ وسماهم مشركين وهذه اللفتة هنا ملحوظ فيها ذلك المعنى الدقيق فهم عبدوا الطاغوت أي السلطات الطاغية المتجاوزة لحقها وهم لم يعبدوها بمعنى السجود لها والركوع ولكنهم عبدوها بمعنى الاتباع والطاعة وهي عبادة تخرج صاحبها من عبادة الله ومن دين الله" [١] .

قال الشعراوي:" والعبادة إنما هي طاعة العبد للمعبود فيما أمر به وفيما نهى عنه . والطواغيت هم الذين يزينون لهم الشر والنفاق وأكل السحت والإثم . ويكون مصيرهم هو قوله الحق : ﴿ أولئك شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ السبيل﴾ وهذا هو الواقع الذي يعيشون فيه وهو شر كله ، وهم لا يفكرون في السير في الطريق السليم "[٢].

التحاكم إِلَى الطَّاغُوتِ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠]

هذا إنكار من الله، عز وجل، على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد التحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية: أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد. وذاك يقول: بيني وبينك كعب بن الأشرف. وقيل: في جماعة من المنافقين، ممن أظهروا الإسلام، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية. وقيل غير ذلك، والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا؛ ولهذا قال: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾[٣] .

---

(١) في ظلال القرآن (٢/ ٩٢٦-٩٢٧).
(٢) تفسير الشعراوي (٦/ ٣٢٥٥)
(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٦)

الظاهر أن الطاغوت هو كل طغيان يطغى على النفس أو العقل أو الجماعة، فيتسلط عليه، ويمنعهم من اتباع الحق من زعماء يقودونها إلى الضلال، أو ملوك يسوقونها إلى الباطل سوقا؛ ولعل أظهر معاني الطاغوت أن يفسر بالملوك المتحكمين والكبراء المتجبرين الذين يفتنون الناس عن دين الحق، ويكرهونهم على اعتناق الباطل.[1].

قال سيد قطب:"ألم تر إلى هذا العجب العاجب . . قوم . . يزعمون . . الإيمان . ثم يهدمون هذا الزعم في آن؟! قوم ﴿ يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾ . ثم لا يتحاكمون إلى ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك؟ إنما يريدون أن يتحاكموا إلى شيء آخر ، وإلى منهج آخر ، وإلى حكم آخر . . يريدون أن يتحاكموا إلى . . الطاغوت . . الذي لا يستمد مما أنزل إليك وما أنزل من قبلك . ولا ضابط له ولا ميزان ، مما أنزل إليك وما أنزل من قبلك . . ومن ثم فهو . . طاغوت . . طاغوت بادعائه خاصية من خواص الألوهية . وطاغوت بأنه لا يقف عند ميزان مضبوط أيضاً! وهم لا يفعلون هذا عن جهل ، ولا . . إنما هم يعلمون يقيناً [2].

القول في تأويل:"﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١] [3] .

قال أبو جعفر: والصواب من القول في تأويل:"يؤمنون بالجبت والطاغوت"، أن يقال: يصدِّقون بمعبودَين من دون الله، يعبدونهما من دون الله، ويتخذونهما إلهين.

وذلك أن"الجبت" و"الطاغوت": اسمان لكل معظَّم بعبادةٍ من دون الله، أو طاعة، أو خضوع له، كائنًا ما كان ذلك المعظَّم، من حجر أو إنسان أو شيطان. وإذ كان ذلك كذلك، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها، كانت معظمة بالعبادة من دون الله = فقد كانت جُبوتًا وطواغيت. وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولا منهما ما قالا في أهل الشرك بالله. وكذلك حيي بن أخطب وكعب

---

(١) زهرة التفاسير (٢/ ٩٤٦)

(٢) في ظلال القرآن (٢/ ٦٩٤)

(٣) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "الجبت": السحر، و"الطاغوت": الشيطان، وكذلك قال ابن عباس و أبو العالية و مجاهد و الحسن وغيرهم. وعن ابن عباس و عكرمة و أبي مالك : الجبت: الشيطان.
وعن ابن عباس أيضاً: "الجبت": الشرك، وعنه: الجبت: الأصنام، وعنه: الجبت: حيي بن أخطب ، وعن الشعبي : الجبت: الكاهن، وعن مجاهد : الجبت: كعب بن الأشرف ،
قال الجوهري : "الجبت": كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - للغنيمان (٦٩/ ٨).

بن الأشرف، لأنهما كانا مطاعين في أهل ملّتهما من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسوله، فكانا جبتين وطاغوتين[١] .

الفرق بين الجبت والطاغوت:

الفرق بين الجبت والطاغوت قيل: هما صنمان كانا لقريش.وقيل: الجبت، الأصنام.والطاغوت، تراجمة الأصنام الذين كانوا يتكلمون بالكذب عنها.وقيل: الجبت، الساحر، والطاغوت: الكاهن.وقيل: الجبت: إبليس، والطاغوت : أولياؤه.وقيل: هما كل ما عبد من دون الله من حجر أو صورة أو شيطان.وهو الأولى لشموله كل ما ذكر[٢] .

الكفر بالطاغوت:

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

ويدخل في الكفر بالطاغوت بغضه وكراهته وعدم الرضى بعبادته بوجه من الوجوه" [٣].

قال ابن القيم :"وطريقة القرآن في مثل هذا أن يقرن النفي بالإثبات فينفي عبادة ما سوى الله وثبت عبادته وهذا هو حقيقة التوحيد والنفي المحض ليس بتوحيد وكذلك الإثبات بدون النفي فلا يكون التوحيد إلا متضمنا للنفي والإثبات وهذا حقيقة لا إله إلا الله انتهى[٤] .

والعلمانية بما تعنيه من رفض الدخول في إطار التكليف ، وخلع ربقة العبودية فيما يتعلق بأمور الدولة وسائر أمور الحياة العامة ، وتعبيد أتباعها للأهواء المجردة ، وعقد الولاء والبراء على ذلك لا شك أنها من أظهر أنواع الطواغيت التي أمرنا بالكفر بها واجتنابها [٥].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال المجمع عليه أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافراً مرتداً باتفاق الفقهاء"[٦].

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٤٦٥)

(٢) انظر معجم الفروق اللغوية للعسكري (ص: ١٠٧).

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد (ص: ٣٣-٣٤) المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ) المحقق: زهير الشاويش الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٤) بدائع الفوائد: المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله تحقيق : هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد الج الناشر : مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة- الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

(٥) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١-٢٩ (١٥/ ٤٧١)

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية : ٢٦٧/٣) .

قال سيد قطب:" كل من يصنع له فكرة في رأسه تخضع لغير الله جل وعلا إنما هو يطغى بفكرته أو يطغى بصنمه ووثنه، أو يطغى بمعبوده الجديد لأن كل غير الله معبود لله، فإن تعبده وتترك عبادة الله فقد رفعت هذا المعبود من مقام العبودية إلى مقام الألوهية فهذا طغيان وتجاوز للحد، وهذا طاغوت والإيمان الكامل هوأن نكفر بالطاغوت وأن نعبد الله جل وعلا[(١)] .

تعدد الطواغيت وكثرتها:

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: " الطاغوت عام: فكُل ما عُبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبودأومتبوع أو مُطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت، والطواغيت كثيرة ورءوسهم خمسة:

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

الثاني: الحاكم الجائر المغيِّر لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]

الرابع: الذي يَدّعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦ – ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

(١) موسوعة البحوث والمقالات العلمية (/ ٤٧)

الخامس: الذي يُعبد من دون الله وهو راض بالعبادة، والدليل قوله تعالى: {ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم، كذلك نجزي الظالمين} [الأنبياء: ٢٩][1].

الآية . دليل قاطع على أن حقوق الله الخالصة له من جميع أنواع العبادة لا يجوز أن يصرف شيء منها لأحد ولو ملكاً مقرباً، أو نبياً مرسلاً.

---

(١) المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد (ص: ١٢٥- ١٢٦)

المبحث الثاني

عبدة الأحبار والرهبان

التعريف بالأحبار والرهبان:

قال أَبو عُبَيْد : وأَمّا الأَحبارُ والرُّهْبَانُ فإِن الفُقَهاءَ قد اختلفوا فيهم ، فبعضُهم يقولُ : حَبرٌ ، وبعضُهُم يقول : حِبْرٌ بالكسر وهو أَفصحُ ؛ لأَنه يُجْمَعُ على أَفعالٍ ، دُونَ فَعْلٍ ويُقَال ذالك للعالِم .

والذي عندي أَنه الحَبْرُ بالفتح ومعناه العالِمُ بتَحْبِيرِ الكلامِ والعِلْمِ وتَحْسِينه ، قال : وهاكذا يَرْوِيه المُحَدِّثُون كلُّهم بالفتح ،[1] .

قال القرطبي: في قوله تعالى:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] الأحبار جمع حبر ، وهو الذي يحسن القول وينظمه ويتقنه بحسن البيان عنه. ومنه ثوب محبر أي: جمع الزينة.[2] .

قال البغوي: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ ﴾، أي: علماءهم وقراءهم، والأحبار العلماء واحدها حِبر وحَبر، بكسر الحاء وفتحها، والرهبان من النصارى أصحاب الصوامع واحدها راهب، كصاحب وصحبان، ﴿ أَرْبَابًا ﴾ ، فإن قيل: إنهم لم يعبدوا الأحبار والرهبان؟ قلنا: معناه أنهم أطاعوهم في معصية الله ، واستحلوا ما أحلوا ، وحرموا ما حرموا، فاتخذوهم كالأرباب.

عن عدي بن حاتم[3] رضي الله عنه قال: «أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ حتى فرغ منها، قلت: إنا لسنا نعبدهم، فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ،

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس (١٠/ ٥٠٤)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ١١٩)

(٣) عدي بن حاتم ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي، الامي الشريف، أبو وهب وأبو طريف الطائي، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، ولد حاتم طي الذي يضرب بجوده المثل وفد عدي على النبي صلى الله عليه وسلم في وسط سنة سبع، فأكرمه واحترمه. روى قيس بن أبي حازم، أن عدي بن حاتم جاء إلى عمر، فقال: أما تعرفني ؟ قال: أعرفك، أقمت إذ كفروا، ووفيت إذ غدروا، وأبلت إذ أدبروا قال ابن عيينة: حدثت عن الشعبي، عن عدي، قال: ما دخل وقت صلاة حتى أشتاق إليها. قال ابن الكلبي: مات عدي سنة سبع وستين، وله مئة وعشرون سنة. وقال ابن سعد: سنة ثمان وستين، وقيل: سنة ست وستين ر سير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٢ - ١٦٥)

ويحلون ما حرم الله فتستحلونه ؟ قال: قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم »[(١)؛(٢)] .

واتخذوا زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى

"أحبارهم" وهم علماء اليهود واختلف في واحده قال الأصمعي لا أدري أهو حبر أم حبر وقال أبو الهيثم بالفتح لا غير وكان الليث وابن السكيت يقولان حبر وحبر للعالم ذميا كان أو مسلما بعد أن كان من أهل الكتاب ورهبانهم وهم علماء النصارى من أصحاب الصوامع أي اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل[(٣)] .

والأحبار جمع حَبَر بفتح الحاء وهو العالِم من علماء اليهود .

الرهبان اسم جمع لراهب وهو التقي المنقطع لعبادة الله من أهل دين النصرانية ، وإنّما خص الحَبر بعالِمِ اليهود لأنّ عظماء دين اليهودية يشتغلون بتحرير علوم شريعة التوراة فهم علماء في الدين وخصّ الراهب بعظيم دين النصرانية لأنّ دين النصارى قائم على أصل الزهد في الدنيا والانقطاع للعبادة .

معنى اتّخاذهم أرباباً:

ومعنى اتّخاذهم هؤلاء أرباباً أنّ اليهود ادّعوا لبعضهم بنوةَ الله تعالى وذلك تأليه ، وأنّ النصارى أشدّ منهم في ذلك إذ كانوا يسجدون لصور عظماء ملّتهم مثل صورة مريم ، وصور الحواريين ، وصورة يحيى بن زكرياء ، والسجود من شعار الربوبية ، وكانوا يستنصرون بهم في حروبهم ولا يستنصرون بالله [(٤)] . .

الأكثرون من المفسرين قالوا : ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا أنهم آلهة العالم . بل المراد أنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم[(٥)] .

---

(١) انظرالمعجم الكبير للطبراني (١٧/ ٩٢،برقم ٢١٨) وخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، قال الألباني: حسن"صحيح الترمذي" (٢٤٧١).قاله صاحب جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد (٣/ ١٣٨) ٦٩٩٤ المؤلف: محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) تحقيق وتخريج: أبو علي سليمان بن دريع الناشر: مكتبة ابن كثير، الكويت - دار ابن حزم، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

(٢) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل (٤/ ٣٧١)

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٦٠) المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

(٤) التحرير والتنوير - الطبعة التونسية (١٠/ ١٧٠)

(٥) اللباب في علوم الكتاب (١٠/ ٧٤) المؤلف: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ط : الأولى - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م

"قال شيخ الإسلام في الفتاوى:" وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحليل ما حرم الله يكونون على وجهين:

أحدهما : أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر ، وقد جعله الله ورسوله شرك ، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم.

فكان من اتبع غيره في خلاف الدين ، مع علمه أنه خلاف الدين ، واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركاً مثل هؤلاء.

الثاني : أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً ، لكن أطاعوهم في معصية الله ، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب . هـ [1]

ويشمل طاعة المخلوقين في معصية الخالق سبحانه وتعالى ومخالفته في تشريعه، يدخل هذا في ضِمْن العبادة، فالعبادة عامة ليست مقصورة على نوع أو أنواع من العبادة، بل هي شاملة لكل ما هو من حق الله، ومن ذلك: التحليل والتحريم [2].

دخول الفساد في العالم :

إن الفساد في العالم دخل من ثلاث فِرَق، إما من الملوك الجائرة، ومن علماء السوء، وأحبار السوء، ومن رهبان السوء وعُبَّاد السوء، من الملوك الظلمة، ومن العلماء المنحرفين، ومن الرهبان العُبَّاد الذين يتعبدون على جهل وضلال

فالملوك الجائرة يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة، ويعارضونها بها ويقدمونها على حكم الله ورسوله، وعلماء السوء، وهم العلماء الخارجون عن الشريعة بآرائهم، وأقيستهم الفاسدة المتضمنة تحليل ما حرَّم الله ورسوله أو تحريم ما أباحه الله ورسوله، هؤلاء يقدمون، يخرجون عن الشريعة، ويقدمون آراءهم ومقاصدهم ناقصة وفاسدة على نصوص الوحيين، ورهبان

---

(١) شيخ الإسلام في الفتاوى (٧ / ٧٠) .

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١١٦)

السوء، وهم جهال المتصوفة الذين يعترضون على حقائق الإيمان والشرع بالأذواق والمواجين والخيالات والكشوفات الباطنة الشيطانية [1] .

ومن هذا طاعة الحكام والرؤساء في تحكيم القوانين الوضعية المخالفة للأحكام الشرعية في تحليل الحرام؛ كإباحة الربا والزنى وشرب الخمر ومساواة المرأة للرجل في الميراث وإباحة السفور والاختلاط، أو تحريم الحلال؛ كمنع تعدد الزوجات، وما أشبه ذلك من تغيير أحكام الله واستبدالها بالقوانين الشيطانية؛ فمن وافقهم على ذلك ورضي به واستحسنه؛ فهو مشرك كافر والعياذ بالله[2] .

وَعَنْ عَلِيٍّ –رضي الله عنه– قَالَ: "إياكم والاستنان بالرجال؛ فإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، ثم ينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل النار، فينقلب لعلم الله، فيموت وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، ثم ينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل الجنة، فينقلب لعلم الله، فيموت وهو من أهل الجنة، فإن كنتم لا بد فاعلين فبالأموات لا بالأحياء. وأشار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، وهو جائز في كل زمان يعدم فيه المجتهدون".

وعن ابن مسعود[3] – رضي الله عنه –: ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلا، إن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر "[4] .

لذا قال ابن كثير عند تفسيره للآية الأولى : والمقصود التحذير من علماء السوء ، وعباد الضلال ، كما قال سفيان بن عيينه[5] : من فسد من علمائنا كان فيه شبه من أحبار اليهود ، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من رهبان النصارى[6] .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – عبد العزيز ألراجحي (١: ١٣٧)

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص: ٨٤).

(٣) ابن مَسْعُود (٠٠٠ - ٣٢ هـ = ٠٠٠ - ٦٥٣ م) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: صحابي. من أكابرهم، فضلا وعقلا، وقربا من رسول الله صلّى الله عليه وسلم وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الامين، وصاحب سره، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، يدخل عليه كل وقت ويمشي معه. نظر إليه عمر يوما وقال: وعاء ملئ علما. وولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيت مال الكوفة. ثم قدم المدينة في خلافة عثمان، فتوفي فيها عن نحو ستين عاما. وكان قصيرا جدا، يكاد الجلوس يوارونه. وكان يحب الإكثار من التطيب. فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه مر، من طيب رائحته. له ٨٤٨ حديثا. الأعلام للزركلي (٤/ ١٣٧) .

(٤) الاعتصام للشاطبي ت الهلالي (٢/ ٨٧٦).

(٥) سفيان بن عيينة(١٠٧ - ١٩٨ هـ = ٧٢٥ - ٨١٤ م) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدث الحرم المكي. من الموالي. ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها. كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز الأعلام للزركلي (٣/ ١٠٥) .

(٦) التفسير الوسيط لطنطاوي (٦/ ٢٧١)تاريخ النشر: أجزاء ٦ - ٧: يناير ١٩٩٨م.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴾ [التوبة: ٣٤]

الإشارة : ما قيل في أحبار اليهود يقال مثله في علماء السوء من هذه الأمة ، الذين ملكتهم جيفة الدنيا ، وأسرهم الهوى ، الذين يقبضون الرِّشَا على الأحكام ، فيكتمون المشهور الواضح ، ويحكمون بشهوة أنفسهم ، فأولئك يلعنهم اللاعنون ،

وفي ذلك يقول ابن المبارك[1] – رحمه الله – :

وهل أَفْسَدَ الدينَ إلا الملوكُ *** وأحْبَارُ سُوءٍ ورُهْبَانُهَا

وباعُوا النفوسَ ولم يَرْبَحُوا *** ولم تغْلُ في البَيْع أثْمَانُه

لقدْ رتعَ القومُ في جِيفَةٍ *** يَبِينُ لذِي العَقْلِ إنْتَانُهَا ا[2] .

وكان يحيى بن معاذ الرازي[3] –رضي الله عنه –يقول لعلماء وقته :

"يا معْشرَ العلماء ، ديارُكم هامانية ، وملابِسُكُم قارونية ، ومَرَاكِبُكُم فرعونية وولائمُكُمْ جالوتية ، فأين السنّةُ المحمدية ؟ . إلا مَن تاب وأصلح ما أفسد ، وبيَّن ما كتم ، فأولئك يتوب الله عليهم" [4] .

التشريع حق لله تعالى:

والمراد بالتشريع: ما ينزِّلُه الله لعباده من المنهج الذي يسيرون عليه في العقائد والمعاملات وغيرها؛ ومن ذلك التحليل والتحريم، فليس لأحد أن يحل إلا ما أحله الله، ولا يحرم إلا ما حرم الله، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ

---

(١) عبد الله بن المبارك ابن واضح، الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، أبو عبد الرحمن الحنظلي، مولاهم التركي، ثم المروزي، الحافظ، الغازي، أحد الأعلام وكانت أمه خوارزمية. مولده في سنة ثمان عشرة ومائة. فطلب العلم وهو ابن عشرين سنة.قال نعيم بن حماد قال: كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه؟! قال أحمد بن حنبل: لم يكن أحد في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه. وعن شعبة، قال: ما قدم علينا أحد مثل ابن المبارك. وقال أبو أسامة: ما رأيت رجلا أطلب للعلم من ابن المبارك، وهو في المحدثين مثل أمير المؤمنين في الناس. لما مات ابن المبارك، بلغني أن هارون أمير المؤمنين قال: مات سيد العلماء. سير أعلام النبلاء ط الحديث (٧/ ٣٦٥- ٣٧٦)

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/ ١٨٩) المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة الطبعة: ١٤١٩ هـ

(٣) يحيى بن معاذ الرازي، أبو زكريا الصوفي، [الوفاة: ٢٥١ - ٢٦٠ ه] الواعظ: العارف المشهور، صاحب المواعظ. كان حكيم أهل زمانه، من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة. وعنه قال: لست أبكي على نفسي إن ماتت، إنما أبكي على حاجتي إن فاتت أنظر في سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٥)

(٤) البحر المديد (١/ ١٨٩) .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦.]، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٍ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴾ [يونس: ٥٩.]
فقد نهى الله عن التحليل والتحريم: بدون دليل من الكتاب والسنة، وأخبر أن ذلك من الكذب على الله، كما أخبر سُبحانه أنَّ من أوجَبَ شيئًا أو حرَّمَ شيئًا من غير دليل؛ فقد جعل نفسه شريكًا لله فيما هو من خصائصه، وهو التشريع، قال تعالى: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾[الشورى: ٢١] [١] .

هذا ونص الحديث الصحيح الذى ذكره الإمام ابن كثير – كما رواه الشيخان –
هكذا عن أبى سعيد الخدري[٢]–رضي الله عنه –أن النبى – صلى الله عليه وسلم– قال : « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذارعا بذراع ، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه ، قلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى؟ قال : فمن » . [٣]

---

(١) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك (ص: ٤٩) المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان عدد الأجزاء: ١[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] حسب الشاملة

(٢) أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان الإمام، المجاهد، مفتي المدينة، سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن وحدث عن النبي -صلى الله عليه وسلم - فأكثر، وأطاب، وعن: أبي بكر، وعمر، وطائفة. وكان أحد الفقهاء المجتهدين. وعن عبد الرحمن بن أبي سعيد، عن أبيه، قال: عرضت يوم أحد على النبي -صلى الله عليه وسلم - وأنا ابن ثلاث عشرة، فجعل أبي يأخذ بيدي، ويقول: يا رسول الله! إنه عبل العظام. وروى: حنظلة بن أبي سفيان، عن أشياخه: أنه لم يكن أحد من أحداث أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم - أعلم من أبي سعيد الخدري وقد روى: بقي بن مخلد في (مسنده الكبير) لأبي سعيد الخدري بالمكرر ألف حديث ومائة وسبعين حديثا. قال الواقدي، وجماعة: مات سنة أربع وسبعين. ولابن المديني - مع جلالته - في وفاة أبي سعيد قولان، شذ بهما ووهم. فقال إسماعيل القاضي: سمعته يقول: مات سنة ثلاث وستين سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣/ ١٦٨- ١٧١)

(٣) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (٢/ ٣٢٤).

المبحث الثالث

عبدة العجل

قصة عبادة العجل:

يذكر تعالى ما كان من أمر بني إسرائيل حين ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه فمكث على الطور يناجيه ربه ويسأله موسى عليه السلام عن أشياء كثيرة وهو تعالى يجيبه عنها ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾[البقرة: ٥١]

واذكروا نعمتنا عليكم: حين واعدنا موسى أربعين ليلة لإنزال التوراة هدايةً ونورًا لكم، فإذا بكم تنتهزون فرصة غيابه هذه المدة القليلة، وتجعلون العجل الذي صنعتموه بأيديكم معبودًا لكم من دون الله – وهذا أشنع الكفر بالله– وأنتم ظالمون باتخاذكم العجل إلهًا[1] .

فعمد رجل منهم يقال له هارون السامري[2] فاخذ ما كان استعاره من الحلي فصاغ منه عجلا وألقى فيه قبضة من التراب كان أخذها من أثر فرس جبريل حين رآه يوم أغرق الله فرعون على يديه فلما ألقاها فيه خاركما يخور العجل الحقيقي. ويقال إنه استحال عجلا جسدا أي لحما ودما حيا يخور. قاله قتادة وغيره وقيل بل كانت الريح إذا دخلت من دبره خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة فيرقصون حوله ويفرحون فقالوا ﴿هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ [طه : ٨٨] أي فنسي موسى ربه عندنا وذهب يتطلبه وهو هاهنا تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وتقدست أسماؤه وصفاته وتضاعفت آلاؤه وعداته. قال الله تعالى مبينا بطلان ما ذهبوا إليه وما عولوا عليه من إلهية هذا الذي قصاراه أن يكون حيوانا بهيما وشيطانا رجيما أَفَلا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعاً ٢٠: ٨٩ وَقَالَ ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَـٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨]

---

(١) التفسير الميسر (١/ ٨) المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية
الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م

(٢) ا لسامري، واسمه موسى بن ظفر، ينسب إلى قرية تدعى سامرة. ولد عام قتل الأبناء، وأخفته أمه في كهف جبل فغذاه جبريل فعرفه لذلك تفسير القرطبي (٧/ ٢٨٤)

فَذَكَرَ أَنَّ هَذَا الْحَيَوَانَ لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَرُدُّ جَوَابًا وَلَا يَمْلِكُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَهْدِي إِلَى رُشْدٍ اتَّخَذُوهُ وَهُمْ ظَالِمُونَ [1] .

بداية عبادة العجل:

ألسامري سمع قولهم ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف : ١٣٨].

وكانت تلك الآلهة على مثال البقر ؛ فصاغ لهم عجلا جسدا ، أي مصمتا ؛ غير أنهم كانوا يسمعون منه خوار. وقيل : قلبه الله لحما ودما. وقيل : إنه لما ألقى تلك القبضة من التراب في النار على الحلي صار عجلا له خوار ؛ فخار خورة واحدة ولم يثن ثم قال للقوم : ﴿ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ [طه : ٨٨]. يقول : نسيه ههنا وذهب يطلبه فضل عنه – فتعالوا نعبد هذا العجل.[2] .

ضلال بني إسرائيل في عبادتهم العجل:

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨]

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن ضلال من ضل من بني إسرائيل في عبادتهم العجل الذي اتخذه لهم ألسامري من حلي القبط الذي كانوا استعاروه منهم، فشكل لهم منه عجلا ثم ألقى فيه القبضة من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار عجلا جسدا له خوار.

والخوار :صَوْتُ الْبَقَرِ، وَكَانَ هَذَا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَهَابِ موسى لميقات ربه ،فأعلمه اللَّهُ تعالى بِذَلِكَ وَهُوَ عَلَى الطُّورِ حَيْثُ يقول إِخْبَارًا عَنْ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ:﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴾[طه: ٨٥]

وقد اختلف المفسرون في هذا العجل هل صار لحما ودما له خوار، أو استمر على كونه من ذهب إلا أنه يدخل فيه الهواء فيصوت كالبقر؟ على قولين والله أعلم"[3] .

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر (١/ ٢٨٦- ٢٨٧) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٨٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٦) .

ويقال: إنهم لما صوت لهم العجل رقصوا حوله وافتتنوا به وقالوا:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢]

والمعنى . إن الذين اتخذوا العجل معبودا ، واستمروا على ضلالتهم سيحيق بهم سخط شديد من ربهم ، ولا تقبل توبتهم إلا إذا قتلوا أنفسهم ، وسيصيبهم كذلك هوان وصغار فى الحياة الدنيا ، وبمثل هذا الجزاء نجازى المفترين جميعا فى كل زمان ومكان ، لخروجهم عن طاعتنا ، وتجاوزهم لحدودنا ، فهو جزاء متكرر كلما تكررت الجريمة من بنى إسرائيل وغيرهم[1] .

صفات النقص التي تنافي الألوهية:

ولما اتخذ قومه العجل بَيَّن اللّه لهم صفات النقص التي تنافي الألوهية فقال : ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨] ،

وقال : ﴿ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ﴾ [طه : ٨٨ – ٩٠] .

فوصفه بأنه وإن كان قد صوت صوتا هو خوار فإنه لا يكلمهم، ولا يرجع إليهم قولا، وأنه لا يهديهم سبيلا، ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا وقال القفال : كان ألسامري احتال بأن جوف العجل ، وكان قابل به الريح ، حتى جاء من ذلك ما يحاكي الخوار ، وأوهمهم أن ذلك إنما صار كذلك لما طرح في الجسد من التراب الذي كان أخذه من تراب قوائم فرس جبريل [2].

"**عجلا له خوار**": يعني صوت وقال مجاهد خوار العجل كان هفيف الريح إذا دخلت جوفه وهكذا روي عن علي بن أبي طالب وإحدى الروايتين عن إبن عباس رضي الله عنه أنه قال صار عجلا له لحم ودم وخرج منه الصوت مرة واحده هفيف

وقوله :" **جسدا** " قيل : جسدا لا رأس له ، وقيل : جسدا لا يضر ولا ينفع .

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٥/ ٣٨٤) .
(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٠٨).

وقال الخليل[1] : العرب تسمي كل ما لا يأكل ولا يشرب جسدا ، وكان العجل لا يأكل ولا يشرب ويصيح ، والقول الأول أضعف الأقوال[2] .

واختلفوا في الخوار :

فالأكثرون أنه صوت عجل حي ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة وجماعة ، وقال مجاهد : هو صوت حفيف الريح ، كانت تدخل في جوفه وتخرج ، وهو قول ضعيف وقوله: {فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي} فيه قولان: أحدهما: أن هذا إلهكم وإله موسى، تركه موسى هاهنا، وذهب يطلبه.

والثاني: معناه: فنسي السامري الإيمان بالله، أي: ترك. وقيل: فنسي موسى أن يذكر لكم أن هذا هو الإله. حدة فقال " هذا إلهكم " [3] .

المحنة والابتلاء:

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾[طه: ٨٥]

وقوله﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴾ [طه: ٩٠]   لقد قال لعبدة العجل من بني إسرائيل هارون، من قبل رجوع موسى إليهم، وقيله لهم ما قال مما أخبر الله عنه﴿ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ ﴾ يقول: إنما اختبر الله إيمانكم ومحافظتكم على دينكم بهذا العجل الذي أحدث فيه الخوار، ليعلم به الصحيح الإيمان منكم من المريض القلب، الشاكّ في دينه.[4] .

قال الشنقيطي:"بيّن جلّ وعلا في هاتين الآيتين الكريمتين: أن بني إسرائيل لما فتنهم السامري وأضلهم بعبادة العجل، نصحهم نبي الله هارون عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وبيّن لهم عبادتهم العجل فتنة فتنوا بها. أي كفر وضلال ارتكبوه بذلك، وبيّن لهم أن ربهم الرحمن خالق كل شيء جّل وعلا، وأن عجلاً مصطنعاً من حليّ لا يعبده إلا مفتون ضال

---

(١) الخَلِيل (١٠٠ - ١٧٠ هـ = ٧١٨ - ٧٨٦ م) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها. وهو أستاذ سيبويه النحويّ ولد ومات في البصرة، وعاش فقيرا صابرا. كان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغمورا في الناس لايعرف. قال النَّضْر بن شُمَيْل: ما رأى الرأوون مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه الأعلام للزركلي (٢/ ٣١٤)

(٢) تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٢/ ٤٠٩)

(٣) تفسير السمعاني (٣/ ٣٤٩).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ٣٥٨).

كافر. وأمرهم باتباعه في توحيد الله تعالى، والوفاء بموعد موسى عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام وأن يطيعوه في ذلك. فصارحوه بالتمرد والعصيان والديمومة على الكفر حتى يرجع موسى. وهذا يدّل على أنه بلغ معهم غاية جهده وطاقته، وأنهم استضعفوه وتمردوا عليه ولم يطيعوه.[1] .

قال الطاهر بن عاشور[2]:"معنى إِنَّمَا فُتِنْتُم بِهِ : ما هو إلاّ فتنة لكم وليس ربّاً ، وإن ربّكم الرحمن الذي يرحمكم في سائر الأحوال ، فأجابوه بأنّهم لا يزالون عاكفين على عبادته حتى يرجع موسى فيصرّح لهم بأن ذلك العجل ليس هو ربّهم .

ورتب هارون خطابه على حسب الترتيب الطبيعي لأنه ابتدأه بزجرهم عن الباطل وعن عبادة ما ليس برب ، ثمّ دعاهم إلى معرفة الرب الحق ، ثمّ دعاهم إلى اتباع الرسول إذ كان رسولاً بينهم ، ثم دعاهم إلى العمل بالشرائع ، فما كان منهم إلاّ التصميم على استمرار عبادتهم العجل فأجابوا هارون جواباً جازماً .

و " عَلَيهِ" " متعلّق ب " ﴿عاكِفِينَ ﴾ قدم على متعلقه لتقوية الحكم ، أو أرادوا : لن نبرح نخصه بالعكوف لا نعكف على غيره"[3] .

الاستعباد الطويل في في ظل الفرعونية الوثنية:

قال سيد قطب:"ولكن الاستعباد الطويل والذل في ظل الفرعونية الوثنية كان قد أفسد طبيعة القوم وأضعف استعدادهم لاحتمال التكاليف والصبر عليها ، والوفاء بالعهد والثبات عليه؛ وترك في كيانهم النفسي خلخلة واستعداداً للانقياد والتقليد المريح . . فما يكاد موسى يتركهم في رعاية هارون ويبعد عنهم قليلاً حتى تتخلخل عقيدتهم كلها وتنهار أمام أول اختبار . ولم يكن بد من اختبارات متوالية وابتلاءات متكررة لإعادة بنائهم النفسي . وكان أول ابتلاء هو ابتلاؤهم بالعجل الذي صنعه لهم ألسامري ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾[

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢١/ ١٧١).

(٢) ابن عاشُور (١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٧٩ - ١٩٧٣ م) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، الأعلام للزركلي (٦/ ١٧٤)

(٣) التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية (١٦/ ٢٩٠)

طه: ٨٥] ولم يكن لدى موسى علم بهذا الابتلاء ، حتى لقي ربه ، وتلقى الألواح وفي نسختها هدى ، وبها الدستور التشريعي لبناء بني إسرائيل بناء يصلح للمهمة التي هم منتدبون لها (١)

حب الشيء يعمي ويصم :

﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٣]

وأشربوا في قلوبهم العجل" أي حب العجل. والمعنى: جعلت قلوبهم تشربه، وهذا تشبيه ومجاز عبارة عن تمكن أمر العجل في قلوبهم. وفي الحديث: « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء» (٢)؛(٣) .

وعن قتادة ، في قوله تعالى : ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ ﴾ قال : " أشربوا حبه ، حتى خلص ذلك إلى قلوبهم " (٤) .

قال البغوي(٥):" أي حب العجل، أي معناه: أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها، كإشراب اللون لشدة الملازمة يقال: فلان مشرب اللون إذا اختلط بياضه بالحمرة، وفي القصص: أن موسى أمر أن يبرد العجل بالمبرد ثم يذره في النهر وأمرهم بالشرب منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه"(٦) .

قيل لسفيان بن عيينة : "ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم ؟ ! فقال : أنسيت قوله تعالى﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ ﴾ [البقرة : ٩٣] ؟ ! ، أو نحو هذا من

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٣٤٦-٢٣٤٧)

(٢) أخرجه أحمد (٣٨٦/٥ ، رقم ٢٣٣٢٨) والجمع بين الصحيحين (١/ ٢٨٩) ٤١٦ وهو في افراد مسلم (١٢٨/١ ، رقم ١٤٤) كنز العمال (١١/ ١١٨)برقم (٣٠٨٥٣).

(٣) تفسير القرطبي (٢/ ٣١).

(٤) تفسير عبد الرزاق (١/ ٢٨٠) المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

(٥) البَغَوي (٤٣٦ - ٥١٠ هـ = ١٠٤٤ - ١١١٧ م) الحسين بن مسعود بن محمد، الفرّاء، أو ابن الفَرَّاء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنّة، فقيه، محدث، مفسر نسبته إلى (بَغَا) من قرى خراسان، بين هراة ومرو. له (التهذيب - خ) في فقه الشافعية، و (شرح السنة - خ) في الحديث، و (لباب التأويل في معالم التنزيل - ط) في التفسير، الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٩)

(٦) تفسير البغوي (١/ ١٢٢)

الكلام . فعباد الأصنام يحبون آلهتهم، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة : ١٦٥] [(١)] .

وعن أبي الدرداء[(٢)] –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه– وسلم قال: "حُبُّك الشيء يُعْمِي ويُصم" [(٣)] .

قال سيد قطب :"فأما الصورة الغليظة التي ترسمها : ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل ﴾ فهي صورة فريدة . لقد أشربوا . أشربوا بفعل فاعل سواهم . أشربوا ماذا؟ أشربوا العجل! وأين أشربوه؟ أشربوه في قلوبهم! ويظل الخيال يتمثل تلك المحاولة العنيفة الغليظة ، وتلك الصورة الساخرة الهازئة : صورة العجل يدخل في القلوب إدخالاً ، ويحشر فيها حشراً ، حتى ليكاد ينسى المعنى الذهني الذي جاءت هذه الصورة المجسمة لتؤديه ، وهو حبهم الشديد لعبادة العجل ، حتى لكأنهم أشربوه إشراباً في القلوب! هنا تبدو قيمة التعبير القرآني المصور ، بالقياس . إن التعبير الذهني المفسر . . إنه التصوير . . السمة البارزة في التعبير القرآني الجميل [(٤)]

نهاية الباطل وأعوانه:

﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾طه: [٩٧ –٩٨]

﴿وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّه﴾ على أن التحريق معناه التحريق بالنار كما قاله جماعة من العلماء، فيظهر أن العجل صار جسدًا لحمًا ودمًا؛ لأن اللحم والدم إذا أُحرق بالنار يبس وأمكن دقه ونسفه في البحر؛ لأن الذهب والفضة لا يمكن دقهما ونسفهما في

---

(١) العبودية (ص: ٦٨)

(٢) : أبو الدرداء :اسمه عويمر بن عَامِر بن مالك بن زيد بن قيس بن أمية بن عَامِر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وقيل: اسمه عَامِر بن مالك، وعويمر لقب، وقد ذكرناه فِي عويمر أتم من هَذَا وأمه محبة بنت واقد بن عَمْرو بن الإطنابة، تأخر إسلامه قليلا، كَانَ آخر أهل داره إسلاما، وحسن إسلامه، وَكَانَ فقيها عاقلا حكيما، آخى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه وبين سُلَمَان الفارسي، وقال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " عويمر حكيم أمتي ". شهد ما بعد أحد من المشاهد، واختلف فِي شهوده أحدا. ولي أبو الدرداء قضاء دمشق فِي خلافة عثمان، وتوفي قبل أن يقتل عثمان بسنتين ولي أبو الدرداء قضاء دمشق فِي خلافة عثمان، وتوفي قبل أن يقتل عثمان بسنتين أسد الغابة ط العلمية (٦/ ٩٤).

(٣) المعجم الأوسط (٤/ ٣٣٤)،برقم (٤٣٥٩) شعب الإيمان (٢/ ١٣،برقم٤٠٧) مسند أحمد ط الرسالة (٣٦/ ٢٤،برقم ٢١٦٩٤) ومسند ابن أبي شيبة (١/ ٥٧،برقم ٤٩) سنن أبي داود ت الأرنؤوط (٧/ ٤٤٨،برقم ٥١٣٠) باب في الهَوَى (٧/ ٤٤٨) صحيح موقوفاً، وهذا إسناد ضعيف لضعف أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم، وبقية -وهو ابن الوليد- وإن كان ضعيفاً قد توبع. وأورده السيوطي في "الدر المنثور" (١٨٦)، وقال: الوقف أشبه. ٥١٣٠ مشكاة المصابيح (٣/ ١٣٧٤) ٤٩٠٨ -[١٦] (لم تتمّ دراسته) صحيح وضعيف سنن أبي داود (ص: ٢ ضعيف، الضعيفة (١٨٦٨) ٥١٣٠

(٤) في ظلال القرآن (١/ ٩١-٩٢)

البحر، وأما على أن المعنى لنحرّقنّه: نبردنّه بالمبارد كما تشهد له القراءة الأخرى: ﴿لَنَحْرُقَنَّهُ﴾ [طه: آية ٩٧] فعلى هذا المعنى فالأليق أن يكون بقي ذهبًا وفضة إلا أنه يصوّت صَوْتَ البَقَر إذا دخلت الريح في داخله [(١)].

وقد نسبت العبادة إلى كلهم، والذي عبد العجل بعضهم؛ لأن الذين لم يعبدوا لم ينهوا غيرهم فكانوا مثلهم كما قال تعالى فيهم: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾المائدة: ٧٨ – ٧٩ [(٢)] .

قال الطبري :حين عبدوا العجل فقال لهم موسى ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾البقرة: ٥٤ يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف فكان من قتل من الفريقين شهيدا حتى كثر القتل حتى كادوا أن يهلكوا حتى قتل بينهم سبعون ألفا حتى دعا موسى وهارون ربنا هلكت بنو إسرائيل ربنا البقية البقية فأمرهم أن يضعوا السلاح وتاب عليهم فكان من قتل كان شهيدا ومن بقي كان مكفرا عنه فذلك قوله فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم فيقال إنهم أصبحوا يوما وقد أخذ من لم يعبد العجل في أيديهم السيوف ثم مالوا على عابديه فقتلوهم وحصدوهم فيقال إنهم قتلوا في صبيحة واحدة سبعين ألفا [(٣)].

توبة بني إسرائيل القتل :

قال سفيان بن عيينه: التوبة نعمة من الله أنعم الله بها على هذه الأمة دون غيرها من الأمم وكانت توبة بني إسرائيل القتل. وأجمعوا على أنه لم يؤمر كل واحد من عبدة العجل بأن يقتل نفسه بيده قال الزهري : لما قيل لهم : ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ قاموا صفين وقتل بعضهم بعضا حتى قيل لهم : كفوا فكان ذلك شهادة للمقتول وتوبة للحي على ما تقدم

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٤/ ١٦٦)

(٢) زهرة التفاسير (١/ ٢٢٩)

(٣) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (١/ ٤٢٤) المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ) الناشر: دار التراث - بيروت الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ

وقال بعض المفسرين : أرسل الله عليهم ظلاما ففعلوا ذلك وقيل : وقف الذين عبدوا العجل صفا ودخل الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلوهم.

وقيل : قام السبعون الذين كانوا مع موسى فقتلوا – إذ لم يعبدوا العجل – من عبد العجل(١) .

أخبر تعالى عن حلمه ورحمته بخلقه وإحسانه على عبيده في قبوله توبة من تاب إليه بتوبته عليه فقال ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الاعراف: ١٥٣] لكن لم يقبل الله توبة عابدي العجل إلا بالقتل (٢) .

الخيانة بعبادة العجل بمجرد غيبةموسى وسوء العاقبة:

وهنا فقط يذكرهم بها ، وهي معروفة لديهم . يذكرهم بانحدارهم إلى عبادة العجل بمجرد غيبة نبيهم ، الذي أنقذهم باسم الله ، من آل فرعون يسومونهم سوء العذاب . ويصف حقيقة موقفهم في هذه العبادة :

﴿ وأنتم ظالمون ﴾ . . ومن أظلم ممن يترك عبادة الله ووصية نبيه ليعبد عجلاً جسداً ، وقد أنقذه الله ممن كانوا يقدسون العجول!

ومع هذا فقد عفا الله عنهم ، وآتى نبيهم الكتاب – وهو التوراة – فيه فرقان بين الحق والباطل ، عسى أن يهتدوا إلى الحق البين بعد الضلال .

ولم يكن بد من التطهير القاسي؛ فهذه الطبيعة المنهارة الخاوية لا تقومها إلا كفارة صارمة ، وتأديب عنيف . عنيف في طريقته وفي حقيقته :

﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٥٤] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٠١)

(٢) البداية والنهاية ط هجر (٢/ ١٥٠) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

أقتلوا أنفسكم . ليقتل الطائع منكم العاصي . ليطهره ويطهر نفسه . . هكذا وردت الروايات عن تلك الكفارة العنيفة . . وإنه لتكليف مرهق شاق ، أن يقتل الأخ أخاه ، فكأنما يقتل نفسه برضاه .

ولكنه كذلك كان تربية لتلك الطبيعة المنهارة الخوارة ، التي لا تتماسك عن شر ، ولا تتناهى عن نكر . ولو تناهوا عن المنكر في غيبة نبيهم ما عبدوا العجل . وإذ لم يتناهوا بالكلام فليتناهوا بالحسام؛ وليؤدوا الضريبة الفادحة الثقيلة التي تنفعهم وتربيهم! وهنا تدركهم رحمة الله بعد التطهير(١) .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢]

دعوة أهل الكتاب إِلَى عبادة اللهِ :

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران: ٦٤]

قال تعالى لرسوله قل لهم يا أهل الكتاب من يهود ونصارى تعالوا ارتفعوا من وهدة الباطل التي أنتم واقعون فيها إلى كلمة سواء كلمة عدل نصف بيننا وهي أن نعبد الله وحده لا نشرك به سواه وأن لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فيفرض طاعته على غيره ويلزمه بالسجود له تعظيماً وتقديساً(٢) .

قال ابن كثير :"هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن جرى مجراهم ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ ﴾

والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال هاهنا. ثم وصفها بقوله: ﴿ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي: عدل ونصف، نستوي نحن وأنتم فيها. ثم فسرها بقوله: ﴿ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾لا وَثَنا، ولا صنما، ولا صليبا ولا طاغوتا، ولا نارًا، ولا شيئًا بل نُفْرِدُ العبادة لله وحده لا شريك له.

---

(١) في ظلال القرآن (١/ ٧١)
(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (١/ ٣٢٧).

ثم قال: ﴿ وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ وقال ابن جُرَيْج[١]: يعني: يطيع بعضنا بعضا في معصية الله. وقال عكرمة[٢]: يعني: يسجد بعضنا لبعض[٣] .

وقال سبحانه ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[البقرة: ٨٣].

---

(١)ابن جريج أبو خالد وأبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، القرشي بالولاء المكي، مولى أمية بن خالد بن أسيد،.. وكان عبد الملك أحد العلماء المشهورين، ويقال إنه أول من صنف الكتب في الإسلام، وكان يقول: كنت مع معن بن زائدة باليمن، فحضر وقت الحج فلم تحضرني نية، فخطر ببالي قول عمر بن أبي ربيعة :

بالله قولي له من غير معتبةٍ *** ماذا أردت بطول المكث في اليمن

إن كنت حاولت دنيا أو نعمت بها *** فما أخذت بترك الحج من ثمن

قال: فدخلت على معن فأخبرته أني قد عزمت على الحج، فقال لي: ما يدعوك إليه ولم تكن تذكره فقلت له: ذكرت بيتين لعمر بن أبي ربيعة، وأنشدته إياهما، فجهزني وانطلقت. وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة، وقدم بغداد على أبي جعفر المنصور. وتوفي سنة تسع وأربعين ومائة، وقيل سنة خمسين، وقيل إحدى وخمسين ومائة، رحمه الله تعالى. وفيات الأعيان (٣/- ١٦٤)

(٢) عكرمة أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما؛ أصله من البربر من أهل المغرب، كان لحصين بن الحر العنبري، فوهبه لابن عباس رضي الله عنهما، حين ولي البصرة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه واجتهد ابن عباس في تعليمه القرآن والسنن وسماه بأسماء العرب وتوفي عكرمة في سنة سبع ومائة، وقيل سنة ست، وقيل سنة أربع، وقيل سنة خمس، وقيل سنة خمس عشرة، والله أعلم، وعمره ثمانون، وقيل أربع وثمانون سنة. وروى محمد بن سعد عن الواقدي عن خالد بن القاسم البياضي قال: مات عكرمة وكثير عزة الشاعر في يوم واحد، سنة خمس ومائة، فرأيتهما جميعاً صلي عليهما في موضع الجنائز بعد الظهر، فقال الناس: مات أفقه الناس وأشعر الناس، رحمهما الله تعالى وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٥) وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٦)

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٥ - ٥٦)

الفصل الثالث

معبودات النصارى

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : عبدة عيسى

المبحث الثاني : عبدة عيسى والروح

الفصل الثالث

معبودات النصارى

تمهيد

فأما النصارى فقد كانوا قبل أن تتصر قسطنطين الملك على دين صحيح في توحيد الله تعالى و نبوة عيسى عليه السلام ثم اختلفوا في عيسى بعد تتصر قسطنطين و هو أول من تتصر من ملوك الروم فقال أوائل النسطورية إن عيسى هو الله و قال أوائل اليعاقبة إنه ابن الله و قال أوائل الملكانية إن الآلهة ثلاثة أحدهم عيسى ثم عدل أواخرهم عن التصريح بهذا القول المستنكر حين استنكرته النفوس و دفعته العقول فقالوا : إن الله تعالى جوهر واحد هو ثلاثة أقانيم : أقنوم الأب و أقنوم الابن و أقنوم روح القدس و إنها واحدة في الجوهرية و ان أقنوم الأب الذات و أقنوم الابن هو الكلمة و أقنوم روح القدس هو الحياة [١] .

وأما الشرك في النصارى فحدث بعد رفع المسيح عليه السلام إلى السماء، على يد اليهودي "بولس"، الذي أظهر الإيمان بالمسيح مكراً وخداعاً، فأدخل في دين النصارى التثليث وعبادة الصليب، وكثيراً من الوثنيات[٢] .

بولس اول من ابتدع اللاهوت والناسوت[٣] في شأن المسيح:

قال ابن القيم –رحمه الله تعالى– : " ثم قام بعده قيصر آخر وفي زمنه جعل في أنطاكية بتركاً يسمى بولس الشمشاطي وهو أول من ابتدع في شأن المسيح اللاهوت والناسوت وكانت النصارى قبله كلمتهم واحدة أنه عبد رسول مخلوق مصنوع مربوب ، لا يختلف فيه إثنان منهم ، فقال بولس هذا وهو أول من أفسد دين النصارى إن سيدنا المسيح خلق من اللاهوت انساناً كواحد منا في جوهره ، وأن ابتداء الابن من مريم ، وأنه اصطفي ليكون مخلصاً للجوهر

---

(١) أعلام النبوة للماوردي (ص: ٢٥) المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت الطبعة: الأول - ١٤٠٩ هـ

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٥)

(٣) أم البراهين .. في الرد التفصيلي على مذهب الأشعرية والماتردية (٢/ ٤٧)
فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام وزعموا أن عيسى عليه السلام نفس كلمة الله واتحد اللاهوت والناسوت ، أي شيء من الإله بشيء من الناس . أفيستدل بقول نصراني قد ضل في معنى الكلام على معنى الكلام ، ويترك ما يعلم من معنى الكلام في لغة العرب ؟ وأيضاً فمعناه غير صحيح إذ لازمه أن الأخرس يسمى متكلماً لقيام الكلام بقلبه ، وإن لم ينطق به ولم يسمع منه)

الإنسي صحبته الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة ، ولذلك سمي ابن الله وقال إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد(١) .

التعريف بالنصارى:

أ- النصارى في اللغة:

أَما نَصارَى فذهب الخليل:" إِلى أَنه جمع نَصْرِيٍّ ونَصْران كما قالوا ندْمان ونَدامى ولكنهم حذفوا إِحدى الياءَين"

وقال الليث(٢): زعموا أَنهم نُسِبُوا إِلى قرية بالشام اسمها نَصْرُونة التهذيب وقد جاء أَنْصار في جمع النَّصْران قال لما رأَيتُ نَبَطاً أَنْصارا بمعنى النَّصارى الجوهري ونَصْرانُ قرية بالشأْم ينسب إِليها النَّصارى ويقال ناصِرَةُ والتَّنَصُّرُ الدخول في النَّصْرانية(٣) .

التناصر: التعاون، والتنصر الدخول في دين النصرانية(٤) .

عن ابن مسعود قال : "نحن أعلم الناس من أين تسمت اليهود باليهودية ولم تسمت النصارى بالنصرانية إنما تسمت اليهود باليهودية بكلمة قالها موسى إنا هدنا إليك فلما مات قالوا هذه الكلمة كانت تعجبه فتسموا اليهود وإنما تسمت النصارى بالنصرانية لكلمة قالها عيسى من أنصاري إلى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله فتسموا بالنصرانية".

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال :" إنما سموا نصارى بقرية يقال لها ناصرة ينزلها عيسى بن مريم فهو اسم تسموا به ولم يؤمروا به (٥) .

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/ ٥٤٨) المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد أحمد الحاج الناشر: دار القلم- دار الشامية، جدة - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

(٢) اللَّيْث (٩٤ - ١٧٥ هـ = ٧١٣ - ٧٩١ م) الليث بن سعد عبد الرحمن الفهميّ: بالولاء، أبو الحارث: إمام أهل مصر في عصره، حديثا وفقها. قال ابن تغري بردي: " كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره، بحيث أن القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته ". أصله من خراسان، ومولده في قلقشندة، ووفاته في القاهرة. وكان من الكرماء الأجواد. وقال الإمام الشافعيّ: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به. أخباره كثيرة، وله تصانيف. ولابن حجر العسقلاني، كتاب " الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية - ط " في سيرته الأعلام للزركلي (٥/ ٢٤٨) .

(٣) لسان العرب (٥/ ٢١٠).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ١١٠) المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٥) الدر المنثور (١/ ١٨٢) .

قال ابن كثير: "وسموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم، وقد يقال لهم: أنصار أيضًا، كما قال عيسى، عليه السلام: ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾[آل عمران: ٥٢] وقيل: إنهم إنما سُمّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضًا يقال لها ناصرة [(١)] .

النصرانية في الاصطلاح:

هي الدين الذي انحرف عن الرسالة التي أُنزلت على عيسى عليه الصلاة والسلام، مكمِّلة لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية[(٢)] .

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٨٥).
(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٥٦٤)

المبحث الأول

عبدة عيسى

أولاً: التعريف بالمسيح :

والمسيح والمَسِيحة : (القِطْعَةُ من الفِضَّةِ) ، عن الأَصمعيّ[1] ، قيل : وبهُ سُمِّيَ عيسَى عليه السلامُ لحُسْنِ وَجْهه .

قال ابن السِّكِّيت : يقول كأَنَّمَا أُلبِسَتْ صفيحَةَ فِضَّةٍ من حُسْن لوْنِهَا وبَرِيقها ، والمسيح الصِّدِّيق[2]

قال ابن سيده[3]والمسيح عيسى بن مريم صلى الله على نبينا وعليهما قيل سمي بذلك لصدقه وقيل سمي به لأَنه كان سائحاً في الأَرض لا يستقرّ وقيل سمي بذلك لأَنه كان يمسح بيده على العليل والأَكمه والأَبرص فيبرئه بإِذن الله

وقال شمر[4] سمي عيسى المَسِيحَ لأَنه مُسِحَ بالبركة وقال أَبو العباس سمي مَسِيحاً لأَنه كان يَمْسَحُ الأَرض أَي يقطعها وروي عن ابن عباس أَنه كان لا يَمْسَحُ بيده ذا عاهة إِلاَّ بَرأَ وقيل سمي مسيحاً لأَنه كان أَمْسَحَ الرِّجْل ليس لرجله أَخْمَصُ كلمة لأَنه أَلقى إِليها الكلمةَ ثم كَوَّنَ الكلمة بشراً[5] .

حقيقة عيسى كما سطرها القرآن :

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾[النساء: ١٧٢]

---

(١) الأَصْمَعي(١٢٢ - ٢١٦ هـ = ٧٤٠ - ٨٣١ م) عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي: راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمع. ومولده ووفاته في البصرة. كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، وكان الرشيد يسميه " شيطان الشعر ". قال الأخفش: ما رأينا أحدا أعلم بالشعر من الأصمعي. وقال أبو الطيب اللغوي: كان أتقن القوم للغة، وأعلمهم بالشعر، وأحضرهم حفظا الأعلام للزركلي (٤/ ١٦٢)وَقَدِ أَثْنَى أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ عَلَى الأَصْمَعِيِّ فِي السُّنَّةِ. سير أعلام النبلاء ط الحديث (٨/ ٢٣٢).

(٢) تاج العروس م ن جواهر القاموس (٧/ ١٢٥).

(٣) ابن سيده (٣٩٨- ٤٥٨)هـ = ١٠٠٧ - ١٠٦٦ م(علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن: إمام في اللغة وآدابها. ولد بمرسية (في شرق الأندلس) وانتقل إلى دانية فتوفي بها. كان ضريرا (وكذلك أبوه) واشتغل بنظم الشعر مدة، وانقطع للأمير أبي الجيش مجاهد العامري الأعلام للزركلي (٤/ ٢٦٣).

(٤) شمر (٠٠٠ - ٢٥٥ هـ = ٠٠٠ - ٨٦٩ م) شمر بن حمدويه الهروي، أبو عمرو: لغويّ أديب. من أهل هراة (بخراسان) زار بلاد العراق في شبابه، وأخذ عن علمائها. له كتاب كبير في اللغة، ابتدأه بحرف الجيم، غرق في النهروان، ورأى منه الأزهري (المتوفى سنة ٣٧٠ هـ تفاريق أجزاء غير كاملة. ومن كتبه أيضا (غريب الحديث) كبير جدا، و (السلاح والجبال والأودية) الأعلام للزركلي (٣/ ١٧٥).

(٥) لسان العرب (٢/ ٥٩٣).

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ ﴾ [مريم: ٣٣ – ٣٦]

قال وهبة الزحيلي[١] :"ذلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ أي ذلك المتصف بالأوصاف السابقة الذي قصصناه عليك هو عيسى ابن مريم، وهذا الكلام المذكور هو قول الحق والصدق الذي لا مرية فيه ولا شك، وهو حقيقة عيسى، لا ما يقوله اليهود: إنه ساحر، ولا ما يقوله النصارى: إنه ابن الله أو هو الله" [٢] .

وقد كانت معجزة ولادته من غير أب فتنة هلك فيها من هلك من الخلق، فاليهود طعنوا بسببها في مريم المطهرة البتول، ورموها بالزنا كما تقدم، فقالوا: إن الولد لا بد أن يكون له أب، والمسيح ليس له أب فلابد أن يكون أبن زنا عندهم..

١- المسيح عبداً لله:

القول في تأويل قوله : ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ ﴾

يعني جل ثناؤه بقوله:"لن يستنكف المسيح"، لن يأنف ولن يستكبر المسيح="أن يكون عبدًا لله"، يعني: من أن يكون عبدًا لله،[٣] .

إن المسيح عيسى بن مريم لن يتعالى عن أن يكون عبداً لله . لأنه – عليه السلام – وهو نبي الله ورسوله – خير من يعرف حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية؛ وأنهما ماهيتان مختلفتان لا تمتزجان . وهو خير من يعرف أنه من خلق الله؛ فلا يكون خلق الله كالله؛ أو بعضاً من الله! وهو خير من يعرف أن العبودية لله – فضلاً على أنها الحقيقة المؤكدة الوحيدة –... فما بال جماعة من أتباع المسيح يأبون له ما يرضاه لنفسه ويعرفه حق المعرفة؟![٤] .

---

(١) أ. د. وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلاميّ وأصوله بجامعة دمشق - كلّيَّة الشَّريعة الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي

(٢) التفسير المنير للزحيلي (١٦/ ٩٥)

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٤٢٤)

(٤). في ظلال القرآن (١/ ٨٢٠)

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم: ٨٨ – ٩٣]

﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ ، قال ابن عباس : منكرا . وقال قتادة ومجاهد : عظيما .

وقال مقاتل(١) : لقد قلتم قولا عظيما . والإد في كلام العرب أعظم الدواهي(٢) .

لما قرر تعالى في هذه السورة الشريفة عبودية عيسى عليه السلام، وذكر خلقه من مريم بلا أب، شرع في مقام الإنكار على من زعم أن له ولدا، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا فقال: {وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم} أي في قولكم، هذا {شيئا إدا}، قال ابن عباس: أي عظيما، وقوله: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ أي يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم إعظاما للرب وإجلالا، لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده وأنه لا إله إلا هو، قال ابن جرير، عن ابن عباس في قوله: ﴿تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا * أن دعوا للرحمن ولد﴾ قال: إن الشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت تزول منه لعظمة الله(٣) .

٢- مثل عيسى عند الله كمثل آد م:

قوله تعالى :﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩] دليل على صحة القياس. والتشبيه واقع على أن عيسى خلق من غير أب كآدم ، لا على أنه خلق من تراب. والشيء قد يشبه بالشيء وإن كان بينهما فرق كبير بعد أن

---

(١) مقاتل بن سُلَيْمان بن بشير الأزدي الخراساني أَبُو الحسن البلخي، صاحب التفسير.
وَقَال علي بْن الحسين بْن واقد المروزي ، عَن عَبد المجيد من أهل مرو: سألت مقاتل بْن حيان فقلت: يَا أَبَا بسطام أنت أعلم أو مقاتل بْن سُلَيْمان؟ قال: ما وجدت علم مقاتل فِي علم الناس إلا كالبحر الأخضر فِي سائر البحور. وَقَال أَبُو الحارث الجوزجاني : حكي لي عَن الشافعي أنه قال: الناس كلهم عيال على ثلاثة: على مقاتل فِي التفسير، وعلى زهير بْن أَبي سلمى فِي الشعر، وعلى أَبِي حنيفة فِي الكلام. وروي عَن الربيع بْن سُلَيْمان قال: سمعت الشافعي يقول: من أراد التفسير فعليه بمقاتل بْن سُلَيْمان، ومن أراد الأثر الصحيح فعليه بمالك، ومن أراد الجدل فعليه بأبي حنيفة. تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٨/ ٤٣٤- ٤٣٦) المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ) المحقق: د. بشار عواد معروف الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠
(٢) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل (٥/ ٩٨)
(٣) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٦)

يجتمعا في وصف واحد ؛ فان آدم خلق من تراب ولم يخلق عيسى من تراب فكان بينهما فرق من هذه الجهة ، ولكن شبه ما بينهما أنهما خلقهما من غير أب ؛ ولأن أصل خلقتهما كان من تراب

ولكنه جعل التراب طينا ثم جعله صلصالا ثم خلقه منه ، فكذلك عيسى حوله من حال إلى حال ، ثم جعله بشرا من غير أب[1].

إن ولادة عيسى عجيبة حقاً بالقياس إلى مألوف البشر . ولكن أية غرابة فيها حين تقاس إلى خلق آدم أبي البشر؟ وأهل الكتاب الذين كانوا يناظرون ويجادلون حول عيسى – بسبب مولده – ويصوغون حوله الأوهام والأساطير بسبب أنه نشأ من غير أب . . أهل الكتاب هؤلاء كانوا يقرون بنشأة آدم من التراب . وأن النفخة من روح الله هي التي جعلت منه هذا الكائن الإنساني . . دون أن يصوغوا حول آدم الأساطير التي صاغوها حول عيسى . ودون أن يقولوا عن آدم : إن له طبيعة لاهوتية . على حين أن العنصر الذي به صار آدم إنسانا هو ذاته العنصر الذي به ولد عيسى من غير أب : عنصر النفخة الإلهية في هذا وذاك! وإن هي إلا الكلمة : ﴿ كن﴾ تنشىء ما تراد له النشأة ﴿ فيكون﴾.

وهكذا تتجلى بساطة هذه الحقيقة . . حقيقة عيسى ، وحقيقة آدم ، وحقيقة الخلق كله . وتدخل إلى النفس في يسر وفي وضوح ، حتى ليعجب الإنسان : كيف ثار الجدل حول هذا الحادث ، وهو جار وفق السنة الكبرى . سنة الخلق والنشأة جميعاً!شبهات حول هذه الحقيقة البسيطة؟[2] .

فالنصارى إذا قالوا : إن المسيح هو الخالق، كانوا ضالين من جهة جعل الصفة خالقة، ومن جهة جعله هو نفس الصفة، وإنما هو مخلوق بالكلمة، ثم قولهم بالتثليث وإن الصفات ثلاث باطل، وقولهم . أيضًا . بالحلول والاتحاد باطل، فقولهم يظهر بطلانه من هذه الوجوه وغيرها[3]

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٠٢،١٠٣)
(٢) في ظلال القرآن (١/ ٤٠٤-٤٠٥)
(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٧٧)

وطوائف النصارى المختلفة غلوا بصاحب هذه المعجزة فجعلوه ابن الله .. وجميعهم مرتكس في حمأة الضلال.. وقد ذكر الله تعالى أقاويلهم في القرآن وبين كفرهم وضلالهم فقال: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠]

وقال رسول الله– ﷺ–: "قال الله تعالى: شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه إياي فقوله إن لي ولداً وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد وأما تكذيبه إياي فقوله ليس يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته"[1] .

٣- ما أُمر به عِيسَى هو محض التوحيد:

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ ﴾ [المائدة: ١١٦]

وهذا توبيخ للنصارى الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، فيقول الله هذا الكلام لعيسى. فيتبرأ عيسى ويقول: ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ عن هذا الكلام القبيح، وعمّا لا يليق بك.

﴿ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ﴾ أي: ما ينبغي لي، ولا يليق أن أقول شيئا ليس من أوصافي ولا من حقوقي، فإنه ليس أحد من المخلوقين، لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون ولا غيرهم له حق ولا استحقاق لمقام الإلهية وإنما الجميع عباد، مدبرون، وخلق مسخرون، وفقراء عاجزون[2] .

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله – في هذه الآية بعد كلام سبق: "ثم نفى أن يكون قال لهم غير ما أُمر به وهو محض التوحيد، فقال: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ ﴾ [المائدة: ١١٧] ثم أخبر أن شهادته عليهم مدة مقامه فيهم وأنه بعد الوفاة لا اطلاع له

---

(١) الجمع بين الصحيحين (٣/ ٢٤٩) ٢٥٤٦)
وأخرجه البخاري من حديث شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن لي كفوا أحد
(٢) تفسير السعدي (ص: ٢٤٩)

عليهم، وأن الله عز وجل المنفرد بعد الوفاة بالاطلاع عليهم فقال: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ[١] .

فالنصارى –عليهم لعنة الله–من جهلهم ليس لهم ضابط، ولا لكفرهم حد، بل أقوالهم وضلالهم منتشر، فمنهم من يعتقده إلهًا، ومنهم من يعتقده شريكا، ومنهم من يعتقده ولدًا. وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة، وأقوال غير مؤتلفة، ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال: لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولا[٢].

مواجهة عيسى للذين عبدوه :

ويسكت السياق بعد وعد الله وتهديده . . ليمضي إلى القضية الأساسية . . قضية الألوهية والربوبية . . وهي القضية الواضحة في الدرس كله . . فلنعد إلى المشهد العظيم فهو ما يزال معروضاً على أنظار العالمين . لنعد إليه فنسمع استجواباً مباشراً في هذه المرة في مسألة الألوهية المدعاة لعيسى بن مريم وأمه . استجواباً يوجه إلى عيسى – عليه السلام – في مواجهة الذين عبدوه . ليسمعوه وهو يتبرأ إلى ربه في دهش وفزع من هذه الكبيرة التي افتروها عليه وهو منها بريء [٣]

ففي صحيح البخاري من حديث عمر بن الخطاب[٤] رضي الله عنه عن النبي –ﷺ–أنه قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » [٥].

قال ابن حجر:" قوله لا تطروني بضم أوله والإطراء المدح بالباطل تقول أطريت فلانا مدحته فأفرطت في مدحه قوله كما أطرت النصارى بن مريم أي في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك[٦].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٧٨)

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٩)

(٣) في ظلال القرآن (٢/ ١٠٠٠)

(٤) عمر بْن الخطاب- أمير المؤمنين رضى الله عنه- ابن نقيل بْن عبد العزى بْن رباح بْن عَبْد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بْن كَعْب القرشي العدوي، أَبُو حفص. ولد عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة. وَرَوَى أُسَامَة بْن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، قَالَ: سمعت عُمَر يَقُول: ولدت بعد الفجار الأعظم بأربع سنين. قال الزُّبَيْر: وَكَانَ عُمَر بْن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أشراف قريش، وإليه كانت السفارة فِي الجاهلية أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ رَجُلا وَإِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً. قال أَبُو عُمَر: فكان إسلامه عزا ظهر بِهِ الإسلام بدعوة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهاجر، فهو من المهاجرين الأولين، وشهد بدرا وبيعة الرضوان، وكل مشهد شهده رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتوفي رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ راضٍ، وولي الخلافة بعد أَبِي بَكْر الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١٤٤- ١١٤٥) .

(٥) صحيح البخاري في كتاب الأنبياء(٤/ ١٦٧،برقم ٣٤٤٥) ومسند أحمد ت شاكر (١/ ٢٣٥،برقم١٦٤).

(٦) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٩٠)

عقائد النصارى الضالة في عيسى عليه السلام:

النصارى مدحوا عيسى عليه السلام بأشياء مكذوبة، فقالوا: إنه ابن الله، أو إنه الله، أو إنه هو وأمه والله آلهة، وإلى الآن يقولون: الأقانيم الثلاثة، والأقنوم مرة يفسرونه بمعنى، ومرة يفسرونه بشخص، ومرة لا يدرون ماهو ..

ورحم الله ابن حزم(١) إذ يقول في وصفهم: " ولولا أن الله تعالى وصف قولهم في كتابه إذ يقول:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع.. وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى، ما صدقنا أن في العالم عقلاً يسع هذا الجنون "

وقال ابن تيمية في هذا الشأن: " قال طائفة من العقلاء: إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلا مقالة النصارى، وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا، بل تكلموا بجهل، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين،(٢) .

وفي حديث عبادة بن الصامت (٣) –رضي الله عنه– حيث قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل »(٤) .

---

(١) ابن حزم ٣٨٤- ٤٥٦ هـ = ٩٩٤ - ١٠٦٤ م علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الاسلام.كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم " الحزمية ". ولد بقرطبة. وكانت له ولابيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيها حافظا يستنبط الاحكام من الكتاب والسنة، بعيدا عن المصانعة أشهر مصنفاته " الفصل في الملل والاهواء والنحل - ط " وله " المحلى - ط " في ١١جزءا، الأعلام للزركلي (٤/ ٢٥٤)

(٢) مناظرات ابن تيمية لأهل الملل والنحل (ص: ٢٤) جمع وتعليق: د. عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف الناشر: مطابع أضواء المنتدى الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

(٣) عبادة بن الصّامت ، بن قيس بن أصرم بن فهر بن قيس بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصاريّ الخزرجيّ، أبو الوليد. قال خليفة بن خيّاط: وأمه قرّة العين بنت عبادة بن نضلة بن العجلان.
شهد بدرا. وقال ابن سعد: كان أحد النقباء بالعقبة، وآخى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم بينه وبين أبي مرثد الغنويّ، وشهد المشاهد كلّها بعد بدر. وقال ابن يونس: شهد فتح مصر، وكان أمير ربع المدد. ولعبادة قصص متعددة مع معاوية، وإنكاره عليه أشياء، وفي بعضها رجوع معاوية له، وفي بعضها شكواه إلى عثمان منه، تدلّ على قوته في دين اللَّه، وقيامه في الأمر بالمعروف. وروى ابن سعد في ترجمته أنه كان طوالا جميلا جسيما، ومات بالرّملة سنة أربع وثلاثين. الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٥٠٥-/ ٥٠٧).

(٤) صحيح البخاري في أحاديث الأنبياء ، باب قوله : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم (٤/ ١٦٥،برقم ٣٤٣٥) و صحيح مسلم باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار(١/ ٥٧)،برقم (٢٨) .

دين النصارى دين مليء بالغرائب والتناقضات:

وليس أقل تلك الغرائب البدعة التي اخترعها النصارى فيما يتعلق بصلب المسيح – عليه السلام – وليست الغرابة في دعوى صلبه – فقد قتل قبله أنبياء كثيرون – لكن الغرابة في فلسفة تلك الحادثة المخترعة التي تحولت في نظر النصارى من مصدر للألم ، إلى مصدر للفرح والسرور ، إذ يعتقد النصارى أن المسيح – عليه السلام – ابن الله عز وجل وهو في ذات الوقت إله مساو لله أو دونه – على خلاف بينهم في ذلك

وهنا مصدر الإشكال ، إذ كيف لابن الإله أن يصلب ، ويهان ، ويعلق على خشبة ، ويبصق في وجهه في مشهد تتفطر له الأكباد ؟!! فلأي شيء يترك الإله ابنه ، بل كيف للابن – الذي له صفات الإله في نظرهم – أن يترك حفنة من اليهود التعساء تفعل به هذه المهانة ، بل وتسخر منه أمام الملأ قائلة : يا من يدعي أنه يبني الهيكل في ثلاث ، كيف لا تستطيع أن تخلص نفسك ، كل ذلك وابن الإله " الإله " عاجز عن دفع الضر عن نفسه فضلاً عن أن يوقع الضرَّ بغيره ممن صلبه [1] .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " وكيف لا يميز من له أدنى عقل يرجع إليه بين دين قام أساسه وارتفع بناؤه على عبادة الرحمن ،والعمل بما يحبه ويرضاه مع الإخلاص في السر والإعلان ، ومعاملة خلقه بما أمر به من العدل ولإحسان، مع إيثار طاعته على طاعة الشيطان ، وبين دين أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار بصاحبه في النار ، أسس على عبادة النيران ، وعقد الشركة بين الرحمن والشيطان ، وبينه وبين الأوثان ، أو دين أسس بنيانه على عبادة الصلبان والصور المدهونة في السقوف والحيطان" [2] .

غلو النصارى في عيسى:

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧]

---

(١) عقيدة الخطيئة الأولى وفداء الصليب (ص: ١٠٧) .مرقم بحسب الشاملة.
(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (١/ ٢١٨) .

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله:﴿يا أهل الكتاب﴾، يا أهل الإنجيل من النصارى="لا تغلوا في دينكم"، يقول: لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيه، ولا تقولوا في عيسى غير الحق، فإن قيلكم في عيسى إنه ابن الله، قول منكم[١] .

وقال ابن كثير :"أي لا تغلوا في دينكم غلواً غير الحق ، أي غلواً باطلاً ، لأن الغلو في الدين نوعان : غلو حق ، وهو أن يبالغ في تقريره وتأكيده ، وغلو باطل وهو أن يتكلف في تقرير الشبه وإخفاء الدلائل ، وذلك الغلو هو أن اليهود لعنهم الله نسبوه إلى الزنا. وإلى أنه كذاب ، والنصارى ادعوا فيه الإلهية" [٢] .

وقال الفخر الرازي[٣] :"ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه" [٤] .

قال الشنقيطي: "قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، هذا الغلو الذي نهوا عنه هو وقول غير الحق هو قول بعضهم: إن عيسى ابن الله، وقول بعضهم: هو الله، وقول بعضهم: هو إله مع الله سبحانه وتعالى عن ذلك كله علوا كبيرا، كما بينه قوله تعالى: – ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٠]، وقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴾ [المائدة: ٧٣] ، وقوله: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ ﴾ [المائدة: ١٧] [٥] .

يا أهل الكتاب قيل نزلت في النصارى وقيل فيهم وفي اليهود ﴿لا تغلوا في دينكم﴾

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٤١٥).
(٢) تفسير الفخر الرازي (ص: ١٦٩٥).
(٣) الفَخْر الرَّازِي(٥٤٤ - ٦٠٦ هـ = ١١٥٠ - ١٢١٠ م) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ: الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الريّ) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه (مفاتيح الغيب - ط) ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم الأعلام للزركلي (٦/ ٣١٣).
(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٧).
(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ١٩٧).

الغلوّ هو التجاوز في الحد، ومنه غلا السعر يغلو غلاء وغلا الرجل في الأمر غلواً، وغلا بالجارية لحمها وعظمها إذا أسرعت الشباب فتجاوزت لداتها، والمراد بالآية النهي لهم عن الإفراط تارة والتفريط أخرى.

فمن الإفراط غلوّ النصارى في عيسى حتى جعلوه رباً، ومن التفريط غلو اليهود فيه عليه السلام حتى جعلوه لغير رشدة، وما أحسن قول الشاعر:

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد *** كلا طرفي قصد الأمور ذميم [1] .

قول البوصيري[2]:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم *** واحكم ما شئت مدحاً فيه واحتكم

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن (٣/ ٣٠٨)

(٢) هبة الله البوصيري أبو القاسم وابو الكرم، هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت بن هاشم بن غالب بن ثابت، الأنصاري الخزرجي، المنستيري الأصل، المصري المولد والدار، المعروف بالبوصيري، كان أديباً كاتباً له سماعات عالية وروايات تفرد بها قدم من المنستير إلى بوصير، فأقام بها إلى أن عرف فضله في دولة المصريين، فطلب إلى مصر، وكتب في ديوان الإنشاء وولد له علي والد أبي القاسم المذكور بمصر، واستقروا بها وشهروا. وكان أبو القاسم يسمى " سيد الأهل " أيضاً، لكن هبة الله أشهر، وكانت ولادته سنة ست وخمسمائة بمصر، وقيل بل ولد يوم الخميس خامس ذي القعدة سنة خمسمائة. وتوفي في الليلة الثانية من صفر سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وفيات الأعيان (٦/ ٦٧)

المبحث الثاني

عبدة روح القدس

معنى الروح:

قال الزجاج: " جاء في التفسير أَن الرُّوح الوَحْيُ أَو أَمْرُ النبوّة ويُسَمَّى القرآنُ روحاً".

قال ابن الأَثير: "وقد تكرر ذكر الرُّوح في الحديث كما تكرَّر في القرآن ووردت فيه على معان والغالب منها أَن المراد بالرُّوح الذي يقوم به الجسدُ وتكون به الحياة

وقد أُطلق على القرآن والوحي والرحمة وعلى جبريل في قوله الرُّوحُ الأَمين .

وقال ابن عباس:"هوملَك في السماء السابعة وجهه على صورة الإنسان وجسده على صورة الملائكة وجاء في التفسير أَن الرُّوحَ ههنا جبريل ورُوحُ الله حكمُه وأَمره والرُّوحُ جبريل عليه السلام [1].

تسمية جبريل بروح القدس:

اختلفوا في " روح القُدُس " هنا على وجوه :

١- أنه جبريل عليه السلام ؛ لقول حسّان :

وجبْرِيلٌ رَسولُ اللهِ فِينَا *** ورُوحُ القُدْسِ لَيْسَ بِهِ كِفَاءُ

٢- قال الحسن : القُدُوس هو الله عزّ وجلّ ، وروحه : جبريل ، قال تعالى : ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ ﴾ [النحل : ١٠٢]

٣- وقيل : سمي جبريل روحاً لِلَطَافته ولمكانته من الوَحي الذي هو سبب حياة القلوب

٤- قال النحاس : وسمي جبريل روحاً أو أضيف إلى القدس ؛ لأنه كان بتكوين الله عزّ وجلّ له روحاً من غير وِلادة والد والده [وقيل : المراد بروح القدس الإنجيل كما قال في القرآن " روحاً من أمرنا " لأنه الذي يوحى به] ، وكذلك سمي عيسى روحاً لهذا .

٥- وقال ابن عَبَّاس وسعيد بن جُبَيْرٍ : "هو الاسم الأعظم الذي كان يحيي به عيسى الموتى "

٦- وقيل : هو الروح الذي نفخ فيه .

---

(١) لسان العرب (٢/ ٤٥٥)

والقُدُس والقُدُّوس هو الله ، فنسب روح عيسى إلى نفسه تعظيماً وتشريفاً ، كما يقال : بَيْت الله ، ونَاقَة الله ؛ قاله الربيع وغيره ، كقوله : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم : ١٢] وعلى هذا المراد به الروح الذي يحيى به الإنسان[١] .

الاختلاف في تسمية جبريل بروح القدس:

واختلفوا في تسمية جبريل بروح القدس ، على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه سُمِّيَ رُوحاً ، لأَنَّه بمنزلة الأرواح للأبدان ، يحيي بما يأتي به من البينات من الله عز وجل .

والثاني : أنه سمي روحاً ، لأن الغالب على جسمه الروحانية ، لرقته ، وكذلك سائر الملائكة ، وإنما يختص به جبريل تشريفاً .

والثالث : أنه سمي روحاً ، لأنه كان بتكوين الله تعالى له روحاً من عنده من غير ولادة .

والقُدُس فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : هو الله تعالى ، ولذلك سُمِّي عيسى عليه السلام روح القدس ، لأن الله تعالى كوَّنه من غير أب ، وهذا قول الحسن والربيع وابن زيد . قال ابن زيد : القدس والقدوس واحد .

والثاني : هو الظهر ، كأنه دل به على التطهر من الذنوب .

والثالث : أن القدس البركة ، وهو قول السدي[٢] .

حقيقة روح القدس في القرآن:

ثم إنه سبحانه وتعالى وصف جبريل عليه السلام بأمور.

١- أنه صاحب الوحي إلى الأنبياء قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤]

٢- أنه تعالى ذكره قبل سائر الملائكة في القرآن ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾ ولأن جبريل صاحب الوحي والعلم ، وميكائيل صاحب الأرزاق والأغذية ، والعلم الذي هو الغذاء الروحاني أشرف من الغذاء الجسماني فوجب أن يكون جبريل عليه السلام أشرف من ميكائيل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (٢/ ٢٦٦)

(٢). تفسير الماوردى - النكت والعيون (١/ ١٥٦) المؤلف : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - عدد الأجزاء / ٦ تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

٣- أنه تعالى جعله ثاني نفسه ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾[التحريم: ٤]

٤- سماه روح القدس قال في حق عيسى عليه السلام:﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾[المائدة : ١١٠]

٥- ينصر أولياء الله ويقهر أعداءه مع ألف من الملائكة مسومين.

٦- أنه تعالى مدحه بصفات ست في قوله : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾[التكوير: ١٩ – ٢١] [١] .

وفي قوله تعالى﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ ﴾ [النحل : ١٠٢]

قال الشنقيطي:أمر الله جل وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة: أن يقول إن هذا القرآن الذي زعموا أنه افتراء بسبب تبديل الله آية مكان آية، أنه نزله عليه روح القدس من ربه جل وعلا؛ فليس مفترياً له. وروح القدس: جبريل[٢] .

ومعناه الروح المقدس؛ أي: الطاهر من كل ما لا يليق[٣] .

قال سيد قطب :"أما روح القدس فالقرآن يعني به جبريل – عليه السلام – فهو حامل الوحي إلى الرسل . وهذا أعظم تأييد وأكبره . وهو الذي ينقل الإشارة الإلهية إلى الرسل بانتدابهم لهذا الدور الفذ العظيم ، وهو الذي يثبتهم على المضي في الطريق الشاق الطويل؛ وهو الذي يتنزل عليهم بالسكينة والتثبيت والنصر في مواقع الهول والشدة في ثنايا الطريق" [٤].

إن الروح القدس كان معروفاً في كلام الأنبياء المتقدمين والمتأخرين ، وليس له مراد يخالف ظاهر ما دلت عليه نصوص الكتب الإلهية التي ورد الاستشهاد بعدة نصوص منها ،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢/ ٣٨٦)

(٢) قال ابن كثير (١/ ٣٢١) والدليل على أن روح القدس هو جبريل كما نص عليه ابن مسعود في تفسير هذه الآية، وتابعه على ذلك محمد بن كعب القرظي، وإسماعيل بن أبي خالد، والسدي، والربيع بن أنس، وعطية العوفي، وقتادة مع قوله تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ} [الشعراء:١٩٣،١٩٤]، ثم أورد حديث البخاري - الذي رواه تعليقا - عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد، فكان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك انظر الروايات التفسيرية في فتح =الباري (٢/ ٦٥٢) المؤلف : عبد المجيد الشيخ عبد الباري رسالة دكتوراة .. قال مؤلفها : عزمت على جمع تلك الروايات في مكان واحد وترتيبها وتخريجها وبيان درجتها من الصحة الناشر : وقف السلام الخيري الطبعة : الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ مـ

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٧/ ٢٤٩)

(٤) في ظلال القرآن (١/ ٢٨٢)

يؤكد ذلك الإمام ابن تيمية . رحمه الله . إذ يقول روح القدس : فهي لفظة موجودة في غير موضع من الكتب التي عندهم ، وليس المراد بها حياة الله باتفاقهم ، بل روح القدس عندهم تحل في إبراهيم وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء والصالحين ، والقرآن قد شهد أن الله أيد المسيح بروح القدس ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾[البقرة: ٨] في موضعين من البقرة ، وقال تعالى :﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾[المائدة: ١١٠] ،[1] .

وقال النبي –ﷺ–لحسان بن ثابت : : « اللهم أيده بروح القدس »[2].

وروح القدس قد يراد بها الملك المقدس كجبريل ، ويراد بها الوحي ، والهدى والتأييد الذي ينزله الله بواسطة الملك أو بغير واسطته ، وقد يكونان متلازمين فإن الملك ينزل بالوحي ، والوحي ينزل به الملك ، والله يؤيد رسله بالملائكة وبالهدى .. قال تعالى : ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾[غافر: ١٥]، وقال تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢] وإذا كان روح القدس معروفاً في كلام الأنبياء المتقدمين والمتأخرين أنها أمر ينزله الله على أنبيائه وصالحي عباده سواء كان ملائكة تتزل بالوحي والنصر ، أو وحياً وتأييداً مع الملك وبدون الملك ، وليس المراد بروح القدس أنها حياة الله القائمة به [3] .

وقالوا ان روح القدس إله وأن الأب والإبن وروح القدس واحد بطبيعة واحدة وأقانيم ثلاثة وإليكم ما كتبه أحدهم فى تعليقه على مفهوم الروح القدس فى كتابهم "المقدس" ، يقول "فيتضح من كل ما قيل فى الروح القدس فى العهد القديم أنه أقنوم ممتاز (متميز) ،غير أنه لم يتضح للكنيسة فى ذلك العهد أنه الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس كما انجلى للكنيسة

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ١٩٤) المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : دار العاصمة - الرياض الطبعة الأولى ، ١٤١٤ تحقيق : د.علي حسن ناصر،د.عبد العزيز إبراهيم العسكر ،د. حمدان محمد

(٢) صحيح البخاري (١/ ٩٨) ٤٥٣ وصحيح مسلم (٤/ ١٩٣٢،برقم ٢٤٨٥) ومسند أحمد ط الرسالة (٣٦/ ٢٦٧،برقم٢١٩٣٦)

وزاد إبراهيم بن طهمان، عن الشيباني، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قريظة لحسان بن ثابت: «اهج المشركين، فإن جبريل معك» .وهو في صحيح البخاري (٥/ ١١٣،برقم ٤١٢٤)

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح(٣/ ١٩٤)

الإنجيلية ، نعم إن الله ثلاثة أقانيم فى جوهر واحد منذ الأزل ، غير أن معرفة ذلك أعلنت للبشر بالتدريج !!!

...وبالتأكيد فإن علامات التعجب من عندى أنا ،إنه يريدأن يقنعنا بما لم يستطع هو أن يقتنع به ، كما أنه بهذا الشكل يريد أن يخرج لسانه لكل الأنبياء واليهود السابقين ويقول لهم يا كفرة ولقد قال البوصيري :

جعلوا الثلاثة واحدا ولو اهتدوا *** لم يجعلوا العدد الكبير قليلا .

وتضاف كلمة روح القدس وروح منه إلى الله ليس لاتحادها به ، وإنما نسبة تشريف فهي إضافة تشريف وليست تبعيض (أي جزء منه) كما يقال ناقة الله وبيت الله . . . الخ . فمن المعلوم انه ليس المراد من ناقة الله : الناقة التي يركبها الله ، وبيت الله ليس بمعنى البيت الذي يسكنه الله . فروح الله أي روح من الأرواح التي خلقها الله ، وأضيفت إليه بقصد التشريف كقوله تعالى : ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء: ١] يقصد به إضافة تشريف[(١)]

قال أبو محمد رضي الله عنه:" فهذه أقوال إذا تأملها ذو عقل علم أنها وساوس أو جنون ملقى من الشيطان لا يمتحن به إلا مخذول مشهود له ببراءة الله تعالى منه ويقال لهم الكلمة هي الأب أو الابن أو روح القدس أم شيء رابع فإن قالوا شيء رابع فقد خرجوا عن التثليث إلى التربيع وإن قالوا أنها أحد الثلاثة سئلوا عن الدليل على ذلك إذ الدعوى لا يعجز عنها أحد ثم يقال لهم الأب هو الإبن أم غيره فإن قالوا هو غيره سئلوا أيضا من الملتحم في مشيمة مريم المتحد مع طبيعة المسيح الأب أم الابن فإن قالوا الابن فقد بطل أن يكون هو الآب وخالفوا يوحنا إذ يقول في أول انجيله أن الكلمة هي الله"[(٢)]

---

(١) العقائد النصرانية (ص: ٢٢)

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٥٣) المؤلف : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد الناشر : مكتبة الخانجي - القاهرة

الفصل الرابع

معبودات

الصابئة والمجوس

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : معبودات الصابئة.

المبحث الثاني : معبودات المجوس.

الفصل الرابع

معبودات الصابئة والمجوس

تمهيد

–أما الصابئية – وهي ديانة تمتاز بعبادة الكواكب وبالاعتقاد في أنواء المنازل وتأثير النجوم وأنها هي المدبرة للكون – فقد دلت الحفريات والتنقيبات في بلاد العراق وغيرها أنها كانت ديانة قوم إبراهيم الكلدانيين، وقد دان بها كثير من أهل الشام وأهل اليمن في غابر الزمان، وبعد تتابع الديانات الجديدة من اليهودية والنصرانية، تضعضع بنيان الصابئية وخمد نشاطها، ولكن لم يزل في الناس بقايا من أهل هذه الديانة مختلطين مع المجوس أو مجاورين لهم في عراق العرب وعلى شواطئ الخليج العربي(١).

واستمر دين الصابئة محصورا في فئة قليلة، وكان لظهور الإسلام على جميع الأديان في بلاد الشام والعراق والحجاز سدا قطع شرايين هذا الدين وآماله في الانتشار والتوسّع(٢).

وأمّا المجوس: فقد عرفوا من قديم الزّمان بعبادة العناصر الطبيعية وأعظمها النار، وقد عكفوا على عبادتها أخيرا، يبنون لها هياكل ومعابد، وانتشرت بيوت النار هذه في طول البلاد وعرضها، وكانت لها آداب وشرائع دقيقة،

وانقرضت كلّ عقيدة وديانة غير عبادة النار وتقديس الشمس، وأصبحت الديانة عندهم عبارة عن طقوس وتقاليد يؤدونها في أمكنة خاصّة، أمّا خارج المعابد فكانوا أحرارا، يسيرون على هواهم، وما تملي عليهم نفوسهم، وأصبح المجوس لا فرق بينهم وبين من لا دين لهم ولا خلاق، في الأعمال والأخلاق(٣)

كما تتلقى دينها عن الكفرة الذين يعتقدون في كتاب الله النقص والتحريف وفي صحابة رسول الله الكفر والردة: كإبراهيم القمي، والكليني وأمثالهما وتجعل منهم ثقات دينها، وعمدة رواياتها(٤).

---

(١) التعليق على الرحيق المختوم (ص: ٣٤)

(٢) محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب المقدسة (ص: ٥) المؤلف: سامى عامرى الناشر: مركز التنوير الإسلامي للخدمات المعرفية والنشر بالقاهرة الطبعة: الأولى - ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م

(٣) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي (ص: ٦٢- ٦٣)

(٤) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية - عرض ونقد - (٢/ ٧٥١) المؤلف: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري دار النشر: بدون الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ

المبحث الأول

معبودات الصابئة

مفهوم الصابئة :

أ- معنى الصا بئة لغة :

قاله أَبو عبيدَة ، وفي "التهذيب": صَبَأَ الرجلُ في دِينه يَصْبَأُ صُبُوءًا إذا كان ! صابِئاً . وكانت العربُ تُسمِّي النبي صلى الله عليه وسلم الصابئ لأَنه خرج من دِين قريش إ لى الإسلام ، ويسمون مَن يَدخل في دين الإسلام مَصْبُوًّا [١] .

الصابِئون قوم يَزعُمون أَنهم على دين نوح عليه السلام بكذبهم وفي الصحاح جنسٌ من أَهل الكتاب وقِبْلَتُهم من مَهَبِّ الشَّمال عند مُنْتَصَف النهار التهذيب

قال الليث: الصابِئون قوم يُشْبِه دِينُهم دِينَ النَّصارى إلاَّ أَنَّ قِبْلَتَهم نحو مَهَبِّ الجَنُوبِ يَزْعُمون أَنهم على دِين نوحٍ وهم كاذبون

وكان يقال للرجلِ إذا أَسْلَمَ في زمن النبي صلى اللّه عليه وسلم قد صَبَأَ عَنَوْا أَنه خرج من دين إلى دين وقد صَبَأَ يَصْبَأُ صَبْأً وصُبُوءاً وصَبُؤَ يَصْبُؤُ صَبْأً وصُبُوءاً كلاهما خرج من دين إلى دين آخر كما تَصْبَأُ النُّجوم أَي تَخْرُجُ من مَطالِعها[٢] .

صَبَأَ كمنع وكَرُمَ صَبْئاً وصُبُوءاً : خَرَجَ من دينٍ إلى دينٍ آخَرَ و عليهِمُ العَدُوَّ : دَلَّهُمْ و الظِّلْفُ و النَّابُ و النَّجْمُ : طَلَعَ كَأَصْبَأَ[٣] .

ب- الصابئة في الاصطلاح:

الصابئة المندائية[٤] هي طائفة الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم والتي تعتبر يحيى عليه السلام نبيًّا لها، يقدّس أصحابها الكواكب والنجوم ويعظمونها، ويعتبر الاتجاه نحو نجم القطب

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس (١/ ٣٠٦)

(٢) لسان العرب (١/ ١٠٧)

(٣) القاموس المحيط (ص: ٥٦)

(٤) ويعتقد أن كلمة المندائيين اشتقت من الجذر (مندا) والذي يعني باللغة المندائية - التي هي فرع من اللغة السريانية القديمة - المعرفة أو العلم. أما كلمة الصابئة فهي مشتقة من الجذر (صبا) ويعني بالمندائية اصطبغ، تعمد، أو غطس في الماء و هي من أهم شعائرهم الدينية. وبذلك يكون معنى الصابئة المندائيين المصطبغين أو المتعمدين العارفين لدين الحق. مجلة الراصد ١-٥١ (٣٥/ ٥)

الشمالي وكذلك التعميد في المياه الجارية من أهم معالم هذه الديانة التي يجيز أغلب فقهاء المسلمين أخذ الجزية من معتنقيها أسوة بالكتابيين من اليهود والنصارى(١) .

حقيقة الصابئة كما وردت في القرآن الكريم:

وقد ورد ذكر الصّابئة في القرآن الكريم مع أهل الملل في ثلاثة مواضع ، منها : قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]

أنواع الصابئة :

ولقد حقق شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الرد على المنطقيين حقيقة الصابئة كما وردت في القرآن الكريم فقال ما حاصلة:

الصابئة نوعان: صابئة حنفاء –وصابئة مشركون:

١– أما الصابئة الحنفاء:

فهم بمنزلة من كان متبعاً لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف والتبديل من اليهود والنصارى. وهؤلاء حمدهم الله وأثنى عليهم. والثابت أن الصابئين قوم ليس لهم شريعة مأخوذة عن نبي ، وهم قوم من المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين ، ولكنهم عرفوا الله وحده، ولم يحدثوا كفراً، وهم متمسكون "بالإسلام المشترك" وهو عبادة الله وحده وإيجاب الصدق والعدل وتحريم الفواحش والظلم ونحو ذلك مما اتفقت الرسل على إيجابه وتحريمه وهم يقولون "لا إله إلا الله" فقط وليس لهم كتاب ولا نبي. والصحيح أنهم كانوا موجودين قبل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأرض اليمن.(٢) .

٢– وأما الصابئة المشركون:

فهم قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون ألزبور ويصلون، فهم يعبدون الروحانيات العلوية.

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧١٤)

(٢) الرد على المنطقيين ط٦ (ص٤٥٤ وما بعدها) المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : دار المعرفة - بيروت ونظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧١٤)

وعلى ذلك فمن دان من الصابئة بدين أهل الكتاب فهو من أهل الكتاب، ومن لم يدن بدين أهل الكتاب فهو مشرك ومثالهم من يعبد الكواكب. كمن كانوا بأرض حران عندما أدركهم الإسلام وهؤلاء لا يحل أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم وإن أظهروا الإيمان بالنبيين [١]

اختلاف أهل العلم في الصابئة:

وَأَمَّا الصَّابِئُونَ فَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِمْ :

١– فقال مجاهد: "الصَّابِئُونَ قَوْمٌ بَيْنَ الْمَجُوسِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لَيْسَ لهم دين.

٢– وقال أبو العالية والضحّاك: "الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرأون ألزبور.

٣– وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ: بَلَغَنِي أَنَّ الصَّابِئِينَ قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون ألزبور ويصلُّون للقبلة، [٢] .

٤– وَسُئِلَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ[٣] عَنِ الصَّابِئِينَ[٤] فَقَالَ: الَّذِي يَعْرِفُ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَيْسَتْ لَهُ شَرِيعَةٌ يَعْمَلُ بِهَا، وَلَمْ يُحْدث كُفْرًا[٥] .

٥– وذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ إِلَى أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ الْيَهُودِ أَوْ النَّصَارَى . وَفِي قَوْلٍ لِأَحْمَدَ[٦] ، وَهُوَ أَحَدُ وَجْهَيْنِ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ : أَنَّهُمْ جِنْسٌ مِنْ النَّصَارَى . وَالْمَذْهَبُ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ ، وَهُوَ مَا

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . (١٣٦/ ١)

(٢) مختصر تفسير ابن كثير (١/ ٧١).

(٣) وهب بن منبه ٣٤ - ١١٤ هـ = ٦٥٤ - ٧٣٢ م (وهب بن منبه الا بناوي الصنعاني ألذماري، أبو عبد الله: مؤرخ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات. يعد في التابعين. أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن. وأمه من حمير. ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها الأعلام للزركلي (٨/ ١٢٥)

(٤) وطائفة الصابئة عمومًا اختلف في أمرها فقد أخرج الطبري بسنده عن مجاهد وغيره أنهم قالوا: "الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين". (انظر: تفسير الطبري: ١٤٦/٢ من تحقيق أحمد ومحمود شاكر). وهذا ما رجحه ابن كثير (انظر: تفسير ابن كثير: ١٠٧/١)، واختار الرازي أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب في زمان إبراهيم

(٥) تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ٢٨٦)

(٦) الإمام ابن حنبل(١٦٤ - ٢٤١ هـ = ٧٨٠ - ٨٥٥ م) أحمد محمد بن بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي: إمام المذهب الحنبلي، وأحد الائمة الاربعة. أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس. وولد ببغداد. فنشأ منكبا على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفارا كبيرة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والثغور والمغرب والجزائر والعراقين وفارس وخراسان والجبال والاطراف. وصنف (المسند - ط) ستة مجلدات، يحتوي على ثلاثين ألف حديث. وله كتب في (التاريخ)وغيرها وكان أسمر اللون، حسن الوجه، طويل القامة، يلبس الابيض ويخضب رأسه ولحيته بالحناء. وفي أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن ومات قبل أن يناظر ابن حنبل، وتولى المعتصم فسجن ابن حنبل ثمانية وعشرين شهرا لامتناعه عن القول بخلق القرآن، وأطلق سنة ٢٢٠ هـ ولم يصبه شر في زمن الواثق بالله - بعد المعتصم - ولما توفي الواثق وولي أخوه المتوكل ابن المعتصم أكرم الإمام ابن حنبل وقدمه، ومكث مدة لا يولي أحدا إلا بمشورته، وتوفي الإمام وهو على تقدمه عند المتوكل. الأعلام للزركلي (١/ ٢٠٣)

صَحَّحَهُ ابْنُ قُدَامَةَ[١] مِنْ الْحَنَابِلَةِ : أَنَّهُمْ إنْ وَافَقُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي أُصُولِ دِينِهِمْ ، مِنْ تَصْدِيقِ الرُّسُلِ وَالْإِيمَانِ بِالْكُتُبِ كَانُوا مِنْهُمْ ، وَإِنْ خَالَفُوهُمْ فِي أُصُولِ دِينِهِمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْهُمْ ، وَكَانَ حُكْمُهُمْ حُكْمَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ[٢] .

٦- وقال بعضهم هم أتباع نوح ولكنهم غيروا بعده وعبدوا من دون الله الوسائط في الكون كالشمس والقمر والكواكب . . أو الصابئة هم الذين انتقلوا من الدين الذي كان يعاصرهم إلى الدين الجديد . أو هم جماعة من العقلاء قالوا ما عليه قومنا لا يقنع العقل . . كيف نعبد هذه الأصنام ونحن نصنعها ونصلحها؟[٣] .

أبرز معتقدات الصابئة:

و كانوا يعتقدون أن الإله الأعظم خلق هذه الكواكب الثابتة والسيارة ، وفوض تدبير هذا العالم السفلي إليها ، فالبشر عبيد هذه الكواكب ، والكواكب عبيد الإله الأعظم ، فالبشر يجب عليهم عبادة الكواكب ، ثم إن هذه الكواكب كانت تطلع مرة وتغيب أخرى ، فاتخذوا أصناماً على صورها واشتغلوا بعبادتها ، وغرضهم عبادة الكواكب [٤] .

سموا هذه الفرقة صابئة لأنها خرجت من دين اليهود والنصارى وعبدوا الملائكة وقيل عبدوا الكواكب، وقال البيضاوي إنهم قوم بين اليهود والمجوس انتهى، ثم جعل هذا اللقب علماً لطائفة من الكفار، وقيل هم يدعون أنهم على دين صابيء بن شيث بن آدم والأول أولى[٥].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : " وقد تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام بكل قوم على قدر عقولهم:

فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا؛ كما في قوم نوح، وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين .

---

(١) ابن قدامة(٥٩٧ - ٦٨٢ هـ = ١٢٠٠ - ١٢٨٣ م) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين: فقيه، من أعيان الحنابلة. ولد وتوفي في دمشق. وهو أول من ولي قضاء الحنابلة بها، استمر فيه نحو ١٢ عاما ولم يتناول عليه (معلوما) ثم عزل نفسه. له تصانيف، منها (الشافي - ط) وهو الشرح الكبير للمقنع، في فقه الحنابلة الأعلام للزركلي (٣/ ٣٢٩)

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية (٧/ ١٤٠) صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ) ..الأجزاء ١ - ٢٣: الطبعة الثانية، دارالسلاسل - الكويت عدد الأجزاء: ٤٥ جزءا

(٣) تفسير الشعراوي (١/ ٣٧٢)

(٤) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٦٥٧)

(٥) فتح البيان في مقاصد القرآن (١/ ١٨٦)

وأما خواصهم؛ فاتخذوا الأصنام على صور الكواكب المؤثرة في العالم بزعمهم، وجعلوا لهم بيوتا وسدنة وحجابا وقربانا، ولم يزل هذا في الدنيا قديما وحديثا، وأصل هذا المذهب من مشركي الصابئة، وهم قوم إبراهيم عليه السلام، الذين ناظرهم في بطلان الشرك، وكسر حجتهم بعلمه وآلهتهم بيده، فطلبوا تحريقه[١].

زمنية وتاريخ الصابئين:

قال أبو محمد بن حزم :وكان الذي ينتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الدهر والغالب على الدنيا إلى أن أحدثوا الحوادث وبدلوا شرائعه فبعث الله إليهم إبراهيم خليله بدين الإسلام الذي نحن عليه اليوم وتصحيح ما أفسدوه بالحنيفية السمحة التي أتانا بها محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم من عند الله تعالى وكانوا في ذلك الزمان وبعده يسمون الحنفاء [٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: في كتابه في الرد على المنطقيين إن حران[٣] كانت دار هؤلاء الصابئة وفيها ولد إبراهيم عليه السلام أو انتقل إليها من العراق على اختلاف القولين، وكان بها هيكل العلة هيكل العقل الأول هيكل النفس الكلية هيكل زحل هيكل المشتري هيكل المريخ هيكل الشمس، وكذلك الزهرة وعطارد والقمر، وكان هذا دينهم قبل ظهور النصرانية فيهم، ثم ظهرت النصرانية فيهم مع بقاء أولئك الصابئة المشركين حتى جاء الإسلام ولم يزل بها الصابئة والفلاسفة في دولة الإسلام إلى آخر وقت، ومنهم الصابئة الذين كانوا ببغداد وغيرها أطباء وكتاباً وبعضهم لم يسلم.لله تعالى

ولكن الذي يفهم من القرآن الكريم أن الصابئة جماعة كانت على دين خاص، وإنها طائفة مثل اليهود والنصارى، أي أن الكلمة مصطلح ولها مدلول معين مفهوم. فما ذهب إليه المفسرون من هذا التعريف للصابئة ومن هذا التقسيم، إنما تكون عندهم في الإسلام، بعد وقوفهم على أحوال الصابئة واتصالهم بهم.

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص: ٤٥)

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢/ ٢٥٥)

(٣) "حران" مدينة الصابئة تقع قرب منابع نهر البليخ . تقوم عند ملتقى الطرق التجارية في شرق الفرات ولا سيما طريق الشام وطريق الجزيرة . كانت مركزا من أهم مراكز الثقافة الإغريقية السريانية قبل الإسلام ، وبقي فيه بعض الصابئة حتى ما بعد خلافة المأمون . حكمها الآشوريون واليونان والفرس والرومان قبل أن يأخذها العرب صلحا سنة ١٨ هـ (٦٣٩) م . هي الآن موضع المدينة المسماة (أورفة) من بلاد تركيا . وهناك قرية من قرى حلب تدعى حران وأخرى في غوطة دمشق تدعى حران وإليها ينسب أحمد بن تيمية وعبدالسلام بن تيمية
تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٤٥٠، بترقيم الشاملة آليا)و أرشيف ملتقى أهل الحديث ٣ (ص: ١٢٤٠٤) http://history.al-islam.com/Placesdef.asp?Place=447)

ويفهم من المواضع التي ورد فيها ذكرهم في القرآن الكريم، ومن ورود اسمهم مع اليهود والنصارى فيه، إنهم كانوا يعبدون إلها، ويتوجهون في دينهم إليه .

ولا استبعد أن يكون من بين سكان مكة أناس كانوا من الصابئة، جاءوا إليها تجارا من العراق، أو جاء بهم الحظ إليها، حيث أوقعهم في سوق النخاسة، فاشتراهم تجار مكة وجاءوا بهم إلى مدينتهم، وعرفوا منهم أنهم صابئة.[١] .

سرالتقديم والتأخير للصابئين:

يقول الشعراوي في قوله تعالى :"﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ ﴾ [البقرة: ٦٢]

لقد جاءت هنا في مكانها ودون كسر للإعراب ، وهي قد جاءت مرة قبل كلمة « النصارى » وجاءت مرة أخرى بعد كلمة « النصارى » . وهنا لا بد أن نتعرف على زمنية الصابئين ، فقد كانوا قوماً متقدمين قبل مجيء النصرانية ، فإن أردنا أن نعرف زمانهم نجد القول الحق يقدمهم على النصارى ، وإن أردنا أن نعرف منزلتهم فإننا نقرؤها في موضع آخر من القرآن ونجدهم يأتون بعد « النصارى » . إذن فعندما أرّخ الحق لزمانهم جاء بهم متقدمين ، وعندما أرّخ لكمّهم وعددهم ومقدارهم يؤخرهم عن النصارى؛ لأنهم أقل عدداً فهم لا يمثلون جمهرة كثيرة كالنصارى [2].

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام (١٢/ ٢٧٨)

(٢) تفسير الشعراوي (٦/ ٣٢٩٧)

المبحث الثاني

معبودات المجوس

تعريف المجوس :

أ- المجوس في اللغة:"

١- مجوس كصبور : رجل صغير الأذنين كان في سابق العصور أول من وضع دينا للمجوس ودعا إليه "[١] .

٢- ومجسه تمجيساً : صيره مجوسياً فتمجس هو ومنه الحديث : كل مولود يولد على الفطرة[٢] حتى يكون أبواه يمجسانه أي يعلمانه دين المجوسية .

واسم تلك النحلة : المجوسية وأما قوله صلى الله عليه وسلم : " القدرية مجوس هذه الأمة "[٣] قيل : إنما جعلهم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين وهما النور والظلمة يزعمون أن الخير من فعل النور وأن الشر من فعل الظلمة وكذا القدرية يضيفون الخير إلى الله تعالى والشر إلى الإنسان والشيطان والله خالقهما معا لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته تعالى فهما مضافان إليه سبحانه وتعالى خلقا وإيجادا وإلى الفاعلين لهما عملا واكتسابا.

٣- قال ابن سيده:" المجوس جبل معروف جمع واحدهم مجوسي غيره وهو معرب أصله منج كوش وكان رجلا صغير الأذنين كان أول من دان بدين المجوس ودعا الناس إليه ومجوس اسم للقبيلة وأنشد أيضا كنار مجوس تستعر استعارا .

قال وإنما قالوا المجوس على إرادة المجوسيين وقد تمجس الرجل وتمجسوا صاروا مجوسا ومجسوا أولادهم صيروهم كذلك ومجسه غيره[٤] .

---

(١) قاله الأزهري وليس هو زرادشت الفارسي كما قاله بعض لأنه كان بعد إبراهيم عليه السلام والمجوسية : دين قديم وإنما زرادشت جدده وأظهره وزاد فيه تاج العروس (ص: ٤١٣٢)

(٢) صحيح البخاري (٢/ ١٠٠) برقم(١٣٨٥) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٧) برقم (٢٦٥٨)

(٣) سنن أبي داود ت الأرنؤوط (٧/ ٧٧) عن ابن عمر، عن النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - قال: " القَدَريَّة مَجُوسُ هذه الأمة: إنْ مَرِضُوا فلا تَعودُوهُم، وإن ماتوا فلا تَشْهدوهُمْ" قال الأرنؤوط إسناده ضعيف،وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣٨)

(٤) لسان العرب (٦/ ٢١٣)

٤- قال الشوكاني : والمجوس هم الذين يعبدون النار ويقولون إن العالم أصلين : النور والظلمة وقيل هم يعبدون الشمس والقمر وقيل هم يستعملون النجاسات وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوهم ولبسوا المسوح وقيل إنهم أخذوا بعض دين اليهود وبعض دين النصارى [١]

عقائد المجوس:

يقول ابن جبرين[٢]: "ما عرفت أمة من الأمم يشركون في توحيد الربوبية إلا المجوس، ومع ذلك فليس شركهم شركاً ظاهراً، فهم يدعون أن العالم مخلوق من خالقين، يقولون: النور خلق الخير، والظلمة خلقت الشر. فالعالم عندهم صادر عن النور والظلمة، ولأجل ذلك هم يعبدون النار، فمعبودهم المقدس النار، يشعلونها ويطوفون بها ويصلون أمامها ويستقبلونها، ولأجل ذلك نهي المسلمون أن يستقبلوا النار في الصلاة حذراً من التشبه بالمجوس"[٣] .

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]

قال القرطبي :"وخلق كل شيء) لا كما قال المجوس والثنوية: إن الشيطان أو الظلمة يخلق بعض الأشياء. ولا كما يقول من قال: للمخلوق قدرة الإيجاد. فالآية رد على هؤلاء. ﴿فقدره تقديرا﴾ أي قدر كل شي مما خلق بحكمته على ما أراد، لا عن سهوة وغفلة، بل جرت المقادير على ما خلق الله إلى يوم القيامة، وبعد القيامة، فهو الخالق المقتدر ، فإياه فاعبدوه."[٤]

تاريخ المجوس:

وأما المجوس، فقد عرفوا من قديم الزمان بعبادة العناصر الطبيعية أعظمها النار وانتشرت بيوت النار في طول البلاد وعرضها وعكفوا على عبادتها وبنوا لها معابد وهياكل وكانت لها آداب وشرائع دقيقة داخل المعابد، أما خارجها فكان أتباعها أحراراً يسيرون على هواهم لا فرق بينهم وبين من لا دين له.

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير(٣/ ٥٢٣)

(٢) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين من آل رشيد من قبيلة بني زيد، ولد عام (١٣٥٣ هـ الموافق ١٩٣٣ م) في إحدى قرى القويعية، وتوفي في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض يوم الاثنين ٢٠ رجب ١٤٣٠ هـ عن عمر يقارب ٧٧ سنة بعد أن عانى من المرض. ونشأ في بلدة الرين وابتدأ بالتعلم في عام ١٣٥٩هـ وحيث لم يكن هناك مدارس مستمرة تأخر في إكمال الدراسة ولكنه أتقن القرآن وسنه اثنا عشر عاما وتعلم الكتابة وقواعد الإملاء البدائية ثم ابتدأ في الحفظ وأكمله في عام ١٣٦٧هـ وحياته حافلة بالعلم ومع العلم وارجع الى حياة الشيخ وماكتب عنه.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين (١/ ١٧).بترقيم الشاملة .

(٤) تفسير القرطبي (١٣/ ٣).

ويصف المؤرخ الدنماركي طبقة رؤساء الدين ووظائفهم عند المجوس في كتابه "ايران في عهد الساسانيين" فيقول: "كان واجباً على هؤلاء الموظفين أن يعبدوا الشمس اربع مرات في اليوم، ويضاف الى ذلك عبادة القمر والنار والماء، وكانوا مكلفين بأدعية خاصة، عند النوم والانتباه والاغتسال ولبس الزنار والأكل والعطس وحلق الشعر وتقليم الأظفار، وقضاء الحاجة وإيقاد السرج، وكانوا مأمورين بألا يَدَعوا النار تنطفئ وألا تمس النار والماء بعضها بعضاً، وألا يَدَعوا المعدن يصدأ، لأن المعادن عندهم مقدسة"

وكان أهل إيران يستقبلون في صلاتهم النار وقد حلف "يزدجرد"أخر ملوك السّاسانيين– بالشمس مرة، وقال: "أحلف بالشمس التي هي الإله الأكبر"

وقد دان المجوس بالثّنوية في كل عصر وأصبح ذلك شعاراً لهم، فآمنوا بإلهين أثنين، وأحدهما النور أو إله الخير والثاني الظلام أو إله الشر[1] .

تعظيم عبادة ا لنار عند المجوس:

وفي ناحية الشعائر التعبدية، كانت الديانة عندهم هي عبادة النار، والنار لا توحي لعبادها بشريعة ولا ترسل رسولاً ولا تتدخل في شئون حياتهم، لذا أصبحت الديانة عند المجوس عبارة عن طقوس يؤدونها في أماكن خاصة وأوقات خاصة، أما في أمورهم فكانوا أحرارا يسيرون على أهوائهم، أو ما يؤدي إليه تفكيرهم، أو ما توحي به مصالحهم ومنافعهم.[2] .

قال المصنف قد لبس إبليس على جماعة فحسن لهم عبادة النار وقالوا هي الجوهر الذي لا يستغني العالم عنه ومن ههنا زين عبادة الشمس.

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله:" وقد بنى عابدوا النار لها بيوتا كثيرة فأول من رسم لها بيتا أفريدون فاتخذ لها بيتا بطرطوس وآخر ببخارى واتخذ لها بهمن بيتا بسجستان واتخذ لها أبو قباذ بيتا بناحية بخارى وبنيت بعد ذلك بيوت كثيرة لها وقد كان زرادشت وضع نارا زعم أنها جاءت من السماء فأكلت قربانهم وذلك أنه بنى بيتا وجعل فيوسطه مرآة ولف القربان في حطب وطرح عليه الكبريت فلما استوت الشمس في كبد السماء قابلت كوة قد جعلها في ذلك

---

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص: ١٧) المؤلف: عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: السابعة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

(٢) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام (٩/ ١٢٠)

البيت فدخل شعاع الشمس فوقع على المرآة فانعكس على الحطب فوقعت فيه النار فقال لا تطفؤا هذه النار "[١] .

ذكر تلبيس إبليس على المجوس:

قال يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي كان أول ملوك المجوس كومرث فجاءهم بدينهم ثم تتابع مدعو النبوة فيهم حتى اشتهر بها زرادشت وكانوا يقولون أن الله تعالى عن ذلك شخص روحاني ظهر فظهرت معه الأشياء روحانية تامة فقال لا يتهيأ لغيري أن يبتدع مثل هذه التي ابتدعتها فتولد من فكرته هذه ظلمة إذ كان فيها جحود لقدرة غيره فقامت الظلمة تغالبه وكان مماسنه زرادشت عبادة النار والصلاة إلى الشمس يتأولون فيها أنها ملكة العالم وهي التي تأتي بالنهار وتذهب بالليل

وتحيي النبات والحيوانات وترد الحرارات إلى أجسادها وكانوا لا يدفنون موتاهم في الأرض تعظيما له وقالوا لأن به حياة كل شيء.

وذكر أبو جعفر بن جرير الطبري أنه لما قتل قابيل هابيل وهرب من أبيه آدم إلى اليمن أتاه إبليس فقال له إن هابيل إنما قبل قربانه وأكلته النار لأنه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها [٢] .

قيل : إنَّ قابيل لما قتل أخاه [هابيل] ، هرب إلى عدن من أرْضِ اليمن ، فأتاه إبْليس فقال له : إنَّما أكلت النَّارُ قُرْبَان هَابِيل ؛ لأنَّه كان يَخْدُم النَّار ويعبُدُها ، فإن عَبدت أنت أيضاً النَّار حصل مَقْصُودك ، فبنى بيت نَارٍ وهو أوَّل من عبد النَّار[٣] .

---

(١) تلبيس إبليس (ص: ٥٧- ٥٨) لمؤلف : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى : ٥٩٧هـ) الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان الطبعة : الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م

(٢) تلبيس إبليس (ص: ٦٩) قال الجاحظ وجاء زرادشت من بلخ وهو صاحب المجوس فادعى أن الوحي ينزل إليه على جبل سيلان فدعى أهل تلك النواحي الباردة الذين لا يعرفون إلا البرد وجعل الوعيد بتضاعف البرد وأقر بأنه لم يبعث إلا إلى الجبال فقط وشرع لأصحابه التوضوء بالأبوال وغشيان الأمهات وتعظيم النيران

(٣) اللباب في علوم الكتاب (٧/ ٢٩٢)

من صلى وقدامه تنور أو نار أو شيء مما يعبد فأراد به الله :

ذكر ابن حجر في فتح الباري عند شرح ما قاله البخاري[١]: " باب من صلى وقدامه تنور أو نار أو شيء مما يعبد فأراد به الله"

قال ابن حجر:" وإنما خصه بالذكر– أي التنور– مع كونه ذكر النار بعده اهتماما به لأن عبدة النار من المجوس لا يعبدونها إلا إذا كانت متوقدة بالجمر كالتي في التنور، وأشار به إلى ما ورد عن ابن سيرين[٢] أنه كره الصلاة إلى التنور، وقال هو بيت نار"[٣].

وفائدته الاهتمام به لأن عبدة النار من المجوس لا يعبدون إلا النار المكومة الظاهرة وربما لا تظهر النار من التنور لعمقه أو لقلة النار

قوله «أو شيء مما يعبد» عطف على ما قبله والتقدير أو من صلى وقدامه شيء مما يعبد كالأوثان والأصنام والتماثيل والصور ونحو ذلك مما يعبده أهل الضلال والكفر وهذا أعم من النار والتنور

قوله«فأراد به وجه الله»:

أي فأراد المصلي الذي قدامه شيء من هذه الأشياء ذات الله تعالى وأشار بهذا إلى أن الصلاة إلى شيء من الأشياء التي ذكرها لا تكون مكروهة إذا قصد به وجه الله تعالى ولم يقصد

---

(١) أبو عبد الله البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بزدزبه، وقيل بذدزبه، وهي لفظة بخارية، معناها الزراع. وولد أبو عبد الله في شوال سنة أربع وتسعين ومائة. وقال خلف الخيام: سمعت إبراهيم بن معقل، سمعت أبا عبد الله يقول: كنت عند إسحاق بن راهويه فقال بعض أصحابنا: لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي -ﷺ- فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع هذا الكتاب. وعن ... أن البخاري قال: أخرجت هذا الكتاب من زهاء ستمائة ألف حديث. وقال ابن عدي: سمعت عبد القدوس بن همام يقول: سمعت عدة من المشايخ، يقولون: حول محمد بن إسماعيل تراجم جامعه بين قبر سول الله -صلى الله عليه وسلم- ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين. وقال: سمعت البخاري يقول: صنفت "الصحيح" في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى وقال محمد بن حمدون بن رستم: سمعت مسلم بن الحجاج، وجاء إلى البخاري فقال: دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله قيل: إن البخاري لما قدم من العراق، قدمته الآخرة وتلقاه الناس، وازدحموا عليه وبالغوا في بره قيل له في ذلك فقال: كيف لو رأيتم يوم دخولنا البصرة؟ وقال ابن عدي: سمعت الحسن بن الحسين البزاز البخاري يقول: توفي البخاري ليلة السبت ليلة الفطر عند صلاة العشاء، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ست وخمسين ومائتين، وعاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما. سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٠/ ٧٩- ١١٩).

(٢) ابن سِيرِين(٣٣ - ١١٠ هـ = ٦٥٣ - ٧٢٩ م) محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر: إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. تابعي. من أشراف الكتّاب. مولده ووفاته في البصرة. نشأ بزازا، في أذنه صمم. وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. واستكتبه أنس بن مالك، بفارس. وكان أبوه مولى لأنس. ينسب له كتاب (تعبير الرؤيا) ذكره ابن النديم، وهو غير (منتخب الكلام في تفسير الأحلام) المطبوع، المنسوب إليه أيضا، وليس له الأعلام للزركلي (٦/ ١٥٤)

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٣٨٠) أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (١٥٩ - ٢٣٥ هـ) تحقيق : محمد عوامة. ملاحظات : رقما الجزء والصفحة يتوافقان مع طبعة الدار السلفية الهندية القديمة ترقيم الأحاديث يتوافق مع طبعة دار القبلة

الصلاة إليه وعند أصحابنا يكره ذلك مطلقا لما فيه من نوع التشبه بعبدة الأشياء المذكورة ظاهرا[1].

وقوله أو شيء من العام بعد الخاص فتدخل فيه الشمس مثلا والأصنام والتماثيل والمراد أن يكون ذلك بين المصلي وبين القبلة ...... والحديث وجود نار بين المصلي وبين قبلته في الجملة وأحسن من هذا عندي أن يقال لم يفصح المصنف في الترجمة بكراهة ولا غيرها فيحتمل أن يكون مراده التفرقة بين من بقي ذلك بينه وبين قبلته وهو قادر على إزالته أو انحرافه عنه وبين من لا يقدرعلى ذلك فلا يكره في حق الثاني وهو المطابق لحديثي الباب [2].

الصلاة جائزة إلى كل شىء إذا لم يقصد الصلاة إليه وقصد بها الله، تعالى، والسجود لوجهه خالصًا، ولا يضره استقبال شىء من المعبودات وغيرها كما لم يضر الرسول ما رآه فى قبلته من النار.[3] .

ومن الأمور المعاصرة اليوم مايتخذه الناس من الدفايات الكهربائية وماشابهها مما فيه النار في الأماكن الباردة في المساجد والصلاة اليها وقد تكلم العلماء فيهاقديماً وحديثاً واليك حكم المسألة:

حكم من يصلي الى مافيه انبعاث النار(كالدفايات الكهربائية):

استقبال النار أثناء الصلاة، وذلك لما في ذلك من التشبه بالمجوس عباد النار، لحديث سلمان رضي الله عنه[4]؛[5]

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/ ١٨٤) المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

(٢) فتح الباري - ابن حجر (١/ ٥٢٨)

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٢/ ٨٥)

(٤) سلمان الفارسي(٠٠٠ - ٣٦ هـ = ٠٠٠ - ٦٥٦ م) سلمان الفارسي: صحابي: من كان يسمي نفسه سلمان الاسلام. أصله من مجوس أصبهان. عاش عمرا طويلا، واختلفوا فيما كان يسمى به في بلاده. وقالوا: نشأ في قرية جيان، ورحل إلى الشام، فالموصل، فنصيبين، فعمورية، وقرأ كتب الفرس والروم واليهود، وقصد بلاد العرب، فلقيه ركب من بني كلب فاستخدموه، ثم استعبدوه وباعوه، فاشتراه رجل من قريظة فجاء به إلى المدينة. وعلم سلمان بخبر الاسلام، فقصد النبي صلى الله عليه وسلم بقباء وسمع كلامه، ولازمه أياما. وأبى أن (يتحرر) بالاسلام، فأعانه المسلمون على شراء نفسه من صاحبه. فأظهر إسلامه. وكان قوي الجسم، صحيح الرأي، عالما بالشرائع وغيرها. وهو الذي دل المسلمين على حفر الخندق، في غزوة الاحزاب، حتى اختلف عليه المهاجرون والانصار، كلاهما يقول: سلمان منا، فقال رسول الله: سلمان منا أهل البيت ! وسئل عنه علي فقال: امرؤ منا وإلينا أهل البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم، علم العلم الاول والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الاول والكتاب الآخر، وكان بحرا لا ينزف. وجعل أميرا على المدائن، فأقام فيها إلى أن توفي. وكان إذا خرج عطاؤه تصدق به.
الأعلام للزركلي (٣/ ١١١- ١١٢)

(٥) نيل الأوطار (٢/ ١٤٢) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار المؤلف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني الناشر : إدارة الطباعة المنيرية.

– قال " واجتهدت في المجوسية حتى كنت قِطن النار[١]الذي يوقدها ولا يتركها تخبو ساعة "[٢].

اختلاف العلماء في الصلاة إلى النار:

سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين – أعلى الله درجته في المهديين – : يقع مشكلة بين بعض المصلين في المساجد حول الدفايات الكهربائية ووضعها أمام المصلين هل هذا حرام أو مكروه يتنزه عنه ؟ وهل الصلاة أمام النار محرمة أو مكروهة ؟ أفيدونا جزاكم الله خيرا

أجاب بقوله : اختلف العلماء ورحمهم الله تعالى في الصلاة إلى النار : فمنهم من كرهها ، ومنهم من لم يكرهها ، والذين كرهوها عللوا ذلك بمشابهة عباد النار ، والمعروف أن عبدة النار يعبدون النار ذات اللهب، أما ما ليس لهب فإن مقتضى التعليل أن لا تكره الصلاة إليها.
ثم إن الناس في حاجة إلى هذه الدفايات في أيام الشتاء للتدفئة فإن جعلوها خلفهم فاتت الفائدة منها أو قلت ، وإن جعلوها عن إيمانهم أو شمائلهم لم ينتفع بها إلا القليل منهم وهم الذين يلونها فلم يبق إلا أن تكون أمامهم ليتم انتفاعهم بها ، والقاعدة المعروفة عند أهل العلم أن المكروه تبيحه الحاجة

ثم إن الدفايات في الغالب لا تكون أمام الإمام وإنما تكون أمام المأمومين وهذا يخفف أمرها ، لأن الإمام هو القدوة ولهذا كانت سترته سترة للمأموم . الله أعلم

---

(١) قَطِنُ النَّار : المُقيم عندها لا يُفارِقها وهو من قولك : قَطَن فلان بالمكان اِذا أَوْطنه وأَقَام به يَقْطُن قَطْناً فهو قاطِن وقَطَن . كما يقال : هذا فارِطُكم الى الماء وفَرَطُكم . ويجوز أنْ يكون قَطَن جَمْع قاطن مثل حارس وحَرَس وغائب وغَيَب غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٢٦٩) المؤلف : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد الناشر : مطبعة العاني - بغداد الطبعة الأولى ، ١٣٩٧ تحقيق : د. عبد الله الجبوري

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ١٤٠ ،برقم ٢٣٧٣٧) وصحيح السيرة النبوية (ص: ٦٢) المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن الطبعة: الأولى
قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٢ / ٥٨٦ : هو جملة من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه يرويه عبد الله بن عباس قال حدثني سلمان الفارسي حديثه من فيه قال : " كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لها (جي) و كان أبي دهقان قريته ، و كنت أحب خلق الله إليه ، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته ، أي ملازم النار كما تحبس الجارية و أجهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار التي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة قال الدكتور عائض القرني: "يوم أتى سلمان الفارسي يبحث عن النور وعن الطريق إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالى، كان في أرض فارس المجوس عبدة النار، الذين ما أطفأ نارهم إلا محمد صلى الله عليه وسلم.
أم من رمى نار المجوس فأطفئت   ***   وأبان وجه الصبح أبيض نيرا
ومن الألى دكوا بعزم أكفهم   ***   باب المدينة يوم غزوة خيبرا
هذا الرجل كان يسجد للنار من دون الله، والعقل إذا لم يعرف الله ضل، والقلب إذا لم يهتدِ إلى الله عز وجل أصبح قلباً رخيصاً سافلاً حقيراً لا يساوى فلساً واحداً.

وسئل فضيلة الشيخ – أعلى الله درجته في المهديين – : ما حكم وضع مدخنه البخور أما المصلين في المسجد ؟

فأجاب بقوله : لا حرج في ذلك ولا يدخل هذا فيما ذكره بعض الفقهاء من كراهة استقبال النار ، فإن الذين قالوا بكراهة استقبال النار عللوا هذا بأنه يشبه المجوس في عبادتهم للنيران ، فالمجوس لا يعبدون النار على هذا الوجه ، وعلى هذا فلا حرج من وضع حامل البخور أمام المصلي ، ولا من وضع الدفايات الكهربائية أمام المصلي أيضاً لاسيما إذا كانت أمام المأمومين وحدهم دون الإمام[١] .

علاقة المجوس بالمشركين:

وأول هذه الإيحاءات ذلك الترابط بين الشرك والكفر في كل مكان وزمان أمام دعوة التوحيد والإيمان ومع أن الدول قديماً لم تكن شديدة الاتصال ، والأمم لم تكن وثيقة الارتباط كما هو الشأن في عصرنا الحاضر . مع هذا فإن المشركين في مكة كانوا يحسون أن انتصار المشركين في أي مكان على أهل الكتاب هو انتصار لهم؛ وكان المسلمون كذلك يحسون أن هناك ما يربطهم بأهل الكتاب ، وكان يسوءهم أن ينتصر المشركون في أي مكان؛ وكانوا يدركون أن دعوتهم وأن قضيتهم ليست في عزلة عما يجري في أنحاء العالم من حولهم ، ويؤثر في قضية الكفر والإيمان .

وهذه الحقيقة البارزة هي التي يغفل عنها الكثيرون من أهل زماننا؛ ولا ينتبهون إليها كما انتبه المسلمون والمشركون في عصر رسول الله ب–ﷺ– . منذ حوالي أربعة عشر قرناً . ومن ثم ينحصرون داخل حدود جغرافية أو جنسية؛ ولا يدركون أن القضية في حقيقتها هي قضية الكفر والإيمان؛ وأن المعركة في صميمها هي المعركة بين حزب الله وحزب الشيطان .

وما أحوج المسلمين اليوم في جميع بقاع الأرض أن يدركوا طبيعة المعركة ، وحقيقة القضية؛ فلا تلهيهم عنها تلك الأعلام الزائفة التي تتستر بها أحزاب الشرك والكفر ، فإنهم لا يحاربون المسلمين إلا على العقيدة ، مهما تنوعت العلل والأسباب [٢] .

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٢/ ٣٣١ -٣٣٢)
(٢) في ظلال القرآن (٥/ ٢٧٥٧)

قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾[الروم: ٢] قهرت الرّوم وهم أهل الْكتاب غلبهم فَارس وهم الْمَجُوس عَبدة النيرَان[١]

﴿ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [الروم: ٤] أي يوم يغلب الروم فارساً يفرح المؤمنون بانتصار الروم على فارس لأن الروم أهل كتاب وفارساً مشركون يعبدون النار، كما يفرح المؤمنون أيضاً بانتصارهم على المشركين في بدر إذ كان الوقت الذي انتصرت فيه الروم هو وقت انتصر فيه المؤمنون على المشركين في بدر. وهذا من الغيب الذي أخبر به القرآن قبل وقوعه فكان كما أخبر فأكد بذلك أن الإسلام وكتابه ورسوله حق. وقوله تعالى: {يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} أي ينصر تعالى من يشاء نصره من عباده وقد شاء نصر المؤمنين والروم فنصرهم في وقت واحد منجزاً بذلك وعده الذي واعد به منذ بضع سنين[٢] .

وعن ابن عباس في قول الله تعالى الم غلبت الروم في أدنى الأرض قال غلبت وغلبت كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل الأوثان وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب فذكروه لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه و سلم قال أما إنهم سيغلبون فذكره أبو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلا فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل أجلا خمس سنين فلم يظهروا فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه و سلم فقال ألا جعلته إلى دون قال أراه العشر قال أبو سعيد والبضع ما دون العشر قال ثم ظهرت الروم بعد قال فذلك قوله تعالى الم غلبت الروم إلى قوله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء قال سفيان سمعت أنهم ظهروا عليهم يوم بدر[٣] .

وأنه لما تحارب الفرس والروم الحرب التي سنذكرها عند قوله تعالى ﴿غلبت الروم في أدنى الأرض﴾ وتغلب الفرس على الروم كان المشركون من أهل مكة فرحين بغلب الفرس على الروم لأن الفرس كانوا مشركين ولم يكونوا أهل كتاب فكان حالُهم أقربَ إلى حال قريش ولأن

---

(١) تفسير ابن عباس (ص: ٣٣٨)
(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٤/ ١٥٩)
(٣) أخرجه الترمذي ، وأحمد (١/ ٢٧٦و٣٠٤) وكذا الحاكم (٢/ ٤١٠) ، وقال : "صحيح على شرط الشيخين" ووافقه الذهبي . وهو كما قالا ، وقال الترمذي"حديث حسن صحيح غريب ، إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة"(صحيح سلسلة الأحاديث الضعيفة تحت الحديث ٣٣٥٤)

عرب الحجاز والعراق كانوا من أنصار الفرس وكان عرب الشام من أنصار الروم فأظهرت قريش التطاول على المسلمين بذلك فأنزل الله هذه السورة مقتاً لهم وإبطالاً لتطاولهم بأن الله سينصر الروم على الفرس بعد سنين .

ولماذا حزن المسلمون حين انتصر الفرس – وهم مجوس يعبدون النار – على الروم ، وهم نصارى أهل الكتاب ؟ حتى أنزل الله قرآنًا يبشر المسلمين بأن الروم سينتصرون فى المستقبل القريب (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) ، كما جاء فى أول سورة الروم .

وهذا يدل على أن أهل الكتاب – وإن كفروا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم – أقرب إلى المسلمين من غيرهم من الجاحدين أو الوثنيين[١].

المجوس اجتمعوا لمحاربة الإسلام وأهله:

جماعة من دهاة الأديان الأخرى ذوو الخبث والمكر منهم–وعلى الأخص اليهودية والمجوسية أيضاً– تظاهروا بالدخول في الدين الجديد، وهم يضمرون في أنفسهم الكيد والمكر والخديعة، ويتحينون الفرصة للانقضاض على هذا الدين الذي بسط سلطانه على رقعة الأرض المعروفة يوم ذاك، ويعملون في الخفاء لإيجاد هذه الفرصة إن لم تواتهم من تلقاء نفسها، ويهيئون أذهان الطائفتين السابقتين وقلوبهم وجهودهم

فشن الحاقدون على الإسلام حرباً عليه من داخله، تستهدف الأصل الذي به ظهر وعز أهله، ألا وهو الإيمان بالله والالتزام بتعاليم الإسلام. ولم تكن هذه الحرب حرباً عشوائية، بل منظمة مدروسة، خطط لها

فابن حزم –رحمه الله– يوضح لنا أن المجوس اجتمعوا لمحاربة الإسلام وأهله، بأسلوب الخداع والمكر، حين عجزوا عن مواجهته علناً فأظهروا الإسلام للكيد وأظهروا للناس محبة أهل البيت لما يعلمون من تقدير المسلمين لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١-٢٩ (٦٢/ ١٠٦)

(٢) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة (١/ ١٠٩- ١١٢) المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م

الفصل الخامس

معبودات

أهل الأهواء والدهريين

وفيه مبحثان

المبحث الأول : معبودات أهل الأهواء.

المبحث الثاني : معبودات الدهريين.

الفصل الخامس

معبودات أهل الأهواء والدهريين

تمهيد

ولباب التوحيد أن يرى الأمور كلها لله تعالى ، ثم يقطع الالتفاف إلى الوسائط وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها ولا يعبد غيره . ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى .. فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[الجاثية: ٢٣].

وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم يعبده ، وإنما عبد هواه ، وهو ميل نفسه إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل ، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى(١) .

ولهذا قال السلف في التحذير من أهل الأهواء: " إياكم والتلون في دين الله، فإن دين الله واحد " ؛ لأن التقلب صفة لأهل الأهواء، يتقلبون من معتقد إلى آخر.

وأهل الأهواء،هم الذين جعلوا المنبع: الهوى، أو الرأي، أو الوجد، أو الذوق، أو العقل، أو المنطق، أو الفلسفة، أو غير ذلك(٢).

ومن الذين أنكروا توحيد الربوبية: الدهريون الذين قالوا: ﴿ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤]]

هكذا كانوا ينظرون تلك النظرة القصيرة . الحياة في نظرهم هي هذا الشوط الذي يرونه في الدنيا رأي العين . جيل يموت وجيل يحيا؛ وفي ظاهر الأمر لا تمتد إليهم يد بالموت ، إنما هي الأيام تمضي ، والدهر ينطوي ، فإذا هم أموات؛ فالدهر إذن هو الذي ينهي آجالهم ، ويلحق بأجسامهم الموت فيموتون!

وهي نظرة سطحية لا تتجاوز المظاهر ، ولا تبحث عما وراءها من أسرار . وإلا فمن أين جاءت إليهم الحياة؛ وإذا جاءت فمن ذا يذهب بها عنهم؟ والموت لا ينال الأجسام وفق نظام محدد وعدد من الأيام معين ، حتى يظنوا أن مرور الأيام هو الذي يسلبهم الحياة.

---

(١) تجريد التوحيد المفيد (ص: ٧) المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ) المحقق: طه محمد الزيني الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة الطبعة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

(٢) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (ص: ١٧- ١٨) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي المؤلف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر الناشر: غراس للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

المبحث الأول

معبودات أهل الأهواء

تعريف الهوى في أللغة والاصطلاح:

أ-الهوى في أللغة:

١-"الهوى" : "الميل والعشق ويكون في الخير والشر وميل النفس إلى الشهوة والنفس المائلة إلى الشهوة وفي التنزيل العزيز ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[الجاثية: ٢٣] (١) .

٢- والهوى :مصدر " هَوِيَه " إذا أحبَّه واشتهاه . ثم سُمّي به " المَهْوِيُّ " المُشتَهِي محموداً كان أو مذموماً ثم التنزيل :﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ ﴾ المائدة: ٧٧ ومنه : فلانٌ من (أهل الأهواء) : لمن زاغَ عن الطريقةِ المثلى

٣- وقالَ الأزْهري : هو محبَّةُ الإنْسانِ للشيءِ وغَلَبَتُه على قَلْبِه ؛ ومنه قولهُ تعالى : { ونَهَى النَّفْسَ عن الهوَى } ، أَي عن شَهَواتِها وما تَدْعو إليه مِن المَعاصِي (٢).

٤- ويقال هَوَى الشّيءُ يَهوِي: سقط. وهاويةُ : جهنم؛ لأنَّ الكافِر يَهوِي فيها. والهاوية: كلُّ مَهْواة. والهُوَّة: الوَهدة العميقة. وأهْوَى إليه بيده ليأخذه أ كأنّه رمَى إليه بيده إذا أرسلها. وتهَاوَى القَوْمُ في المَهْواة: سقط بعضهم في إثْر بعض. وبقولون الهَوِيُّ ذَهابٌ في انحدار، والهُوِيّ في الارتفاع(٣) .

ب- تعريف الهوى في الاصطلاح :

فهو ميل النفس إلى ما ترغبه، إذا خرج عن حد الشرع والاعتدال كما يقول شيخ الإسلام رحمه الله:(٤) .

---

(١) المعجم الوسيط (٢/ ١٠٠١)

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس (٤٠/ ٣٢٦)

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ١٥ ؛ ١٦)

(٤) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية - عرض ونقد (ص: ١١٣) المؤلف: د. عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ

بيان معنى الهوى في القرآن :

قال ابن عباس : ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ ﴾[الأعراف: ١٧٦] وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ [الكهف: ٢٨] وقال تعالى : ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[الروم: ٢٩] وقال تعالى :﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص : ٥٠]. وقال تعالى :﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾

ومن الآيات الصريحة الدالة على الهوى وكونه معبوداً قول الله ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[الجاثية: ٢٣]

قال سعيد بن جبير[١] : "كان أحدهم يعبد الحجر ؛ فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر".

وقال مقاتل : "نزلت في الحارث بن قيس السهمي أحد المستهزئين ، لأنه كان يعبد ما تهواه نفسه."

وقال سفيان بن عيينة : "إنما عبدوا الحجارة لأن البيت حجارة. وقيل : المعنى أفرأيت من ينقاد لهواه ومعبوده تعجيبا لذوي العقول من هذا الجهل"

وقال الحسن بن الفضل[٢] : "في هذه الآية تقديم وتأخير ، مجازه : أفرأيت من اتخذ هواه إلهه.

---

(١) سعيد بن جبير (٤٥-٩٥ هـ = ٦٦٥ - ٧١٤ م(سعيد بن جبير الاسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعي، كان أعلمهم على الاطلاق. وهو حبشي الاصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. ثم كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء ؟ يعني سعيدا. ولما خرج عبد الرحمن ابن محمد بن الاشعث، على عبد الملك بن مروان، كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمن، فذهب سعيد إلى مكة، فقبض عليه واليها (خالد القسري) وأرسله إلى الحجاج، فقتله بواسط. قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيدا وما على وجه الارض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه. الأعلام للزركلي (٣/ ٩٣)

(٢) الطبرسي (٠٠٠ - ٥٤٨ هـ = ٠٠٠ - ١١٥٣ م) الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، أمين الدين، أبو علي: مفسر محقق لغوي. من أجلاء الإمامية. نسبته إلى طبرستان. له " مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان - ط " مجلدان، و " جوامع الجامع - ط " في التفسير أيضا. ومن كتبه " تاج المواليد " و " غنية العابد " و " مختصر الكشاف " و " إعلام الورى بأعلام الهدى - ط ". توفي في سبزوار، ونقل إلى المشهد الرضوي (٣) الأعلام للزركلي (٥/ ١٤٨).

وقال الشعبي[1] : "إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار"

قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة : ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه ؛ فلا يهوى شيئا إلا ركبه. وقال عكرمة : أفرأيت من جعل إلهه الذي يعبده ما يهواه أو يستحسنه [2] .

وقوله تعالى:﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ أي جعل معبوده ما تهواه نفسه فما هويت قولا إلا قاله، ولا عملا إلا عمله ولا اعتقاداً إلا اعتقده ضارباً بالعقل والشرع عرض الحائط[3] .

مَنِ اتَّخَذَ إلهه هَوَاهُ : "أي هو مطواع لهوى نفسه ، يتبع ما تدعوه إليه ، فكأنه يعبده ، كما يعبد الرجل إلهه . قال ابن جبير ، إشارة إلى الأصنام : إذ كانوا يعبدون ما يهوون من الحجارة . وقال قتادة : لا يهوى شيئاً إلا ركبه [4] .

وهذه الآية نزلت في قوم هووا الأوثان فعبدوها ، فأخبر الله أنه أضلهم أي حرمهم التوفيق والتسديد على ما سبق في علمه أنه يخلقهم ضلالا ، وأخبر أنه ختم على سمعهم فلا يسمعون الهدى ، وعلى قلوبهم فلا يعقلون الهدى ، وجعل على أبصارهم غشاوة يعني الغطاء ، فمن يهديهم يعني يرشدهم من بعد الله ،[5] .

يقول الدكتور محمد راشد :"حفظه الله والمشرف على هذه الرسالة في تعليق له حول العبادة إذ يقول "إن العبادة فيها التقرب إلى الله بينما صاحب الهوى لايرجو أي تقرب بهذه .. ولكنه يكمل شهواته ".

والهوى أحيانا يحل في بعض النفوس محل الإله فقال تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ .

---

(١) الشعبي عامر بن شراحبيل بن عبد بن ذي كبار وذو كبار: قيل من أقيال اليمن، الإمام، علامة العصر، أبو عمرو الهمداني، ثم الشعبي. ويقال: هو عامر بن عبد الله، وكانت أمه من سبي جلولاء. مولده في إمرة عمر بن الخطاب، لست سنين خلت منها، فهذه رواية. وقيل: ولد سنة إحدى وعشرين، قاله شباب وقال عاصم بن سليمان: ما رأيت أحدا أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز والآفاق من الشعبي. قال إسماعيل بن مجالد، وخليفة، وطائفة: مات الشعبي سنة أربع ومائة. زاد ابن مجالد: وقد بلغ ثنتين وثمانين سنة. وقال الواقدي: مات سنة خمس ومائة، عن سبع وسبعين سنة. سير أعلام النبلاء ط الحديث (٥/ ١٧١- ١٨٤)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٦٦(١٦٧)

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٥/ ٣٤)

(٤) البحر المحيط في التفسير (٩/ ٤٢٢) المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ

(٥) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١/ ٢٨٥) المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ) المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

وأخبر تعالى أن الهوى هو الذي حال بين الأنبياء وأممهم، إذ لم يستفيدوا من أنبيائهم لاستكبارهم الذي أملاه عليهم هواهم قال تعالى﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾البقرة: ٨٧ [(١)].

اتباع الهوى درجات :

فمنهم المشركون والذين يعبدون من دون اللّه ما يستحسنون بلا علم، ولا برهان، كما قال : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية : ٢٣] ، أي يتخذ إلهه الذي يعبده وهو ما يهواه من آلهة، ولم يقل : إن هواه نفس إلهه فليس كل من يهوي شيئًا يعبده، فإن الهوى أقسام بل المراد أنه جعل المعبود الذي يعبده هو ما يهواه، فكانت عبادته تابعة لهوى نفسه في العبادة، فإنه لم يعبد ما يحب أن يعبد، ولا عبد العبادة التي أمر بها .

وهذه حال أهل البدع، فإنهم عبدوا غير اللّه، وابتدعوا عبادات زعموا أنهم يعبدون اللّه بها، فهم إنما اتبعوا أهواءهم، فإن أحدهم يتبع محبة نفسه وذوقها ووجدها وهواها من غير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير [(٢)]

خلاصة أقوال وتنبيهات ابن تيمية رحمه الله في الهوى:

١- "اتباع الإنسان لما يهواه هو أخذ القول والفعل الذي يحبه، ورد القول والفعل الذي يبغضه بلا هدى من الله"

٢- وقال – أيضاً – رحمه الله: "وأتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات"

٣- وقال:"المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه"

٤- وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه..)

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (١/ ٧١) المؤلف: د. غالب بن علي عواجي الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

(٢) الزهد والورع والعبادة (ص: ٣١-٣٢) المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: حماد سلامة ، محمد عويضة الناشر: مكتبة المنار - الأردن الطبعة: الأولى، ١٤٠٧

٥- وقال:"وأما من أحب شخصاً لهواه، مثل أن يحبه لدنيا يصيبها منه، أو لحاجة يقوم له بها، أو لمال يتآكله به، أو بعصبية فيه، ونحو ذلك من الأشياء فهذه ليست محبة لله، بل هذه محبة لهوى النفس، وهذه المحبة هي التي توقع أصحابها في الكفر والفسوق والعصيان"

وينبه ابن تيمية رحمه الله إلى أن خشية الله عزّ وجل هي أهم علاج لمريض الهوى، فصاحب الهوى يحتاج معه إلى الخوف الذي ينهى النفس عن الهوى، وإلى الخشية المانعة من اتباع الهوى إذ هي سبب لصلاح حال الإنسان"[1] .

(١) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية - عرض ونقد (ص: ١١٦)

المبحث الثاني

معبودات الدهريين

تعريف ألدهر في اللغة والاصطلاح:

أ- تعريف ألدهر في اللغة:

١- "دهر" الدال والهاء والراء أصلٌ واحد، وهو الغَلَبة والقَهْر. وسُمِّي الدّهرُ دَهْراً لأنَّه يأتي على كلِّ شيءٍ ويَغلِبُه. فأمّا قولُ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تسبُّوا الدَّهْرَ فإنَّ اللهَ هُوَ الدّهر" [(١)]، فقال أبو عبيد : معناه أنّ العربَ كانوا إذا أصابتْهم المصائبُ قالوا: أبادَنَا الدّهرُ، وأتَى علينا الدّهر. وقد ذكروا ذلك في أشعارهم. قال عمرو الضُّبَعِيّ :

رَمَتْنِي بناتُ الدَّهرِ من حيثُ لا أَرَى *** فكيفَ بمن يُرمَى وليس بِرَامِ.

فلو أنَّنِي أُرمَى بنَبْلٍ تَقَيْتُها *** ولكنَّني أُرمَى بغير سهامِ.

فأعلَمَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، أن الذي يفعل ذلك بهم هو الله جلّ ثناؤُه، وأنّ الدّهرَ لا فِعلَ له، وأنّ مَن سَبَّ فاعِلَ ذلك فكأنّه قد سَبَّ ربّه، تبارك وتعالى عمّا يقول الظالمون عُلُوّاً كبيراً.

وقد يحتمل قياساً أن يكون الدَّهرُ اسماً مأخوذاً من الفِعْل، وهو الغَلَبة، كما يقال رجل صَوْمٌ وفِطرٌ، فمعنى لا تسبُّوا الدَّهْرَ، أي الغالبَ الذي يقهركم ويغلِبُكم على أموركم [(٢)].

٢- الدَّهْرُ: الزمان وجمعه دُهُورٌ وقيل الدَّهْرُ الأبد وفي الحديث " لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله " لأنهم كانوا يضيقون بالنوازل إليه فقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك فإن ذلك هو الله تعالى و الدُّهْرِيُّ بالضم المسن وبالفتح الملحد[(٣)] .

٣- الدَّهْرُ الأَمَدُ المَمْدُودُ، وقيل الدهر أَلف سنة قال ابن سيده وقد حكي فيه الدَّهَر بفتح الهاء فإِما أَن يكون الدَّهْرُ والدَّهَرُ لغتين كما ذهب إِليه البصريون في هذا النحو فيقتصر على ما سمع منه وإِما أَن يكون ذلك لمكان حروف الحلق فيطرد في كل شيء[(٤)] .

---

(١) صحيح مسلم باب النهي عن سب الدهر (٤/ ١٧٦٣) (٢٢٤٦) ومسند أحمد ط الرسالة (١٥/ ٧٠) ٩١٣٧ و سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٦٩)جاء بلفظ" لا تسبوا الدهر ، فإن الله عز وجل قال : أنا الدهر : الأيام و الليالي لي أجددها و أبليها و آتي بملوك بعد ملوك " عن أبي هريرة .

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٣٠٥؛٣٠٦)

(٣) مختار الصحاح (ص: ٢١٨)

(٤) لسان العرب (٤/ ٢٩٢)

ب-:تعريف الدهريين في الاصطلاح:

وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر، العالم القادر، وزعموا: أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه، وبلا صانع، ولم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك كان، وكذلك يكون أبداً وهؤلاء هم الزنادقة.

لقد وجدت نماذج من الإلحاد فى التاريخ القديم؛ فقد وجد الدهريون، الذين ينكرون البعث، وينسبون الموت للدهر بدلاً من الله. أولئك الذين أشار الله فى القرآن إليهم:﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤] [١] .

ومن الذين أنكروا توحيد الربوبية: الدهريون الذين قالوا: { مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ } [الجاثية:٢٤] ولذلك قال قائلهم: (أرحام تدفع، وأرض تبلع) ما عندنا شيء، نساء تحمل وتقذف ثم الأرض تبتلعها وينتهي الإشكال، وهذا الكلام باطل لا شك فيه[٢].

وهؤلاء هم البذرة الأولى للذين يقولون اليوم "بالطبيعة" بدلاً من الله، فيرتكبون ذات الجهالة وفي عصرنا الحاضر يوجد الشيوعيون، ومن اللطائف أن الذين صعدوا القمر هم من روسيا وقالوا عندما نزلوا وقوبل معهم قالوا: علمنا أن هذا الكون له مدبر ولا يمكن أن يحدث صدفة، وبعده بأيام مباشرة قابلوا معهم فقالوا: صعدنا إلى الكون فما وجدنا إلهاً، خافوا أن يرجع الناس عن معتقد الشيوعية .

ومن اللطائف أن الذين يعيشون في المراكب الفضائية قالوا: إنهم يرجعون بروحانيات وبتأمل وفكر عجيب في عقولهم، لما يشاهدون من عجيب صنع الله تعالى في الكون، وهذا لا شك أنه من العجائب.

منكرو البعث على أربعة اصناف:

١- صنف انكروا المبدأ والمعاد وزعموا ان الاكوان تتصرف بطبيعتها فتوجد وتعدم بأنفسها ليس لها رب يتصرف فيها انما هي ارحام تدفع وارض تبلع وهؤلاء هم جمهور الفلاسفة الدهرية والطبائعية

---

(١) ركائز الايمان (ص: ١٤٥)

(٢) شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية (٩/ ١٢)

٢- وطائفة يقال لهم الدورية وهم منكرون للخالق ايضا ويعتقدون ان في كل ستة وثلاثين الف سنة يعود كل شئ الي ما كان عليه وزعموا ان هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا في المعقول وكذبوا المنقول قبحهم الله تعالى وهاتان الطائفتان يعمهم قوله عز و جل وقالوا ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ ولهذا عن السلف الصالح فيها تفسيران الاول معنى قولهم نموت ونحيا اي يموت الآباء ويحيى الابناء هكذا ابدا وهو قول الطائفةالاولى

والمعنى الثاني انهم عنوا كونهم يموتون ويحيون هم انفسهم ويتكرر ذلك منهم ابدا ولا حساب ولا جزاء بل ولا موجد ولا معدم ولا محاسب ولا مجازي وهذا قول الدورية

٣- الدهرية من مشركي العرب ومن وافقهم وهم مقرون بالبداءة وان الله تعالى ربهم وخالقهم ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله الزخرف ٨٧ ومع هذا قالوا ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين الدخان ٣٥ فأقروا بالبداءة والمبدئ وانكروا البعث والمعاد وهم المذكورون في حديث ابي هريرة الصحيح واما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق بأهون علي من اعادته (١)

٤- ملاحدة الجهمية ومن وافقهم(٢) .

معنى الدهرعندالمفسرين :

يقول تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤]

قال القرطبي :"هذا إنكار منهم للآخرة وتكذيب للبعث وإبطال للجزاء. ومعنى : ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي نموت نحن وتحيا أولادنا .

. وقيل : يموت بعضنا ويحيا بعضنا. وقيل : فيه تقديم وتأخير ؛ أي نحيا ونموت ؛ وهي قراءة ابن مسعود. وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ قال مجاهد : يعني السنين والأيام. وقال قتادة : إلا

---

(١) الجامع الصغير وزيادته (ص: ٧٧٨ -)(قال الله تعالى : شتمني ابن آدم و ما ينبغي له أن يشتمني و كذبني و ما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه إياي فقوله : إن لي ولدا و أنا الله الأحد الصمد لم ألد و لم أولد و لم يكن لي كفوا أحد و أما تكذيبه إياي فقوله : ليس يعيدني كما بدأني و ليس أول الخلق بأهون علي من إعادته حم خ ن) عن أبي هريرة ، قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٤٣٢٣ في صحيح الجامع.

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٧٧٦)

العمر ، والمعنى واحد. وقرئ ﴿إلا دهر يمر﴾. وقال ابن عيينة : كان أهل الجاهلية يقولون : الدهر هو الذي يهلكنا وهو الذي يحيينا ويميتنا ؛ فنزلت هذه الآية" [1] .

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون المعاد، وتقوله الفلاسفة الدهرية المنكرون للصانع، المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا العقول وكذبوا المنقول، ولهذا قَالُوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ قَال اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أَيْ يتوهمون ويتخيلون [2] .

هكذا كانوا ينظرون تلك النظرة القصيرة . الحياة في نظرهم هي هذا الشوط الذي يرونه في الدنيا رأي العين . جيل يموت وجيل يحيا؛ وفي ظاهر الأمر لا تمتد إليهم يد بالموت ، إنما هي الأيام تمضي ، والدهر ينطوي ، فإذا هم أموات؛ فالدهر إذن هو الذي ينهي آجالهم ، ويلحق بأجسامهم الموت فيموتون!

وهي نظرة سطحية لا تتجاوز المظاهر ، ولا تبحث عما وراءها من أسرار . وإلا فمن أين جاءت إليهم الحياة؛ وإذا جاءت فمن ذا يذهب بها عنهم؟ والموت لا ينال الأجسام وفق نظام محدد وعدد من الأيام معين ، حتى يظنوا أن مرور الأيام هو الذي يسلبهم الحياة . فالأطفال يموتون كالشيوخ والأصحاء يموتون كالمرضى . والأقوياء يموتون كالضعاف . ولا يصلح الدهر إذن تفسيراً للموت عند من ينظر إلى الأمر نظرة فاحصة ، ويحاول أن يعرف ، وأن يدرك حقيقة الأسباب . لهذا يقول الله عنهم بحق : ﴿وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ يظنون ظناً غامضاً واهياً ، لا يقوم على تدبر ، ولا يستند إلى علم ، ولا يدل على إدراك لحقائق الأمور . ولا ينظرون إلى ما وراء ظاهرتي الحياة والموت من سر يشهده بإرادة أخرى غير إرادة الإنسان ، وبسبب آخر غير مرور الأيام[3] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٧٠).
(٢) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٣١١)
(٣) في ظلال القرآن (٥/ ٣٢٣٢)

يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر:

الله هو الفاعل لهذه الأمور التي تضيفونها إلى الدهر فيرجع السب إليه سبحانه ؛ فنهوا عن ذلك. ودل على صحة هذا ما ذكره من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله -ﷺ-: "قال الله تبارك وتعالى" يؤذيني ابن آدم.." الحديث.[1] ولقد أحسن من قال ، وهو أبو علي الثقفي[2] :

يا عاتب الدهر إذا نابه *** لا تلم الدهر على غدره

الدهر مأمور ، له آمر *** وينتهي الدهر إلى أمره

كم كافر أمواله جمة *** تزداد أضعافا على كفره

ومؤمن ليس له درهم *** يزداد إيمانا على فقره[3] .

معنى قوله (يؤذيني ابن آدم)

في قوله يؤذيني ابن آدم على ما كانت عليه العرب إذا أصابتهم مصيبة يسبون الدهر ويقولون عند ذكر موتاهم أبادهم الدهر ينسبون ذلك إليه ويرونه الفاعل لهذه الأشياء ولا يرونها من قضاء الله وقدره قلت قوله أقلب الليل والنهار قرينة قوية دالة على أن المضاف في قوله إنا الدهر محذوف وأن أصله خالق الدهر لأن الدهر في الأصل عبارة عن الزمان مطلقا والليل والنهار زمان[4] .

أي يقول في حقي ما أكرهه وزعم أن المراد يخاطبني بما يؤذي من يمكن في حقه التأذي تكلف قال الطيبي : والإيذاء إيصال مكروه إلى الغير وإن لم يؤثر فيه وإيذاؤه تعالى عبارة عن فعل ما لا يرضاه[5] .

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٣٣،برقم ٤٨٢٦) وصحيح مسلم (٤/ ١٧٦٢،برقم ٢٢٤٦)وفي التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٨/ ٢٢٣) ٥٦٨٥، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: ((يقول الله - جل وعلا -: يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر؛ وأنا الدهر ، بيدي الأمر ، أقلب ليله ونهاره ، فإذا شئت قبضتهما)). وقال الألباني صحيح

(٢) أبو علي الثقفي الإمام المحدث الفقيه العلامة الزاهد العابد، شيخ خراسان، أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن عبد الوهاب، الثقفي النيسابوري الشافعي الواعظ، من ولد الحجاج. مولده بقهستان في سنة أربع وأربعين ومائتين. قال الحاكم: شهدت جنازته، فلا أذكر أني رأيت بنيسابور مثل ذلك الجمع، وحضرت مجلس وعظه، وأنا صغير، فسمعته يقول في دعائه: إنك أنت الوهاب الوهاب الوهاب. مات أبو علي في جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة. سير أعلام النبلاء ط الحديث (١١/ ٤٩٢-٤٩٣)

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٧١)

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٩/ ١٦٧)

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٤/ ٦٣٠) المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري(المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ه

قال القرطبي:"معناه يخاطبني من القول بما يتأذى به من يجوزفي حقه التأذي والله منزه عن أن يصل إليه الأذى وإنما هذا من التوسع في الكلام والمعنى أن من وقع ذلك منه تعرض لسخط الله[(١)]

وقوله: " يؤذينى ابن آدم "، قال الإمام: هو مجاز، والبارى – تعالى – لا يتأذى من شىء، فيحتمل أن يريد: أن هذا عندكم إذا قاله بعضهم لبعض؛ لأن الإنسان إذا أحب آخر لم يصح أن يسبه لعلمه أن السب يؤذيه، والمحبة تمنع من الأذى، ومن فعل ما يكرهه المحبوب، وكأنه قال: يفعل ما أنهاه عنه، وما يخالفنى فيه، والمخالفة فيها أذى فيما بينكم، فيجوز فيها فى حق البارى – سبحانه[(٢)] .

أنّ وصف الدهر بأوصاف مما يقع فيه من الأوصاف المشينة ليست مسبّة للدهر، فقول القائل هذا يوم أسود أو هذا الشهر شهر نحس أو نحو ذلك، فإن هذا ليس بمسبة للدهر لأن هذا وصف لما يقع في الدهر لما يقع في اليوم أو لما وقع فيه، لما يقع في الشهر أو لما وقع فيه، وهذا كما قال ؟ ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾[القمر:١٩]، وقال سبحانه ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؟[فصلت:١٦] فوصف الله ؟ الأيام التي عذب بها الكفرة أنها أيام نحيسة، فمثل هذا ليس بسب للدهر؛ لأنه وصف لما وقع فيه بالإضافة إلى المخلوق"[(٣)].

معنى سب الدهر عند أهل الجاهلية :

قال ألخطابي " معناه: أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التي ينسبونها إليه، فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور، عاد سبه إلى ربه الذي هو فاعلها، وإنما الدهر زمان جعل ظرفا لمواقع الأمور، وكانت عادتهم إذا أصابهم مكروه أضافوه إلى الدهر، فقالوا: بؤسا للدهر، وتبا للدهر"

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ (٦٣٦/٤- ٦٣٧) المؤلف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري تحقيق: طه عبد الرءوف سعد الناشر: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ١٨٤) شرح صحيح مسلم للقاضى عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

(٣) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل (٩/ ١) شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي والمسمى بـ ((إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل)) شرحها الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

وقال ابن كثير: " غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الأسماء الحسنى أخذا من هذا الحديث"

قال الشافعي[١] ، وأبو عبيد وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله: "لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر"، كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا: يا خيبة الدهر! فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله تعالى، فكأنما سبوا الله سبحانه؛ لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار؛ لأن الله هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال، هذا أحسن ما قيل في تفسيره –وهو المراد والله أعلم[٢] .

ألدهر ليس من أسماء الله:

من فقه هذه القاعدة والأحكام التي تُؤخذ منها أن يعلم أن "الدهر" ليس من أسماء الله تعالى؛ لأنه اسم جامد لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنى، وأسماء الله كما تقدم لنا كل واحد منها دل على "معنى" الذي نسميه الصفة..

قال القاضي أبو يعلى[٣] في إبطال التأويلات اعلم أن أبا بكر الخلال[٤] قال أخبرني بشر بن موسى الأسدي قال سألت أبا عبدالله أحمد بن حنبل عن الدهر فلم يجبني فيه بشيء

---

(١) الإمام الشافعي: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام عالم العصر ناصر الحديث فقيه الملة أبو عبد الله القرشي، ثم المطلبي الشافعي، المكي، الغزي، المولد نسيب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وابن عمه، فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد المطلب. اتفق مولد الإمام بغزة وقال ابن عبد الحكم: قال لي الشافعي: ولدت بغزة سنة خمسين ومئة وحملت إلى مكة ابن سنتين. وارتحل وهو ابن نيف وعشرين سنة وقد أفتى وتأهل للإمامة إلى المدينة، فحمل عن مالك بن أنس الموطأ عرضه من حفظه وقيل: من حفظه لأكثره سير أعلام (٨/ ٢٣٦- ٢٣٨)

قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: ما رأيت رجلا قط أكمل من الشافعي، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي فإني سمعتك تكثر من الدعاء له، فقال: يا بني، كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن، هل لهذين من خلف أو عنهما من عوض وقال أحمد: ما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له، وقال يحيى بن معين: كان أحمد بن حنبل ينهانا عن الشافعي، ثم استقبلته يوما والشافعي راكب بغلة وهو يمشي خلفه، فقلت: يا أبا عبد الله، تنهانا عنه وتمشي خلفه فقال: اسكت، لو لزمت البغلة انتفعت. وفيات الأعيان (٤/ ١٦٤)

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٢٤)

(٣) القاضي أبو يعلى : الإمام العلامة شيخ الحنابلة القاضي أبو يعلى؛ محمد بن الحسين ابن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي الحنبلي ابن الفراء صاحب التعليقة الكبرى والتصانيف المفيدة في المذهب ولد في أول سنة ثمانين وثلاث مائة. أفتى ودرس وتخرج به الأصحاب وانتهت إليه الإمامة في الفقه وكان عالم العراق في زمانه مع معرفة بعلوم القرآن وتفسيره والنظر والأصول وكان أبوه من أعيان الحنفية ومن شهود الحضرة فمات ولأبي يعلى عشرة أعوام فلقنه مقرئه العبادات من مختصر الخرقي فلذ له الفقه وتحول إلى حلقة أبي عبد الله بن حامد شيخ الحنابلة فصحبه أعواما وبرع في الفقه. سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٣/ ٣٢٥)

(٤) الخلال (٠٠٠ - ٣١١ هـ = ٠٠٠ - ٩٢٣ هـ) أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر، الخلال: مفسر عالم بالحديث واللغة، من كبار الحنابلة. من أهل بغداد. كانت حلقته بجامع المهدي. قال ابن أبي يعلى: له التفاسير الدائرة والكتب السائرة. وقال الذهبي: جامع علم أحمد ومرتبه. من كتبه (تفسير الغريب) و (طبقات أصحاب ابن حنبل - خ) الأعلام للزركلي (١/ ٢٠٦)

قال القاضي وظاهر هذا أن أحمد توقف عن الأخذ بظاهر الحديث(١) .

وَغَلَّطَ وقال عياض زعم بعض من لا تحقيق عنده أن الدهر من أسماء الله وهو غلط فإن الدهر مدة زمان الدنيا وعرفه بعضهم بأنه أمد مفعولات لله في الدنيا أو فعله لما قبل الموت قال وقد تمسك الجهلة من الدهرية والمعطلة بظاهر هذا الحديث واحتجوا به على من لا رسوخ له في العلم وهو بنفسه حجة عليهم لأن الدهر عندهم حركات الفلك وأمد العالم ولا شيء عندهم ولا صانع سواه وكفى في الرد عليهم قوله في بقية الحديث أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فكيف يقلب الشيء نفسه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا(٢) .

وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الأسماء الحسنى، أخذاً من هذا الحديث، انتهى(٣) .

دهرية وجاهلية اليوم:

وهذه العادة السيئة لا تزال موجودة عند ألناس وإن تغيرت ألأساليب وقد تضاف الأمور والحوادث إلى شيء شبيه بالدهر كقولهم مثلاً: الكوارث ألطبيعية فإذا وقع زلزال أو أمطار وفيضانات أو رياح سموها كلها كوارث طبيعية نسبة للطبيعة وهذا كقولهم: أهلكنا ألدهر لأن كل ما يقع في الأرض من تدبير الله جل وعلا، لا يقع على الناس حوادث من فيضانات أو رياح أو زلازل أو براكين إلا بسبب ذنوبهم، يعاقبهم الله جل وعلا بها، فيجب أن يعترفوا أن هذا بتقدير الله وتدبيره.

أما الطبيعة فهي لا تصنع شيئاً؛ لأن الطبيعة التي يركن إليها أكثر الناس لا يعرف ما هي حقيقتها، فإن كان يقصد بها شيئاً موجوداً من الرطوبة واليبوسة أو الرياح أو غيرها فهذه مقدرة ومسخرة، لها رب يدبرها أو يسخرها ويقهرها وهي لا تصنع شيئاً،

فهذا إنكار منهم واتباع للدهرية الذين يقولون: ما يهلكنا إلا الدهر، وهو من الذنوب التي يجب أن يبتعد عنها الإنسان؛ لأن كل شيء يصيب الإنسان فهو من الله جل وعلا عقاب، والسبب في ذلك ذنوبه؛

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ١٢٤) المؤلف : أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : مطبعة الحكومة - مكة المكرمة الطبعة الأولى ، ١٣٩٢

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٤٥٥) المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ) الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

(٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص: ١٢٨)

لأن الإنسان لا يصاب إلا بما كسبت يده كما أخبرنا الله جل وعلا في قوله: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى: ٣٠]

ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي -ﷺ-أنه قال: « ما أحد أصبر على أذىً سمعه من الله؛ يجعلون له الولد ثم يرزقهم ويعافيهم »(١) .

(١) صحيح البخاري "باب قول الله تعالى: {إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين} [الذاريات: ٥٨] (٩/ ١١٥،برقم ٧٣٧٨)

وفي صحيح مسلم صحيح باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل (٤/ ٢١٦٠) (٢٨٠٤) قال عبد الله بن قيس قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- « ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله تعالى إنهم يجعلون له ندا ويجعلون له ولدا وهو مع ذلك يرزقهم ويعافيهم ويعطيهم

الباب الثالث

المعبودات

في عهد أنبياء الديانات السماوية

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول: سجود الملائكة لآدم عليه السلام وفيه مبحثان:

المبحث الأول : معنى السجود وحكمته

المبحث الثاني :كيفية سجود الملائكة لآدم عليه السلام.

الفصل الثاني: المعبودات في عهد نبي الله نوح عليه السلام وفيه مبحثان:

المبحث الأول : التعريف بنوح عليه السلام وديانة قومه.

المبحث الثاني :الآلهة المعبودة عند قوم نوح.

الفصل الثالث: المعبودات في عهد نبي الله هود وصالح عليهما السلام وفيه مبحثان:

المبحث الأول : المعبودات في عهد نبي الله هود.

المبحث الثاني : المعبودات في عهد نبي الله صالح عليه السلام.

الباب الثالث

المعبودات في عهد الأنبياء عليهم السلام

تمهيد:

لقد اصطفى الله تعالى رسله للقيام بوظائف محددة باعتبارهم سفراء الله تعالى إلى عباده وحملة وحيه وهذه الوظيفة بالضرورة هي المهمة الأساسية للرسل إذ ما بعثهم الله تعالى إلا لإبلاغ الناس ما نزل إليهم من ربهم وقد جاء في القرآن الكريم ثلاث عشرة آية تنص على أن مهمة الرسول إنما هي"البلاغ" وقال الله تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾[المائدة: ٦٧] والبلاغ يحتاج إلى الشجاعة وعدم الخوف من الناس لأن الرسول يأتي بما يخالف أهواء الناس ويهدد مركز قادتهم وكبراءهم المسيطرين على الناس بالباطل ويأمرهم بما يستنكرون ويكرهون لأنه خلاف ما اعتادوه .

وهذه الوظيفة تعد من كمال البلاغ لذلك قال الله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤] لأنه الذي يبين للناس الحق من الباطل ويدعوهم لاتباع الحق . وأعظم الحقائق التي دعت إليها الرسل جميعا : توحيد الله تعالى وإفراده بالخلق والملك والتدبير والعبادة قال الله تعالى :﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾[النحل: ٣٦] وقال الله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[الأنبياء: ٢٥] وقد ذكر الله تعالى أن الرسل قالوا لأقوامهم : ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[الأعراف: ٦٥] كما أن الرسل عليهم السلام يقومون بتعريف الناس بإلههم الواحد الأحد وصفاته وقد جاء ذلك في القرآن الكريم بأوجز عبارة في سورة الإخلاص قال الله تعالى : ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] ويقوم الرسل بتصحيح كل ما يخالف هذا الاعتقاد في الله تعالى مثل جعل شريك له في ملكه أو خلقه أو عبادته أو جعل صاحبة له

لقد خلق الله تعالى عباده حنفاء ولكن جاءتهم الشياطين فاجتالتهم وانحرفوا عن الفطرة السليمة التي كانوا عليها ولا تزال شياطين الجن والإنس يزينون لهم الباطل ويثيرون فيهم الشبه والضلالات ولأجل ذلك يرسل الله تعالى رحمة منه رسله كلما زاغ الناس عن الطريق المستقيم

قال الله تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[البقرة: ٢١٣] أي كان الناس أمة واحدة على التوحيد والإيمان وعبادة الله تعالى وحده فاختلفوا فأرسل الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين .

ودعوة الرسل جميعا تقوم على التوحيد الخالص لله تعالى إلا أن كل رسول يختص بتقويم الانحراف الحادث في عصره وموطنه ذلك أن الانحراف على الصراط المستقيم يختلف باختلاف ظروف الزمان والمكان

فنوح عليه السلام أنكر على قومه عبادة الأصنام التي كانت عامة فيهم وكذلك إبراهيم عليه السلام إضافة إلى أنه أنكر على قومه الاستعلاء في الأرض والتجبر فيها .

وصالح عليه السلام أنكر على قومه الفساد في الأرض واتباع المفسدين .

ولوط عليه السلام حارب الشذوذ الجنسي المتفشي في قومه وشعيب عليه السلام قاوم جريمة الإفساد الاقتصادي المتمثل في تطفيف المكيال والميزان .

وموسى عليه السلام وقف في وجه النزعة المادية التي انحرف إليها بنوا إسرائيل .

ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين فقد جاءت رسالته عامة شاملة لكل أسس التقويم والهداية التي جاءت في الكتب السماوية وزائدة عليها حتى تكون صالحة لكل زمان ومكان كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾[المائدة: ٤٨] (١)

١) الحاجة إلى الرسل (ص: ٤٣-٤٤)

الفصل الأول

سجود الملائكة لآدم عليه السلام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : معنى السجود وحكمته.

المبحث الثاني :كيفية سجود الملائكة لآد م عليه السلام.

الفصل الأول

سجود الملائكة لآدم عليه السلام

تمهيد:

وقد اختص الله آدم بأنّه " أبو البشر ، خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له " وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم امتن بها على ذريته، حيث أخبر أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم. وقد دل على ذلك أحاديث –أيضا–كثيرة منها حديث الشفاعة «"يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك »[1].

واستدل من فضل آدم وبنيه بقوله تعالى للملائكة : ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة: ٣٤] ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾ . قالوا : وذلك يدل على أنه كان أفضل منهم. والجواب أن معنى {اسْجُدُوا لآدَمَ} اسجدوا لي مستقبلين وجه آدم. وهو كقوله تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ [الإسراء : ٧٨] أي عند دلوك الشمس وكقوله : ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[الحجر: ٢٩] أي فقعوا لي عند إتمام خلقه ومواجهتكم إياه ساجدين. وقد بينا أن المسجود له لا يكون أفضل من الساجد بدليل القبلة.[2]

ثم في غشية الوثنية الجاهلية، كان العرب يسجدون لأربابهم خضوعاً وترباً وزلفى، حتى نسخ الإسلام بنوره ظلام الوثنية وأبطل السجود لغير الخالق، وأخذ السجود دلالته الإصطلاحية على السجدة في الصلاة يتدرج فيها العابد من الوقوف بين يدي الله إلى الركوع، ثم يكون السجود غاية الخشوع. ولعل تسمية دور العبادة الإسلامية بالمساجد، ملحوظ فيما ما في السجود من غاية الخشوع. وأختص البيت العتيق باسم المسجد الحرام، إذ كان أول بيت عُبد فيه الله، وقد جاء بهذا الاسم في خمس عشرة آية من القرآن الكريم..... ومعه المسجد الأقصى في آية الإسراء [3].

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٣٤) باب قول الله تعالى: {إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم} [نوح: ١] (٤/ ١٣٤) برقم (٣٣٤٠) وصحيح مسلم باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٨٤) برقم (١٩٤)و مسند أحمد ط الرسالة (١٥/ ٣٨٤) برقم(٩٦٢٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٩٢)

(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم (٢/ ٣٤) المؤلف: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ) دار النشر: دار المعارف - القاهرة الطبعة: السابعة

المبحث الأول

معنى السجود وحكمته

معنى السجود:

"سجد": السين والجيم والدال أصلٌ واحدٌ مطّرد يدلّ على تطامُن وذلّ. يقال سجد، إذا تطَامَنَ. وكلُّ ما ذلَّ فقد سجد. قال أبو عمرو: أَسْجَدَ الرَّجُل، إذا طأطأَ رأسَهُ وانحنى[١] .

ومعنى السجود هنا وضع الجبهة على الأرض وإليه ذهب الجمهور، قال قوم هو مجرد التذلل والانقياد والأول أولى، وقد وقع الخلاف هل كان السجود من الملائكة لآدم قبل تعليمه الاسماء أم بعده؟ وقد أطال البحث في ذلك البقاعي في تفسيره، وظاهر السياق أنه وقع التعليم وتعقبه الأمر بالسجود وتعقبه إسكانه الجنة ثم إخراجه منها وإسكانه الأرض[٢] .

﴿اسْجُدُوا﴾ لله سبحانه وخروا له سجودا شرعيا بوضع الجبهة مستقبلين إلى ﴿آدم﴾عليه السلام قبلة لسجودهم؛ تعظيما لشأنه وإظهارا لفضله، فجعل آدم قبلة لسجودهم، والسجود لله، كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة، والصلاة لله، أو اسجدوا لآدم سجود تحية بالانحناء من غير وضع الجبهة على الأرض[٣]

وفيه وجه آخر لأَهل العربية وهو أَن يجعل اللام في قوله وخروا له سجداً وفي قوله رأَيتهم لي ساجدين لام من أَجل المعنى وخروا من أَجله سجداً لله شكراً لما أَنعم الله عليهم[٤].

وإذا تقرر كون السجود لغير الله تعالى شركاً بالله تعالى، فينبغي أن نفرق بين سجود العبادة، وسجود التحية، فأما سجود العبادة فقد سبق الحديث عنه، وأما سجود التحية فقد كان سائغاً في الشرائع السابقة، ثم صار محرماً على هذه الأمة، والتسليم والإجلال لله وحده هو من التوحيد الذي اتفقت عليه دعوة الرسل، وإن صُرف لغيره فهو شرك وتنديد، ولكن لو سجد أحدهم لأب أو عالم ونحوهما، وقصده التحية والإكرام فهذه من المحرمات التي دون الشرك، أما إن قصد الخضوع والقربة والذلّ له فهذا من الشرك، ولكن لو سجد لشمس أو قمر أو قبر، فمثل هذا السجود لا يتأتى إلا عن عبادة وخضوع وتقرّب فهو سجود شركي [٥]

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ١٣٣).
(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (١/ ١٣١).
(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (١/ ٣٠٧)
(٤) لسان العرب (٣/ ٢٠٤)
(٥) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين (ص: ٢٣٩)

ويبين ابن تيمية – رحمه الله – أن السجود الشركي من الأمور المتفق على تحريمها عند الرسل عليهم السلام، فيقول: "أما السجود لغير الله وعبادته فهو محرم في الدين الذي اتفقت عليه رسل الله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥][1].

آدم – عليه السلام –:

وآدم سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وقيل: إنه كان أدأم بالعبرانية، وهو التراب، فعربته العرب فقالوا: آدم[2]

من المعتقد أن آدم – عليه السلام – كان أول نبي، وقد روي عن أبي أمامة – رضي الله عنه – أن رجلاً قال: «يا رسول الله، أنبياً كان آدم؟ قال: «آدم نبي مكلّم»[3]

قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي[4] – رحمه الله –: " وأما آدم فقيل: إنه نبي، وعلى ذلك يكون أول الأنبياء بدليل قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، وغير ذلك من الآيات التي فيها إيحاء الله إليه، ولا نعلم دليلاً صحيحاً صريحاً يدل على أنه رسول عليه الصلاة والسلام" [5]

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٢٢١)

(٢) التفسير الوسيط للواحدي (١/ ١١٩- ١٢٠)

(٣) النبيون مائة ألف نبى وأربعة وعشرون ألف نبى والمرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر وآدم نبى مكلم أخرجه الحاكم (٦٥٢/٢ ، رقم ٤١٦٦) ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى ذر (١٤٨/١ ، رقم ١٣١) . وأخرجه أيضًا: البيهقى فى السنن الكبرى (٤/٩ ، رقم ١٧٤٨٩) وفي مسند أحمد بن حنبل (٥/ ١٧٨)من حديث أبي ذر قلت يا رسول الله أي الأنبياء كان أول قال آدم قلت يا رسول الله ونبي كان قال نعم نبي مكلم قال قلت يا رسول الله كم المرسلون قال ثلاثمائة وبضعة عشر جما غفيرا وقال مرة خمسة عشر تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف جدا لجهالة عبيد بن الخشخاش.

(٤) ولد بشنشور التابعة لمركز أشمون محافظة المنوفية عام ١٣٢٣ هـ. درس المرحلة الابتدائية ثم المرحلة الثانوية، ثم مرحلة القسم العالي، وبإتمامه دراستها اختبر ومنح الشهادة العالمية عام ١٣٥١، ثم درس مرحلة التخصص في شعبة الفقه وأصوله ومنح شهادة التخصص في الفقه وأصوله بعد الاختبار، كل هذه الدراسة في الأزهر بالقاهرة. عين مدرسا بالمعاهد العلمية التابعة للأزهر فدرس بها سنوات ثم ندب إلى المملكة العربية السعودية للتدريس بالمعارف السعودية عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٩ م، فجعل مدرسا بدار التوحيد بالطائف، ثم نقل منها بعد سنتين إلى معهد عنيزة العلمي في شهر محرم عام ١٣٧٠ هـ، ثم نقل إلى الرياض في آخر شهر شوال عام ١٣٧٠ هـ للتدريس بالمعاهد العلمية التابعة لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم نقل للتدريس بكليتي الشريعة واللغة، ثم جعل مديرا للمعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٥ هـ، ثم نقل إلى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عام ١٣٩١ هـ وعين بها نائبا لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء مع جعله عضوا في مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

(٥) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين (ص: ٣٨٥) إعداد: أحمد بن علي الزاملي عسيري إشراف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤٣١ هـ

قال القرطبي: " كَانَ رَسُولًا إِلَى وَلَدِهِ، وَكَانُوا أَرْبَعِينَ وَلَدًا فِي عِشْرِينَ بَطْنًا فِي كُلِّ بَطْنٍ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، وَتَوَالَدُوا حَتَّى كَثُرُوا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:" ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١] (١)

قال الشنقيطي – رحمه الله –: " القول بأن آدم رسول مشكل مع ما ثبت في حديث الشفاعة المتفق عليه من أن نوحا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أول الرسل ويشهد له قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ [النساء: ١٦٣] ، والظاهر أنه لا طريق للجمع إلا من وجهين:

الأول: أن آدم أرسل لزوجه وذريته في الجنة ونوح أول رسول أرسل في الأرض ويدل لهذا الجمع ما ثبت في الصحيحين وغيرهما ويقول:«ولكن ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض» الحديث. فقوله: «إلى أهل الأرض» لو لم يرد به الاحتراز عن رسول بعث لغير أهل الأرض لكان ذلك الكلام حشوا بل يفهم من مفهوم مخالفته ما ذكرنا.

الوجه الثاني: أن آدم أرسل إلى ذريته وهم على الفطرة لم يصدر منهم كفر فأطاعوه ونوح هو أول رسول أرسل لقوم كافرين ينهاهم عن الإشراك بالله تعالى ويأمرهم بإخلاص العبادة له وحده ويدل لهذا الوجه قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ [يونس: ١٩]. أي: على الدين الحنيف أي حتى كفر قوم نوح وقوله: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢١٣]. والله تعالى أعلم(٢) .

فما الحكمة في الأمر بالسجود له ؟

فإن قيل : فإذا لم يكن أفضل منهم فما الحكمة في الأمر بالسجود له ؟

قيل له : إن الملائكة لما استعظموا بتسبيحهم وتقديسهم أمرهم بالسجود لغيره ليريهم استغناءه عنهم وعن عبادتهم.

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٢٦٤)

(٢) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين (ص: ٣٨٦)

وقال بعضهم : عيروا آدم واستصغروه ولم يعرفوا خصائص الصنع به فأمروا بالسجود له تكريما. ويحتمل أن يكون الله تعالى أمرهم بالسجود له معاقبة لهم على قولهم : ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة: ٣٠] لما قال لهم : إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ [البقرة : ٣٠][1] .

وقدوردفي تفسيرالآية في قوله: ﴿خَلِيفَةٗ﴾

وجهان من التفسير للعلماء:

أحدهما: أن المراد بالخليفة أبونا آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام؛ لأنه خليفة الله في أرضه في تنفيذ أوامره.

وقيل: لأنه صار خلفا من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض قبله، وعليه فالخليفة: فعيلة بمعنى فاعل.

وقيل: لأنه إذا مات يخلفه من بعده، وعليه فهو من فعيلة بمعنى مفعول. وكون الخليفة هو آدم هو الظاهر المتبادر من سياق الآية.

الثاني: أن قوله: ﴿خَلِيفَةٗ﴾ مفرد أريد به الجمع، أي خلائف، وهو اختيار ابن كثير [2]

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٩٢)
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢٢)

المبحث الثاني

كيفية السجود الذي أمر به الملائكة لآدم

قال صديق حسن خان[1]: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾[البقرة: ٣٤] قيل هذا خطاب مع ملائكة الأرض والأصح أنه خطاب مع جميع الملائكة وهو الظاهر من قوله ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر: ٣٠] والسجود معناه في كلام العرب التذلل والخضوع، وغايته وضع الوجه على الأرض، والإسجاد إدامة النظر، وفي هذه الآية فضيلة لآدم عليه السلام عظيمة حيث أسجد الله له ملائكته وقيل أن السجود كان لله ولم يكن لآدم، وإنما كانوا مستقبلين له عند السجود، ولا ملجأ لهذا "فإن السجود للبشر قد يكون جائزاً في بعض الشرائع بحسب ما تقتضيه المصالح، وقد دلت هذه الآية على أن السجود لآدم وكذلك الآية الاخرى أعني قوله ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[الحجر: ٢٩] وقال تعالى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ [يوسف: ١٠٠]

فلا يستلزم تحريمه لغير الله في شريعة نبينا محمد – ﷺ – أن يكون كذلك في سائر الشرائع. فإن السجود في ذلك الزمان كان يجري مجرى التحية كالتكرمة بالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الناشئة في التعظيم والتوقير، ويدل عليه قوله تعالى في حق إخوة يوسف وأبيه: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾، وأما الانحناء للسلطان أو لغيره فمكروه؛ لأنه يشبه فعل اليهود، كما أن تقبيل يد نفسه بعد المصافحة فعل المجوس [2].

وقد عرف السجود منذ أقدم عصور التاريخ فقد وجد عى الآثار الكلدانية منذ القرن التاسع عشر قبل المسيح صورة حمورابي ملك كلدية راكعا أمام الشمس، ووجدت على الآثار المصرية صورأسرى الحرب سجدا لفرعون، وهيئآت السجود تختلف باختلاف العوائد. وهيئة

---

(١) صِدِّيق حَسَن خانْ (١٢٤٨ - ١٣٠٧ هـ = ١٨٣٢ - ١٨٩٠ م) محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لُطْف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيّب: من رجال النهضة الإسلامية المجددين. ولد ونشأ في قنوج (بالهند) وتعلم في دهلي. وسافر إلى بهوپال طلبا للمعيشة، ففاز بثروة وافرة، قال في ترجمة نفسه: (ألقى عصا الترحال في محروسة بهوپال، فأقام بها وتوطن وتمول، واستوزر وناب، وألف وصنف) وتزوج ملكة بهويال، ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر. له نيف وستون مصنفا بالعربية والفارسية والهندسية. منها بالعربية (حسن الأسوة في ما ثبت عن الله ورسوله في النسوة - ط) و (أبجد العلوم - ط) و (فتح البيان في مقاصد القرآن - ط) عشرة أجزاء، في التفسير، الأعلام للزركلي (٦/ ١٦٧) الأعلام للزركلي (٦/ ١٦٨)

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢٠/ ١٠٢) للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

سجود الصلاة مختلفة باختلاف الأديان. والسجود في صلاة الإسلام الخرور على ا لأرض بالجبهة واليدين والرجلين[١].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُوا﴾أمرهم الله تعالى بالسجود ابتلاء لهم واختباراً؛ وهو سجود لقدرة الله تعالى وإبداعه، ولا وجه لمن قال: إن سجودهم كان بالانحناء فحسب؛ على سبيل التحية؛ بل كان سجوداً حقيقياً كسجود الصلاة؛ يدل عليه قول الحكيم العليم: ﴿فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿فَسَجَدُواْ﴾ أي سجد الملائكة جميعاً، وسائر العقلاء من المخلوقات[٢]

من فوائد الآية: بيان فضل آدم على الملائكة؛ وجهه أن الله أمر الملائكة أن يسجدوا له تعظيماً له..

ومنها: أن السجود لغير الله إذا كان بأمر الله فهو عبادة؛ لأن لله تعالى أن يحكم بما شاء؛ ولذلك لما امتنع إبليس عن هذا كان من الكافرين[٣] .

سجود تحية وإكرام :

كان سجود التحية جائزاً فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان حين أراد أن يسجد له : "لا ينبغي لمخلوق أن يسجد لأحدالا لله ولو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها" فتحية هذه الأمة هي السلام لكن يكره الانحناء لأنه يشبه فعل اليهود[٤] .

قال ابن حزم :"ولا خلاف بين أحد من أهل الإسلام في أن سجودهم لله تعالى سجود عبادة ولآدم سجود تحية وإكرام ومن قال أن الملائكة عبدت آدم كما عبدت الله عز و جل فقد أشرك"[٥]

وكان سجود الملائكة لآدم على جهة التكريم، فكان ذلك تكريمًا لآدم وطاعة لله ، ولم تكن عبادة لآدم،

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٤٢٢)
(٢) أوضح التفاسير (١/ ٨)
(٣) تفسير القرآن للعثيمين (٣/ ٨٣ - ٨٤)
(٤) تفسير روح البيان (١/ ٨١).
(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ١٢٩)

وحكى ابن الأنباري[١]، عن الفراء، وجماعة من الأئمة: أن سجود الملائكة لآدم كان تحية ولم يكن عبادة، وكان ذلك سجود تعظيم وتسليم وتحية، لا سجود صلاة وعبادة، وكان ذلك تحية الناس وتعظيم بعضهم بعضًا ولم يكن وضع الوجه على الأرض، فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام.

كيفية السجود:

وللعلماء في كيفية السجود الذي أمر به الملائكة لآدم أقوال : أرجحها أن السجود المأمور به في الآية يحمل على المعنى المعروف في اللغة ، أي : أن الله – تعالى – أمرهم بفعل تجاه آدم يكون مظهراً من مظاهر التواضع والخضوع له تحية وتعظيماً ، وإقراراً له بالفضل دون وضع الجبهة على الأرض الذي هو عبادة ، إذ عبادة غير الله شرك يتنزه الملائكة عنه .

وعلى هذا الرأي سار علماء أهل السنة . وقيل : إن السجود كان لله ، وآدم إنما كان كالقبلة يتوجه إليه الساجدون تحية له ، وإلى هذا الرأي اتجه علماء المعتزلة ، وقد قالوا ذلك هرباً من أن تكون الآية الكريمة حجة عليهم ، فإن أهل السنة قالوا : إبليس من الملائكة ، والصالحون من البشر أفضل من الملائكة ، واحتجوا بسجود الملائكة لآدم ، وخالفت المعتزلة في ذلك ، وقالت : الملائكة أفضل من البشر ، وسجود الملائكة لآدم كان كالقبلة .

والذي نراه أن ما سار عليه أهل السنة أرجح ، لأن ما ذهب إليه المعتزلة يبعده أن المقام مقام لإظهار فضل آدم هو لون من الابتلاء والاختبار ، ليميز الله الخبيث من الطيب ، وينفذ ما سبق به العلم ، واقتضته المشيئة والحكمة[٢]

---

(١) ابن الأنباري : الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري، المقرئ النحوي. ولد سنة اثنتين وسبعين ومائتين. قال أبو علي القالي: كان شيخنا أبو بكر يحفظ فيما قيل: ثلاث مائة ألف بيت شاهد في القرآن. قلت: هذا يجيء في أربعين مجلدا. قال أبو علي التنوخي: كان ابن الأنباري يملي من حفظه، ما أملى من دفتر قط. وقال محمد بن جعفر التميمي: ما رأينا أحدا أحفظ من ابن الأنباري، ولا أغزر من علمه. وحدثوني عنه أنه قال: أحفظ ثلاثة عشر صندوقا قال أبو بكر الخطيب: كان ابن الأنباري صدوقا دينا من أهل السنة. صنف في علوم القرآن والغريب والمشكل والوقف والابتداء. وقال غيره: كان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين، وأكثرهم حفظا للغة. أخذ عن: ثعلب، وأخذ الناس عنه، وهو شب في حدود سنة ثلاث مائة. سير أعلام النبلاء ط الحديث (١١/ ٤٨٩- ٤٩٠)

(٢) الوسيط لسيد طنطاوي (ص: ٥٩)

واختلف في حال السجود لآدم على أقوال :

١- فقال ابن عباس: «تعبدهم الله بالسجود لآدم، والعبادة في ذلك لله»

٢- وقال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس: «إنما كان سجود تحية كسجود أبوي يوسف عليه السلام، لا سجود عبادة» .

٣- وقال الشعبي: «إنما كان آدم كالقبلة، ومعنى لآدم إلى آدم» .

٤- قال القاضي أبو محمد رحمه الله: وفي هذه الوجوه كلها كرامة لآدم عليه السلام.

٥- وحكى النقاش عن مقاتل: «أن الله إنما أمر الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يخلقه» .

قال: «والقرآن يرد على هذا القول» .

٦- وقال قوم: سجود الملائكة كان مرتين، والإجماع يرد هذا[(١)] .

٧- قال البغوي :"وقوله: ﴿ اسجدوا﴾ فيه قولان: الأصح أن السجود كان لآدم على الحقيقة، وتضمن معنى الطاعة لله عز وجل بامتثال أمره، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة، كسجود إخوة يوسف له في قوله عز وجل ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾[يوسف: ١٠٠] ولم يكن فيه وضع الوجه على الأرض، إنما كان الانحناء، فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام.

وقيل: معنى قوله ﴿ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ أي إلى آدم فكان آدم قبلة، والسجود لله تعالى، كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله عز وجل.[(٢)]

٨- قال الفخر الرازى :"أجمع المسلمون على أن ذلك السجود ليس سجود عبادة لأن سجود العبادة لغير الله كفر والأمر لا يرد بالكفر[(٣)]

السجود كان لآدم بأمر الله وفرضه:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قال أهل العلم: السجود كان لآدم بأمر الله وفرضه. وعلى هذا إجماع كل من يسمع قوله. فإن الله تعالى قال اسْجُدُوا لِآدَمَ ولم يقل: إلى آدم. وكل حرف له معنى. وفرق بين «سجدت له» وبين «سجدت إليه» قال تعالى: ﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرعد:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٢٤)
(٢) تفسير البغوي (١/ ٨١)
(٣) تفسير الفخر الرازى (ص: ٣٥٣)

١٥] أجمع المسلمون على أن السجود للأحجار والأشجار والدواب محرّم. وأما الكعبة، فيقال: كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يصلي إلى بيت المقدس، ثم صلى إلى الكعبة، ولا يقال صلى لبيت المقدس، ولا للكعبة. والصواب أن الخضوع بالقلوب، والاعتراف بالعبودية، لا يصلى على الإطلاق إلّا لله سبحانه. وأما السجود فشريعة من الشرائع يتبع الأمر. فلو أمرنا سبحانه أن نسجد لأحد من خلقه، لسجدنا طاعة واتباعا لأمره.

فسجود الملائكة لآدم عبادة لله وطاعة وقربة يتقربون بها إليه. وهو لآدم تشريف[1]

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل (١/ ٢٨٩) المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

الفصل الثاني

المعبودات

في عهد نبي اللّه نوح عليه السلام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : التعريف بنوح عليه السلام وديانة قومه.

المبحث الثاني : الآلهة المعبودة عند قوم نوح.

الفصل الثاني

المعبودات في عهد نبي الله نوح

تمهيد:

أرسل الله نوحًا عليه السلام إلى أهل الأرض بعدما عم الشرك وعبادة الأصنام التي كانت في الأصل صورًا للموتى والصالحين، فأخذ يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة الأصنام، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩]

وقد نبه نوح عليه السلام قومه إلى الآيات الكونية والنعم الإلهية داعيًا إياهم عن طريق التفكير في السماوات والأرض والأنهار والشمس والقمر وما في ذلك من النعم، وعن طريق التفكير في خلقهم أنفسهم، ودلالة ذلك على وحدانية الله تعالى(١) .

ويقص القرآن الكريم علينا قصة نوح فى مواطن كثيرة بالإيجاز حيناً وبالإطناب حيناً آخر، ولكنها كلها تحمل العبرة لمن يتدبر القصة بقلب واع ولب متفتح، ففى قصص الأنبياء كما يقول القرآن : ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١]

وقصة سيدنا نوح من القصص التي وردت كثيراً في القرآن الكريم مثل قصة موسى عليه السلام ، ومن العجيب أن لقطات القصة تنتشر في بعض السور ، لكن السورة التي سميت بسورة نوح ليس فيها من المواقف التي تعتبر من عيون القصة ، إنها تعالج لقطات أخرى؛ تعالج إلحاحه في دعوة قومه ، وأنه ما قصّر في دعوتهم ليلاً ونهاراً ، وسرّاً وعلانية ، كلما دعاهم ابتعدوا ، وهذه لقطات من عيون القصة ، وكذلك لم تأت فيها قصته مع ابنه ، بل جاء بها في سورة هود(2).

---

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص: ١٩٢) المؤلف: محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي الناشر: مكتبة دار الزمان الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

(٢) تفسير الشعراوي (ص: ٢٩١٥)

المبحث الأول

التعريف بنوح عليه السلام وديانة قومه

أولاً:التعريف بنبي الله نوح:

هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ – وهو إدريس – بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام

كان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة فيما ذكره ابن جرير وغيره.

وعلى تاريخ أهل الكتاب المتقدم يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة وست وأربعون سنة وكان بينهما عشرة قرون كما قال الحافظ أبو حاتم بن حبان في صحيحه[١] .

ويقال هو آدم الأخير واسمه سكن لأن الناس سكنوا إليه بعد آدم وانما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه وقومه .

فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الارض، كما ثبت في الصحيحين عن أبى هريرة عن النبي –ﷺ –في حديث الشفاعة، قال: «فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ الا ترى ما نحن فيه وما بلغنا ؟ فيقول: ربى قد غضب غضبا شديدا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن شجرة فعصيت، نفسي نفسي.

اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الارض، وسماك الله عبدا شكورا»[٢] .

قال ابن عباس: كان فى السفينة ثمانون إنسانا نوح وامرأته غير التي غرقت وثلاثة بنين سام وحام ويافث، وثلاث نسوة لهم واثنان وسبعون إنسانا، وكل الخلائق من نسل من كان فى السفينة[٣].

---

(١) االبداية والنهاية (١/ ١١٣)

(٢) أخرجه أحمد (٤٣٥/٢ ، رقم ٩٦٢١) ، والبخارى (١٧٤٥/٤ ، رقم ٤٤٣٥) ، ومسلم (١٨٤/١ ، رقم ١٩٤) ، والترمذى (٦٢٢/٤ ، رقم ٢٤٣٤) . وأخرجه أيضًا : النسائى فى الكبرى (٣٧٨/٦ ، رقم ١١٢٨٦)

(٣) تفسير المراغي (١٨/ ٢٠) المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

وذكر الترمذي[1]-رحمه الله - وغيره أن جميع الخلق الآن من ذرية نوح عليه السلام. ذكر الزهري أن العرب وفارس والروم وأهل الشام وأهل اليمن من ولد سام بن نوح.

والسند والهند والزنج والحبشة والزط والنوبة وكل السود من ولد حام بن نوح.

والترك والبربر ووراء الصين ويأجوج ومأجوج والصقالبة كلهم من ولد يافث بن نوح[2].

عرض القرآن الكريم لقصة نوح:

هذه السورة أي "نوح" كلها تقص قصة نوح عليه السلام مع قومه؛ وتصف تجربة من تجارب الدعوة في الأرض؛ وتمثل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرر للبشرية ، وشوطاً من أشواط المعركة الخالدة بين الخير والشر ، والهدى والضلال ، والحق والباطل .

هذه التجربة تكشف عن صورة من صور البشرية العنيدة ، الضالة ، الذاهبة وراء القيادات المضللة ، المستكبرة عن الحق ، المعرضة عن دلائل الهدى وموحيات الإيمان ، المعروضة أمامها في الأنفس والآفاق ، المرقومة في كتاب الكون المفتوح ، وكتاب النفس المكنون .

وهي في الوقت ذاته تكشف عن صورة من صور الرحمة الإلهية تتجلى في رعاية الله لهذا الكائن الإنساني ، وعنايته بأن يهتدي . تتجلى هذه العناية في إرسال الرسل تترى إلى هذه البشرية العنيدة الضالة الذاهبة وراء القيادات المضللة المستكبرة عن الحق والهدى[3].

ثانياً: ديانة القوم الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام:

كان الناس امة واحدة:

وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة أن معنى قوله عز وجل: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي على الهدى والتوحيد، ثم اختلفوا بأن ظهر فيهم الشرك، فبعث الله تعالى رسله عليهم الصلاة والسلام وأولهم نوح عليه السلام،

وبهذا القول قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وقتادة.

---

(١) الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك السلمي الضرير البوغي الترمذي الحافظ المشهور؛ أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث. صنف كتاب الجامع والعلل تصنيف رجل متقن، وبه كان يضرب المثل، وهو تلميذ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وشاركه في بعض شيوخه مثل قتيبة بن سعيد وعلي بن حجر وابن بشار وغيرهم. وتوفي لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ليلة الاثنين سنة تسع وسبعين ومائتين بترمذ وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٨).

(٢) التفسير المنير للزحيلي (٨/ ٢٥٠).

(٣) في ظلال القرآن (٦/ ٣٧٠٦).

ومنهم من قال: إن معنى الآية: أنهم كانوا كفاراً [١].

والقول الأول هو الصحيح لما يأتي:

أ- ما جاء في الحديث الصحيح سالف الذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن الناس كانوا عشرة قرون على التوحيد بعد آدم عليه السلام.

ب- ما ثبت عن ابن مسعود وأبي بن كعب[٢] رضي الله عنهما أنهما كانا يقرءان هذه الآية: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[البقرة: ٢١٣] وهما ممن أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤخذ القرآن عنهما

جـ - ما جاء في الآية الأخرى في سورة يونس وهي قوله تعالى: {وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} .﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٩ ﴾[يونس: ١٩]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية الكريمة: "ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس، كائن بعد أن لم يكن، وأن الناس كلهم على دين واحد، وهو الإسلام[٣].

وهم أول أمة أرسل إليهم الرسول، ولكنهم كذبوا، ونوح عليه الصلاة والسلام بقي فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله ويذكرهم ويعظهم، ولكنهم - والعياذ بالله - لم يؤمنوا، ما آمن معهم إلا قليل حتى أنه عليه الصلاة والسلام يقول: ﴿كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم﴾[٤].

---

(١) العوفي قاضي الشرقية ببغداد ثم قاضي عسكر المهدي، العلامة أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن المحدث عطية العوفي الكوفي الفقيه. روى عن: أبيه وعن الأعمش، وأبي مالك الأشجعي وعبد الملك بن أبي سليمان. قال ابن معين: كان ضعيفا في القضاء ضعيفا في الحديث. قلت: له حكايات في القضاء، وفيه دعابة وكان مسنا كبيرا. قال خليفة: توفي سنة إحدى ومائتين. سير أعلام النبلاء ط الحديث (٨/ ١٢٠)

(٢) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار لأنصاري، أبو المنذر وأبو الطفيل سيّد القراء. كان من أصحاب العقبة الثانية، وشهد بدرا والمشاهد كلها. قال له النبي ﷺ: «ليهنك العلم أبا المنذر» . وقال له: «إنّ اللَّه أمرني أن أقرأ عليك» ، وكان عمر يسمّيه سيد المسلمين، ويقول: اقرأ يا أبيّ . ويروى ذلك عن النبيّ صلّى اللَّه عليه وسلم أيضا. وأخرج الأئمة أحاديثه في صحاحهم، وعدّه مسروق في الستة من أصحاب الفتيا. قال الواقديّ: وهو أوّل من كتب للنّبيّ صلّى اللَّه عليه وسلم، وأول من كتب في آخر الكتاب

قال ابن أبي خيثمة: سمعت يحيى بن معين يقول: مات أبيّ بن كعب سنة عشرين أو تسع عشرة. وقال الواقديّ: ورأيت آل أبيّ وأصحابنا يقولون: مات سنة اثنتين وعشرين. فقال عمر: اليوم مات سيد المسلمين. الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٨٠) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٨١)

(٣) حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد (ص: ٦١)

(٤) تفسير القرآن للعثيمين (٩/ ٣٣)

اختلاف ديانة القوم:

قال الطبري:" قد ذكرنا اختلاف المختلفين في ديانة القوم الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام وأن منهم من يقول كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله من ركوب الفواحش وشرب الخمور والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله عز و جل وأن منهم من يقول كانوا أهل طاعة بيوراسب وكان بيوراسب أول من أظهر القول بقول الصابئين وتبعه على ذلك الذين ارسل إليهم نوح عليه السلام

فأما كتاب الله فإنه ينبئ عنهم أنهم كانوا أهل أوثان وذلك أن الله عز و جل يقول مخبرا عن نوح قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا"[(١)] .

وقال ابن تيمية: وذلك أن الناس كانوا بعد آدم، عليه السلام، وقبل نوح، عليه السلام، على التوحيد والإخلاص كما كان عليه أبوهم آدم أبو البشر، عليه السلام، حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأوثان –بدعة من تلقاء أنفسهم– لم ينزّل الله بها كتاباً ولا أرسل بها رسولاً. بشبهات زينها الشيطان من جهة المقاييس الفاسدة والفلسفة الحائدة. قوم منهم زعموا:

أن التماثيل طلاسم الكواكب السماوية والدرجات الفلكية والأرواح العلوية وقوم اتخذوها على صورة من كان فيهم من الأنبياء والصالحين، وقوم جعلوها لأجل الأرواح السفلية من الجن والشياطين وقوم على مذاهب أخر. وأكثرهم لرؤسائهم مقلدون وعن سبيل الهدى ناكبون، فابتعث الله نبيه نوحاً، عليه السلام، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه وإن زعموا أنهم يعبدونهم ليتقربوا بهم إلى الله زلفى ويتخذوهم شفعاء[(٢)] .

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ١١٢).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٠٣- ٦٠٤).

قوم نوح كانوا هم أظلم وأطغى:

وأخرج عبد بن حميد(١) وابن جرير وابن المنذر(٢) عن قتادة في قوله وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى قال : لم يكن قبيل من الناس هم أظلم وأطغى من قوم نوح دعاهم نوح ألف سنة إلا خمسين عاما كلما هلك قرن ونشأ قرن دعاهم حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يأخذ بيد أخيه أو ابنه فيمشي إليه فيقول : يا بني إن أبي قد مشى بي إلى هذا وأنا مثلك يومئذ تتابعا في الضلالة

وتكذيبا بأمر الله عز و جل(٣) .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون قوم نوح أظلم وأطغى، أي أشد ظلما وطغيانا من غيرهم، قد بينه تعالى في آيات أخر كقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيَ إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ﴾

[نوح: ٥ – ٧] . وقوله تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) ﴾ إلى قوله: ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤) ﴾ وقد أضلوا كثيرا [نوح: ٢١ – ٢٤] . وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) ﴾ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا [نوح: ٢٧] .

وقوله: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) ﴾ [هود: ٣٨] .

---

(١) هو الإمام الحافظ الحجة الجوال، أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي، ويقال له: الكشي -بالفتح والإعجام، يقال: اسمه عبد الحميد. ولد بعد السبعين ومائة. قال أبو حاتم البستي في كتاب "الثقات": عبد الحميد بن حميد بن نصر الكشي، وهو الذي يقال له: عبد بن حميد، وكان ممن جمع وصنف، مات سنة تسع وأربعين ومائتين سير أعلام النبلاء ط الحديث (٩/ ٣ ٥٦٣- ٥٦٤).

(٢) ابن المُنْذِر(٢٤٢ - ٣١٩ هـ = ٨٥٦ - ٩٣١ م) محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوريّ، أبو بكر: فقيه مجتهد، من الحفاظ. كان شيخ الحرم بمكة. قال الذهبي: ابن المنذر صاحب الكتب التي لم يصنف مثلها. منها " المبسوط " في الفقه، و " الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف - خ " و " الإشراف على مذاهب أهل العلم - خ " الجزء الثالث منه، فقه، و " اختلاف العلماء - خ " الأول منه و " تفسير القرآن - خ ". كبير، وغير ذلك، توفي بمكة الأعلام للزركلي (٥/ ٢٩٤-٢٩٥).

(٣) الدر المنثور (٧/ ٦٦٥).

ومن أعظم الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤] فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، لأن قوما لم يتأثروا بدعوة نبي كريم ناصح في هذا الزمن الطويل لا شك أنهم أظلم الناس وأطغاهم[١].

ثم بين سبحانه وتعالى بعد هذا الجهد والوقت الطويل أنهم قوم مكذبون .

في قوله: الْمُرْسَلِينَ: مجاز مرسل، من قال تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الشعراء: ١٠٥] قبيل إطلاق الكل وإرادة البعض، فإنه أراد بالمرسلين نوحا، وذكره بصيغة الجمع تعظيما له، وتنبيها على أن من كذب رسولا، فقد كذب جميع المرسلين. عبر عنه بصيغة الجمع تعظيما له، ولأن من كذب رسولا فقد كذب جميع المرسلين، لاشتراكهم برسالة التوحيد، أو لأنه لطول لبثه فيهم كأنه رسل[2]

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٤٧٤)
(٢) التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٨٣)

المبحث الثاني

الآلهة المعبودة عند قوم نوح

فلما بعث الله نوحا عليه السلام دعاهم إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن لا يعبدوا معه صنما، ولا تمثالا، ولا طاغوتا، وأن يعترفوا بوحدانيته، وأنه لا إله غيره، ولا رب سواه، كما أمر الله تعالى من بعده من الرسل الذين هم كلهم من ذريته، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصافات: ٧٧] . وقال فيه، وفي إبراهيم: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الحديد: ٢٦] . أي: كل نبي من بعد نوح فمن ذريته، وكذلك إبراهيم[١]

الأخبار في منشأ الشرك:

ففي كتاب التفسير من " صحيح البخاري " عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: " صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود؛ كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع؛ فكانت لهذيل، وأما يغوث؛ فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق؛ فكانت لهمذان، وأما نسر؛ فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا؛ أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، وتنسخ العلم، عبدت "[٢]؛[٣] .

قال الحافظ « وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح لهذه الأصنام، ثم تبعهم من بعدهم على ذلك ». وذكر أنهم كانوا يتبركون بدعاء سواع وغيره من الصالحين ويتمسحون بصورته[٤]

---

(١) البداية والنهاية ط هجر (١/ ٢٥١)

(٢) أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب {وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ} (٨/ ٦٦٧/ ٤٩٢٠) عن ابن عباس موقوف

(٣) رسالة الشرك ومظاهره (ص: ١١٢) المؤلف: مبارك بن محمد الميلي الجزائري (المتوفى: ١٣٦٤هـ) تحقيق وتعليق: أبي عبد الرحمن محمود الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)

(٤) فتح الباري ٨: ٦٦٨ – ٦٦٩).

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[نوح: ٢٣]

وعن محمد بن كعب(1) كان لآدم عليه الصلاة والسلام خمس بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان أنا أصور لكم مثله إذا نظرتم إليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره في المسجد من صفر ورصاص ثم مات آخر وصوره حتى ماتوا كلهم وتنغصت الأشياء إلى أن تركوا عبادة الله بعد حين فقال الشيطان للناس ما لكم لا تعبدون إلاهكم وإلاه آبائكم ألا ترونها في مصلاكم فعبدوها من دون الله حتى بعث الله عز وجل نوحا عليه الصلاة والسلام

ود بفتح الواو صنم كان لقوم نوح عليه الصلاة والسلام وبضمها صنم لقريش وبه سمي عمرو بن عبد ود.

وقال الماوردي:" هو أول صنم معبود وسمي ودا لودهم له وكان بعد قوم نوح عليه الصلاة والسلام لكلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان بدومة الجندل وسواع كان على صورة امرأة وكان لهذيل بن مدركة بن الياس بن مضر برهاط موضع بقرب مكة شرفها الله بساحل البحر ويغوث كان لمراد ثم لبني غطيف بالجوف من أرض اليمن على ما نذكره في الحديث"(2)

ويلحظ أن أسماء معبودات قوم نوح المذكورة في السورة عربية في صيغتها ومعناها وإن كانت تدل على أنها أقدم طورا من العربية الفصحى التي نزل بها القرآن حيث تبدو الصلة ملموحة بين يغوث، والغوث والغيث والإغاثة، ويعوق والإعاقة والتعويق. وسواع والسعة، وودّ والمودّة ونسر الذي هو اسم الطير الجارح المشهور

وعلى كل حال فالمتبادر أن العرب في عصر النبي –ﷺ–وقبله بقليل كانوا يتداولون بينهم أن هذه الأسماء هي أسماء معبودات قوم نوح ثم اقتبسوها وربما عربوها وسموا بها أصناما لهم.

---

(١) القرظي [... - ١١٨ هـ / ٧٣٦ م] محمد بن كعب بن سليم بن عمرو، أبو حمزة، ويقال أبو عبد الله، القرظي: تابعي، من كبار العلماء. ولد في حياة النبي -ﷺ-ونزل الكوفة سنة ٤٠ هـ. ثم رجع إلى المدينة. قال صاحب "تاريخ التراث العربي": "استخدم الثعلبي تفسيره في كتابه الكشف والبيان، ومن الروايات التي ذكرها الطبري في تاريخه يتضح أن ابن اسحاق قد استخدم كتابا للقرظي ذا مضمون تاريخي، فهل هذا هو كتاب في المغازي - بمعنى الكلمة - أو أنه كتاب تفسير يتضمن معلومات تاريخية وفيرة؟ " وقال عون بن عبد الله: "ما رأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن من القرظي". مات بالمدينة، قيل سنة ١٠٨ أو ١١٧ أو ١٢٠ هـ (١). معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (٢/ ٦٠٨-٦٠٩).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٨/ ٤٢٩)

وكان ذلك في طور أقدم من طور العربية الفصحى التي نزل بها القرآن فاحتفظوا بها كما هي لأنها دخلت في نطاق القدسية الذي لا يسهل تجاوزه [١].

وأخرج الفاكهي[٢] من طريق عبيد الله بن عبيد بن عمير قال أول ما حدثت الأصنام على عهد نوح وكانت الأبناء تبر الآباء فمات رجل منهم فجزع عليه فجعل لا يصبر عنه فاتخذ مثالا على صورته فكلما أشتاق إليه نظره ثم مات ففعل به كما فعل حتى تتابعوا على ذلك فمات الآباء فقال الأبناء ما أتخذ آباؤنا هذه إلا أنها كانت آلهتهم فعبدوها .

وحكى الواقدي[٣] قال كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة طائر وهذا شاذ والمشهور أنهم كانوا على صورة البشر وهو مقتضى ما تقدم من الآثار في سبب عبادتها والله أعلم[٤]

بيان معنى قول الله عز وجل ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣]

قال ابن عباس وغيره : هي أصنام وصور ، كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب وهذا قول الجمهور. وقيل : إنها للعرب لم يعبدها غيرهم. وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم ؛ فلذلك خصوها بالذكر بعد قوله تعالى : ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ ويكون معنى الكلام كما قال قوم نوح لأتباعهم : ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ قالت العرب لأولادهم وقومهم : لا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا[٥]

أي ولا تتركوا عبادة هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لأنها كانت أكبر أصنامهم ومعبوداتهم الباطلة وأعظمها عندهم وإن كانت متفاوتة في العظم فيما بينها بزعمهم

---

(١) التفسير الحديث (٥/ ٢١١-٢١٢)

(٢) الفاكِهي (٩٢٣ - ٩٩٢ هـ = ١٥١٧ - ١٥٨٤ م) محمد بن أحمد بن علي الفاكِهي المكيّ، أبو السعادات: فقيه حنبلي، عارف بالأدب. مولده بمكة ووفاته في الهند. من كتبه (نور الأبصار شرح مختصر الأنوار) فقه، و (رسالة في اللغة) الأعلام للزركلي (٦/ ٧)

(٣) الواقِدي(١٣٠ - ٢٠٧ هـ = ٧٤٧ - ٨٢٣ م) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي: من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث. ولد بالمدينة، وكان حناطا (تاجر حنطة) بها، وضاعت ثروته، فانتقل إلى العراق سنة ١٨٠ هـ في أيام الرشيد، واتصل بيحيى بن خالد البرمكي فأفاض عليه عطاياه وقربه من الخليفة، فولي القضاء ببغداد. واستمر إلى أن توفي فيها. من كتبه (المغازي النبويّة - ط) الأعلام للزركلي (٦/ ٣١١)

(٤) فتح الباري - ابن حجر (٨/ ٦٦٩)

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٣٠٧)

كما يومىء إليه إعادة لا مع بعض وتركها مع آخر وقيل أفرد يعوق ونسر عن النفي لكثرة تكرار لا وعدم اللبس وقد انتقلت هذه الأصنام إلى العرب[1]

واعلم أن هنا بحثاً لا بد منه وهو أنه لا دين أقدم من دين عبدة الأصنام ، والدليل عليه أن أقدم الأنبياء الذين وصل إلينا تواريخهم على سبيل التفصيل هو نوح عليه السلام ، وهو إنما جاء بالرد على عبدة الأصنام كما قال تعالى حكاية عن قومه أنهم قالوا : ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[نوح: ٢٣]

وذلك يدل على أن دين عبدة الأصنام قد كان موجوداً قبل نوح عليه السلام وقد بقي ذلك الدين إلى هذا الزمان[2]

وقد روي أن الأصنام التي عبدها قوم نوح (وَدّ ، وسُوَاعٌ ، ويغُوثُ ، ويعُوقُ ، ونسْرُ) التي ذكرت في القرآن الكريم ، كانت اسماءً لأناسٍ صالحين من قوم نوح ، فلما ماتوا اتخذ قومُهم لهم صوراً ، تذكيراً بهم وبأعمالهم ، ثمّ انتهى الحال آخر الأمر إلى عبادتهم [3].

ولعلهم كانوا يوافقون العرب في أن الود هو الحب الكثير ، فناسب التأكيد وأبلغوا فيه فقالوا : ﴿ ولا يغوث﴾ ولما بلغ التأكيد نهاية وعلم أن المقصود النهي عن التأكيد للعلم بإرادته ، وكان هؤلاء ناساً صالحين ، فلما ماتوا حزن عليهم الناس ثم زين لهم إبليس تصويرهم تشويقاً إلى العمل بطرائقهم الحسنة فصوروهم ، فلما تمادى الزمان زين لهم عبادتهم لتحصيل المنافع الدنيوية ببركاتهم ثم نسي القوم الصالحون ، وجعلوا أصناماً آلهة من دون الله[4]

كان ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر قوما صالحين ماتوا في شهر فجزع عليهم ذوو أقاربهم فقال رجل من بني قابيل يا قوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أني لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا قالوا نعم فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل يأتي أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول وعملت على عهد يردى بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث ابن آدم ثم جاء قرن آخر

---

(١) تفسير الألوسي (٢١/ ٣٢٥)
(٢) تفسير الفخر الرازى (ص: ١٨٠٨)
(٣) تفسير آيات الأحكام (ص: ٥٠٢)
(٤) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور (٨/ ١٧٤) المؤلف : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

فعظموهم أشد من تعظيم القرن الأول ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا ما عظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله فعبدوهم وعظم أمرهم واشتد كفرهم[١]

وذلك أن هؤلاء الخمسة قوم صالحون كانوا يأمرونهم وينهونهم ، فماتوا في شهر ، فخاف أصحابهم من نقص الدين بعدهم ، فصوروا صورة كل رجل في مجلسه ، لأجل التذكر بأقوالهم وأعمالهم إذا رأوا صورهم ، ولم يعبدوهم ، ثم حدث قرن آخر فعظموهم أشد من تعظيم من قبلهم ، ولم يعبدوهم ، ثم طال الزمان ، ومات أهل العلم ، فلما خلت الأرض من العلماء ألقى الشيطان في قلوب الجهال أن أولئك الصالحين ما صوروا صور مشايخهم إلا ليشفعوا بهم إلى الله ، فعبدوهم . فلما فعلوا ذلك أرسل الله إليهم نوحاً عليه السلام ليردهم إلى دين آدم وذريته ، الذين مضوا قبل التبديل ، فكان من أمرهم ما قص الله في كتابه " [٢]

قال ابن القيم: " ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في الخلق وإعطائه فوق منزلته، حتى جعل فيه حظ من الإلهية، وشبهوه بالله سبحانه، وهذا التشبيه الواقع في الأم هو الذي أبطله الله سبحانه وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله[٣]

وقال ابن القيم: "وضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب، فجعلوا الصنم على شكله وهيأته وصورته؛ ليكون نائبًا منابه، وقائمًا مقامه. وإلا فمن المعلوم أن عاقلًا لا ينحت خشبة أو حجرًا بيده، ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده..." انتهى.

فكان نوح أول رسول من الله لمقاومة الشرك وإقامة الحجة على المشركين؛ بتذكيرهم بنعم الله ووجوب شكرها، ودلالتهم على سوء مغبة الشرك ولزوم التبري منه، ولكن القوم غلب عليهم هوى الشرك، ففقدوا رشدهم، ولم يفقهوا جدال نبيهم، وأتوا في الدفاع عن وثنيتهم بما هو خارج عن موضوع النزاع[٤]

---

(١) كتاب الأصنام (ص: ٥١- ٥٢) المؤلف: أبو المنذر هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي (المتوفى: ٢٠٤هـ) المحقق: أحمد زكي باشا الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الرابعة، ٢٠٠٠م

(٢) مختصر سيرة الرسول -ﷺ- (ص: ١٣) المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

(٣) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٢٦).

(٤) رسالة الشرك ومظاهره (ص: ١١١)

صوروعبرمن الجهد المضني:

١- يقول الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن فيما فعلنا بقوم نوح يا محمد، من إهلاكنا لهم إذ كذبوا رسلنا، وجحدوا وحدانيتنا وعبدوا الآلهة والأصنام- لعبرا لقومك من مشركي قريش، وعظات وحُجَجا لنا، يستدلون بها على سنتنا في أمثالهم، فينزجروا عن كفرهم، ويرتدعوا عن تكذيبك، حذرا أن يصيبهم مثل الذي أصابهم من العذاب.

وقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣٠] يقول تعالى ذكره: وكنا مختبريهم بتذكيرنا إياهم بآياتنا، لننظر ما هم عاملون قبل نزول عقوبتنا بهم"[١]

٢- تعرض صورة من صور الجهد المضني ، والعناء المرهق ، والصبر الجميل ، والإصرار الكريم من جانب الرسل صلوات الله عليهم لهداية هذه البشرية الضالة العنيدة العصية الجامحة . وهم لا مصلحة لهم في القضية ولا أجر يتقاضونه من المهتدين على الهداية ، ولا مكافأة ولا جُعل يحصلونه على حصول الإيمان! كالمكافأة أو النفقة التي تتقاضاها المدارس والجامعات والمعاهد والمعلمون ، في زماننا هذا وفي كل زمان في صورة نفقات للتعليم!

هذه الصورة التي يعرضها نوح عليه السلام على ربه ، وهو يقدم له حسابه الأخير بعد ألف سنة إلا خمسين عاماً قضاها في هذا الجهد المضني ، والعناء المرهق ، مع قومه المعاندين ، الذاهبين وراء قيادة ضالة مضللة ذات سلطان ومال وعزوة[٢]

٣- ومن الدروس والعبر في دعوة نوح عليه السلام: تشابه صور الشرك وأعمال أهله في كل زمان ومكان مهما كان التفاوت الزمني في ذلك، فالأصنام التي ظهرت في قوم نوح أظهرها الشيطان للعرب فكانت فيهم يوم أن أظهرها عمرو بن لحي الخزاعي أخزاه الله، وما عمله المشركون في عهد نوح ويعمله المشركون في كل زمن من التعلق بالصالحين والغلو فيهم، ثم عبادتهم من دون الله .

٤- ومن الدروس والعبر في دعوة نوح عليه السلام: أن أول شرك ظهر في الأرض كان سببه الغلو في الصالحين، وتجاوز الحد في تعظيمهم، ولا يزال كذلك إلى يومنا هذا سبباً في وقوع كثير من الناس في الشرك بالله تعالى

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٩/ ٢٨)
(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٧٠٦).

وأول وسائله إلى ذلك تزيين إقامة الأنصاب والتماثيل والصور حتى يتعلقوا بها ثم لا يزال بهم حتى يعبدوها، كما جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها: مارية، فذكرت له ما

رأت فيها من الصور، فقال رسول الله -ﷺ-: «أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح، أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله تعالى»[(١)]

فانظر كيف كان الغلو في الصالحين طريقاً إلى الشرك بالله تعالى مع طول الفارق الزمني، ولا يزال الشيطان يدخل على كثير من ضعفاء الإيمان من هذا الباب حتى يصل في نهاية الأمر إلى الشرك، نعوذ بالله من ذلك[(٢)].

٥- وفي الحلقة مواضع عبر جديدة، منها ما في الحوار المحكي بين الله تعالى ونوح عليه السلام بشأن ابنه من موعظة وعبرة بليغتين حيث يقرر أن قربى الدم مهما كانت لا حمة بين رجال الله وذوي أرحامهم فلا يمكن أن تغني عن هؤلاء شيئا إذا لم يكونوا مؤمنين صالحين[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري " باب بناء المسجد على القبر" (٢/ ٩٠) برقم (١٣٤١) وصحيح مسلم "باب النهي عن بناء المساجد، على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد" (١/ ٣٧٥) برقم (٥٢٨).

(٢) حماية الرسول -ﷺ-حمى التوحيد (ص: (ص: ٦٣- ٦٠) المؤلف: محمد بن عبد الله زربان الغامدي الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٣م.

(٣) التفسير الحديث (٣/ ٥٢٤) المؤلف: دروزة محمد عزت الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة الطبعة: ١٣٨٣ هـ.

الفصل الثالث

المعبودات

في عهد نبي اللّه هود وصالح عليهما السلام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : المعبودات في عهد نبي الله هود.

المبحث الثاني : المعبودات في عهد نبي الله صالح.

الفصل الثالث

المعبودات في عهد نبي الله هود وصالح

تمهيد

أرسل الله هودًا عليه السلام إلى قومه عاد وكانوا يسكنون بالأحقاف بين عُمان وحضرموت، وكانوا يعبدون الأصنام ومنها: صداء وصمود والهباء ، فأخذ هود عليه السلام يدعوهم إلى توحيد الله وترك عبادة الأصنام، قال تعالى:﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ﴾

كانت عاد أول من أحدث الشرك في الأرض بعد الطوفان، بعد أن أهلك الله الشرك وأهله بالطوفان، لقد سمى هود عليه السلام مشركي قومه كذابين مفترين؛ لأنه ليس أكذب ممن يعبد الأصنام ويعطيها صفة الألوهية ويخصها بما هو حق خالص لله تعالى[١].

وهود عليه السلام كانت دعوته إلى قومه قريبة من دعوة نوح، ولكن فيها إشعار بأن الإنسان الذي يخاطبه هود قد كبر شيئا ما عن ذلك الإنسان الذي كان يخاطبه نوح، وأنه قادر– نسبيا– على أن يستنبط ويدرك فكان في دعوة هود إلى قومه الفات قريب الى بعض الظاهر المادية الملابسة لهم، والمتصفة بحياتهم، وأن ما هم فيه من نعمة إنما هو من عند الله الذي يدعوهم إليه[٢].

– وأما نبي الله صالح فقد بعثه الله تعالى إلى ثمود، وكانوا بعد عاد، وكانوا يعبدون الأصنام، وكانت مساكنهم في وادي الحجر شمال الجزيرة العربية بين المدينة والشام ، وهي مجاورة لمدينة العلا وتابعة لها[٣]

وفي دعوة صالح عليه السلام آفاق للنظر والتأمل أوسع من تلك الآفاق المحدودة التي جاءت بها دعوة هود، وللزمن آثاره في تلك الفوارق العظيمة بين قوم صالح وقوم هود، إذ كان قوم صالح قد خلفوا هودا وخلفوا الأحداث التي وقعت لهم، والبلاء الذي صب عليهم، بعد أن عصوا رسول ربهم، واستخفوا به وبدعوته، ..[٤].

---

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص: ٢١١)
(٢) كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد (ص: ١٦٦) المؤلف: عمر العرباوي الحملاوي (المتوفى: ١٤٠٥هـ) الناشر: مطبعة الوراقة العصرية تاريخ النشر: ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م
(٣) حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد (ص: ٧١)
(٤) كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد (ص: ١٦٧)

المبحث الأول

المعبودات فى عهد نبى الله هود

أولاً: التعريف بنبي الله هود:

وهو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام ويقال إن هودا هو عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح.

ويقال هود بن عبد الله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوص بن ارم ابن سام بن نوح عليه السلام ذكره ابن جرير وكان من قبيلة يقال لهم عاد بن عوص بن سام بن نوح كانوا عربا يسكنون الاحقاف[(١)] وهي جبال الرمل وكانت باليمن من عمان وحضرموت بأرض مطلة على البحر يقال لها الشحر[(٢)] واسم واديهم مغيث وكانوا كثيرا ما يسكنون الخيام ذوات الاعمدة الضخام كما قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝﴾ [الفجر: ٦- ٧]

أي عاد إرم وهم عاد الاولى وأما عاد الثانية فمتأخرة [(٣)] .

والمقصود أن عادا – وهم عاد الأولى – كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان وكانت أصنامهم ثلاثة صمدا وصمودا وهرا

فبعث الله فيهم أخاهم هودا عليم السلام فدعاهم إلى الله كما قال تعالى بعد ذكر قوم نوح وما كان من أمرهم في سورة الأعراف : ﴿وإلى عاد أخاهم هودا وقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾[(٤)] .

وقد ذكر هود قومه بنعم الله عليهم ليوصلهم إلى وجوب شكر المنعم بتوحيده، ومن هذه النعم استخلافهم بعد قوم نوح وزيادة أجسامهم في الطول والقوة وإرسال المطر في السماء ونعمة

---

(١) قال ابن عباس: "الأحقاف": واد بين عمان ومهرة. وقال مقاتل: كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له: "مهرة" وإليها تنسب الإبل المهرية، وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم. قال قتادة: ذكر لنا أن عادا كانوا أحياء باليمن، وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها: "الشحر". و"الأحقاف" جمع حقف، وهي المستطيل المعوج من الرمال. قال ابن زيد: هي ما استطال من الرمل كهيئة الجبل

قال الكسائي: هي ما استدار من الرمل. تفسير البغوي (٧/ ٢٦٢).

(٢) والشحر قريب من عدن، يقال: شحر عمان وشحر عمان، وهو ساحل البحر بين عمان وعدن. .

وقال مجاهد: هي أرض من حسمى تسمى بالأحقاف. وحسمى "بكسر الحاء" اسم أرض بالبادية فيها جبال شواهق ملس الجوانب لا يكاد القتام يفارقها. قال النابغة:

فأصبح عاقلا بجبال حسمى ... دقاق الترب محتزم القتام ، تفسير القرطبي (١٦/ ٢٠٤)

(٣) البداية والنهاية (١/ ١٣٧)

(٤) قصص الأنبياء (ص: ٩٥)

الأنعام وغيرها من النعم، قال تعالى عنه: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٩] وقال: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾[هود: ٥٢][1]

نبذة عن صفات قوم هود:

ثم لا خلاف أن عادا قبل ثمود.

والمقصود أن عادا كانوا عربا جفاة كافرين، عتاة متمردين في عبادة الأصنام، فأرسل الله فيهم رجلا منهم يدعوهم إلى الله، وإلى إفراده بالعبادة، والإخلاص له، فكذبوه وخالفوه وتنقصوه فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، فلما أمرهم بعبادة الله، ورغبهم في طاعته واستغفاره، ووعدهم على ذلك خير الدنيا والآخرة، وتوعدهم على مخالفة ذلك عقوبة الدنيا والآخرة: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٦]

أي ؛ ليس الأمر كما تظنون، ولا ما تعتقدون ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف: ٦٨] . والبلاغ يستلزم عدم الكذب في أصل المبلغ، وعدم الزيادة فيه والنقص منه، ويستلزم إبلاغه بعبارة فصيحة وجيزة جامعة مانعة، لا لبس فيها ولا اختلاف ولا اضطراب، وهو مع هذا البلاغ على هذه الصفة في غاية النصح لقومه، والشفقة عليهم والحرص على هدايتهم، لا يبتغي منهم أجرا[2] .

وقد وصفهم الله بصفات ثلاثة كلها تدل على أنهم يريدون علوا في الأرض واستكبارا، فهم يبنون بكل ريع بناء ضخما حالة كونهم به يستهزئون ويعبثون، وهم قد اتخذوا المصانع والمنازل كأنهم مخلدون، وإذا بطشوا بالغير بطشوا جبارين، وهذه صفات تتنافى مع الإيمان والتصديق بالرسل الكرام، لذا تجدهم كذبوا هودا وتحدوه يا هُودُ ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [هود: ٥٣].

---

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص: ٢١١)
(٢) البداية والنهاية (١/ ٢٨٨)

مع أن هودا كان يدعوهم بالحسنى ويذكرهم بالنعمى، لعلهم يثوبون ويرجعون ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[الشعراء: ١٧٩] واتقوا يا قوم الذي خلقكم وأمدكم بما تعلمون من النعم، أمدكم بأنعام منها تأكلون، وعليها تحملون، ومن أوبارها وأشعارها تلبسون، وأمدكم ببنين أولى بأس وقوة، وأمدكم بجنات وعيون، وهل بعد هذا نعمة؟ أعطاهم أنعاما ورجالا، وجنات وأنهارا أفليس هذا مما يدعو إلى الشكر وامتثال الأمر (١)

ما الذي كان يعنيه وهو يقول لهم : ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ ﴾[الأعراف: ٦٥] إنه لم يكن يعني : يا قوم لا تتقدموا بالشعائر التعبدية لغير الله! كما يتصور الذين انحسر مدلول « العبادة » في مفهوماتهم ، وانزوى داخل إطار الشعائر التعبدية! إنما كان يعني الدينونة لله وحده في منهج الحياة كلها؛ ونبذ الدينونة والطاعة لأحد من الطواغيت في شؤون الحياة كلها . . والفعلة التي من أجلها استحق قوم هود الهلاك واللعنة في الدنيا والآخرة لم تكن هي مجرد تقديم الشعائر التعبدية لغير الله . . فهذه صورة واحدة من صور الشرك الكثيرة التي جاء هود ليخرجهم منها إلى عبادة الله وحده أي الدينونة له وحده إنما كانت الفعلة النكراء التي استحقوا من أجلها ذلك الجزاء هي : جحودهم بآيات ربهم ، وعصيان رسله . واتباع أمر الجبارين من عبيده :﴿ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴾[هود: ٥٩] كما يقول عنهم أصدق القائلين الله رب العالمين . .

وجحودهم بآيات ربهم إنما يتجلى في عصيان الرسل ، واتباع الجبارين . . فهو أمر واحد لا أمور متعددة . . ومتى عصى قوم أوامر الله المتمثلة في شرائعه المبلغة لهم من رسله بألا يدينوا لغير الله . ودانوا للطواغيت بدلاً من الدينونة لله؛ فقد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله؛ وخرجوا بذلك من الإسلام إلى الشرك(٢) .

---

(١) التفسير الواضح (٢/ ٧٦٤) المؤلف: الحجازي، محمد محمود الناشر: دار الجيل الجديد - بيروت الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ

(٢) في ظلال القرآن (٣/ ١٩٠٢-١٩٠٣)

عناد واستكبار قوم هود:

﴿ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ ﴾[هود: ٥٣ –٥٥]

قال أبو السعود[1]: قالوا يا هود ما جئتنا ببينة أي بحجة تدل على صحة دعواك وإنما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائتة للحصر.

وما نحن بتاركي آلهتنا: أي بتاركي عبادتها.

عن قولك :أي صادرين عنه أي صادرا تركنا عن ذلك بإسناد حال الوصف إلى الموصوف ومعناه التعليل على أبلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الأعراف أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا .

وما نحن لك بمؤمنين: أي بمصدقين في شيء مما تأتي وتذر فيندرج تحته ما دعاهم إليه من التوحيد وترك عبادة الآلهة وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى

إن نقول إلا اعتراك: أي ما نقول إلا قولنا اعتراك أي أصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك إياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الألوهية والمعبودية [2] .

يخبرتعالى [إخبارًا عن قوم هود] أنهم قالوا لنبيهم: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ أي: بحجة ولا دلالة ولا وبرهان على ما تدعيه، ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ ﴾ أي: بمجرد قولك: "اتركوهم" نتركهم، ﴿ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [أي] بمصدقين، ﴿ إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ يقولون: ما نظن إلا أن بعض الآلهة أصابك بجنون وخبَل في عقلك بسبب نهيك عن عبادتها وعيبك لها[3]

---

(١) أبُو السُّعُود (٨٩٨ ـ ٩٨٢ هـ = ١٤٩٣ ـ ١٥٧٤ م) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. ولد بقرب القسطنطينية، ودرس ودرس في بلاد متعددة، وتقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم ايلي. وأضيف إليه الإفتاء سنة ٩٥٢ هـ وكان حاضر الذهن سريع البديهة: (كتب الجواب مرارا في يوم واحد على ألف رقعة) باللغات العربية والفارسية والتركية، تبعا لما يكتبه السائل. وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ـ ط) الأعلام للزركلي (٧/ ٥٩)

(٢) تفسير أبي السعود (٤/ ٢١٧)

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٢٩)

مجابهة الدعوة وعدم الإذعان:

﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾الأحقاف: [٢١ - ٢٢]

يقول تعالى ذكره: قالت عاد لهود، إذ قال لهم لا تعبدوا إلا الله: إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، أجئتنا يا هود لتصرفنا عن عبادة آلهتنا إلى عبادة ما تدعونا إليه، وإلى اتباعك على قولك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

قال ابن زيد[١]، في قوله :﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا ﴾ قال: لتزيلنا، وقرأ﴿ إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ قال: تضلنا وتزيلنا وتأفكنا﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾ من العذاب على

عبادتنا ما نعبد من الآلهة ﴿ إِنْ كُنْتُ ﴾ من أهل الصدق في قوله وعداته[٢] .

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ فيه وجهان : أحدهما : لتزيلنا عن عبادتها بالإفك. الثاني : لتصرفنا عن آلهتنا بالمنع[٣] .

وقوله: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾، أي: لتصرفنا عن عبادتها، وقول عمرو بن أذينة:

إن تك عن أحسن المروءة مأ فوكا ففي آخرين قد أفكوا

وأكثر استعمال هذه المادة في الكذب. لأنه صرف وقلب للأمر عن حقيقته بالكذب والافتراء. كما قال تعالى:﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، إلى غير ذلك من الآيات.[٤]

---

(١)عبد الرحمن ، ابن زيد بن أسلم العمري، المدني، أخو أسامة، وعبد الله، وفيهم لين. وكان عبد الرحمن صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيرا في مجلد، وكتابا في الناسخ والمنسوخ. وحدث عن: أبيه، وابن المنكدر. روى عنه: أصبغ بن الفرج، وقتيبة، وهشام بن عمار، وآخرون. توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة. سير أعلام النبلاء ط الحديث (٧/ ٣٤٤)

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٢٦)

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٠٥)

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢١/ ٧٤)

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[الأعراف: ٧٠] واتهموا هودا بالجنون والسفه عليهم لعائن الله كما هي سيرة المكذبين مع أنبيائهم والمفسدين مع المصلحين ورميهم بكل نقيصة وباطل لصرف الناس عن الحق وزعموا أن الجنون أصاب هود بسبب عزوفه عن عبادة أصنامهم [١]

براءة هود من قومه وتحديه:

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ ﴾[هود: ٥٤ ـ ٥٥]

وهذا تحد منه لهم وتبرأ من آلهتهم وتنقص منه لهم وبيان أنها لا تنفع شيئا ولا تضر وأنها جماد حكمها حكمه وفعلها فعله فإن كانت كما تزعمون من أنها تنصر وتنفع وتضر فها أنا بريء منها لاعن لها فكيدوني ثم لا تنظرون أنتم جميعا بجميع ما يمكنكم أن تصلوا إليه وتقدروا عليه ولا تؤخروني ساعة واحدة ولا طرفة عين فإني لا أبالي بكم ولا أفكر فيكم ولا أنظر إليكم ﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[هود: ٥٦] أي أنا متوكل على الله ومتأيد به وواثق بجنابه الذي لا يضيع من لاذ به واستند إليه فلست أبالي مخلوقا سواه لست أتوكل إلا عليه ولا أعبد إلا إياه[٢]

قال سيد قطب :"وهنا لم يبق لهود إلا التحدي . وإلا التوجه إلى الله وحده والإعتماد عليه . وإلا الوعيد والإنذار الأخير للمكذبين . وإلا المفاصلة بينه وبين قومه ونفض يده من أمرهم إن أصروا على التكذيب :﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [هود: ٥٤ ـ ٥٥] . .

إنها انتفاضة التبرؤ من القوم وقد كان منهم وكان أخاهم وانتفاضة الخوف من البقاء فيهم وقد اتخذوا غير طريق الله طريقاً . وانتفاضة المفاصلة بين حزبين لا يلتقيان على وشيجة وقد انبتت بينهما وشيجة العقيدة .

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١-٢٩ (٢/ ٢٨)
(٢) قصص الأنبياء (ص: ٩٥).

وإن الإنسان ليدهش لرجل فرد يواجه قوماً غلاظاً شداداً حمقى . يبلغ بهم الجهل أن يعتقدوا أن هذه المعبودات الزائفة تمس رجلاً فيهذي؛ ويروا في الدعوة إلى الله الواحد هذياناً من أثر المس! يدهش لرجل يواجه هؤلاء القوم الواثقين بآلهتهم المفتراة هذه الثقة ، فيسفه عقيدتهم ويقرعهم عليها ويؤنبهم؛ ثم يهيج ضراوتهم بالتحدي . لا يطلب مهلة ليستعد استعدادهم ، ولا يدعهم يتريثون فيفثأ غضبهم[١]

وفي الحلقة حوار بين هود عليه السلام وقومه غير ما ورد في السور الأخرى مما اقتضته حكمة التنزيل وفيه مماثلة لما حكته آيات عديدة ومرت أمثلة منها من أقوال ومواقف المشركين من النبي صلى الله عليه وسلم حيث يبدو في ذلك أيضاعبرة واضحة بإعلان وحدة طبيعة ذوي النوايا الخبيثة والسرائر الفاسدة ووحدة مواقفهم من الدعوة إلى الهدى والحق التي يدعو إليها رسل الله تعالى. [٢].

ومن الواجب على العقلاء الاتعاظ بهذا المصير، فلقد أهلكنا يا أهل مكة ما حولكم من البلاد، من القرى المكذبة بالرسل، مثل قرى ثمود، ومدائن لوط، ومدين في جوار الحجاز، وأهل سبأ باليمن، وبيّنا الآيات وأوضحناها، لكي يرجعوا عن كفرهم، فلم يرجعوا.

فهلا نصرتهم آلهتهم التي تقربوا بها إلى الله لتشفع لهم، ودفعت الهلاك عنهم، بل غابوا وذهبوا عنهم، ولم يحضروا لنصرتهم، وعند الحاجة إليهم، وسبب ذلك الضياع وانعدام نفع آلهتهم: هو إفكهم، أي كذبهم، وما كانوا يفترون، أي يكذبون ويختلقون. وفي هذا توبيخ لأهل مكة، وتنبيه إلى أن أصنامهم لا تنفعهم شيئا، فلو نفعت لأغنت من كان قبلهم[3].

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٨٩٨-١٨٩٩).
(٢) التفسير الحديث (٣/ ٥٢٧).
(٣) التفسير الوسيط للزحيلي (٣/ ٢٤٢٣)

المبحث الثاني

المعبودات في عهد نبى الله صالح

تمهيد

بدأ صالح عليه الصلاة والسلام دعوته قومه بالدعوة إلى التوحيد ونبذ ما هم عليه من الشرك وعبادة غير الله عز وجل من الأصنام وغيرهم فكان يذكرهم بنعمة الله تعالى عليهم ويحذرهم وينذرهم عاقبة الذين كذبوا الرسل من قبل وما حصل لقوم عاد، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[هود: ٦١] (١) .

فبعث الله فيهم رجلا منهم وهو عبد الله ورسوله : صالح بن عبيد بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود بن عاثر بن إرم بن نوح فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأن يخلعوا الأصنام والأنداد ولا يشركوا به شيئا فآمنت به طائفة منهم وكفر جمهورهم ونالوا منه بالمقال والفعال وهموا بقتله وقتلوا الناقة التي جعلها الله حجة عليهم فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر(٢)

فلما جاءهم نَبِيُّ اللهِ صالحٌ جاءهم بدعوةِ جميعِ الأنبياءِ وهي عبادةُ اللهِ وحدَه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ﴾[هود: ٦١] (٣) .

ليس لكم معبودٌ يستحقُّ أن يُعْبَدَ وحدَه سواه، بل هو (جلَّ وعلا) المعبودُ وحدَه، المستحقُّ لأَنْ يُفْرَدَ فِي العبادةِ وَيُخْلَصَ له(٤)

وقال تعالى في سورة هود : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١]

وقال تعالى في سورة النمل : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [النمل: ٤٥]

---

(١) حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد (ص: ٧٢)
(٢) قصص الأنبياء (ص: ١١٢)
(٣) حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد (ص: ٧٢)
(٤) قصص الأنبياء (ص: ١١٢)

رسالة صالح عليه السلام:

يلخص رسالة صالح عليه السلام في حقيقة واحدة :﴿أن اعبدوا الله ﴾ فهذه هي القاعدة التي ترتكز عليها رسالة السماء إلى الأرض في كل جيل ، ومع كل رسول، ومع أن كل ما حول البشر في هذا الكون ، وكل ما يكمن فيهم أنفسهم ، يهتف بهم إلى الإيمان بهذه الحقيقة الواحدة ، فقد أمضت البشرية أجيالاً وأزماناً لا يعلمها إلا الله ، وهي تقف أمام هذه الحقيقة البسيطة وقفة الإنكار والجحود ، أو وقفة الهزء والتكذيب . وما تزال إلى اليوم تروغ عن هذه الحقيقة الخالدة ، وتجنح إلى شتى السبل ، التي تتفرق بها عن سبيل الله الواحد المستقيم .

فأما قوم صالح ثمود فيحكي القرآن خلاصة موقفهم بعد دعوته إياهم ، وجهده معهم بأنهم أصبحوا فريقين يختصمون . فريقاً يستجيب له ، وفريقاً يخالف عنه . وكان الفريق المعارض هو الكثرة ، كما نعرف من المواضع الأخرى في القرآن عن هذه القصة[١]

نبذة عن قوم ثمود:

وهم قبيلة مشهورة يقال لهم " ثمود " باسم جدهم ثمود أخي جديس وهما ابنا عائر بن إرم بن سام بن نوح وسميت ثمود لقلة مائها، وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك وقد مر به رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو ذاهب إلى تبوك بمن معه من المسلمين وكانوا بعد قوم عاد وكانوا يعبدون الأصنام كأولئك[٢]

وكانت ثمود من الأمم المفرطة في اللذات من مطعم ومشرب ومسكن، وبلغوا في ذلك الترف مبلغاً أوقعهم في السرف والعصيان والتمرد على كل دعوة حق لظنهم أن ما هم فيه دائم لا يزول، فعاثوا في الأرض فساداً وسخروا من صالح عليه السلام ودعوته ومن آمن معه، وناصبوهم العداء وأعرضوا عن الصراط المستقيم الذي جاء به. قال الله عز وجل: ﴿ قَالُواْ يَصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴾[هود: ٦٢][٣]

---

(١) ظلال القرآن (٥/ ٢٦٤٤)
(٢) قصص الأنبياء (ص: ١١٢)
(٣) حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد (ص: ٧٣)

﴿قالوا يا صالحُ قد كنت فينا مرجُواً قبل هذا﴾ أي : كنا نرجو أن ننتفع بك ؛ لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ، فتكون لنا سيداً ، أو مُستشاراً في الأمور ، وإن توافقنا على ديننا ، فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا منك ؛ ﴿أتنهانا أن نعبدَ ما يعبد آباؤنا﴾ قبلنا لتصرفنا عن ديننا ، ﴿وإننا لفي شكٍّ مما تدعونا إليه﴾ من التوحيد ، والتبري من الأوثان.﴿مُريب﴾ : موقع في الريبة ؛ مبالغة في الشك[1]

قد كان لنا رجاء فيك . كنت مرجواً فينا لعلمك أو لعقلك أو لصدقك أو لحسن تدبيرك ، أو لهذا جميعه . ولكن هذا الرجاء قد خاب . .

﴿أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ﴾ . .

إنها للقاصمة! فكل شيء يا صالح إلا هذا! وما كنا لنتوقع أن تقولها! فيا لخيبة الرجاء فيك!

ثم إننا لفي شك مما تدعونا إليه . شك يجعلنا نرتاب فيك وفيما تقول :

﴿ إننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب ﴾ . .

وهكذا يعجب القوم مما لا عجب فيه؛ بل يستنكرون ما هو واجب وحق ، ويدهشون لأن يدعوهم أخوهم صالح إلى عبادة الله وحده[2]

وقال لهم أيضا : ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ أي هو الذي خلقكم فأنشأكم من الأرض وجعلكم عمارها أي أعطاكموها بما فيها من الزروع والثمار فهو الخالق الرزاق وهو الذي يستحق العبادة وحده لا ما سواه ﴿ فاستغفروه ثم تبوا إليه﴾أي أقلعوا عما أنتم فيه وأقبلوا على عبادته فإنه يقبل ويتجاوز عنكم ﴿ إن ربي قريب مجيب ﴾

---

(١) البحر المديد (٣/ ٣٠٦)

(٢) في ظلال القرآن (٣/ ١٩٠٧)

خلاصة العوائق التي واجهها الأنبياء في دعوتهم:

من العوائق التي واجهها الأنبياء في دعوتهم والتي كانت سبباً في ضلال القوم هي :

-"تقليد الآباء"

كان تقليد الآباء – ومازال – سببًا من أكبر أسباب الضلال، وسبيلاً من سبل الصد عن اتباع الحق والرشاد، وقد عاش الملأ من أقوام المرسلين هذا الأمر فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين، أي بصَّرهم الله سبل الهدى فتركوها ، وسلكوا سبل الردى لا لشيء إلا أنها كانت منهج الآباء .

من لدن نوح وإبراهيم عليهما السلام وإلى نبينا خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام، وحجة كل قوم في ترك الإيمان هي تقليد الأولين السابقين من الآباء والأجداد، وهل أهلك أبا طالب إلا التقليد وكذا كل معاند كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[البقرة: ١٧٠] ، وقال تعالى :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[المائدة: ١٠٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [لقمان: ٢١]

وقد لخص الله كلامهم وجمع حجتهم في قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣] [1]

قال الطبري :"القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾

يقول تعالى ذكره: وهكذا كما فعل هؤلاء المشركون من قريش فعل من قبلهم من أهل الكفر بالله، وقالوا مثل قولهم، لم نرسل من قبلك يا محمد في قرية، يعني إلى أهلها رسلا تنذرهم عقابنا على كفرهم بنا فأنذروهم وحذروهم سخطنا، وحلول عقوبتنا بهم﴿ إلا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾، وهم رؤساؤهم وكبراؤهم.

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١-٢٩ (٢/ ١٧٤)

وعن قتادة، في قوله:﴿ إلا قال مترفوها ﴾ قال: رؤساؤهم وأشرافهم.

وعنه ايضا: ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها ﴾ قادتهم ورءوسهم فى الشرك.

وقوله:﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾ يقول: قالوا: إنا وجدنا آباءنا على ملة ودين ﴿ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ ﴾ يعني: وإنا على منهاجهم وطريقتهم مقتدون بفعلهم نفعل كالذي فعلوا، ونعبد ما كانوا يعبدون؛ يقول جلّ ثناؤه لمحمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: فإنما سلك مشركو قومك منهاج من قبلهم من إخوانهم من أهل الشرك بالله في إجابتهم إياك بما أجابوك به، وردّهم ما ردّوا عليك من النصيحة، واحتجاجهم بما احتجوا به لمُقامهم على دينهم الباطل..[١]

وإن في هذه الآية الشريفة لأعظم زاجر وأبلغ واعظ للمقلدة الذين يتبعون آباءهم في المذاهب المخالفة للحق فإن ذلك من الاقتداء بأهل الكفر لا بأهل الحق فإنهم القائلون : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾والقائلون : ﴿ وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ﴾ والمقلد لولا اغترازه بكونه وجد أباه على ذلك المذهب مع اعتقاده بأنه الذي أمر الله به وأنه الحق لم يبق عليه وهذ الخصلة هي التي بقي بها اليهودي على اليهودية والنصراني على النصرانية والمبتدع على بدعته فما أبقاهم على هذه الضلالات إلا كونهم وجدوا آباءهم في اليهودية والنصرانية أو البدعية وأحسنوا الظن بأن ما هم عليه هو الحق الذي أمر الله به ولم ينظروا لأنفسهم ولا طلبوا الحق كما يجب وبحثوا عن دين الله كما ينبغي وهذا هو التقليد البحت والقصور الخالص[٢]

-الإسراع والمتابعة لآباءهم :

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الصافات: ٦٩ - ٧٠].

قال الفراء: الإهراع الإسراع يقال هرع وأهرع إذا استحث، والمعنى أنهم يتبعون آباءهم اتباعا في سرعة كأنهم يزعجون إلى اتباع آبائهم، والمقصود من الآية أنه تعالى علل استحقاقهم

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٥٨٦)
(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٢/ ٢٨٩)

للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين وترك اتباع الدليل، ولو لم يوجد في القرآن آية غير هذه الآية في ذم التقليد لكفى[1].

وهذا اعتراف منهم له بهذه الأمور قبل أن يقول ما قال، فما نزله عن هذه المرتبة عندهم إلا أنه دعاهم إلى عبادة الخالق من عبادة العبيد، وإلى السعادة الأبدية، وما ذنبه إلا أنه خالف آباءهم الضالين، وهم كانوا أضل منهم، ثم أقام لهم بينة عظيمة وبرهانا ونعمة على جميع القبيلة بأسرها، وقال: هذه ناقة الله – التي لا يشبهها شيء من النوق في ذاتها وشرفها ومنافعها لكم – آية على صدقي وعلى سعة رحمة ربكم، فذروها تأكل في أرض الله، على الله رزقها، ولكم نفعها، ترد الماء يوما فترد القبيلة بأسرها على ضرعها، كل يصدر عن ضرعها قد ملأ آنيته، ثم تردون أنتم في اليوم الثاني، فمكثت على هذا ما شاء الله[2]

آيات وعبر من دعوة صالح عليه السلام:

– البدء في دعوته بالتوحيد كما هي دعوة الرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام.

– أن الله تعالى ناصر رسله وأتباعهم وإن كانوا قلة مستضعفين، وأن الكثرة لا قيمة لها ولا عبرة بها إذا لم تكن على الحق.

– أن طلب المعجزات والآيات إذا لم يتبعه الإيمان الصادق فإن العقوبة على ذلك تنزل عاجلة.

– أن آثار المعاصي والآثام قد تمتد إلى أزمنة بعيدة ليتعظ بها من بعدهم.[3].

فوائد تتعلق بهذه القصة:

منها: أن جميع الأنبياء دعوتهم واحدة، وأن من كذَّب واحدا منهم فقد كذَّب الجميع، لأنه يكذِّب الحق الذي جاء به كل واحد منهم، ولهذا يقول في كل قصة: كذبت قوم نوح المرسلين، كذبت عاد المرسلين، كذبت هود المرسلين.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٦/ ٣٣٨) المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

(٢) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (١/ ١٩٥) المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

(٣) حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد (ص: ٧٦)

ومنها: أن عقوبات الله للأمم الطاغية عند تناهي طغيانها وتفاقم جرائمها، فكُفرهم وتكذيبهم موجب للهلاك، ولكن تحتم الإهلاك عند تناهي إجرامهم؛ لأن الله تعالى بالمرصاد فيمهل ثم يمهل حتى إذا أخذهم، أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

ومنها: أن العقائد الباطلة الراسخة المأخوذة عمن يحسن بهم الظن من آباء أو غيرهم من أكبر الموانع لقبول الحق، والحال أنها ليست في العير ولا في النفير، ولا لها مقام في الحجج الصحيحة الدالَّة على الحقائق، فلهذا أكبر ما رد به قوم صالح لدعوته أن قالوا: أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا، وقالت جميع الأمم المكذبة رادِّين لدعوة الرسل: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣][١]

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (١/ ١٩٧)

الباب الرابع

المعبودات

في عهد نبي اللّه إبراهيم عليه السلام

وفيه فصلان :

الفصل الأول: نبذة عن إبراهيم الخليل وقومه وأولويات دعوته وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التعريف بإبراهيم عليه السلام وقومه.

المبحث الثاني: أولويات دعوته

الفصل الثاني: أصناف المعبودات التي واجهها إبراهيم عليه السلام وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : عبدة الكواكب .

المبحث الثاني: عبدة الأصنام .

المبحث الثالث : الحوار الدائر بين إبراهيم عليه السلام وعبدة الأصنام.

المبحث الرابع : مدعي الألوهية الذي خاصم إبراهيم في توحيد ربه.

الباب الرابع

المعبودات في عهد نبي اللّه إبراهيم

تمهيد:

أرسل الله إبراهيم عليه السلام إلى أهل بابل بالعراق وكانوا صابئة يعبدون الكواكب، فبين لهم إبراهيم أن هذه الكواكب لا تصلح للإلهية وأن لها خالقًا ومدبرًا دبر طلوعها وأفولها ومسيرها وسائر أحوالها فقال: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾ [الأنعام: ٧٨ - ٧٩].

وبين لهم إبراهيم عليه السلام كذلك أن هذه الأصنام التي يقيمونها في معابدهم ليست آلهة، مستدلًا بعجزها عن نفع عابديها لأن الإله لا يكون عاجزًا عن جلب الخير ودفع الشر: ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤﴾ [الشعراء: ٧٢ - ٧٤]

وقد عرفهم إبراهيم عليه السلام بالإله الحق الذي يستحق العبادة ويملك الضر والنفع معلنًا عداوته لأصنامهم وبراءته التامة منهم ومن أصنامهم: ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾ [الشعراء: ٧٥ - ٨٢] .

وبين في حال من ادعى الربوبية فقال ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ، هكذا بهت الذي كفر لأن الإله الحق لا بد أن يكون متصرفًا في ملكه كما يشاء والكون بما فيه سائر وفق إرادته.

وأراد إبراهيم عليه السلام إقامة الحجة على قومه كلهم، فبينما هم مجتمعون في عيدهم بعيدًا عن بيت الأصنام ذهب إبراهيم يحمل الفأس فكسر الأصنام وأبقى الصنم الكبير، –وهذا هو الواقع– فهي صماء بكماء جماد لا حياة فيها فليست بآلهة، يوضح هذا قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمۡ

﴿ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥٨ – ٦٧] .

وهكذا بهت قوم إبراهيم لإقامة الحجة عليهم كما بهت ملكهم من قبل، لقد بهتوا لصناعة الحجة بحيث نكسوا على رءوسهم خجلًا لعلمهم أن أصنامهم لا تنطق وأولى بهم أن يؤمنوا بالله الواحد، والاستكبار عن الحق جعلهم لا يرضخون ولا يستجيبون لدعوة التوحيد، بل زادوا في طغيانهم فأوقدوا نارًا عظيمة ليحرقوا بها داعية التوحيد إبراهيم عليه السلام، ولكنه لم يخف من النار كما لم يخف أصنامهم من قبل، ولعلمه أن التصرف المطلق في هذا الكون وعبودية كل شيء فيه هي لله الواحد القهار، والنار مخلوقة من مخلوقات الله وهي في ملكه وتحت تصرفه ومشيئته ولا تحرق أحدًا إلا بأمر الله: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾[الأنبياء: ٦٨ - ٧٠] [١] .

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص: ١٩٥-١٩٧)

الفصل الأول

نبذة عن إبراهيم الخليل وقومه

وأولويات دعوته

وفيه مبحثان :

المبحث الأول :التعريف بإبراهيم عليه السلام وقومه.

المبحث الثاني: أولويات دعوته.

الفصل الأول

نبذة عن إبراهيم الخليل وقومه وأولويات دعوته

تمهيد

وقد بعث الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام في فترة من الرسل عم فيها الشرك بأنواعه الأرض وسادت الوثنية واستحكم الجهل والضلال، فاختار الله رسوله إبراهيم واصطفاه لهذه المهمة العظيمة، فقام بها خير قيام، وأدى الأمانة خير أداء، وهو أحد أولي العزم من الرسل، دعا الله عز وجل أن يبعث رسولاً في هذه الأمة فاستجاب الله تعالى دعوته .

وكان أبوه أول المكذبين بدعوته، والمعرضين عنها، والمعارضين لها، وقد بذل إبراهيم عليه السلام جهده في دعوة أبيه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وتخليصه من عبادة غير الله تعالى، واتسمت دعوته لأبيه بالأدب الجم والتواضع العظيم، مع بلاغة في الحجة، وقوة في البرهان، وقص الله تعالى ذلك في كتابه الكريم فقال سبحانه: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ [مريم: ٤١ - ٤٢]

وحين رأى إبراهيم عليه السلام إصرار أبيه على الكفر، وإعراضه وعداءه للحق، وعدم استجابته لدعوته، عند ذلك أعلن البراءة منه، وهذه البراءة التي أعلنها الخليل عليه السلام من الشرك وأهله، وأولهم أقرب الناس إليه أبوه، هذه البراءة من أول لوازم تحقيق التوحيد وإخلاصه لله عز وجل دعا إبراهيم عليه السلام قومه إلى توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له، واجتهد في ذلك أعظم اجتهاد، وسلك كل طريق ظنه موصلاً إلى هدايتهم، وقبولهم للحق الذي جاء به، وبعدهم عن الباطل، وأتاه الله عز وجل الحجة البالغة على قومه.

ثم موقفه عليه السلام مع مدعي الربوبية:

وقد آتاه الله عز وجل قوة الحجة، أفحمه من أول وهلة، إذ طلب منه ما دام أنه يدعي الربوبية أن يأتي بالشمس من المغرب بدلاً من المشرق، فالرب لابد أن يكون قادراً على التصرف كيف شاء، ولكن ذلك الكافر المكابر عجز وبهت،[1]

---

(١) حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد (ص: ٧٧-٨٩)

المبحث الأول

التعريف بإبراهيم عليه السلام وقومه

أولاً:التعريف بإبراهيم عليه السلام:

وهو إبراهيم[١] بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشد بن سام بن نوح،

واختلفوا في الموضع الذي كان منه والموضع الذي ولد فيه

فقال بعضهم: كان مولده بالسوس من أرض الأهواز

وقال بعضهم :كان مولده ببابل من أرض السواد وقال بعضهم كان بالسواد بناحية كوثى

وقال بعضهم: كان مولده بالوركاء بناحية الزوابي وحدود كسكر ثم نقله أبوه إلى الموضع الذي كان به نمرود من ناحية كوثى وقال بعضهم كان مولده بحران ولكن أباه تارخ نقله إلى أرض بابل وقال عامة السلف من أهل العلم كان مولد إبراهيم عليه السلام في عهد نمرود بن كوش ويقول عامة أهل الأخبار كان نمرود عاملا للإزدهاق الذي زعم بعض من زعم أن نوحا عليه السلام كان مبعوثا إليه على أرض بابل وما حولها وأما جماعة من سلف العلماء فإنهم يقولون كان ملكا برأسه واسمه الذي هو اسمه فيما قيل زرهى بن طهماسلفان.[٢] .

قال ابن الوردي[٣] :"ولد إبراهيم بالأهواز ، وقيل : ببابل – وهي العراق – ، وكان آزر أبوه يصنع الأصنام ويعطيها إبراهيم ليبيعها فيقول : من يشتري ما يضره ولا ينفعه[٤]

قالوا : ولما كان عمر " تارخ " خمسا وسبعين سنة ولد له إبراهيم عليه السلام يكنى وناحور وهاران وولد لهاران " لوط "

---

(١) إبراهيم بالسريانية معناها: أبٌ راحم ، قَالَ الْمَاوَرْدِيّ مَعْنَاهُ أَب رَحِيم عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١/ ١١٤)وانظر كشف اللثام شرح عمدة الأحكام (٢/ ٦٠٠) شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨ هـ) اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، دار النوادر - سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (١/ ٢٣٣)

(٣)ابن الوَرْدي(٦٩١ - ٧٤٩ هـ = ١٢٩٢ - ١٣٤٩ م) عمر بن مظفَّر بن عمر ب محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعرّي الكندي: شاعر، أديب، مؤرخ. ولد في معرة النعمان (بسورية) وولي القضاء بمنبج، وتوفي بحلب. من كتبه " ديوان شعر - ط " فيه بعض نظمه ونثره، و " تتمة المختصر - ط " تاريخ، مجلدان، يعرف بتاريخ ابن الوردي، جعله ذيلا لتاريخ أبي الفداء وخلاصة له، و " تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة - خ " نثر فيه ألفية ابن مالك في النحو الأعلام للزركلي (٥/ ٦٧)

(٤) تاريخ ابن الوردي (١/ ١٤) زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي الناشر دار الكتب العلمية مكان النشر لبنان / بيروت سنة النشر ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

وعندهم أن إبراهيم عليه السلام هو الأوسط وأن هاران مات في حياة أبيه في أرضه التي ولد فيها

وهي أرض الكلدانيين يعنون أرض بابل[١] .

عقيدة ابراهيم الخليل:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[آل عمران: ٦٧]

قال أبو جعفر: وهذا تكذيبٌ من الله عز وجل دعوَى الذين جادلوا في إبراهيم وملته من اليهود والنصارى، وادَّعوا أنه كان على ملتهم = وتبرئة لهم منه، وأنهم لدينه مخالفون = وقضاءٌ منه عز وجل لأهل الإسلام ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم أنهم هم أهل دينه، وعلى منهاجه وشرائعه، دون سائر أهل الملل والأديان غيرهم.[٢] .

قال القرطبي :"نزهه تعالى من دعاويهم الكاذبة، وبين أنه كان على الحنيفية الإسلامية ولم يكن مشركا. والحنيف: الذي يوحد ويحج ويضحي ويختتن ويستقبل القبلة.[٣] .

ينكر تبارك وتعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل عليه السلام ودعوى كل طائفة منهم، أنه كان منهم، كما قال ابن عباس رضي الله عنه: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيا، فأنزل الله تعالى ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٥] الآية.

أي كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهوديا وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى؟ وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانياً، وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر؟ ولهذا قال تعالى: "أفلا تعقلون" [٤].

---

(١) وهذا هو الصحيح المشهور عند أهل السير والتواريخ والأخبار وصحح ذلك الحافظ ابن عساكر بعد ما روى من طريق هشام بن عمار عن الوليد عن سعيد بن عبد العزيز عن مكحول عن ابن عباس قال : ولد إبراهيم بغوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل يقال له " قاسيون " ثم قال : والصحيح أنه ولد ببابل وإنما نسب إليه هذا المقام لأنه صلى فيه إذ جاء معينا للوط عليه السلام قصص الأنبياء (١/ ١٦٨)

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٤٩٣)

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ١٠٩)

(٤) مختصر تفسير ابن كثير (١/ ٢٩٠)

وهذه الحقيقة متضمنة في قوله قبلها ﴿ ولكن كان حنيفاً مسلماً ﴾. . ولكن إبرازها هنا يشير إلى عدة من لطائف الإشارة والتعبير :

يشير أولاً إلى أن اليهود والنصارى – الذين انتهى أمرهم إلى تلك المعتقدات المنحرفة – مشركون . . ومن ثم لا يمكن أن يكون إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً . ولكن حنيفاً مسلماً!

ويشير إلى أن الإسلام شيء والشرك شيء آخر . فلا يلتقيان . الإسلام هو التوحيد المطلق بكل خصائصه . وكل مقتضياته . ومن ثم لا يلتقي مع لون من ألوان الشرك أصلاً .

ويشير ثالثاً إلى إبطال دعوى المشركين من قريش كذلك أنهم على دين إبراهيم ، وسدنة بيته في مكة . . فهو حنيف مسلم ، وهم مشركون . ﴿ وما كان من المشركين ﴾ !

وما دام أن إبراهيم – عليه السلام – كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ، فليس لأي من اليهود أو النصارى – أو المشركين أيضاً – أن يدعي وراثته ، ولا الولاية على دينه ، وهم بعيدون عن عقيدته[١] .

حقق التوحيد، وقد وصفه الله بأنه كان أمة[٢] قانتا لله حنيفا، وبأنه لم يك من المشركين، فهل يطمئن من كان على هذه الحال إلى أنه لن يعبد غير الله، ولن يعبد الأصنام، أو يظل مقيما على خوفه؟؟!! وهل حال الكمَّل الذين حققوا التوحيد أنهم يطمئنون أم يخافون؟؟! هذا إبراهيم – عليه السلام – كما في هذه الآية خاف الشرك، وخاف عبادة الأصنام، فدعا الله بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥ – ٣٦] فكيف بمن دون إبراهيم ممن ليس من السبعين ألفا، وهم عامة هذه الأمة؟؟!! والواقع أن عامة الأمة لا يخافون من الشرك، فمن الذي يخافه إذًا؟ الذي يخافه هو الذي يسعى في تحقيق التوحيد.

---

(١) في ظلال القرآن (١/ ٤١٢)

(٢) ورد لفظ الأمة في القرآن بعدة معان:
١- الجماعة: الذين يرتبطون برابطة واحدة، مثل قوله تعالى: وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ [الأعراف ٧/ ١٨١] وقوله: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ [آل عمران ٣/ ١١٠] .
٢- الملة: أي العقائد وأصول التشريع، مثل قوله: إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً [الأنبياء ٢١/ ٩٢ والمؤمنون ٢٣/ ٥٢] .
٣- الزمن: مثل قوله: وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ [هود ١١/ ٨] وقوله: وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ [يوسف ١٢/ ٤٥] .
٤- الإمام: مثل قوله تعالى: إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً [النحل ١٦/ ١٢٠] أي رجلا جامعا للخير. التفسير المنير للزحيلي (٢/ ٢٤٤)

قال إبراهيم التيمي[1] – رحمه الله – وهو من سادات التابعين لما تلا هذه الآية قال:
ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟!! إذا كان إبراهيم – عليه السلام – وهو الذي حقق التوحيد، وهو الذي وُصِفَ بما وُصِفَ به،
وهو الذي كسَّر الأصنام بيده يخاف من الفتنة بها فمن يأمن البلاء بعده؟![2].
إن إبراهيم كان أمة أي بمنزلة جماعة عظيمة في الإيمان باللهِ وحده والإخلاص له في العبادة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان عنده من الخير ما كان عند أمة اهـ: وذلك لاستجماعه من الخيرات والفضائل ما لا يكاد يوجد إلا متفرقا في أمة عظيمة.[3] .

الحنيفية " ملة " إمام الحنفاء " إبراهيم "

والحنيفية: هي ملة إبراهيم، وملة إبراهيم هي الحنيفية، ولهذا جمع المصنف رحمه الله بينهما وأصل الحنيفية مأخوذ من الحنف، والحنف معناه: الميل،.
فالحنيف: هو المائل عن الشرك قصداً وإخلاصاً إلى التوحيد، والحنيف هو المقبل على الله سبحانه وتعالى المعرض عن كل ما سواه، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً﴾ ، والقانت: هو الخاشع المطيع.
أما الملة: فهي بمعنى الدين، وهي اسم لكل ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده على ألسنة أنبيائه[4].

(١) إبراهيم" بن يزيد بن شريك التيمي تيم الرباب أبو أسماء الكوفي كان من العباد. قال ابن معين: "ثقة" وقال أبو زرعة: "ثقة مرجئ قتله الحجاج بن يوسف" وقال أبو حاتم: "صالح الحديث" وقال الأعمش: "كان إبراهيم إذا سجد تجيء العصافير فتنقر ظهره" وقال ابن حبان في الثقات: "كان عابدا صابرا على الجوع الدائم"قال أبو داود مات ولم يبلغ أربعين سنة وقال الواقدي مات سنة "٩٤" تهذيب التهذيب (١/ ١٧٦- ١٧٧) المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ
(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٥٠)
(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٥/ ٦٩٩) المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م)
(٤) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (ص: ٤٢) المؤلف: عبد الله بن صالح الفوزان الناشر: مكتبة الرشد

وقد أخرج ابن أبي حاتم[(١)] عن أبي العالية في قوله : " ومن يرغب عن ملة إبراهيم " قال : رغبت اليهود والنصارى عن ملته واتخذوا اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله تركوا ملة إبراهيم الإسلام وبذلك بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه و سلم بملة إبراهيم[(٢)] .

قال ابن القيم الجوزية:في قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ [الحج: ٧٨]

"فأخبر تعالى أنه اجتباهم، فهم المجتبون الذين اجتباهم الله إليه، وجعلهم أهله وخاصته، وصفوته من خلقه بعد النبيين والمرسلين، ولهذا أمرهم تعالى أن يجاهدوا فيه حق جهاده، فيبذلوا له أنفسهم، ويفردوه بالمحبة والعبودية، ويختاروه وحده إلهاً معبوداً محبوباً على كل ما سواه، كما اختارهم على من سواهم، فيتخذونه وحده إلههم ومعبودهم الذي يتقربون إليه بألسنتهم وجوارحهم، وقلوبهم ومحبتهم وإرادتهم، فيؤثرونه في كل حال على من سواه، كما اتخذهم عبيده وأولياءه وأحباءه، وآثرهم بذلك على من سواهم[(٣)].

ثانيا: نبذة عن قوم إبراهيم:

قوم إبراهيم هم الكشدانيون الذين كانوا يعبدون الكواكب في قديم الزمان، ويزعمون أنها المدبرة لهذا العالم السفلي، وأن الخير والشر صادر منها.

ونشأت عبادة الكواكب عندهم من التعلق بالملائكة، واعتقاد أنهم وسطاء بين الله وبين خلقه، وأنهم موكلون بتصريف هذا العالم، ثم تنبهوا إلى أن الأفلاك والكواكب أقرب الأجسام المرئية

---

(١) ابن أبي حاتم الإمام الحافظ الناقد شيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمن ابن الحافظ الكبير أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي: وقيل: إن الحنظلي نسبة إلى درب حنظلة بالري؛ ولد سنة أربعين وارتحل به أبوه فأدرك الأسانيد العالية، قال أبو يعلى الخليلي: أخذ علم أبيه وأبي زرعة، وكان بحرًا في العلوم ومعرفة الرجال، صنف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين، وكان زاهدا يعد من الأبدال. قلت: كتابه في الجرح والتعديل يقضي له بالرتبة المنيفة في الحفظ، وكتابه في التفسير عدة مجلدات، وله مصنف كبير في الرد على الجهمية يدل على إمامته قال محمد بن مهرويه سمعت ابن الجنيد سمعت يحيى بن معين يقول: إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة من مائتي سنة. قال محمد: فدخلت على ابن أبي حاتم وهو يحدث بكتاب الجرح والتعديل فحدثته بهذا؛ فبكى وارتعدت يداه وسقط الكتاب وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية. قلت: مات في المحرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ للذهبي (٣/ ٣٤- ٣٥) المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان
الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (١/ ١٦٨)

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٠٢)

إلى الله تعالى، وأنها أحياء ناطقة مدبرة للعالم وأنها بالنسبة للملائكة كالروح للجسد، فهي الهياكل، والملائكة الأرواح ، وأنها متصفة بصفات مخصوصة[1].

قال ابن كثير:"وهكذا كان أهل حران يعبدون الكواكب والاصنام وكل من كان على وجه الارض كانوا كفاراً سوى إبراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط عليهم السلام وكان الخليل عليه السلام هو الذي أزال الله به تلك الشرور وأبطل به ذاك الضلال فان الله سبحانه وتعالى أتاه رشده في صغره وابتعثه رسولا واتخذه خليلا في كبره قال تعالى) ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ [الانبياء: ٥١] أي كان أهلا لذلك[2] .

وقوع الشرك في الأرض :

وأول وقوع للشرك في الأرض في قوم إبراهيم من عبادة الكواكب: حتى إذا عم الأرض الشرك من طراز جديد من دين الصابئة في حران، والمشركين من عبدة الكواكب والشمس والقمر في كابل، وعبدة الأصنام في بابل، لما كانت النماردة، والفراعنة ملوك الأرض شرقا وغربا، وهذا هو الصنف الثاني " عبادة الكواكب " وهو " الشرك السماوي " من المشركين بعد مشركي قوم نوح، عبدة القبور[3] .

شرك قوم إبراهيم، وذلك شرك في التأثير، يعني: من جهة النظر في الكواكب ومن يؤثر ويحرك، فهذا شرك في الربوبية، وما تبعه من الشرك في الألوهية؛ لأنهم جعلوا لتلك الكواكب أصناما، وجعلوا لها صورا، وجعلوها أوثانا، فعبدوها من دون الله – جل وعلا – وتوجهوا إليها[4].

المعبودات التي واجهها ابراهيم:

لما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام ان يدعو قومه إلى التوحيد دعا أباه فلم يجبه ودعا قومه وفشا أمره واتصلت أخباره بنمروذ وهو ملك تلك البلاد ثم جاهد إبراهيم قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون واظهر دينه وقال ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾

---

(١) التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام (ص: ٤٧)
(٢) البداية والنهاية (١/ ١٦١)
(٣) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان (ص: ٦٣) المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ) الناشر: دار العاصمة الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ
(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص: ٢٤٣)

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الشعراء: ٧٥ - ٧٧] فقالوا له فمن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا نحن ربنا نمروذ قال ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٧ - ٨٩]

قال ففشا ذلك الخبر في الناس حتى بلغ النمروذ فدعاه إليه وقال يا إبراهيم أرايت الملك الذي بعثك وتدعو الناس إلى عبادته وتذكر عظيم قدرته ما هو فقال له إبراهيم هو ربي الذي يحيي ويميت فقال نمروذ أنا احيي وأميت قال إبراهيم كيف تحيي وتميت قال اخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي فاقتل أحدهما فاكون قد أمته ثم أعفو عن الأخر فاتركه فاكون قد أحييته قال فانتقل إبراهيم إلى حجة أخرى اعجز فان حجته كانت لازمة لانه أراد بالإحياء أحياء الميت فكان له ان يقول فاحي من أمت إن كنت صادقا فانتقل إلى حجة أخري أوضح من الأولي ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]

أي تحير واندهش وانقطعت حجته(١) .

وعن معبودات أهل بابل، يذكر صاحب قصة الحضارة:" بأنه كان لأهل بابل كثير من الآلهة ... ذلك أن كل مدينة كان لها رب يحميها، وقد كان للمقاطعات والقرى آلهة صغرى تعبدها وتخلص لها، وإن كانت تخضع رسمياً للإله الأعظم، ثم قل عدد الآلهة شيئاً فشيئاً بعد أن فسرت الآلهة الصغرى بأنها صور أو صفات للآلهة الكبرى، وعلى هذا النحو أصبح "مزدك" إله باب كبير الآلهة البابلية(٢).

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (١/ ٢٨) المؤلف : مجير الدين الحنبلي العليمي تحقيق : عدنان يونس عبد المجيد نباتة دار النشر : مكتبة دنديس - عمان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

(٢) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام (١/ ١٩٦) المؤلف: د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م

المبحث الثاني

أولويات دعوته

أولاً : دعوة أبيه :

وكان أول دعوته لأبيه وكان أبوه ممن يعبد الأصنام لأنه أحق الناس بإخلاص النصيحة له كما قال تعالى : ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم: ٤١ - ٤٨] [١] .

اللطف في الخطاب مع أبيه:

فذكر تعالى ما كان بينه وبين أبيه من المحاورة والمجادلة وكيف دعا أباه إلى الحق بألطف عبارة وأحسن إشارة

بهذا اللطف في الخطاب يتوجه إبراهيم إلى أبيه ، يحاول أن يهديه إلى الخير الذي هداه الله إليه ، وعلمه إياه؛ وهو يتحبب إليه فيخاطبه : " يا أبت " ويسأله : " لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا؟ " والأصل في العبادة أن يتوجه بها الإنسان إلى من هو أعلى من الإنسان وأعلم وأقوى . وأن يرفعها إلى مقام أسمى من مقام الإنسان وأسنى . فكيف يتوجه بها إذن إلى ما هو دون الإنسان . بل إلى ما هو في مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان ، لا يسمع ولا يبصر ولا يملك ضراً ولا نفعاً .إذ كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام كما هو حال قريش الذين يواجههم الإسلام[٢] .

---

(١) قصص الأنبياء (ص: ١٢٧)
(٢) في ظلال القرآن (٤/ ٢٣١١)

بين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان التي لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر مكانه فكيف تغني عنه شيئا أو تفعل به خيرا من رزق أو نصر ؟

أوصاف الأوثان ا لقاد حة في الإلهية:

ووصف الأوثان بصفات كل واحدة منها قاد حة في الإلهية وبيان ذلك من وجوه :

– أحدها : أن العبادة غاية التعظيم فلا يستحقها إلا من له غاية الانعام وهو الإله الذي منه أصول النعم وفروعها على ما قررناه في تفسير قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾آل عمران: ٥١{ وقال : ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾البقرة: ٢٨ الآية وكما يعلم بالضرورة أنه لا يجوز الاشتغال بشكرها ما لم تكن منعمة وجب أن لايجوز الاشتغال بعبادتها.

– وثانيها : أنها إذا لم تسمع ولم تبصر ولم تميز من يطيعها عمن يعصيها فأي فائدة في عبادتها ، وهذا ينبهك على أن الإله يجب أن يكون عالماً بكل المعلومات حتى يكون العبد آمناً من وقوع الغلط للمعبود.

– وثالثها : أن الدعاء مخ العبادة فالوثن إذا لم يسمع دعاء الداعي فأي منفعة في عبادته وإذا كانت لا تبصر بتقرب من يقترب إليها فأي منفعة في ذلك التقرب.

– ورابعها : أن السامع المبصر الضار النافع أفضل ممن كان عارياً عن كل ذلك ، والإنسان موصوف بهذه الصفات فيكون أفضل وأكمل من الوثن فكيف يليق بالأفضل عبادة الأخس.

– وخامسها : إذا كانت لا تنفع ولا تضر فلا يرجى منها منفعة ولا يخاف من ضررها فأي فائدة في عبادتها.

– وسادسها : إذا كانت لا تحفظ أنفسها عن الكسر والإفساد على ما حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه كسرها وجعلها جذاذاً فأي رجاء للغير فيها

واعلم أنه عاب الوثن من ثلاثة أوجه. أحدها : لا يسمع. وثانيها : لا يبصر.

وثالثها : لا يغني عنك شيئاً كأنه قال له : بل الإلهية ليست إلا لربي فإنه يسمع ويجيب دعوة الداعي ويبصر[1] .

---

(١) تفسير الفخر الرازى (ص: ٢٩٨٦)

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٧٤]

قال أبو جعفر: وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل إبراهيم لأبيه آزر أنه قال:"أتتخذ أصنامًا آلهة"، تعبدها وتتخذها ربًّا دون الله الذي خلقك فسوَّاك ورزقك ؟

و"الأصنام": جمع"صنم"، و"الصنم" التمثال من حجر أو خشب أو من غير ذلك في صورة إنسان، وهو"الوثن". وقد يقال للصورة المصوّرة على صورة الإنسان في الحائط وغيره:"صنم" و"وثن" [(١)].

وقال الجوهري : آزر اسم أعجمي ، وهو مشتق من آزر فلان فلانا إذا عاونه ؛ فهو مؤازر قومه على عبادة الأصنام وقيل : هو مشتق من القوة ، والآزر القوة ؛ عن ابن فارس. وقال مجاهد ويمان : آزر اسم صنم. وهو في هذا التأويل في موضع نصب ، التقدير : أتتخذ آزر إلها ، أتتخذ أصناما. وقيل : في الكلام تقديم وتأخير ، التقدير : أتتخذ آزر أصناما [(٢)].

وآزر[(٣)] لفظ قديم معناه النار، وأطلقه قدماء الفرس والكلدانيون والآشوريون على كوكب المريخ لظنهم أنه من نار. ثم عبدوه في صورة عمود[(٤)].

ثانياً:دعوة ابراهيم لقومه:

قال تعالى : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٦ – ١٧]

فبدأ إبراهيم بدعوة القوم الى عبادة الله وحده وتقواه وان الخير فيما يدعوهم إليه ثم شرع في بيان حقيقة مايعبدون وعادهم بعد ذلك إلى عبادة الله وشكره، ويوضح إبراهيم حقيقةعبادة الأوثان بقوله:

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٤٦٩)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٢)

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس (١٠/ ٤٦) آزَرُ : (صَنَمٌ) كان تارَحُ أَبُو إبراهِيمَ عليه السلامُ سادِناً له ، كذا قالَهُ بعضُ المُفَسِّرين .

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٣)

١- إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً :

يخبرهم معرفا لهم بخطئهم فيقول ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً﴾ أي أصناماً وتماثيل وعبادة الأصنام والأوثان عبادة باطلة لا تجلب لكم نفعا ولا تدفع عنكم ضراً. إن الذي يجب أن يعبد الخالق الرازق الضار النافع المحيي المميت السميع البصير. أما الأوثان فلا شيء في عبادتها إلا الضلال واتباع الهوى. وقوله لهم ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾ أي وتصنعون كذبا تختلقونه اختلاقاً عندما تقولون في التماثيل والأصنام إنها آلهة.

أي أصناما قال أبو عبيدة : الصنم ما يتخذ من ذهب أو فضة أو نحاس والوثن ما يتخذ من جص أو حجارة الجوهري : "الوثن الصنم والجمع وثن وأوثان مثل أسد وآسا "وتخلقون إفكا قال الحسن : "معنى تخلقون تنحتون فالمعنى إنما تعبدون أوثانا وأنتم تصنعونها" وقال مجاهد : "الإفك الكذب والمعنى تعبدون الأوثان وتخلقون الكذب"[(١)] .

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا ﴾ أصناما ، ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾، تقولون كذبا ، قال مقاتل : تصنعون أصناما بأيديكم فتسمونها آلهة[(٢)] .

٢- ﴿الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً﴾:

يخبرهم عليه السلام معرفا لهم بحقيقة هم عنها غافلون وهي أن الذين يعبدونهم من دون الله لا يملكون لهم رزقاً لأنهم لا يقدرون على ذلك فما الفائدة إذاً من عبادتهم وما الحاجة الداعية إليها لولا الغفلة والجهل، ولما أبطل لهم عبادة الأصنام أرشدهم إلى عبادة الله الواحد القهار فقال ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ إن كنتم عبدتم الأصنام لذلك فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين فاطلبوا عنده الرزق فإنه مالكه والقادر على إعطائه ﴿ وَاعْبُدُوهُ ﴾ بالإيمان به وبرسوله وبتوحيده[(٣)] .

قال ابن باز –رحمه الله–: "فبيَن عليه الصلاة والسلام: أن العبادة حق الله، وأنه يجب أن يُتقى ويعبدَ سبحانه وتعالى، وأن الذي فعلوه إفك لا أساس له، وأن معبوداتهم لا تملك لهم رزقا أبداً، كما أنها لا تنفعهم ولا تضرهم، فهي أيضا لا تملك لهم رزقا، بل الله جل وعلا هو الرزاق،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٣٣٥)
(٢) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل (٦/ ١١٨)
(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٤/ ١١٨)

ولهذا قال: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧] فهو سبحانه الذي يعبَد، ويطلب الرزق منه[١]

قال ابن تيمية–رحمه الله–: "وإذا كانت إلهية ما سوى الله أمرًا مختلقًا يوجد في الذهن واللسان لا وجود له في الأعيان . هو من باب الكذب والاعتقاد الباطل الذي ليس بمطابق . وما عند عابديها من الحب والخوف والرجاء لها . تابع لذلك الاعتقاد الباطل . كمن اعتقد في شخص أنه صادق فصدقه فيما يقول، وبني على إخباره أعمالًا كثيرة . فلما تبين كذبه، ظهر فساد تلك الأعمال كأتباع مسيلمة،والأسود، وغيرهما من أصحاب الزوايا والتُّرهَات، وما يشرعونه لأتباعهم مما لم يأذن به الله، بخلاف الصادق والصدق[٢] .

دعوة إبراهيم بسيطة وواضحة:

فمن خلال الآيات الكريمة، نرى أن إبراهيم عليه السلام قد دعا قومه دعوة بسيطة واضحة، وهي مرتبة في عرضها ترتيباً دقيقاً يحسن أن يتملاه أصحاب الدعوة، لينسجوا على منواله في مخاطبة النفوس والقلوب.

١– فهو أولاً: بدأ ببيان حقيقة الدعوة التي يدعوهم إليها: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ .

٢– ثم أثنى بتحبيب هذه الحقيقة إليهم، وما تضمنته من الخير لهم، لو كانوا يعلمون أين يكون الخير ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

٣– وفي الخطوة الثالثة يبين لهم فساد ما هم عليه من العقيدة من عدة وجوه:

أ– إنهم يعبدون من دون الله أوثاناً، والوثن –التمثال من الخشب–

ب– إنهم بهذه العبادة لا يستندون إلى برهان أو دليل، وإنما يخلقون إفكاً وينشئون باطلاً من عند أنفسهم بلا أصل ولا قاعدة.

ج– إن هذه الأوثان لا تقدم لهم نفعاً، ولا ترزقهم شيئاً ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ .

---

(١) بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعا وبعث به خاتمهم محمدا عليه السلام (ص: ٦٠)

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير) (٤/ ٤٩٧)

٤- وفي الخطوة الرابعة يوجههم إلى الله ليطلبوا منه الرزق، الأمر الذي يهمهم ويمس حاجتهم ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ ، والرزق مشغلة النفوس، وبخاصة تلك التي لم يستغرقها الإيمان، ولكن ابتغاء الرزق من الله وحده حقيقة لا مجرد استثارة للميول الكامنة في النفوس.

وفي النهاية يهتف بهم إلى وهاب الأرزاق المتفضل بالنعم، ليعبدوه ويشكروه: ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ ، ويكشف لهم أنه لا مفر من الله، فمن الخير أن يتوبوا إليه مؤمنين عابدين شاكرين ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

٥- وأخيراً بين لهم أنهم إن كذبوا بعد ذلك فلن يضروا الله شيئاً، ولن يخسر رسوله شيئاً، فقد كذّب الكثيرون من قبل، وما على الرسول إلى واجب التبليغ[١] .

---

(١) ،منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام (١/ ٢٠٠- ٢٠١)

الفصل الثاني

أصناف المعبودات

التي واجهها إبراهيم عليه السلام

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : عبدة الكواكب .

المبحث الثاني: عبدة الأصنام .

المبحث الثالث : الحوار الدائر بين إبراهيم وعبدة الأصنام.

المبحث الرابع : مدعي الأولوهية الذي خاصم إبراهيم في توحيد ربه.

الفصل الثاني

أصناف المعبودات التي واجهها إبراهيم

فقد واجه الخليل أصنافاً عديدة تمثلت في عبادة الكواكب والنجوم وعبادة الأصنام والذي حاج إبراهيم في ربه ونهج معهم أسلوباً يتناسب معهم في إبطال ماهم عليه .

فقد استدرجهم عليه السلام حتى كشف لهم بطلان ما هم عليه من عبادة الكواكب من دون الله تعالى ، وهذه مهارة ودهاء وحكمة منه عليه السلام، إذ جعلهم بأنفسهم يقيمون الحجة على أنفسهم، ووضع أيديهم على مواطن الضعف منهم، وظهر لهم في موقف الباحث لئلا ينفروا منه، حتى أبطل حججهم، وأظهر باطلهم، وبعد ذلك أعلن لهم عقيدته الحقة، وبراءته منهم ومن شركهم، وولاءه وتوحيده لله تعالى وحده لا شريك له، وثقته به سبحانه، وعدم خوفه مما يشركون، وأن الخوف لهم وفيهم لشركهم بالله تعالى وعبادتهم غيره، وهذه القوة في الحجة والبلاغة في البرهان نعمة وفضل تفضل الله به خليله إبراهيم عليه السلام.

وفي هذا الموقف أقام إبراهيم عليه السلام الحجة بالغة على قومه، وقدم لهم الدليل الحسي المادي على بطلان عبادتهم لهذه الأصنام، وكيف أنها عجزت عن دفع الضر عن نفسها، فكيف يطمعون أن تدفع عنهم ضراً، أو تجلب لهم نفعاً، ويصرفون لها العبادة من دون الله تبارك وتعالى الذي يملك النفع والضر وحده لا شريك له، فهو المستحق للعبادة دون سواه.

ولكنهم مع ذلك كله أبوا إلا المكابرة والإصرار على الباطل رغم وضوح الحجة وظهور البرهان، وانكشاف بطلان عبادتهم، واستحكم الجهل في نفوسهم، وسيطر التعصب للباطل على عقولهم، وقرروا الانتقام من إبراهيم عليه السلام بإحراقه ولكن الله تعالى نجاه من كيدهم

وهكذا شأن الطغاة يظنون أنهم بتلبيسهم على بعض عوام الناس وجهلتهم قادرون على تحقيق مقاصدهم الشيطانية، وأطماعهم الفاسدة، كما فعل فرعون مع قومه، وكما هو شأن الطغاة في كل زمان ومكان، ولكنه ما إن تشرق شمس الحق ونوره، يتبدد ظلام باطلهم، وينهزم كبرياؤهم، وتدحض حجتهم ويفضح الله أمرهم[1]

---

(١) حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد (ص: ٨٤- ٩٠)

المبحث الأول

عبدة الكواكب

وقوم ابراهيم كانوا على قسمين منهم من يعبد الكواكب ومنهم من يعبد الأصنام

١-عبدة الكواكب والنجوم:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ ﴾ [الأنعام: ٧٥ – ٧٨]

أي كما أريناه الحق في بطلان عبادة أبيه للأصنام نريه أيضاً مظاهر قدرتنا وعلمنا وحكمنا الموجبة لألوهيتنا في ملك السموات والأرض، ليكون بذلك من جملة الموقنين، واليقين من أعلى مراتب الأيمان. هذا ما دلت عليه الآية الثانية وفي الثالثة فصّل الله تعالى ما أجمله في قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾

فقال تعالى: ﴿فلما جن عليه الليل﴾ أي أظلم ﴿رأى كوكبا﴾ قد يكون الزهرة ﴿قال هذا ربي فلما أفل﴾ أي غاب الكوكب ﴿قال لا أحب الآفلين﴾، ﴿فلما رأى القمر بازغاً﴾ أي طالعاً ﴿قال هذا ربي، فلما أفل﴾ أي غاب ﴿قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾، في معرفة ربهم الحق. ﴿فلما رأى الشمس بازغة﴾ أي طالعة ﴿قال هذا ربي هذا أكبر﴾يعني من الكوكب والقمر ﴿فلما أفلت﴾أي غابت بدخول الليل ﴿قال يا قوم إني بريء مما تشركون﴾.

هكذا واجه إبراهيم قومه عبدة الكواكب التي تمثلها أصنام منحوتة واجههم بالحقيقة التي أراد أن يصل إليها معهم وهي إبطال عبادة غير الله تعالى فقال﴿ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[الأنعام: ٧٩] لا كما توجهون أنتم وجوهكم لأصنام نحتموها بأيديكم وعبدتموها بأهوائكم لا بأمر ربكم، وأعلن براءته في وضوح وصراحة: فقال: ﴿وما أنا من المشركين﴾[1] .

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٢/ ٨١)

أ سلوب الانتقال في إبطال ألوهية الكوا كب:

وهذا تعريض بجهل قومه في عبادة الكواكب، قال قتادة: علم أن ربه دائم لا يزول.

ثم انتقل إبراهيم من إبطال ألوهية الكوكب إلى إبطال ألوهية القمر الأكثر إضاءة، فلما رآه بازغا طالعا قد عم ضوءه الكون، قال: هذا ربي، فلما غاب كذلك، كما غاب الكوكب في الليلة الماضية، قال إبراهيم مسمعا قومه: ما هذا أيضا بإله، ولئن لم يهدني ربي ويوفقني للإصابة الحق في توحيده، لأكوننّ من القوم الضالين، الذين اخطؤوا الطريق، فلم يصيبوا الهدى، وعبدوا غير الله.

وفي هذا تعريض قريب من التصريح بضلال قومه وتنبيه لهم على أن من اتخذ القمر إلها ضال أيضا، وإرشاد إلى توقف معرفة العقيدة على الوحي الإلهي، ثم صرح في المرة الثالثة بالبراءة من شرك قومه.

فلما رأى الشمس بازغة طالعة، وهي أعظم الكواكب المرئية لنا وأعمها نفعا وإضاءة، قال إبراهيم: هذا هو الآن ربي! هذا أكبر من الكواكب والقمر قدرا، وأعظم ضوءا ونورا، فهو أولى بالربوبية.

فلما غابت الشمس كما غاب غيرها، صرح إبراهيم بعقيدته، وتبرأ من شرك قومه، قائلا: أنا بريء من عبادة الكواكب وموالاتهن، إني توجهت في عبادتي لخالق الأرض والسماء ، وخالق هذه الكواكب، مائلا عن الضلال إلى الحق والدين القيم، دين التوحيد، ولست من زمرة المشركين الذي يتخذون مع الله إلها آخر، وإنما أعبد خالق هذه الأشياء ومدبرها الذي بيده ملكوت كل شيء،، وخالق كل شيء، وربه ومليكه وإلهه[١] .

المقام مقام نظر أو مناظرة:

وقد اختلف المفسرون في هذا المقام، هل هو مقام نظر أو مناظرة؟ فروى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ما يقتضي أنه مقام نظر، واختاره ابن جرير مستدلا بقوله: ﴿ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي [لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾

(١) التفسير المنير للزحيلي (٧/ ٢٦٣)

والحق أن إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، كان في هذا المقام مناظرا لقومه، مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية، التي هي على صورة الملائكة السماوية، ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته، ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر، وغير ذلك مما يحتاجون إليه.

وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل

وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة، وهي: القمر، وعطارد، والزهرة، والشمس، والمريخ، والمشترى، وزحل، وأشدهن إضاءة وأشرقهن عندهم الشمس، ثم القمر، ثم الزهرة. فبين أولا أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية؛ لأنها مسخرة مقدرة بسير معين، لا تزيغ عنه يمينًا ولا شمالا ولا تملك لنفسها تصرفا، بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة، لما له في ذلك من الحكم العظيمة، وهي تطلع من المشرق، ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه، ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال. ومثل هذه لا تصلح للإلهية. ثم انتقل إلى القمر. فبين فيه مثل ما بين في النجم.

ثم انتقل إلى الشمس كذلك. فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع، ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ أي: أنا بريء من عبادتهن وموالاتهن،[1] .

ومعنى الآيةِ الكريمةِ: أَتُحَاجُّونَنِي، أَتُجَادِلُونَنِي في اللَّهِ، وأني لا أعبدُه وحدَه، والحالُ قد هَدَانِي رَبِّي، وَشَرَحَ صَدْرِي بما أَوْحَى إِلَيَّ، وبما أَرَانِي من ملكوتِ السمواتِ والأرضِ حتى صرتُ من الْمُوقِنِينَ، أَبَعْدَ هذا من العلمِ واليقينِ الذي أَعْطَانِي اللَّهُ تُحَاجُّونَنِي وَتُجَادِلُونَنِي في اللَّهِ، في أنه المعبودُ وحدَه؟ هذا مما لا يكونُ ولا يصحُّ. ثم إنهم قالوا له على عادةِ الكفارِ: تَرَى أَنَّكَ عِبْتَ آلِهَتَنَا وأصنامَنا، وَعِبْتَهَا وكسرتَها، وقلتَ: إنها لا تنفعُ ولا تَضُرُّ. ترى أنها ستصيبُك ببرصٍ أو جُذَامٍ أو تُخَبِّلُكَ فَتُجَنِّنكَ !! وهذه عادةُ الكفارِ، يخوفونَ أنبياءَ اللَّهِ من أصنامِهم.

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩١-٢٩٢)

فأجابَهم إبراهيمُ قال لهم: ﴿وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ قال لهم: لا أخافُ ما تشركونَ به؛ لأنه لا ينفعُ ولا يَضُرُّ، ولا يُتَرَقَّبُ منه خوفٌ ولا نفعٌ، فلا أخافُه أَبَدًا [(١)].

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (١/ ٤٣٢)

المبحث الثاني

<u>عبدة الأصنام</u>

أقوال ابراهيم وردودقومه :

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾[الأنبياء: ٥١ - ٧٠]

هذه الآيات توضح مادار بين إبراهيم الخليل وقومه من أقوال وردود نوجزها كالتالي:

١-"ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون"؟ :

أي مقبلون عليها ملازمون لها فأجابوه بما أخبر تعالى به عنهم في قوله: ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ فأعلنوا عن جهلهم إذ لم يذكروا برهاناً على صحة أو فائدة عبادتها واكتفوا بالتقليد الأعمى وشأنهم في هذا شأن سائر من يعبد غير الله تعالى فإنه لا برهان له على صحة عبادة من يعبد إلا التقليد لمن رآه يعبده.(١) .

فكانت قولته هذه دليل رشده . . سمى تلك الأحجار والخشب باسمها : ﴿هذه التماثيل﴾ولم يقل : إنها آلهة ، واستنكر أن يعكفوا عليها بالعبادة .

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٣/ ٤٢١)

وكلمة﴿عاكفون ﴾ تفيد الانكباب الدائم المستمر . وهم لا يقضون وقتهم كله في عبادتها . ولكنهم يتعلقون بها . فهو عكوف معنوي لا زمني . وهو يسخف هذا التعلق ويبشعه بتصويرهم منكبين أبداً على هذه التماثيل!

فكان جوابهم وحجتهم أن﴿ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ !

وهو جواب يدل على التحجر العقلي والنفسي داخل قوالب التقليد الميتة ، في مقابل حرية الإيمان ، وانطلاقه للنظر والتدبر ، وتقويم الأشياء والأوضاع بقيمها الحقيقية لا التقليدية . فالإيمان بالله طلاقة وتحرر من القداسات الوهمية التقليدية ، والوراثات المتحجرة التي لا تقوم على دليل[1] .

٢- قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين:

فرد عليهم إبراهيم بما أخبر تعالى عنه في قوله ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي الذين قلدتموهم في عبادة الأصنام ﴿في ضلال﴾ أي عن الهدى الذي يجب أن تكونوا عليه﴿مبين﴾لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه، وردوا على إبراهيم قوله هذا فقالوا بما أخبر تعالى به عنهم ﴿ قالوا أجئتنا بالحق ﴾ أي فيما قلت لنا من أنَّا وآباءنا في ضلال مبين﴿أم أنت من اللاعبين﴾ أي في قولك الذي قلت لنا فلم تكن جاداً فيما تقول وإنما أنت لاعب لا غير[2] .

وقوله – سبحانه – : ﴿ قَالُواْ وَجَدْنَآ آبَآءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ حكاية لما قالوه فى ردهم على إبراهيم – عليه السلام – وهو رد يدل على تحجر عقولهم ، وانطماس بصائرهم حيث قلدوا فعل آبائهم بدون تدبر أو تفكر . أى : قالوا فى جوابهم على إبراهيم – عليه السلام – وجدنا آباءنا يعبدون هذه التماثيل فسرنا على طريقتهم .

وهنا يرد عليهم إبراهيم بقوله : ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ .

أى : لقد كنتم أنتم وآباؤكم الذين وجدتموهم يعبدون هذه الأصنام ، فى ضلال عجيب لا يقادر قدره ، وفى فساد ظاهر واضح لا يخفى أمره على عاقل ، لأن كل عاقل يعلم أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة أو التقديس أو العكوف عليها ، والباطل لا يصير حقا بفعل الآباء له[3] .

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ٢٣٨٥)
(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٣/ ٤٢١)
(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (٩/ ٢٢٢)

وما كانت عبادة الآباء لتكسب هذه التماثيل قيمة ليست لها ، ولا لتخلع عليها قداسة لا تستحقها . فالقيم لا تنبع من تقليد الآباء وتقديسهم ، إنما تنبع من التقويم المتحرر الطليق .

وعندما واجههم إبراهيم بهذه الطلاقة في التقدير ، وبهذه الصراحة في الحكم ، راحوا يسألون :

سؤال المزعزع العقيدة:

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾ ؟ . .

وهو سؤال المزعزع العقيدة ، الذي لا يطمئن إلى ما هو عليه ، لأنه لم يتدبره ولم يتحقق منه . ولكنه كذلك معطل الفكر والروح بتأثير الوهم والتقليد . فهو لا يدري اي الأقوال حق . والعبادة تقوم على اليقين لا على الوهم المزعزع الذي لا يستند إلى دليل! وهذا هو التيه الذي يخبط فيه من لا يدينون بعقيدة التوحيد الناصعة الواضحة المستقيمة في العقل والضمير .

فأما إبراهيم فهو مستيقن واثق عارف بربه ، متمثل له في خاطره وفكره ، يقولها كلمة المؤمن المطمئن لإيمانه[(1)] .

٣- قال بل ربكم رب السموات والأرض..

ورد إبراهيم عليهم بما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[الأنبياء: ٥٦] أي ليس ربكم تلك التماثيل بل ربكم الحق الذي يستحق عبادتكم الذي فطر السموات والأرض فأنشأهن خلقاً عجيباً من غير مثال سابق وأنا على كون ربكم رب السموات والأرض من الشاهدين إذ لا رب لكم غيره، ولا إله حق لكم سواه.[(2)] .

﴿وتالله﴾ قسماً به تعالى ﴿لأكيدن أصنامكم﴾ أي لأحتالن عليها فأكسرها ﴿بعد أن تولوا مدبرين ﴾ أي بعد أن ترجعوا عنها وتتركوها وحدها.

فعلاً لما خرجوا إلى عيد لهم يقضون يوماً خارج المدينة أتى تلك التماثيل فكسرها فجعلها قطعاً متناثرة هنا وهناك إلا صنماً كبيراً لهم تركه ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾ أي يرجعون إلى إبراهيم

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ٢٣٨٥)

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٣/ ٤٢٢)

فيعبدون معه ربّه سبحانه وتعالى عندما يتبيّن لهم بطلان عبادة الأصنام لأنها لم تستطع أن تدفع عن نفسها فكيف تدفع عن غيرها.

بآلهتنا : أي بأصنامهم التي سموها آلهة لأنهم يعبدونها ويؤلهونها.

وقال في سورة الصافات : ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظۡرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الصافات: ٨٣ - ٩٨]

لما ذكر تعالى قصة نوح مقررا بها نصرة أوليائه وخذلان أعدائه ذكر قصة أخرى هي قصة إبراهيم وهي أكبر موعظة لكفار قريش لأنهم ينتمون إلى إبراهيم ويدّعون أنهم على ملته وملة ولده إسماعيل فلذا أطال الحديث فيها فقال سبحانه و تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ أي وإن من أشياع نوح عليه الذين هم على ملته ومنهجه إبراهيم خليل الرحمن ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ أي إذ أتى ربّه بقلب سليم من الشرك والشك والالتفات إلى غير الرب تعالى في الوقت الذي قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون، منكراً عليهم عبادة الأصنام فلو كان في قلبه أدنى التفاتة إلى غيره طمعا أو خوفا ما أمكنه أن يقول الذي قال بل كان في تلك الساعة سليم القلب ليس فيه نظر لغير الله تعالى وقوله ﴿أإفكا آلهة دون الله تريدون﴾ أي أكذبا هو أسوأ الكذب تريدون آلهة غير الله حيث جعلتموها بكذبكم بألسنتكم آلهة وهي أحجار وأصنام [1].

إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك، ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم، فإنه كان قد أزف خروجهم إلى عيدهم، فأحب أن يختلي بآلهتهم ليكسرها، فقال لهم كلاما هو حق في نفس الأمر، فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه، ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾.

قال قتادة: والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم، يعني قتادة أنه نظر إلى السماء متفكرا فيما يلهيهم به، فقال: ﴿إني سقيم﴾ أي ضعيف،

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٤/ ٤١٥)

فأما قوله عليه السلام: "لم يكذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله تعالى، قوله: ﴿إني سقيم﴾، وقوله: ﴿ بل فعله كبيرهم هذا﴾، وقوله في سارة: (هي أختي) فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن[١]

ولكن ليس من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله حاشا وكلا؛ وإنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني كما جاء في الحديث: «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب» [٢].

قال ابن المسيب[٣]: رأى نجما طلع فقال: ﴿إني سقيم﴾ كابد نبي الله عن دينه ﴿فقال إني سقيم﴾، وقيل: أراد﴿إني سقيم﴾أي مريض القلب من عبادتكم الأوثان من دون الله تعالى .

وقال الحسن البصري: خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم فأرادوه على الخروج، فاضطجع على ظهره، وقال: ﴿إني سقيم﴾ وجعل ينظر في السماء، فلما خرجوا أقبل إلى آلهتهم فكسرها.

ولهذا قال تعالى: ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾، وقوله تعالى: ﴿فراغ إلى آلهتهم﴾ أي ذهب إليها بعد ما خرجوا في سرعة واختفاء، ﴿فقال ألا تأكلون﴾؟ وذلك أنهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعاما قربانا لتبرك لهم فيه[٤].

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١٥/ ١٣١) ٩٢٤١ وصحيح البخاري باب قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلا) [النساء: ١٢٥] (٤/ ١٤٠) ٣٣٥٨ صحيح مسلم باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم (٤/ ١٨٤٠) (٢٣٧١) لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات : ثنتين منهن في ذات الله قوله : { إني سقيم } و قوله : { بل فعله كبيرهم هذا } و بينما هو ذات يوم و سارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له : إن هاهنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال : من هذه ؟ قال : أختي فأتى سارة فقال : يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري و غيرك و إن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال : ادعي الله لي و لا أضرك فدعت الله فأطلق ثم تناولها ثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال : ادعي الله لي و لا أضرك فدعت فأطلق فدعا بعض حجبته فقال : إنك لم تأتني بإنسان ! إنما أتيتني بشيطان ! فأخدمها هاجر فأتته و هو قائم يصلي فأومأ بيده مهيا ؟ قالت : رد الله كيد الفاجر في نحره و أخدم هاجر عن أبي هريرة .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ٣٣٦) برقم (٢٠٨٤٢) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: ٢٧٥) برقم (١٩٠٤).

(٣) سعيد" بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، عن عمرو بن ميمون بن مهران عن أبيه قال قدمت المدينة فسألت عن أعلم أهل المدينة فدفعت إلى سعيد بن المسيب وقال ابن شهاب قال لي عبد الله بن ثعلبة بن أبي صعير إن كنت تريد هذا يعني الفقه فعليك بهذا الشيخ سعيد بن المسيب وقال قتادة ما رأيت أحدا قط أعلم بالحلال والحرام منه وقال محمد بن إسحاق عن مكحول طفت الأرض كلها في طلب العلم فما لقيت أعلم منه وقال العجلي كان رجلا صالحا فقيها وكان لا يأخذ العطاء وكانت له بضاعة يتجر بها في الزيت وقال أبو زرعة مدني قرشي ثقة إمام وقال أبو حاتم ليس في التابعين أنبل منه وهو أثبتهم في أبي هريرة قال الواقدي مات سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد وهو بن خمس وسبعين سنة تهذيب التهذيب (٤/ ٨٤- ٨٦)

(٤) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٥)

٤ -﴿قال اتعبدون ماتنحتون﴾:

فقال: أتعبدون من دون الله أصناما أنتم تصنعونها من حجر وعود، وتنحتونها بأيديكم؟ والله الذي خلقكم وخلق أعمالكم هو الأحق بالعبادة، وأجدر بالتعظيم، فكيف تعبدون غيره؟ وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ﴾ دليل على أن الله تعالى هو خالق أفعال العباد وهو مذهب أهل السنة، وهو أن الأفعال خلق لله عز وجل واكتساب للعباد[1].

أي أتعبدون أصناما أنتم تنحتونها بأيديكم تنجرونها. والنحت النجر والبري نحته ينحته بالكسر نحتا أي براه. والنحاتة البراية والمنحت ما ينحت به."

والله خلقكم وما تعملون"" ما" في موضع نصب أي وخلق ما تعملونه من الأصنام، يعني الخشب والحجارة وغيرهما، كقوله:" ﴿بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ [الأنبياء: ٥٦] وقيل: إن" ما" استفهام ومعناه التحقير لعملهم.

وقيل: هي نفي، والمعنى وما تعملون ذلك لكن الله خالقه. والأحسن أن تكون" ما" مع الفعل مصدرا، والتقدير والله خلقكم وعملكم .

وهذا مذهب أهل السنة: أن الأفعال خلق لله عز وجل واكتساب للعباد. وفي هذا إبطال مذاهب القدرية والجبرية[2] .

﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ يحتمل أن تكون "ما" مصدرية، فيكون الكلام: خلقكم وعملكم، ويحتمل أن تكون بمعنى "الذي" تقديره والله خلقكم والذي تعملونه، وكلا القولين متلازم، والأول أظهر، لما رواه البخاري عن حذيفة[3] رضي الله عنه مرفوعا قال:

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي (٣/ ٢١٧٩)

(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٩٦)

(٣) حذيفة بن اليمان(٠٠٠ - ٣٦ هـ = ٠٠٠ - ٦٥٦ م) حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، أبو عبد الله، واليمان لقب حسل: صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين. كان صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره. ولما ولي عمر سأله: أفي عمالي أحد من المنافقين ؟ فقال: نعم، واحد. قال: من هو ؟ قال: لاأذكره. وحدث حذيفة بهذا الحديث بعد حين فقال: وقد عزله عمر كأنما دل عليه، وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة، فان حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر، وإلا لم يصل عليه. وولاه عمر على المدائن (بفارس) وكانت عادته إذا استعمل عاملا كتب في عهده (وقد بعثت فلانا وأمرته بكذا) فلما استعمل حذيفة كتب في عهده (اسمعوا له وأطيعوه، وأعطوه ما سألكم) الأعلام للزركلي (٢/ ١٧١)

«إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعته»[1] فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهر فقالوا: ﴿ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم﴾، وكان من أمرهم ما تقدم بيانه

فساد قول عبدة الأصنام :

قال الفخر الرازي :"اشتمل كلام إبراهيم عليه السلام في هذه الآية على ذكر الحجة العقلية على فساد قول عبدة الأصنام من وجهين :

- الأول : أن قوله : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ يدل على أنهم كانوا يقولون بكثرة الآلهة ؛ إلا أن القول بكثرة الآلهة باطل بالدليل العقلي الذي فهم من قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾

- والثاني : أن هذه الأصنام لو حصلت لها قدرة على الخير والشر لكان الصنم الواحد كافياً ، فلما لم يكن الواحد كافياً دل ذلك على أنها وإن كثرت فلا نفع فيها البتة.[2]

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٦) ٥٧٠ المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي الناشر: مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م قال الألباني أخرجه البخاري في " خلق أفعال العباد " (ص ٧٣) وابن أبي عاصم في " السنة "(٣٥٧ و ٣٥٨) وابن منده في " التوحيد " (ق ٣٩ / ٢) وابن عدي (٢٦٣ / ٢) والحاكم (١ / ٣١) وكذا المحاملي في " الأمالي " (ج ٦ رقم ١٣) والديلمي (١ / ٢ / ٢٢٨) من طرق عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة مرفوعا به. وقال الحاكم: " صحيح على شرط مسلم ". ووافقه الذهبي، وهو كما قالا سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ١٨١)

(٢) تفسير الفخر الرازى (ص: ١٨١٢)

المبحث الثالث

الحوار الدائر بين إبراهيم وعبدة الأصنام

ما زال السياق الكريم فيما دار بين إبراهيم الخليل وقومه من حوار حول العقيدة انه لما استغل إبراهيم فرصة خروج القوم إلى عيدهم خارج البلد ودخل البهو فكسر الآلهة فجعلها قطعاً متناثرة وعلق الفأس بكبير الآلهة المزعومة وعظيمها وخرج فلما جاء المساء وعادوا إلى البلد ذهبوا إلى الآلهة المزعومة لأخذ الطعام الموضوع بين يديها لتباركه في زعمهم واعتقادهم الباطل وجدوها مهشمة مكسرة صاحوا قائلين: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٥٩]

فأجاب بعضهم بعضاً قائلاً: {سمعنا فتى يذكرهم} أي شاباً يذكر الآلهة بعيب وازدراء، واسمه إبراهيم، وهنا قالوا إذاً {فأتوا به على أعين الناس} لنشاهده ونحقق معه فإذا ثبت أنه هو عاقبناه وتشهد الناس عقوبته فيكون ذلك نكالاً لغيره، وجاءوا به عليه السلام وأخذوا في استنطاقه[1]

١- قال بل فعله كبيرهم:

فقالوا ما أخبر تعالى به عنهم: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾[الأنبياء: ٦٢]

أي التكسير والتحطيم {يا إبراهيم}؟ فأجابهم بما أخبر تعالى به عنه بقوله: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء: ٦٣] يشير بإصبعه إلى كبير الآلهة تورية،﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾[الأنبياء: ٦٣] تقريعاً لهم وتوبيخاً وهنا رجعوا إلى أنفسهم باللائمة فقالوا:﴿ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٤] أي حيث تألهون مالا ينطق ولا يجيب ولا يدفع عن نفسه فكيف عن غيره، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾[الأنبياء: ٦٥] أي قلبهم الله رأساً على عقب فبعد أن عرفوا الحق ولاموا على أنفسهم عادوا إلى الجدال بالباطل فقالوا: {لقد علمت} أي يا إبراهيم ما {هؤلاء ينطقون } فكيف تطلب منا أن نسألهم وأنت تعلم أنهم لا ينطقون. كما أن اعترافهم بعدم نطق الآلهة المدعاة إنتكاس منهم إذ اعترفوا ببطلان تلك الآلهة.[2] .

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٣/ ٤٢٢-٤٢٤)

(٢) المصدر السابق نفسه (٣/ ٤٢٢-٤٢٤)

ثم يعلن إبراهيم لمن كان يواجههم من قومه بهذا الحوار . أنه قد اعتزم في شأن آلهتهم أمراً لا رجعة فيه : ﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ﴾ .

٢- كيده للأصنام وجعلها جذاذاً بعد ذهاب القوم:

ويترك ما اعتزمه من الكيد للأصنام مبهماً لا يفصح عنه . . ولا يذكر السياق كيف ردوا عليه . ولعلهم كانوا مطمئنين إلى أنه لن يستطيع لآلهتهم كيدا . فتركوه!

﴿ فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون ﴾ . .

وتحولت الآلهة المعبودة إلى قطع صغيرة من الحجارة والأخشاب المهشمة . . إلا كبير الأصنام فقد تركه إبراهيم ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾ فيسألونه كيف وقعت الواقعة وهو حاضر فلم يدفع عن صغار الآلهة! لعلهم حينئذ يراجعون القضية كلها ، فيرجعون إلى صوابهم ، ويدركون منه ما في عبادة هذه الأصنام من سخف وتهافت [(١)].

وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الصافات: ٨٣ - ٩٨]

قال السدي: دخل إبراهيم عليه السلام إلى بيت الآلهة، فإذا هم في بهو عظيم، وإذا مستقبل باب البهو صنم عظيم، إلى جنبه أصغر منه، بعضها إلى جنب بعضن كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاما ووضعوه بين أيدي الآلهة، وقالوا: إذا كان حين نرجع وقد بركت الآلهة في طعامنا أكلناه، فلما نظر إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى ما بين أيديهم من الطعام قال: فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[الصافات: ٩١ – ٩٢]

، وقوله تعالى: فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾[الصافات: ٩٣]

قال الفراء: معناه مال عليهم ضربا باليمين،

وقال قتادة والجوهري: فأقبل عليهم ضربا باليمين؛ وإنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى، ولهذا تركهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون، كما تقدم في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تفسير ذلك. وقوله تعالى ههنا:

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ٢٣٨٦)

﴿ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾[الصافات: ٩٤] قال مجاهد: أي يسرعون، فلما جاءوا ليعاتبوه أخذ في تأنيبهم وعيبهم فقال: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥] ؟ أي أتعبدون من دون الله من الأصنام ما أنتم تنحونها وتجعلونها بأيديكم؟ (١) .

٣- مصيبة القوم بما حل بالهتهم:

وعاد القوم ليروا آلهتهم جذاذاً إلا ذلك الكبير! ولكنهم لم يرجعوا إليه يسألونه ولا إلى أنفسهم يسألونها : إن كانت هذه آلهة فكيف وقع لها ما وقع دون أن تدفع عن أنفسها شيئاً . وهذا كبيرها كيف لم يدفع عنها؟ لم يسألوا أنفسهم هذا السؤال ، لأن الخرافة قد عطلت عقولهم عن التفكير ، ولأن التقليد قد غل أفكارهم عن التأمل والتدبر . فإذا هم يدعون هذا السؤال الطبيعي لينتقموا على من حطم آلهتهم ، وصنع بها هذا الصنيع :

﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنبياء: ٥٩] . .

عندئذ تذكر الذين سمعوا إبراهيم ينكر على أبيه ومن معه عبادة هذه التماثيل ، ويتوعدهم أن يكيد لآلهتهم بعد انصرافهم عنها!

﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء: ٦٠] . .

ويبدو من هذا أن إبراهيم عليه السلام كان شاباً صغير السن ، حينما آتاه الله رشده ، فاستنكر عبادة الأصنام وحطمها هذا التحطيم . ولكن أكان قد أوحي إليه بالرسالة في ذلك الحين؟ أم هو إلهام هداه إلى الحق قبل الرسالة . فدعا إليه أباه ، واستنكر على قومه ما هم فيه؟ .

هذا هو الأرجح . . (٢).

٤- عبادة ما لا ينفع و لا يضر:

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾[الأنبياء: ٦٦]

أي أتعبدون آلهة دون الله علمتم أنها لا تنفعكم شيئاً ولا تضركم ولا تنطق إذا استنطقت ولا تجيب إذا سئلت ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[الأنبياء: ٦٧] أي قبحاً لكم ولتلك التماثيل التي تعبدون من دون الله الخالق الرازق الضار النافع {أفلا تعقلون } قبح

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٥)
(٢) في ظلال القرآن (٣/ ٢٣٨٦)

عبادتها وباطل تأليهها وير جماد لا تسمع ولا تنطق ولا تنفع ولا تضر وهنا أجابوا بما أخبر تعالى به عنهم فقالوا: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ (٧٠) ﴾[الأنبياء: ٦٨ - ٧٠]

﴿حرقوه ﴾ أي أحرقوا إبراهيم بالنار ﴿وانصروا آلهتكم﴾ التي أهانها وكسرها ﴿إن كنتم فاعلين﴾ أي مريدين نصرتها حقاً وصدقاً. ونفذوا ما أجمعوا عليه وجمعوا الحطب وأججوا النار في بنيان خاص وألقوه فيه بواسطة منجنيق لقوة لهبها وشدة حرها

وقال تعالى للنار ما أخبر به في قوله: ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فكانت كما طلب منها ولم تحرق غير وثاقه الحبل الذي شدت به يداه، ورجلاه ولو لم يقل وسلاماً لكان من الجائز أن تنقلب النار جبلاً من ثلج ويهلك به إبراهيم عليه السلام.

روى أن والد إبراهيم لما رأى إبراهيم لم تحرقه النار وهو يتفصد عرقاً قال: نعم الرب ربك يا إبراهيم! وقوله تعالى:﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾[الأنبياء: ٧٠] أي أرادوا بإبراهيم مكراً وهو إحراقه بالنار فخيَّب الله مسعاهم وأنجى عبده وخليله من النار وأحبط عليهم ما كانوا يأملون فخسروا في كل أعمالهم التي أرادوا بها إهلاك إبراهيم، [١] .

٥- إصرار القوم على الباطل بعد ان صارت جذاذاً:

إبراهيم أول من حاج الوثنيين بالأدلة وأول من قاوم الوثنية بقوة يده فجعل الأوثان جذاذاً[٢] .

فهم ما يزالون يصرون على أنها آلهة وهي جذاذ مهشمة . فأما إبراهيم فهو يتهكم بهم ويسخر منهم ، وهو فرد وحده وهم كثير . ذلك أنه ينظر بعقلة المفتوح وقلبه الواصل فلا يملك إلا أن يهزأ بهم ويسخر ، وأن يجيبهم إجابة تناسب هذا المستوى العقلي الدون : ﴿ قال : بل فعله كبيرهم هذا . فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ .

والتهكم واضح في هذا الجواب الساخر . فلا داعي لتسمية هذه كذبة من إبراهيم عليه السلام والبحث عن تعليلها بشتى العلل التي اختلف عليها المفسرون . فالأمر أيسر من هذا بكثير! إنما أراد أن يقول لهم : إن هذه التماثيل لا تدري من حطمها إن كنت أنا أم هذا الصنم الكبير

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٣/ ٤٢٦)
(٢) التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية (٢/ ٣٢)

الذي لا يملك مثلها حراكاً . فهي جماد لا إدراك له أصلاً . وأنتم كذلك مثلها مسلوبو الإدراك لا تميزون بين الجائز والمستحيل . فلا تعرفون إن كنت أنا الذي حطمتها ام إن هذا التمثال هو الذي حطمها! ﴿ فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ !

ويبدو أن هذا التهكم الساخر قد هزهم هزاً ، وردهم إلى شيء من التدبر والتفكر : ﴿ فرجعوا إلى أنفسهم ، فقالوا : إنكم أنتم الظالمون ﴾ . .

وكانت بادرة خير أن يستشعروا ما في موقفهم من سخف ، وما في عبادتهم لهذه التماثيل من ظلم . وأن تتفتح بصيرتهم لأول مرة فيتدبروا ذلك السخف الذي يأخذون به أنفسهم ، وذلك الظلم الذي هم فيه سادرون . ولكنها لم تكن إلا ومضة واحدة أعقبها الظلام ، وإلا خفقة واحدة عادت بعدها قلوبهم إلى الخمود[١] .

٦- الإنتكاسة بعد التحقق والبيان:

﴿ ثم نكسوا على رؤوسهم . لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾! وحقاً لقد كانت الأولى رجعة إلى النفوس ، وكانت الثانية نكسة على الرؤوس؛ كما يقول التعبير القرآني المصور العجيب . . كانت الأولى حركة في النفس للنظر والتدبر . أما الثانية فكانت انقلاباً على الرأس فلا عقل ولا تفكير وإلا فإن قولهم هذا الأخير هو الحجة عليهم .

وأية حجة لإبراهيم أقوى من أن هؤلاء لا ينطقون؟!

ومن ثم يجبههم بعنف على غير عادته وهو الصبور الحليم . لأن السخف هنا يجاوز صبر الحليم قال : ﴿أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم؟ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾؟! }

وهي قولة يظهر فيها ضيق الصدر ، وغيظ النفس ، والعجب من السخف الذي يتجاوز كل مألوف عند ذلك أخذتهم العزة بالإثم كما تأخذ الطغاة دائماً حين يفقدون الحجة ويعوزهم الدليل ، فيلجأون إلى القوة الغاشمة والعذاب الغليظ [٢].

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ٢٣٨٦-٢٣٨٧)
(٢) في ظلال القرآن (٣/ ٢٣٨٧)

٧- الكبر والعناد بعد قيام البرهان يولد الطغيان:

﴿قالوا حرِّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ﴾ .

قول تعالى مخبرا عن قوم إبراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم، ودفعهم الحق بالباطل: أنه ما كان لهم جواب بعد مقالة إبراهيم هذه المشتملة على الهدى والبيان، ﴿إِلا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾، وذلك لأنهم قام عليهم البرهان، وتوجهت عليهم الحجة، فعدلوا إلى استعمال جاههم وقوة ملكهم(١) .

فيا لها من آلهة ينصرها عبادها ، وهي لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضراً؛ ولا تحاول لها ولا لعبادها نصراً!

﴿ قالوا : حرِّقوه﴾ولكن كلمة أخرى قد قيلت . . فأبطلت كل قول ، وأحبطت كل كيد . ذلك أنها الكلمة العليا التي لا ترد :

﴿ قلنا : يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾. .

فكانت برداً وسلاماً على إبراهيم . . كيف؟

ولماذا نسأل عن هذه وحدها . و { كوني } هذه هي الكلمة التي تكون بها أكوان ، وتنشأ بها عوالم ، وتخلق بها نواميس :﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ﴾ .

فلا نسأل : كيف لم تحرق النار إبراهيم ، والمشهود المعروف أن النار تحرق الأجسام الحية؟ فالذي قال للنار : كوني حارقة . هو الذي قال لها : كوني برداً وسلاماً . وهي الكلمة الواحدة التي تنشئ مدلولها عند قولها كيفما كان هذا المدلول . مألوفاً للبشر أو غير مألوف(٢) .

المودة على حساب الحق والعقيدة:

﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٥ ﴾[العنكبوت: ٢٥]

وقال إبراهيم لقومه: يا قوم إنما عبدتم من دون الله آلهة باطلة، اتخذتموها مودة بينكم في الحياة الدنيا، تتحابون على عبادتها،

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧١)

(٢) في ظلال القرآن (٥/ ١٦٣)

وتتوادون على خدمتها، ثم يوم القيامة، يتبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضكم بعضًا، ومصيركم جميعًا النار، وليس لكم ناصر يمنعكم من دخولها [١].

مودة بينكم في الحياة الدنيا أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم[٢] .

أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم[٣] .

إنه يقول لهم : إنكم اتخذتم الأوثان من دون الله ، لا اعتقاداً واقتناعاً بأحقية هذه العبادة؛ إنما يجامل بعضكم بعضاً ، ويوافق بعضكم بعضاً ، على هذه العبادة؛ ولا يريد الصاحب أن يترك عبادة صاحبه حين يظهر الحق له استبقاء لما بينكم من مودة على حساب الحق والعقيدة! وإن هذا ليقع في الجماعات التي لا تأخذ العقيدة مأخذ الجد ، فيسترضي الصاحب صاحبه على حساب العقيدة؛ ويرى أمرها أهون من أن يخالف عليه صديقه! وهي الجد كل الجد . الجد الذي لا يقبل تهاوناً ولا استرخاء ولا استرضاء[٤] .

براءة ابراهيم من ابيه وقومه:

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨]

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام قال لأبيه وقومه: إنه براء أي بريء، من جميع معبوداتهم التي يعبدونها، من دون الله أي يعني أنه بريء من عبادة كل معبود، إلا المعبود الذي خلقه وأوجده فهو وحده معبوده[5].

---

(١) المصحف الميسر (٢/ ٢٨٣)
(٢) تفسير أبي السعود (٧/ ٣٦)
(٣) تفسير الألوسي (١٥/ ٢٦٠)
(٤) في ظلال القرآن (٦/ ٢٧٣٢)
(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤٦/ ٣٣)

الأسوة الحسنة للمؤمنيين في إبراهيم:

قال ابن كثير :يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم:

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾[الممتحنة: ٤] أي: وأتباعه الذين آمنوا معه ﴿ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ ﴾ أي: تبرأنا منكم ﴿ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ أي: بدينكم وطريقكم، ﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا ﴾ يعني: وقد شُرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمتم على كفركم فنحن أبدًا نتبرأ منكم ونبغضكم ﴿ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ أي: إلى أن تُوحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأنداد والأوثان[١] .

قد كانت لكم-أيها المؤمنون- قدوة حسنة في إبراهيم عليه السلام والذين معه من المؤمنين، حين قالوا لقومهم الكافرين بالله: إنا بريئون منكم وممَّا تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد، كفرنا بكم، وأنكرنا ما أنتم عليه من الكفر، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا ما دمتم على كفركم، حتى تؤمنوا بالله وحده[٢] .

قال ابو السعود:"ومما تعبدون من دون الله من الأصنام كفرنا بكم أى بدينكم أو بمعبودكم أو بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا أى هذا دأبنا معكم لا نتركه حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة[٣]

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾[الممتحنة: ٤] قال الطبري:وقوله:﴿ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ يقول: حين قالوا لقومهم الذين كفروا

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٧)
(٢) التفسير الميسر (١٠/ ١٠٤)
(٣) تفسير أبي السعود (٨/ ٢٣٧)

بالله، وعبدوا الطاغوت: أيها القوم إنا برآء منكم، ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد.

وقوله: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[الممتحنة: ٤] يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل أنبيائه لقومهم الكفرة: كفرنا بكم، أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقًّا، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا على كفركم بالله، وعبادتكم ما سواه، ولا صلح بيننا ولا هوادة، حتى تؤمنوا بالله وحده، يقول: حتى تصدّقوا بالله وحده، فتوحدوه، وتفردوه بالعبادة.(١) .

المفاصلة الحاسمة الجازمة:

قال سيد قطب :"فهي البراءة من القوم ومعبوداتهم وعباداتهم . وهو الكفر بهم والإيمان بالله . وهي العداوة والبغضاء لا تنقطع حتى يؤمن القوم بالله وحده . وهي المفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقي شيئاً من الوشائج والأواصر بعد انقطاع وشيجة العقيدة وآصرة الإيمان . وفي هذا الفصل الخطاب في مثل هذه التجربة التي يمر بها المؤمن في أي جيل . وفي قرار إبراهيم والذين معه أسوة لخلفائهم من المسلمين إلى يوم الدين"(٢) .

قال صديق حسن خان في قوله تعالى: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[الممتحنة: ٤]

﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ﴾ أي من دينكم جمع بريء ..

﴿ومما تعبدون من دون الله﴾ وهي الأصنام ﴿كفرنا بكم﴾ أي بما آمنتم به من الأوثان أو بدينكم أو بأفعالكم أي لا نعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم ﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة﴾ بالأفعال ﴿والبغضاء﴾

بالقلوب ﴿أبداً﴾ أي هذا دأبنا معكم ما دمتم على كفركم ﴿حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك(٣) .

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٣١٧)
(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٤٢)
(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٤/ ٧٨)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨]

فهذه الكلمة هي كلمة الإخلاص لله وهي البراءة من كل معبود إلا من الخالق الذي فطرنا كما قال صاحب ياسين ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يس: ٢٢ - ٢٣]

وقال تعالى في قصته بعد أن ذكر ما يبين ضلال من اتخذ بعض الكواكب ربا يعبده من دون الله قال﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[الأنعام: ٧٨ - ٧٩] فلما أفلت قال يا قوم إني بريئ مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين"(١) .

---

(١) أمراض القلوب وشفاؤها (ص: ٦١) أحمد بن تيمية سنة الولادة ٦٦١/ سنة الوفاة ٧٢٨ تحقيق الناشر المطبعة السلفية مكان النشر القاهرة سنة النشر ١٣٩٩ هـ

المبحث الرابع

مدعى الأولوهية الذي خاصم إبراهيم فى توحيد ربه

مشروعية المناظرة :

قرر شيخ الإسلام مشروعية المناظرة وأهميتها، وبيّن أن ذلك حال السلف السابقين، فقال: "وأما جنس المناظرة بالحق فقد تكون واجبة تارة، ومستحبة أخرى".[(١)] .

وإن المناظرة قد تكون ممنوعة إن كان المناظر ضعيف العلم أو معانداً.

– ما تحلى به شيخ الإسلام في تلك المناظرات – وكذا سائر مواقفه العلمية والعملية – من عدل وإنصاف لمخالفيه، وكما شهد بذلك خصومه، ولعل عدله كان سبباً في إفحام مخالفيه، واعترافهم بما معه من الحق.

ويشهد لذلك قوله – رحمه الله – " إن الإنسان إذا اتبع العدل نُصر على خصمه، وإذا خرج عنه طمع فيه خصمه" .

وتحقيقاً لكمال العدل فإن ابن تيمية يتنزل مع مناظريه – كما سبق في مناظرته للنصارى والاتحادية – وكان يقول: "التنزل في المناظرات من تمام الإنصاف، ومن الداعي للنظر في الأدلة والبراهين المرجحة، وفيه دعوة لطيفة لأهل الانحراف، كما هو معروف بالتأمل "

– مع ما في هذه المناظرات من صدع بالحق، وإزهاق للباطل، وفضح للمنافقين، ومباهلة إلا إنها لا تنفك عن رحمة بالمخالف، ومحبة الخير لهم، والترفق بهم من أجل هدايتهم، ومراعاة عوارض الأهلية كالجهل والتأويل ونحوهما.

– إن ما يورده شيخ الإسلام من تقرير وتأصيل – تبعه – في تلك المناظرات – بالتطبيق والتحقيق، فإذا كان بابن تيمية يقرر – مثلاً – أن أهل السنة يعلمون الحق، ويرحمون الخلق، فقد حقق ذلك والتزمه في تلك المناظرات[(٢)] .

والحجة في كلام العرب ما يقصد به إثبات المخالف ، بحيث لا يجد منه تفصياً ، ولذلك يقال للذي غلَب مخالفه بحجته قد حَجَّه ، وأما الاحتجاج فهو إتيان المحتج بما يظنه حجة ولو مغالطة يقال احتج ويقال حَاجَّ إذا أتى بما يظنه حجة قال تعالى :

---

(١) مناظرات ابن تيمية لأهل الملل والنحل (ص: ٣)
(٢) نفس المصدر (ص:٤٤ -٤٥)

﴿ أَلَمۡ تَـرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] ، فالحجة لا تطلق حقيقة إلاّ على البرهان والدليل الناهض المبكت للمخالف ، وأما إطلاقها على الشبهة فمجاز لأنها تُورَد في صورة الحجة ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ [الشورى : ١٦][(١)] .

قصة الذي خاصم إبراهيم في توحيد ربه :

قال السمرقندي[(٢)] :﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه﴾ يقول ألم تخبر قصة الذي خاصم إبراهيم في توحيد ربه﴿أن آتاه الله الملك ﴾ وهو نمروذ بن كنعان وهو أول من ملك الدنيا كلها وكانوا خرجوا إلى عيد لهم فدخل إبراهيم عليه السلام على أصنامهم فكسرها فلما رجعوا قال لهم أتعبدون ما تنحتون فقالوا له من تعبد أنت قال أعبد ربي الذي يحيي ويميت وقال بعضهم كان نمروذ يحتكر الطعام وكانوا إذا احتاجوا إلى الطعام كانوا يشترون منه فإذا دخلوا عليه سجدوا له فدخل عليه إبراهيم فلم يسجد له فقال له نمروذ ما لك لم تسجد لي فقال أنا لا أسجد إلا لربي فقال له نمروذ من ربك فقال له إبراهيم ﴿ ربي الذي يحيي ويميت﴾ قال له نمروذ " أنا أحيي وأميت " قال إبراهيم كيف تحيي وتميت فجاءه برجلين فقتل أحدهما وخلى سبيل الآخر ثم قال قد أمت أحدهما وأحييت الآخر " قال " له " إبراهيم " إنك أحييت الحي ولم تحيي الميت وإن ربي يحيي الميت فخشي إبراهيم أن يلبس نمروذ على قومه فيظنون أنه أحيا الميت كما وصف لهم نمروذ فجاءه بحجة أظهر من ذلك

قال إبراهيم " فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب " فإن قيل لم يثبت إبراهيم على الحجة الأولى وانتقل إلى حجة أخرى والانتقال في المناظرة من حجة إلى حجة غير محمود قيل له الانتقال على ضربين انتقال محمود إذا كان بعد الإلزام وانتقال مذموم إذا كان قبل الإلزام وإبراهيم عليه السلام انتقل بعد الإلزام لأنه قد بين له فساد قوله حيث قال إنك

---

(١) التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية (٢/ ٤٦)

(٢) السمرقندي [... - ٨٦٠ هـ / ... - ١٤٥٦ م] علي بن يحيى السمرقندي، ثم القرماني، علاء الدين: فقيه حنفي، مفسر، منطقي، أصله من سمرقند، إستوطنا لارندة من بلاد قرمان، وتوفي بها. من كتبه "بحر العلوم في تفسير القرآن" في أربع مجلدات، وصل فيه إلى سورة المجادلة. قال صاحب كشف الظنون: "وهو كتاب كبير فيه فوائد جليلة انتخبها من كتب التفاسير وأضاف إليها فوائد من عنده بعبارات فصيحة" معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (١/ ٣٩٠) المؤلف: عادل نويهض قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت ـ لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م

قد أحييت الحي ولم تحيي الميت وجواب آخر إن قصد إبراهيم عليه السلام لم يكن للمناظرة وإنما كان قصده إظهار الحجة فترك مناظرته في الإحياء والإماتة على ترك الإطالة وأخذ بالاحتجاج بالحجة المسكتة ولأن الكافر هو الذي ترك حد النظر حيث لم يسأل عما قال له إبراهيم ولكنه اشتغل بالجواب عن ذات نفسه حيث قال أنا أحيي وأميت

وقوله عز وجل " فبهت الذي كفر " يعني انقطع وسكت متحيرا يقال بهت الرجل إذا تحير " والله لا يهدي القوم الظالمين " يعني لا يرشدهم إلى الحجة والبيان(١) .

المحاجة من بطر الملك وطغيانه:

قال البغوي :قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾[البقرة: ٢٥٨]

معناه هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي حاج إبراهيم أي خاصم وجادل، وهو نمرود وهو أول من وضع التاج على رأسه، وتجبر في الأرض وادعى الربوبية؟ ﴿ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ أي لأن آتاه الله الملك فطغى أي كانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه، قال مجاهد: ملك الأرض أربعة، مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان وذو القرنين، وأما الكافران فنمرود وبختنصر.[٢]

قال السعدي: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾ أي: إلى جرائته وتجاهله وعناده ومحاجته فيما لا يقبل التشكيك، وما حمله على ذلك إلا ﴿ أن آتاه الله الملك ﴾ فطغى وبغى ورأى نفسه مترئسا على رعيته، فحمله ذلك على أن حاج إبراهيم في ربوبية الله فزعم أنه يفعل كما يفعل الله، فقال إبراهيم ﴿ ربي الذي يحيي ويميت ﴾ أي: هو المنفرد بأنواع التصرف، وخص منه الإحياء والإماتة لكونهما أعظم أنواع التدابير، ولأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة، فقال ذلك المحاج: ﴿ أنا أحيي وأميت ﴾ ولم يقل أنا الذي أحيي وأميت، لأنه لم يدع الاستقلال بالتصرف، وإنما زعم أنه يفعل كفعل الله ويصنع صنعه، فزعم أنه يقتل شخصا فيكون قد أماته، ويستبقي شخصا فيكون قد أحياه، فلما رآه إبراهيم يغالط في مجادلته ويتكلم بشيء لا يصلح أن يكون شبهة فضلا عن كونه حجة، اطرد

---

(١) تفسير السمرقندي (بحر العلوم) (١/ ١٩٦) المؤلف : أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي تحقيق: د.محمود مطرجي، دار النشر : دار الفكر - بيروت .
(٢) تفسير البغوي (١/ ٣١٥).

معه في الدليل فقال إبراهيم: ﴿ فإن الله يأتي بالشمس من المشرق ﴾ أي: عيانا يقر به كل أحد حتى ذلك الكافر ﴿ فأت بها من المغرب ﴾وهذا إلزام له بطرد دليله إن كان صادقا في دعواه، فلما قال له أمرا لا قوة له في شبهة تشوش دليله، ولا قادحا يقدح في سبيله ﴿ فبهت الذي كفر ﴾ أي: تحير فلم يرجع إليه جوابا وانقطعت حجته وسقطت شبهته، وهذه حالة المبطل المعاند الذي يريد أن يقاوم الحق ويغالبه، فإنه مغلوب مقهور، فلذلك قال تعالى: ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ بل يبقيهم على كفرهم وضلالهم، وهم الذين اختاروا لأنفسهم ذلك، وإلا فلو كان قصدهم الحق والهداية لهداهم إليه ويسر لهم أسباب الوصول إليه، ففي هذه الآية برهان قاطع على تفرد الرب بالخلق والتدبير، ويلزم من ذلك أن يفرد بالعبادة والإنابة والتوكل عليه في جميع الأحوال،[١] .

قال ابن القيم –رحمه الله–: وفي هذه المناظرة نكتة لطيفة جدا، وهي أن شرك العالم إنما هو مستند إلى عبادة الكواكب والقبور، ثم صورت الأصنام على صورها، فتضمن الدليلان اللذان استدل بهما إبراهيم إبطال إلهية تلك جملة بأن الله وحده هو الذي يحيي ويميت، ولا يصلح الحي الذي يموت للإلهية لا في حال حياته ولا بعد موته، فإن له ربا قادرا قاهرا متصرفا فيه إحياء وإماتة، ومن كان كذلك فكيف يكون إلها حتى يتخذ الصنم على صورته، ويعبد من دونه، وكذلك الكواكب أظهرها وأكبرها للحس هذه الشمس وهي مربوبة مدبرة مسخرة، لا تصرف لها بنفسها بوجه ما، بل ربها وخالقها سبحانه يأتي بها من مشرقها فتنقاد لأمره ومشيئته، فهي مربوبة مسخرة مدبرة، لا إله يعبد من دون الله. "من مفتاح دار السعادة "

واختلفوا في وقتِ هذه المحاجَّةِ :

فقال مقاتل : لمّا كسَّرَ الأَصنامَ سجنه النمروذ ، ثم أخرجه ليحرقهُ فقال [له] : من رَبُّكَ الذي تَدعُونا إليه ؛ فقال : ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ .

وقال آخرون : كان هذا بعد إلقائه في النَّار[٢] .

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١١١)

(٢) اللباب في علوم الكتاب (٤/ ٣٣٧)

الحجة البالغةأفضل من الجدل العقيم:

إن هذا الملك الذي حاج إبراهيم في ربه لم يكن منكراً لوجود الله أصلاً إنما كان منكراً لوحدانيته في الألوهية والربوبية ولتصريفه للكون وتدبيره لما يجري فيه وحده ، كما كان بعض المنحرفين في الجاهلية يعترفون بوجود الله ولكنهم يجعلون له انداداً ينسبون إليها فاعلية وعملاً في حياتهم! وكذلك كان منكراً أن الحاكمية لله وحده ، فلا حكم إلا حكمه في شؤون الأرض وشريعة المجتمع .

إن هذا الملك المنكر المتعنت إنما ينكر ويتعنت للسبب الذي كان ينبغي من أجله أن يؤمن ويشكر . هذا السبب هو ﴿ أن آتاه الله الملك ﴾ . . وجعل في يده السلطان! لقد كان ينبغي أن يشكر ويعترف ، لولا أن الملك يُطغي ويبطر من لا يقدرون نعمة الله ، ولا يدركون مصدر الإنعام . ومن ثم يضعون الكفر في موضع الشكر؛ ويضلون بالسبب الذي كان ينبغي أن يكونوا به مهتدين! فهم حاكمون لأن الله حكمهم ، وهو لم يخولهم استعباد الناس بقسرهم على شرائع من عندهم(١) .

خلاصة مناظرة إبراهيم للنمرود:

هذه هي المناظرة التي حدثت بين إبراهيم عليه السلام والنمرود الذي آتاه الله الملك . . ماذا قال إبراهيم؟ ﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾هذه كانت حجة إبراهيم في الدعوة إلى الله ، فرد عليه النمرود بحجة مزيفة . قال أنا أحيي وأميت . . ثم جاء بواحد من جنوده وقال لحراسه اقتلوه . . فلما اتجهوا إليه قال اتركوه . . ثم التفت إلى إبراهيم : ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾ [البقرة : ٢٥٨]

جدل عقيم لأن هذا الذي أمر النمرود بقتله . كان حيا وحياته من الله . . والنمرود حين قال اقتلوه لم يمته ولكن أمر بقتله . . وفرق بين الموت والقتل . . القتل أن تهدم بنية الجسد فتخرج الروح منه لأنه لا يصلح لإقامتها . . والموت أن تخرج الروح من الجسد والبنية سليمة لم تهدم . . الذي يميت هو الله وحده ، ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى :﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرسل أَفإِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقلبتم على أَعْقَابِكُمْ ﴾[آل عمران : ١٤٤]

---

(١) ظلال القرآن (١/ ٢٧٦)

والنمرود لو قتل هذا الرجل ما كان يستطيع أن يعيده إلى الحياة . . ولكن إبراهيم عليه السلام . . لم يكن يريد أن يدخل في مثل هذا الجدل العقيم . . الذي فيه مقارعة الحجة . بالحجة يمكن فيه الجدال ولو زيفا . . ولذلك جاء بالحجة البالغة التي لا يستطيع النمرود أن يجادل فيها : قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨]

هذا هو معنى الحاجّة . . كل طرف يأتي بحجته ، وما داموا يحاجونكم عند ربكم وهم يعتقدون أن القضية لن تمر أمام الله بسلام لأنه رب الجميع وسينصف المظلوم من الظالم . . إذا كانت هذه هي الحقيقة فهل أنتم تعملون لمصلحة أنفسكم؟ الجواب لا . . لو كنتم تعلمون الصواب ما كنتم وقعتم في هذا الخطأ فهذا ليس فتحا . .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ ختام منطقي للآية . . لأن من يتصرف تصرفهم ويقول كلامهم لا يكون عنده عقل . . الذي يقول ﴿ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ يكون مؤمنا بأن له ربا ، ثم لا يؤمن بهذا الإله ولا يخافه لا يمكن أن يتصف بالعقل[١]

نتائج مواجهة إبراهيم للمعبودات:

١- الصراع بين الأنبياء والرسل وبين أقوامهم:

إن الصراع بين الأنبياء والرسل وبين أقوامهم من أجل إبطال عبادة الشرك والوثنية قديم من عهد نوح عليه السلام، وكان للرسل مواقف متعددة وأساليب مختلفة في الدعوة لتوحيد الله تعالى، والتخلص من عبادة الأصنام والأوثان لأنها عبادة باطلة لا تتفق مع الكرامة الإنسانية، ولا مع مقتضيات العقل والفكر السديد. وكان لإبراهيم أبي الأنبياء موقفان مشهوران في هذا الصدد: موقف مع قومه حيث دمر لهم الأصنام، وموقف مع أبيه حيث ناقشه بالحسنى[٢].

---

(١) تفسير الشعراوي (ص: ٢٣٤)
(٢) التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٤٧٨)

٢- إقامة الحجة على قومه:

أراد إبراهيم عليه السلام إقامة الحجة على قومه كلهم، فبينما هم مجتمعون في عيدهم بعيدًا عن بيت الأصنام ذهب إبراهيم يحمل الفأس فكسر الأصنام وأبقى الصنم الكبير، وهذا فيه وجهان للدلالة على ضعف هذه الآلهة:

أولهما: أن هذه الأصنام إن كانت آلهة فلمَ لم تدافع عن نفسها عند تكسيرها؟ والإله الحق حي لا يموت وهذه قد اندثرت وصارت حطامًا.

ثانيها: أنها إذ لم تدافع عن نفسها فلماذا لا تجيبكم عمن كسرها؟ فإن أجابتكم عمن كسرها فهي بحاجة إلى الحماية؛ ولذا فهي ليست آلهة لأن الإله الحق غني عن حماية غيره له.

وإن لم تجبكم -وهذا هو الواقع- فهي صماء بكماء جماد لا حياة فيها فليست بآلهة.

وهكذا بهت قوم إبراهيم لإقامة الحجة عليهم كما بهت ملكهم من قبل، لقد بهتوا لصناعة الحجة(١).

٣- تنوع أساليب الدعوة وطرقها في دعوته:

وهذا ظاهر في دعوته عليه السلام، فتارة بالاستدراج، كما فعل مع عباد الكواكب، وتارة بإقامة الأدلة الحسية على بطلان عبادتهم لغير الله، كما فعل بأصنامهم حين كسرها وعلق الفأس في رقبة كبيرهم، وأحياناً بالمناظرة كما فعل بالذي ادعى الربوبية، ومرة بإظهار الشفقة والخوف عليهم من العذاب كما فعل مع أبيه، وهذا التنويع مطلوب في الدعوة إلى الله تعالى حتى تصل إلى قلوب الناس، والدعاة محتاجون إلى هذه الأساليب لاختلاف أفهام الناس ومداركهم(٢)

٤- الانتكاسة بعد تبين الحق:

بحيث نكسوا على رءوسهم خجلًا لعلمهم أن أصنامهم لا تنطق وأولى بهم أن يؤمنوا بالله الواحد، والاستكبار عن الحق جعلهم لا يرضخون ولا يستجيبون لدعوة التوحيد، بل زادوا في طغيانهم فأوقدوا نارًا عظيمة ليحرقوا بها داعية التوحيد إبراهيم عليه السلام، ولكنه لم يخف من النار كما لم يخف أصنامهم من قبل، ولعلمه أن التصرف المطلق في هذا الكون وعبودية كل شيء فيه هي لله الواحد القهار، والنار مخلوقة من مخلوقات الله وهي في ملكه وتحت تصرفه

---

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص: ١٩٦) (ص: ١٩٧)
(٢) حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد (ص: ٩١)

ومشيئته ولا تحرق أحدًا إلا بأمر الله: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ، قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾[1].

٥- إن الله مع أوليائه الموحدين:

وهكذا نجى الله رسوله من كيد المشركين، فلتعلموا يا أيها المشركون أن الله مع أوليائه الموحدين، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم على دين أبيه وأبيكم إبراهيم حنيفًا مسلمًا ولم يك من المشركين، وكما نجى الله إبراهيم فهو ينجي محمدًا منكم ومن كيدكم، وأولى بكم إن كنتم تزعمون أنكم من نسل إبراهيم أن تكونوا على دينه وملته الحنيفية السمحاء وتنبذوا ما أنتم عليه من الشرك بالله واتخاذ الأنداد والأوثان[2].

---

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص: ١٩٧)
(٢) نفس المصدر عقيدة التوحيد (ص: ١٩٧)

الباب الخامس

المعبودات

في عهد موسى عليه السلام

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: سيرة موسى عليه السلام مع فرعون وبيان رسالته وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بسيرة موسى مع فرعون.

المبحث الثاني: بداية رسالة موسى عليه السلام.

الفصل الثاني: طغيان فرعون وجحوده للأولوهية وفيه مبحثان :

المبحث الأول : علو فرعون وفساده في الأرض.

المبحث الثاني: أقوال فرعون الجاحدة للأولوهية.

الفصل الثالث : البلاء الذي تعرض له موسى عليه السلام وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : بلاء موسى من فرعون وملأه.

المبحث الثاني: معالجة ما شاب قومه من وهن.

المبحث الثالث : عاقبة البلاء بنهاية فرعون.

الباب الخامس

المعبودات في عهد موسى عليه السلام

تمهيد:

فقد سبق وأن تحدثنا عن المعبودات في عهد اليهود وأشرنا إلى ماواجهه موسى عليه السلام مع بني إسرآئيل من اتخاذ الاحبار والرهبان والطواغيت عباداً يعبدونهم من دون الله وفتنتهم بعبادة العجل من قبل السامري وهذا كله قد سبق وأن بيناه فيما سبق ؛ والذي نريده في هذا الموضوع هو تناول ماواجهه موسى عليه السلام من قبل فرعون حيث إن القرآن الكريم قد تحدث كثيراً عن قصة موسى مع فرعون.

ثم ما واجهه من فرعون من الطغيان والتكبر، فقد أعلن ادعاه للربوبية معارضاً به دعوة موسى عليه السلام ومستنكراً لها، ومتهماً أنها سحر مختلق من عند موسى، ثم كيف كانت نهايته وعاقبة تكذيبه لهذه الدعوة. وتكبره على رسول الله موسى عليه السلام واستخفافه بأمور الله، وله يوم القيامة عذاب وخزي فوق ذلك

فدعاه موسى عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وشد الله أزر موسى بأخيه هارون عليه السلام وأناط بهما دعوة بني إسرائيل وتخليصهم من عبودية فرعون وجبروته واستذلاله لهم، رغم ما بذله فرعون لصد هذه الدعوة والقضاء عليها منذ أن أخبره الكهان والمنجمون عن أمر موسى، ولكن الله تعالى غالب على أمره، وناصر رسله وأتباعهم، نصر موسى وهارون وأهلك فرعون وجنوده، وأورث بني إسرائيل الأرض من بعدهم: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[القصص: ٥ - ٦].

وقد قص الله تعالى في القرآن في أكثر من موضع مناظرة موسى عليه السلام لفرعون، وكيف كان فرعون يلجأ فيها إلى المكابرة والتهديد بالقوة والبطش، وهذه حيلة العاجز عن المناظرة[١].

---

(١) حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد (ص: ٩٤- ١٠١)

الفصل الأول

سيرة موسى عليه السلام مع فرعون وبيان رسالته

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بسيرة موسى مع فرعون.

المبحث الثاني: بداية رسالة موسى عليه السلام.

الفصل الأول

سيرة موسى عليه السلام مع فرعون وبيان رسالته

تمهيد:

فقد بعثنا موسى بآياتنا ومعجزاتنا الدالة على صدقه ورسالته، بعثناه إلى فرعون وملئه فظلموا بها وكفروا، ولا شك أن الظلم والكفر من واد واحد ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] على أنهم ظلموا بها أنفسهم، وظلموا غيرهم بما صدوا عنها وآذوا في سبيلها.. وإنما ذكر أن موسى بعث إلى فرعون وملئه دون قومه لأنه أرسل لإنقاذ بنى إسرائيل من فرعون وكيده، والذين استعبدهم هو فرعون وأشرافه وبطانته، أما الشعب فكانوا مستعبدين كذلك على أن فرعون وملأه لو آمنوا لآمن الشعب كله.

فانظر كيف كان عاقبة المفسدين؟ هذه جملة القصة وخلاصتها والعبرة منها، مع إفادة التنبيه والتفات إلى القصة،

وهي من القصص المهمة التي كثر ذكرها في القرآن في عدة سور ومواضع فيه، وهي إلى حد تشبه السيرة النبوية في كثير من مراحلها، لذلك عنى القرآن بها وما ذكر هنا في قصة موسى مناسب لما قبله إذ انتهى السياق أولا إلى التوحيد، وقد أبانت القصة في أول أمرها التوحيد الكامل حيث خوطب النبي موسى بقوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: ١٤] وهذا يفيد أن التوحيد أمر مستمرفيما بين الأنبياء يتلقونه كابرا عن كابر، وأنت ترى أن رسالة موسى بدأت به وختمت كذلك ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [طه: ٩٨].

فلما أرسل موسى لفرعون وملئه قال لهم: إنى رسول رب العالمين إليكم، فطلبوا منه الآيات فلما جاءهم بها- كالعصا واليد- إذا هم منها يضحكون بسرعة وخفة، وبدون نظر ولا بحث، أى: لما جاءتهم الآيات فاجأوا المجيء بها بالضحك عليها سخرية من غير توقف ولا تأمل، وهذا المعنى الذي هو السرعة والمفاجأة بالضحك بعثنا موسى وأخاه هارون إلى فرعون ملك مصر وأشراف قومه، فاستكبروا، وأعرضوا عن الإيمان بموسى وهارون[1]

---

(١) التفسير الواضح (١/ ٧٤٧) ، (٢/ ٤٧٩) ، (٣/ ٣٩٨)

المبحث الأول

التعريف بسيرة موسى مع فرعون

التعريف بنبي الله موسى عليه السلام:

وهو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام،[١] .

موسى عليه السلام: رجل من بني إسرائيل، ولد في مصر أيام فرعونها رمسيس الثاني على الأرجح [١٣٠١. ١٢٣٤] ق.م وقد تربى في قصر هذا الفرعون بعد أن ألقته أمه في النهر داخل تابوت عندما خافت عليه من فرعون، الذي كان يقتل أبناء بني إسرائيل. ولما شبَّ قتل مصريًّا مما دفعه للهرب إلى مدين حيث عمل راعياً لدى شيخ صالح هناك قيل أنه شعيب عليه السلام الذي زوجه إحدى ابنتيه، في طريق عودته إلى مصر أوحى الله إليه في سيناء بالرسالة، وأمره أن يذهب هو وأخوه هارون إلى فرعون لدعوته ولخلاص بني إسرائيل، فأعرض عنهما فرعون وناصبهم العداء، فخرج موسى ببني إسرائيل وقد كان ذلك سنة [١٢١٣] ق.م في عهد فرعونها منفتاح الذي خلف أباه رمسيس الثاني، ولحق بهم هذا الفرعون، لكن الله أغرقه في اليم، ونجَّى موسى وقومه[٢] .

الأخبار المتدواله بهلاك فرعون[٣] وذهاب دولته:

قوله تعالى: ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[القصص: ٣]

ذكر السدي في تفسيره بأسانيده أن بدء أمر موسى أن فرعون رأى كأن نارا أقبلت من بيت المقدس فأحرقت دور مصر وجميع القبط إلا دور بني إسرائيل، فلما استيقظ جمع الكهنة والسحرة، فقالوا: هذا غلام يولد من هؤلاء يكون خراب مصر على يده، فأمر بقتل الغلمان، فلما ولد موسى أوحى الله إلى أمه أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم، قالوا فكانت

---

(١) قصص الأنبياء (٢/ ٣)

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . (١٠٨/ ١)

(٣) "فرعن " :الفرعنة الكبر والتجبر وفرعون كل نبي ملك دهره قال القطامي وشق البحر عن أصحاب موسى وغرقت الفراعنة الكفار وفرعون الذي ذكره الله تعالى في كتابه من هذا وإنما ترك صرفه في قول بعضهم لأنه لا سمي له كإبليس فيمن أخذه من أبلس قال ابن سيده وعندي أن فرعون هذا العلم أعجمي ولذلك لم يصرف الجوهري فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر وكل عات فرعون والعتاة الفراعنة وقد تفرعن وهو ذو فرعنة أي دهاء وتكبر وفي الحديث أخذنا فرعون هذه الأمة الأزهري من الدروع الفرعونية قال شمر هي منسوبة إلى فرعون موسى وقيل الفرعون بلغة القبط التمساح قال ابن بري حكى ابن خالويه عن الفراء فرعون بضم الفاء لغة نادرة لسان العرب (١٣/ ٣٢٣)

ترضعه، فإذا خافت عليه جعلته في تابوت وألقته في البحر وجعلت الحبل عندها، فنسيت الحبل يوما فجرى به النيل حتى وقف على باب فرعون فالتقطه الجواري فأحضروه عند امرأته، ففتحت التابوت فرأته فأعجبها، فاستوهبته من فرعون فوهبه لها، فربته حتى كان أمره ما كان[1] وكانت القبط قد تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل، حين ورد الديار المصرية، وجرى له مع جبارها ما جرى، حين أخذ سارة ليتخذها جارية، فصانها الله منه، ومنعه منها بقدرته وسلطانه. فبشر إبراهيم عليه السلام ولده أنه سيولد من صلبه وذريته مَن يكون هلاك ملك مصر على يديه، فكانت القبط تتحدث بهذا عند فرعون، فاحترز فرعون من ذلك، وأمر بقتل ذكور بني إسرائيل، ولن ينفع حذر من قدر؛ لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر، ولكل أجل كتاب؛ ولهذا قال: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[القصص: ٥ - ٦]وقد فعل تعالى ذلك بهم، كما قال: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأعراف : ١٣٧] وقال: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[الشعراء: ٥٩] [2] .

صنيع فرعون ببني اسرائيل:

فهؤلاء المستضعفون الذين يتصرف الطاغية في شأنهم كما يريد له هواه البشع النكير ، فيذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ، ويسومهم سوء العذاب والنكال . وهو مع ذلك يحذرهم ويخافهم على نفسه وملكه؛ فيبث عليهم العيون والأرصاد ، ويتعقب نسلهم من الذكور فيسلمهم إلى الشفار كالجزار! هؤلاء المستضعفون يريد الله أن يمن عليهم بهباته من غير تحديد؛ وأن يجعلهم أئمة وقادة لا عبيداً ولا تابعين؛ وأن يورثهم الأرض المباركة " التي أعطاهم إياها عندما استحقوها بعد ذلك بالإيمان والصلاح " وأن يمكن لهم فيها فيجعلهم أقوياء راسخي الأقدام

---

(١) فتح الباري - ابن حجر (٦/ ٤٢٣-٤٢٢)
(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢١)

مطمئنين . وأن يحقق ما يحذره فرعون وهامان وجنودهما ، وما يتخذون الحيطة دونه ، وهم لا يشعرون!

هكذا يعلن السياق قبل أن يأخذ في عرض القصة ذاتها .

يعلن واقع الحال ، وما هو مقدر في المآل ليقف القوتين وجهاً لوجه: قوة فرعون المنتفشة المنتفخة التي تبدو للناس قادرة على الكثير. وقوة الله الحقيقية الهائلة التي تتهاوى دونها القوى الظاهرية الهزيلة التي ترهب الناس! (١).

نبذة عن بني إسرائيل:

بنو إسرائيل: يقصد بهم هنا أتباع موسى، وإلا فإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ومعنى إسرائيل: عبد الله، وهكذا كل اسم آخره جاء في "يل" فإنه معبد لله مثل: جبريل وميكائيل وإسرافيل، فكلهم معبدون لله، وإسرائيل هذا هو أبو الأسباط الذين جعلهم الله جل وعلا أنبياء، ثم إن ذريته هم الذين صاروا أتباعاً لموسى، وموسى أرسل إليهم والى القبط أيضاً، وكان القبط أتباع فرعون وقومه، وكانوا مستعبدين بني إسرائيل بمصر، والذي أدخلهم إلى مصر في ذلك الوقت هو يوسف، كما ذكر الله جل وعلا لنا في القرآن أن إخوة يوسف هددوه على كون أبيه يحبه حباً كثيراً أكثر منهم، فتآمروا على أنهم يبعدونه عنه، فحصل ما ذكره الله جل وعلا، ثم ذهب إلى مصر، فلما منَّ الله جل وعلا عليه بالملك طلب من إخوته أن يأتوا بأهلهم، كما ذكره الله جل وعلا في قصة يوسف، فسكنوا في مصر وتكاثروا (٢).

معنى إسرائيل عند المفسرين:

اتفق المفسرون على أن إسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن إبراهيم ويقولون إن معنى إسرائيل عبد الله لأن "إسرا" في لغتهم هو العبد و"إيل" هو الله وكذلك جبريل وهو عبد الله وميكائيل عبد الله. قال القفال : قيل إن "إسرا" بالعبرانية في معنى إنسان فكأنه قيل رجل الله فقوله : ﴿مَعِيَ بَنِى إسرائيل﴾ خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب عليه السلام في أيام محمد صلى الله عليه وسلّم (٣).

---

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٢٦٧٨)
(٢) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - للغنيمان (٣٨/ ٧)
(٣) تفسير الفخر الرازى (ص: ٣٩٨)

الحوار الدائر بين موسى عليه السلام وفرعون:

ما زال السياق والحوار الدائر بين موسى عليه السلام وفرعون عليه لعائن الرحمن فرد فرعون على موسى بما أخبر تعالى به عنه في قوله ﴿قال ألم نربك فينا وليداً﴾ أي أتذكر معترفاً أنا ربيناك وليداً أي صغيراً وأنت في حال الرضاع ﴿ولبثت فينا﴾ أي في قصرنا مع الأسرة المالكة ﴿سنين﴾ ثلاثين سنة قضيتها من عمرك في ديارنا ﴿وفعلت فعلتك﴾ أي الشنعاء ﴿التي فعلت﴾ وهي قتل موسى القبطي ﴿وأنت من الكافرين﴾ أي لنعمنا عليك الجاحد بها، كان هذا رد فرعون فلنستمع إلى رد موسى عليه السلام كما أخبر به الله تعالى عنه في قوله: ﴿قال فعلتها إذاً﴾ أي يومئذٍ ﴿وأنا من الضالين﴾ أي الجاهلين لأنه لم يكن قد علمني ربي ما علّمني الآن وما أوحى إليّ ولا أرسلني إليكم رسولاً ﴿ففرت منكم لما خفتكم﴾ من أجل قتلي النفس التي قتلت وأنا من الجاهلين ﴿فوهب لي ربي حكماً﴾ أي علماً نافعاً يحكمني دون فعل ما لا ينبغي فعله ﴿وجعلني من المرسلين ﴾ أي من أنبيائه ورسله إلى خلقه ثم قال له رداً على ما امتن به فرعون بقوله : ﴿ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ فقال ﴿وتلك نعمة ﴾ أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي ﴿أن عبدت بني إسرائيل﴾ أي استعبدتهم أي اتخذتهم عبيداً لك يخدمونك تستعملهم كما تشاء كالعبيد لك ولم تستعبدني أنا لاتخاذك إياي ولداً حسب زعمك فأين النعمة التي تمنها علي يا فرعون[1] .

قال الشوكاني:" قيل هذا الكلام من موسى على جهة الإقرار بالنعمة كأنه قال نعم تلك التربية نعمة تمن بها علي ولكن لا يدفع ذلك رسالتي وبهذا قال الفراء وابن جرير وقيل هو من موسى على جهة الإنكار : أي أتمن علي بأن ربيتني وليدا وأنت قد استعبدت بني إسرائيل وقتلتهم وهم قومي ؟

قال الزجاج : المفسرون أخرجوا هذا على جهة الإنكار بأن يكون ما ذكر فرعون نعمة على موسى واللفظ لفظ خبر وفيه تبكيت للمخاطب على معنى : أنك لو كنت لا تقتل أبناء بني إسرائيل لكانت أمي مستغنية عن قذفي في اليم فكأنك تمن علي ما كان بلاؤك سببا له[2] .

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٣/ ٦٤٢)
(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٤/ ١١٢)

تفاخر فرعون على موسى و قومه:

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا عن فرعون وتمرده وعتوه وكفره وعناده: أنه جمع قومه، فنادى فيهم متبجحا مفتخرا بملك مصر وتصرفه فيها:﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[الزخرف: ٥١]

قال قتادة :"قد كانت لهم جنان وأنهار ماء، ﴿ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ ؟ أي: أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك، يعني: وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء [(١)].

اعلم أن المقصود من إعادة قصة موسى عليه السلام وفرعون في هذا المقام تقرير الكلام الذي تقدم وذلك لأن كفار قريش طعنوا في نبوة محمد -ﷺ- بسبب كونه فقيراً عديم المال والجاه فبيّن الله تعالى أن موسى عليه السلام بعد أن أورد المعجزات القاهرة الباهرة التي لا يشك في صحتها عاقل أورد فرعون عليه هذه الشبهة التي ذكرها كفار قريش فقال إني غني كثير المال والجاه ألا ترون أنه حصل لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي وأما موسى فإنه فقير مهين وليس له بيان ولسان والرجل الفقير كيف يكون رسولاً من عند الله إلى الملك الكبير الغني فثبت أن هذه الشبهة التي ذكرها كفارمكة وهي قولهم ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[الزخرف: ٣١] [(٢)] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٣١)

(٢) مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٨٦)

المبحث الثاني

بداية رسالة موسى عليه السلام

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الشعراء: ١٠ - ١١] . .

وهذا هو المشهد الأول : مشهد التكليف بالرسالة لموسى عليه السلام وهو يبدأ بإعلان صفة القوم : ﴿ القوم الظالمين ﴾ فقد ظلموا أنفسهم بالكفر والضلال ، وظلموا بني إسرائيل بما كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ويعذبونهم بالسخرة والنكال . . لذلك يقدم صفتهم ثم يعينهم ﴿ قوم فرعون ﴾ ثم يعجب موسى من أمرهم ويعجب كل إنسان : ﴿ ألا يتقون؟ ﴾ ألا يخشون ربهم؟ ألا يخافون مغبة ظلمهم؟ ألا يرجعون عن غيهم؟ ألا إن أمرهم لعجيب يستحق التعجيب! وكذلك كل من كان على شاكلتهم من الظالمين![١] .

ولم يكن أمر فرعون وملئه جديداً على موسى عليه السلام فهو يعرفه ، ويعرف ظلم فرعون وعتوه وجبروته ، ويدرك أنها مهمة ضخمة وتكليف عظيم . ومن ثم يشكو إلى ربه ما به من ضعف وقصور لا ليتنصل أو يعتذر عن التكليف ، ولكن ليطلب العون والمساعدة في هذا التكليف العسير .وهكذا تعلن السورة الكريمة فى مطلعها ، أن ما أراده الله – تعالى – لا بد أن يتم ، أمام أعين فرعون وجنده ، مهما احتاطوا ومهما احترسوا ، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[يوسف: ٢١] ثم فصل – سبحانه – الحديث عن موسى – عليه السلام – فذكر ما ألهمه لأمه عند ولادته . وما قالته امرأة فرعون له عند التقاط آل فرعون لموسى ، وما كانت عليه أم موسى من حيرة وقلق ، وما قالته لأخته ، وكيف رد الله – تعالى – بفضله وكرمه موسى إلى أمه[٢] .

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٣٣٩)
(٢) الوسيط لسيد طنطاوي (ص: ٣٢٤٦)

بداية النعمة بالوحي إلَى أمي موسى:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ [القصص: ٧ - ٨]

قال الإمام الرازى : اعلم أنه – تعالى – لما قال : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥]{ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الذين استضعفوا } ابتدأ بذكر أوائل نعمه فى هذا الباب فقال : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[القصص: ٧] [(١)] .

هذه بداية قصة موسى مع فرعون وهو طفل رضيع إلى نهاية هلاك فرعون في ظرف طويل بلغ عشرات السنين. بدأ تعالى بقوله تعالى:﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ﴾أي أعلمناها من طريق الإلقاء في القلب ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ آل فرعون الذين يقتلون مواليد بني إسرائيل الذكور في هذه السنة ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ أي بعد أن تجعليه في تابوت أي صندوق

﴿وَلا تَخَافِي﴾ عليه الهلاك ﴿وَلا تَحْزَنِي﴾ على فراقك له ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ ﴾ لترضعيه ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ نرسله إلى عدوكم فرعون وملائه. قال تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ أي فعلت ما أمرها الله تعالى به بأن جعلته في تابوت وألقته في اليم أي النيل﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ حيث وجدوه لقطة فأخذوه وأعطوه لآسية بنت مزاحم عليها السلام امرأة فرعون. وقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾ هذا باعتبار ما يؤول إليه الأمر فهم ما التقطوه لذلك لكن شاء الله ذلك فكان لهم ﴿عَدُوّاً وَحَزَنا﴾ فعاداهم وأحزنهم.[(٢)] .

طمس الله على بصيرة فرعون:

عجيب أمر فرعون ، فبعد أن أمر بقتل الأولاد من بني إسرائيل يأتيه في البحر تابوت به طفل رضيع ، فلا يخطر على باله أن أهله ألقوه في البحر لينجو من فرعون ، فكيف فاتتْه هذه المسألة وهو إله؟ لم يعرفها بألوهيته ، ولا عرفها حتى بذكائه وفِطْنته .

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٤/ ١٩٤).

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٤/ ٥٤ - ٥٥).

وإذا كان الكهنة أخبروه بأن ذهاب مُلْكه على يد وليد من هؤلاء الأولاد ، وإذا كانت هذه النبوءة صحيحة فلا بُدَّ أن الولد سينجو من القتل ويكبر ، ويقضي على مُلْك فرعون ، وما دام الأمر كذلك فسوف يقتل فرعون الأولاد غير الذي سيكون ذهاب مُلْكه على يديه .

وتشاء إرادة الله أنْ يتربَّى موسى في قصر فرعون ، وأنْ تأتي إليه أمه السيدة الفقيرة لتعيش معه عيشة الترف والثراء ، ويصير موسى بقدرة الله قُرَّة عَيْن للملكة ، فانظر إلى هذا التغفيل ، تغفيل عقل وطمس على بصيرة فرعون الذي ادَّعى الألوهية(1) .

إرسال موسى وهارون بالبينات لانذار فرعون:

﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾[طه: ٤١ - ٤٧]

قال السمرقندي :واصطنعتك لنفسي " يعني إخترتك للرسالة والنبوة ولإقامة حجتي فقال موسى يا رب حسبي حسبي فقد تمت كرامتي فقال الله عز وجل " إذهب أنت وأخوك بآياتي " يعني آياتي التسع " ولا تنيا في ذكري " يعني لا تفتروا ولا تضعفا ولا تعجزا عن أداء رسالتي " إذهبا إلى فرعون إنه طغى " يعني تكبر وعلا " فقولا له قولا لينا " يعني كلاما باللين والشفقة والرفق لأن الرؤساء بكلام اللين أقرب إلى الإنقياد من الكلام العنيف أي قولا له أيها الملك ويقال " فقولا له قولا لينا " لوجوب حقه عليك بما رباك وإن كان كافرا(2) .

وَأَنْتَ الّذِي مِنْ فَضْلِ مَنّ وَرَحْمَةٍ *** بَعَثْتَ إلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيَا

فَقُلْت لَهُ يَا اذْهَبْ وَهَارُونَ فَادْعُوَا *** إلَى اللّهِ فِرْعَوْنَ الّذِي كَانَ طَاغِيَا(3) .

جحود فرعون وقومه للآيات البينات:

و كون فرعون وقومه كذبوا بآيات الله، فقد جاء موضحا في آيات أخر كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأعراف:١٣٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ

(١) تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٨٧٩).
(٢) بحر العلوم (٢/ ٤٠٠).
(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٢٢٦).

أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ [طه:٥٦]، وقوله تعالى:﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ﴾ [النازعات:٢٠-٢١]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ (١٤) ﴾[النمل:١٢-١٤] [1].

﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩) ﴾[الذاريات: ٣٨ ،٣٩] والسلطان المبين الذي أرسل الله به موسى إلى فرعون ، هو الحجة القوية ، والبرهان القاطع ، وهو الهيبة الجليلة التي خلعها عليه . وهو معهما يسمع ويرى . ولكن فرعون تولى بركنه ، وازور بجانبه عن الحق الواضح والبرهان القاطع؛ وقال عن موسى النبي الذي كشف له عن آيات الله الخوارق : ﴿ ساحر أو مجنون ﴾ . . مما يقطع بأن الآيات والخوارق لا تهدي قلباً لم يتأهب للهدى؛ ولا تقطع لساناً يصر على الباطل ويفتري[2] .

فصارت قصة موسى وفرعون أعظم القصص وأعظمها اعتبارًا لأهل الإيمان ولأهل الكفر؛ ولهذا كان النبي -ﷺ- يقص على أمته عامة ليله عن بني إسرائيل، وكان يتأسى بموسى في أمور كثيرة، ولما بشر بقتل أبي جهل يوم بَدْر قال : " هذا فرعون هذه الأمة "[3] ، وكان فرعون وقومه من الصابئة المشركين الكفار؛ ولهذا كان يعبد آلهة من دون الله،كما أخبر الله عنه بقوله : ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ [الأعراف : ١٢٧] [4] .

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥٧/ ١٧).

(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٣٨٣-٣٣٨٤)

(٣) مسند أحمد ت شاكر (٤/ ١٨٩) برقم (٤٢٤٧)- عن ابن مسعود قال: أتيتُ النبي - صلى الله عليه وسلم - يومَ بدر، فقلتُ: قتلتُ أبا جهل، قال: "آلله الذي لا إله إلا هو؟ "، قال: قلت: آلله الذي لا إله إلا هو، فردَّدها ثلاثاً، قَال: "الله أكبر، الحمد لله الذي صَدَقَ وعدَه، ونصر عبده، وهزَم الأحزاب وحده، انطلقْ فأَرنيه"، فانطلقنا، فإذا به، فقال: "هذا فرعونُ هذه الأمة".

قال أحمد شاكر إسناده ضعيف لانقطاعه، أبو عبيدة -وهو ابن عبد الله بن مسعود- لم يسمع من أبيه، ولضعف شريك، وهو ابن عبد الله النخعي، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. ، وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٨٤٦٨) و (٨٤٦٩) ، والسنن الكبرى للبيهقي (٩/ ١٠٦) برقم (١٨٠١٤).

(٤) مجموع الفتاوى (١٢/ ٩)

الفصل الثاني

طغيان فرعون وجحوده للألوهية

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : علو فرعون وفساده في الأرض.

المبحث الثاني: أقوال فرعون الجاحدة للألوهية

الفصل الثاني

طغيان فرعون وجحوده للألوهية

تمهيد:

والله يريد غير ما يريد فرعون ويقدر غير ما يقدر الطاغية. والطغاة البغاة تخدعهم قوتهم وسطوتهم وحيلتهم، فينسون إرادة الله وتقديره ويحسبون أنهم يختارون لأنفسهم ما يحبون، ويختارون لأعدائهم ما يشاءون. ويظنون أنهم على هذا وذاك قادرون.

والله يعلن هنا إرادته هو، ويكشف عن تقديره هو ويتحدى فرعون وهامان وجنودهما، بأن احتياطهم وحذرهم لن يجديهم فتيلا: ﴿ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٦]

فهؤلاء المستضعفون الذين يتصرف الطاغية في شأنهم كما يريد له هواه البشع النكير، فيذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، ويسومهم سوء العذاب والنكال. وهو مع ذلك يحذرهم ويخافهم على نفسه وملكه فيبث عليهم العيون والأرصاد، ويتعقب نسلهم من الذكور فيسلمهم إلى الشفار كالجزار! هؤلاء المستضعفون يريد الله أن يمن عليهم بهباته من غير تحديد وأن يجعلهم أئمة وقادة لا عبيدا ولا تابعين وأن يورثهم الأرض المباركة التي أعطاهم إياها عند ما استحقوها بعد ذلك بالإيمان والصلاح وأن يمكن لهم فيها فيجعلهم أقوياء راسخي الأقدام مطمئنين. ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:٤]

إنه منطق الطغيان الغليظ، كلما أعوزته الحجة، وخذله البرهان، وخاف أن يستعلي الحق، بما فيه من قوة وفصاحة ووضوح، وهو يخاطب الفطرة فتصغي له وتستجيب. كما استجاب السحرة الذين جيء بهم ليغلبوا موسى وما معه، فانقلبوا أول المؤمنين بالحق في مواجهة فرعون الجبار.

والطغيان أمر لا ينبغي أن يكون ولا أن يبقى. أنه أمر كريه، مفسد للأرض، مخالف لما يحبه الله، مؤد إلى ما يكره.. فمن أجل منعه ينتدب الله عبدا من عباده المختارين. ينتدبه بنفسه سبحانه. ليحاول وقف هذا الشر، ومنع هذا الفساد، ووقف هذا الطغيان.. إنه أمر كريه شديد

الكراهية حتى ليخاطب الله بذاته عبدا من عباده ليذهب إلى الطاغية، فيحاول رده عما هو فيه، والإعذار إليه قبل أن يأخذه الله تعالى نكال الآخرة والأولى![1]

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٣٠٧٧- ٢٦٧٨) و (٦/ ٣٨١٤)

المبحث الأول

علو فرعون وفساده في الأرض

والعلو : مستعار للغلبة والاستبداد ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:٤] وقوله : ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل : ٣١] .

والإسراف : تجاوز حد الاعتدال المعروف في فعل ، فهو تجاوز مذموم ، وأشهر موارده في الإنفاق ، ولم يذكر متعلَّق الإفراط فتعيَّن أن يكون إسرافاً فيما عُرف به ملوك زمانهم من الصفات المكروهة عند الناس الملازمة للملوك في العادة .

وقوله : ﴿من المسرفين﴾ ، أبلغ في وصفه بالإسراف[1] .

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة، من أن فرعون﴿ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾[الدخان: ٣١] أوضحه أيضا في غير هذا الموضع، كقوله تعالى في يونس: ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [يونس:٨٣]، وقوله تعالى في أول القصص[2] .

قال ابن كثير –رحمه الله– :"قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ﴾

أي استكبر وتجبر ؛ قاله ابن عباس والسدي ، وقال قتادة : علا في نفسه عن عبادة ربه بكفره وادعى الربوبية.

وقيل : بملكه وسلطانه فصار عاليا على من تحت يده ﴿فِي الأَرْضِ﴾ أي أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعا﴾أي فرقا وأصنافا في الخدمة[3] .

وقال الشنقيطي–رحمه الله–:﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ ﴾ أي: تكبر وتجبر وطغى. ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ أي: أصنافا، قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته [4].

يقول أبوبكر الجزائري–رحمه الله–:" إلى آخر الآية هذا بيان لما أخبر أنه يقصه للمؤمنين، يخبر تعالى فيقول: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ ..﴾ إلى آخر الآية إن فرعون الحاكم المصري المسمى بالوليد

---

(١) التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية (١١/ ٢٦١)
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤٧/ ٩)
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٨)
(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٢٠)

بن الريان الطاغية المدعي الربوبية والألوهية ﴿عَلا فِي الْأَرْضِ﴾ أي أرض البلاد المصرية ومعنى علا طغى وتكبر وتسلط وقوله ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا﴾ أي أهل تلك البلاد المصرية ﴿شِيَعاً﴾ أي طوائف فرق بينها إبقاءً على ملكه على قاعدة فرق تَسُدْ المذهب السياسي القائم الآن في بلاد الكفر والظلم .... وقوله ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ هذا تعليل لعلو فرعون وطغيانه فذكر أن سبب ذلك الذي يرتكبه من السياسة العمياء الظالمة أنه ﴿مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي في الأرض بارتكاب الجرائم العظام التي لا توصف (١).

فرعون جاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان:

أي إنه تجبر وطغا في ارض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان وجعل أهلها شيعا أي فرقا يشيعونه في كل ما يريده من الشر والفساد أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو أصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل ويسخره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الأعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم يستضعف طائفة منهم وهم بنو إسرائيل والجملة إما حال من فاعل جعل أو صفة لشيعا أو استئناف وقوله تعالى يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم بدل منها وكان ذلك لما أن كاهنا قال له يولد في بني إسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك إلا لغاية حمقة إذ لو صدق فما فائدة القتل وإن كذب فما وجهه إنه كان من المفسدين أي الراسخين في الإفساد ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة(٢) .

- العلو هو بداية القصة:

يقول السعدي-رحمه الله- :"فأول هذه القصة ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ ﴾ في ملكه وسلطانه وجنوده وجبروته، فصار من أهل العلو فيها، لا من الأعلين فيها.

﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ أي: طوائف متفرقة، يتصرف فيهم بشهوته، وينفذ فيهم ما أراد من قهره، وسطوته، ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ ﴾ وتلك الطائفة، هم بنو إسرائيل، الذين فضلهم اللّه على العالمين، الذين ينبغي له أن يكرمهم ويجلهم، ولكنه استضعفهم، بحيث إنه رأى أنهم لا منعة لهم تمنعهم مما أراده فيهم، فصار لا يبالي بهم، ولا يهتم بشأنهم، وبلغت به الحال إلى

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٤/ ٥٢).
(٢) تفسير أبي السعود (٧/ ٢).

أنه ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:٤] خوفا من أن يكثروا، فيغمروه في بلاده، ويصير لهم الملك.

﴿ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ الذين لا قصد لهم في إصلاح الدين، ولا إصلاح الدنيا، وهذا من إفساده في الأرض.[1].

فسادفرعون قبل مجيء موسى:

وقال تعالى ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:٤]

ففي هذه الآية "إن فرعون علا في الأرض- إلى أن قال- إنه كان من المفسدين "

فقال ابن تيمية-رحمه الله- :"فأخبر أنه ظالم وطاغ ومفسد هو وقومه وهذه أسماء ذم الأفعال؛ والذم إنما. يكون في الأفعال السيئة القبيحة فدل ذلك على أن الأفعال تكون قبيحة مذمومة قبل مجيء الرسول إليهم لا يستحقون العذاب إلا بعد إتيان الرسول إليهم؛ لقوله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] [2]

فلما كان ذلك الفرعون الطاغية { علا في الأرض } وتكبر وتجبر ، وجعل أهل مصر شيعاً ، كل طائفة في شأن من شئونه . ووقع أشد الاضطهاد والبغي على بني إسرائيل ، لأن لهم عقيدة غير عقيدته هو وقومه؛ فهم يدينون بدين جدهم إبراهيم وأبيهم يعقوب؛ ومهما يكن قد وقع في عقيدتهم من فساد وانحراف ، فقد بقي لها أصل الاعتقاد بإله واحد؛ وإنكار ألوهية فرعون والوثنية الفرعونية جميعاً [3].

خوف فرعون على العرش:

وكذلك أحس الطاغية أن هناك خطراً على عرشه وملكه من وجود هذه الطائفة في مصر؛ ولم يكن يستطيع أن يطردهم منها وهم جماعة كبيرة أصبحت تعد مئات الألوف ، فقد يصبحون

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦١١- ٦١٢).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٧)
(٣) النصر والتمكين آت بإذن الله (ص: ٤) المؤلف: علي بن نايف الشحود الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م

إلباً عليه مع جيرانه الذين كانت تقوم بينهم وبين الفراعنة الحروب ، فابتكر عندئذ طريقة جهنمية خبيثة للقضاء على الخطر الذي يتوقعه من هذه الطائفة التي لا تعبده ولا تعتقد بألوهيته ، تلك هي تسخيرهم في الشاق الخطر من الأعمال ، واستذلالهم وتعذيبهم بشتى أنواع العذاب . وبعد ذلك كله تذبيح الذكور من أطفالهم عند ولادتهم ، واستبقاء الإناث كي لا يتكاثر عدد الرجال فيهم . وبذلك يضعف قوتهم بنقص عدد الذكور وزيادة عدد الإناث ، فوق ما يصبه عليهم من نكال وعذاب [١].

العلو الحق لله تعالى وللمؤمنين:

يقول الصلابي[٢]:"ودعوة الناس للاجتماع على كتاب الله وسنة رسوله – ﷺ–، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

هذه أهم الأسس التي تقوم عليها عروض الطغاة في الأرض، وأي أساس منها فقد كان جديرا بتحطيم تلك العروش ولاسيما الأول منها والثاني .

ولذلك يهتم الدعاة إلى الله في كل مراحل دعوتهم بتوجيه السهام إلى تلك الأسس وخصوصا في مرحلة المغالبة حيث تنشط كتائب المجاهدين بتوجيه الضربات المسددة إلى تلك الأسس الطاغوتية، وبعد تدميرها يصل الدعاة بإذن الله تعالى بدعوتهم إلى مرحلة التمكين [٣].

يقول الطاهربن عاشور –رحمه الله–:" إظهار أن العلو الحق لله تعالى وللمؤمنين وأن علو فرعون لم يغنِ عنه شيئاً في دفع عواقب الجبروت والفساد ليكون ذلك عبرة لجبابرة المشركين من أهل مكة .

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٤٠٩).

(٢) علي محمد محمد الصلابي ،ولد في مدينة بنغازي بليبيا ،عام ١٣٨٣ه -١٩٦٣ م، حصل على درجة الإجازة العالية " الليسانس "من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة بتقدير ممتاز ،وكان ترتيبه الأول على دفعته عام ١٤١٣ ه -١٤١٤ ه الموافق ١٩٩٢م-١٩٩٣م، نال درجة الماجستير من جامعة أم درمان الإسلامية كلية أصول الدين ،قسم التفسير وعلوم القرآن عام ١٤١٧ ه -١٩٩٧م، نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية،وله كتب قيمة مؤلفة في السيرة منشورة

(٣) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم (١/ ٤٩٣) للدكتور علي الصلابي ، مكتبة الصحابة ، الإمارات ،الشارقة ،الطبعة الأولى ١٤٢٢ه-٢٠٠١م

وأن تمهيد القصة بعلو فرعون وفساد أعماله مشير إلى أن ذلك هو سبب الانتقام منه والأخذ بناصر المستضعفين ليحذر الجبابرة سوء عاقبة ظلمهم وليرجو الصابرون على الظلم أن تكون العاقبة لهم [1].

لم تذق أمة من الأمم السابقة ذل العبودية والاستعباد مثل ما ذاقته أمة بني إسرائيل في عهد ذلك الطاغية فرعون؛ فقد فعل بهم الأفاعيل، وجعل منهم خدماً وعبيداً لا قيمة لهم. «وكل طاغوت يُخضِع العباد لشريعة من عنده، وينبذ شريعة الله، هو من المفسدين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون» [2] .

---

(١) التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية (٢٠/ ٨٥)
(٢) مجلة البيان (٢١٦/ ٦)

المبحث الثاني

أقوال فرعون الجاحدة للألوهية

واليك هذه الأقوال الجاحدة للألوهية التي قالها فرعون بعدابلاغه الحجج والبراهين

القول الأول: ماعلمت لكم من اله غيرى:

قال الطبري–رحمه الله–:" يقول تعالى ذكره: وقال فرعون لأشراف قومه وسادتهم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾[القصص: ٣٨] فتعبدوه، وتصدّقوا قول موسى فيما جاءكم به من أن لكم وله ربا غيري ومعبوداً سواي [1] .

وقال ابن كثير–رحمه الله–:": "يخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه، وافترائه في دعواه الإلهية لعنه الله، كما قال الله تعالى: ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾ الآية، وذلك لأنه دعاهم إلى الاعتراف له بالإلهية، فأجابوه إلى ذلك بقلة عقولهم وسخافة أذهانهم؛ ولهذا قال: ﴿يا أيها الملأ ما عملت لكم من إله غيري﴾، وقال تعالى إخبارا عنه ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[النازعات: ٢٣ - ٢٦]

يعني أنه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مصرحا لهم بذلك فأجابوه سامعين مطعين، ولهذا انتقم الله تعالى منه فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة،[2] .

وقال سيدقطب–رحمه الله–: "يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري . . كلمة فاجرة كافرة ، يتلقاها الملأ بالإقرار والتسليم . ويعتمد فيها فرعون على الأساطير التي كانت سائدة في مصر من نسب الملوك للآلهة . ثم على القهر ، الذي لا يدع لرأس أن يفكر ، ولا للسان أن يعبر . وهم يرونه بشراً مثلهم يحيا ويموت ، ولكنه يقول لهم هذه الكلمة فيسمعونها دون اعتراض ولا تعقيب!

ثم يتظاهر بالجد في معرفة الحقيقة ، والبحث عن إله موسى ، وهو يلهو ويسخر : ﴿ فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾[القصص: ٣٨] . في السماء كما

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٥٨٠)

(٢) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ١٤)

يقول! وبلهجة التهكم ذاتها يتظاهر بأنه شاك في صدق موسى ، ولكنه مع هذا الشك يبحث وينقب ليصل إلى الحقيقة : { وإني لأظنه من الكاذبين } [1].

تظاهرفرعون بالجد في معرفة الحقيقة وقوله:﴿ لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾

يقول: انظر إلى معبود موسى، الذي يعبده، ويدعو إلى عبادته﴿ وَإِنِّي لأظُنُّهُ﴾ فيما يقول من أن له معبودا يعبده في السماء، وأنه هو الذي يؤيده وينصره، وهو الذي أرسله إلينا من الكاذبين؛ فذكر لنا أن هامان بنى له الصرح، فارتقى فوقه [2] .

قال الطبري–رحمه الله–:"﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [القصص: ٣٨] أي: أمر وزيره هامان ومدبر رعيته ومشير دولته أن يوقد له على الطين، ليتخذ له آجُرّا لبناء الصرح، وهو القصر المنيف الرفيع –كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ [غافر : ٣٦ ، ٣٧][3] .

قال الشعراوي–رحمه الله– :"خشي فرعون من كلام موسى على قومه ، وتصوَّر أنه سيحدث لهم كما نقول "غسيل مخ " فأراد أن يُذكِّرهم بألوهيته ، وأنه لم يتأثر بما سمع من موسى ﴿ ياأيها الملأ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إله غَيْرِي . ﴾ [القصص : ٣٨] يعني : إياكم أنْ تصدّقوا كلام موسى ، فأنا إلهكم ، وليس لكم إله غيري.

ثم يؤكد هذه الألوهية فيقول لهامان وزيره : ﴿ فَأَوْقِدْ لِي ياهامان عَلَى الطين فاجعل لِّي صَرْحاً لعلي أَطَّلِعُ إلى إله موسى﴾ [القصص : ٣٨] وفي موضع آخر قال :﴿ياهامان ابن لِي صَرْحاً لعلي أَبْلُغُ الأسباب * أَسْبَابَ السماوات فَأَطَّلِعَ إلى إله موسى . ﴾[غافر : ٣٦ – ٣٧] وكأنه يريد أن يُرضي قومه ، فها هو يريد أنْ يبحث عن الإله الذي يدَّعيه موسى ، وكأنه إنْ بنى صرحا واعتلاه سيرى رب موسى ، لكن هل بنى له هامان هذا الصرح؟ لم يَبْن له شيئاً ،

---

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٢٦٩٤)
(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٥٨١)
(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٣٨)

مما يدل على أن المسألة هَزْل في هَزْل ، وضحك على القوم الذين استخفّهم ولعِب بعقولهم[1]

- **القول الثاني: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى﴾:**

وعن ابن عباس ، ومجاهدٍ ، والسديِّ ، وسعيد بن جبير ، ومقاتلٍ : كلمته الأولى ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص : ٣٨] والأخرى " ﴿أَنَا ربُّكمُ الأعْلَى ﴾ .

قال ابنُ عباس : كان بين الكلمتين أربعون سنة ، والمعنى : أمهله في الأولى ، ثم أخذه في الآخرة فعذبه بكلمتيه[2] .

قال القرطبي–رحمه الله–:﴿فَحَشَرَ﴾ أي جمع أصحابه يمنعوه منها. وقيل : جمع جنوده للقتال والمحاربة ، والسحرة للمعارضة.

وقيل : حشر الناس للحضور. ﴿فَنَادَى﴾ أي قال لهم بصوت عال ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ أي لا رب لكم فوقي. ويروى : إن إبليس تصور لفرعون في صورة الإنس بمصر في الحمام ، فأنكره فرعون ، فقال له إبليس : ويحك! أما تعرفني ؟ قال : لا. قال : وكيف وأنت خلقتني ؟ ألست القائل أنا ربكم الأعلى. ذكره الثعلبي في كتاب العرائس. وقال عطاء : كان صنع لهم أصناما صغارا وأمرهم بعبادتها ، فقال أنا رب أصنامكم. وقيل : أراد القادة والسادة. هو ربهم ، وأولئك ، هم أرباب السفلة. وقيل : في الكلام تقديم وتأخير ؛ فنادى فحشر ؛ لأن النداء يكون قبل الحشر.﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ أي نكال قوله : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ وقوله بعد : ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة [3].

غفلة القوم سبب الطغيان:

قالها الطاغية مخدوعاً بغفلة جماهيره ، وإذعانها وانقيادها . فما يخدع الطغاة شيء ما تخدعهم غفلة الجماهير وذلتها وطاعتها وانقيادها . وما الطاغية إلا فرد لا يملك في الحقيقة قوة ولا سلطاناً إنما هي الجماهير الغافلة الذلول ، تمطي له ظهرها فيركب! وتمد له أعناقها فيجر! وتحني له رؤوسها فيستعلي! وتتنازل له عن حقها في العزة والكرامة فيطغى!

---

(١) تفسير الشعراوي (ص: ٦٨٥٦)
(٢) اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ١٣٩)
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٠٢)

والجماهير تفعل هذا مخدوعة من جهة وخائفة من جهة أخرى . وهذا الخوف لا ينبعث إلا من الوهم . فالطاغية وهو فرد لا يمكن أن يكون أقوى من الألوف والملايين ، لو أنها شعرت بإنسانيتها وكرامتها وعزتها وحريتها . وكل فرد فيها هو كفء للطاغية من ناحية القوة ولكن الطاغية يخدعها فيوهمها أنه يملك لها شيئاً! وما يمكن أن يطغى فرد في أمة كريمة أبداً . وما يمكن أن يطغى فرد في أمة رشيدة أبداً . وما يمكن أن يطغى فرد في أمة تعرف ربها وتؤمن به وتأبى أن تتعبد لواحد من خلقه لا يملك لها ضراً ولا رشداً!

فأما فرعون فوجد في قومه من الغفلة ومن الذلة ومن خواء القلب من الإيمان ، ما جرؤ به على قول هذه الكلمة الكافرة الفاجرة : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾. . وما كان ليقولها أبدا لو وجد أمة واعية كريمة مؤمنة ، تعرف أنه عبد ضعيف لا يقدر على شيء . وإن يسلبه الذباب شيئاً لا يستنقذ من الذباب شيئاً![1] .

القول الثالث: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ :

قال الطاهر بن عاشور –رحمه الله–:"لمّا لم يجد فرعون لحجاجه نجاحاً ورأى شدة شكيمة موسى في الحق عدل عن الحجاج إلى التخويف ليقطع دعوة موسى من أصلها . وهذا شأن من قهرته الحجة ، وفيه كبرياء أن ينصرف عن الجدل إلى التهديد[2] .

وقال ابن كثير –رحمه الله–:"لما قامت على فرعون الحجة بالبيان والعقل، عدل إلى أن يقهر موسى بيده وسلطانه، وظن أنه ليس وراء هذا المقام مقال فقال: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾[الشعراء: ٢٩] فعند ذلك قال موسى: ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴾ ؟ أي: ببرهان قاطع واضح.

﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ أي: ظاهر واضح في غاية الجلاء والوضوح والعظمة، ذات قوائم وفم كبير، وشكل هائل مزعج.

﴿ وَنزعَ يَدَهُ ﴾ أي: من جيبه ﴿ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ أي: تتلألأ كقطعة من القمر. فبادر فرعون –بشقائه –إلى التكذيب والعناد،[3] .

---

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٨١٥).
(٢) التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية (١٩/ ١٢١).
(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ١٣٩).

المبالغة في رده عن دعوى الرسالة:

وقال الألوسي –رحمه الله–:" ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ لَئِنِ اتخذت إلها غَيْرِى لاجْعَلَنَّكَ مِنَ المسجونين وفيه مبالغة في رده عن دعوى الرسالة حيث أراد منه ما أراد ولم يقنع منه عليه السلام بترك دعواها وعدم التعرض له ، وفيه أيضاً عتو آخر حيث أوهم أن موسى عليه السلام متخذ له إلهاً في ذلك الوقت وأن اتخاذه غيره الهاً بعد مشكوك ، وبالغ في الإبعاد على تقدير وقوع ذلك حيث أكد الفعل بما أكد وعد عن لأسجننك الأخصر لذلك أيضاً فإن أل في المسجونين للعهد فكأنه قال : لأجعلنك ممن عرفت أحوالهم في سجوني ، وكان عليه اللعنة يطرحهم في هوة عميقة قيل : عمقها خمسمائة ذراع وفيها حيات وعقارب حتى يموتوا [١].

السجن سمة الطغاة وطريقهم في القديم والجديد:

جاء في تفسير الجلالين: { قال } فرعون لموسى ﴿ لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين ﴾ كان سجنه شديدا يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده لا يبصر ولا يسمع فيه أحدا[٢]

وقال صديق حسن خان –رحمه الله–:﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ أي: من أهل السجن، واللام للعهد، أي ممن عرفت حالهم في سجوني. وكان سجن فرعون أشد من القتل، لأنه إذا سجن أحداً لم يخرجه حتى يموت، وكان يطرحه في هوة عميقة في مكان تحت الأرض وحده. ولذلك (أجعل) أبلغ من ﴿لأسجننك﴾ فتوعد موسى بالسجن، ولم يقل ما دليلك على أن هذا الإله أرسلك، لأن فيه الاعتراف بأن ثمة إلهاً غيره، وفي توعده بالسجن ضعف، لما يروى أنه كان يفزع من موسى فزعاً شديداً [٣] .

قال سيد قطب –رحمه الله–: قال:﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩] هذه هي الحجة وهذا هو الدليل : التهديد بأن يسلكه في عداد المسجونين .

---

(١) تفسير الألوسي (١٤/ ١٩١).
(٢) تفسير الجلالين (ص: ٤٨٢)
(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن (٩/ ٣٧٣)

فليس السجن عليه ببعيد . وما هو بالإجراء الجديد! وهذا هو دليل العجز ، وعلامة الشعور بضعف الباطل أمام الحق الدافع . وتلك سمة الطغاة وطريقهم في القديم والجديد!

غير أن التهديد لم يفقد موسى رباطة جأشه . . وكيف وهو رسول الله؟ والله معه ومع أخيه؟ فإذا هو يفتح الصفحة التي أراد فرعون أن يغلقها ويستريح . يفتحها بقول جديد ، وبرهان جديد[(١)] :

التخويف هو العجز عن الحجاج:

قال الفخر الرازي –رحمه الله–: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴾ فإنه لما عجز عن الحجاج عدل إلى التخويف فعند ذلك ذكر موسى عليه السلام كلاماً مجملاً ليعلق قلبه به فيعدل عن وعيده فقال أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَىء مُّبِينٍ أي هل تستجيز أن تسجنني مع اقتداري على أن آتيك بأمر بين في باب الدلالة على وجود الله تعالى وعلى أني رسوله فعند ذلك قال فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ[(٢)]

وذلك ضلال كل من كان الطاغوت ديدنهم الذي لَا يخالفونه، ﴿لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ هذا تهديد لموسى عليه السلام، أي لألقين بك في السجن، حيث لَا تستطيع قولا، وتكون في ضمن المسجونين الذين لَا يسمع لهم صوت، ولا قول، ولكن موسى كليم اللَّه لم يرعبه ذلك، ولم يرهبه، بل أخذ يدير القول إلى الحجة والبرهان[(٣)]

وقال الشنقيطي–رحمه الله–: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴾ [الشعراء: آية ٢٩] وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[النازعات: آية ٢٤] فإن فرعونَ مُكَابِرٌ عالمٌ أنه عبدٌ مربوبٌ، وأن اللَّهَ رَبُّهُ وَرَبُّ كُلِّ شيءٍ، كما أَوْضَحَهُ اللَّهُ في إقسامِ موسى على ذلك، قال: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: آية ١٠٢] وَاللَّهِ لقد علمتَ يا فرعونُ ما أنزلَ هؤلاء الآياتِ إلا رَبُّ السماواتِ والأرضِ. أي: وَمَنْ فيهن.

---

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٢٥٩٣)

(٢) مفاتيح الغيب (٢٤/ ١١٣) المؤلف : الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة : الأولى- ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م

(٣) زهرة التفاسير (١٠/ ٥٣٤٩) المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي

وكقولِه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾[النمل: آية ١٤] يعني: فرعونَ وقومَه ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل: آية ١٤] فهو جاحدٌ مُكَابِرٌ ليستخفَّ قلوبَ قومِه: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾[الزخرف: آية ٥٤][(١)].

اتهام فرعون لموسى بانه ساحرعليم:

قال الطبري:"القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٣٤ – ٣٥]

يقول تعالى ذكره: قال فرعون لما أراه موسى من عظيم قدرة الله وسلطانه حجة عليه لموسى بحقيقة ما دعاه إليه، وصدق ما أتاه به من عند ربه﴿ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ ﴾ يعني لأشراف قومه الذين كانوا حوله.﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ يقول: إن موسى سحر عصاه حتى أراكموها ثعبانا﴿ عَلِيمٌ ﴾، يقول: ذو علم بالسحر وبصر به.﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ ﴾ يقول: يريد أن يخرج بني إسرائيل من أرضكم إلى الشأم بقهره إياكم بالسحر. وإنما قال: يريد أن يخرجكم فجعل الخطاب للملإ حوله من القبط، والمعنيّ به بنو إسرائيل، لأن القبط كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل، واتخذوهم خدما لأنفسهم ومهانا، فلذلك قال لهم:﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ ﴾ وهو يريد: أن يخرج خدمكم وعبيدكم من أرض مصر إلى الشأم [(٢)].

التجمع للموعدلمعرفة المحق من المبطل:

قال مكي بن أبي طالب[(٣)]–رحمه الله–:"قال تعالى: ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ أي: فجمع الحاشرون السحرة لوقت معلوم، تواعد فرعون وموسى بالاجتماع فيه وذلك يوم الزينة. ﴿وَأَن يُحْشَرَ الناس ضُحًى﴾ [طه: ٥٩]، ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُمْ مُّجْتَمِعُونَ﴾، لتنظروا لمن الغلبة ألموسى أم للسحرة؟

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٣/ ٣٤٣)

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٣٤٦)

(٣) مكي [٣٥٥ - ٤٣٧ هـ/ ٩٦٦ - ١٠٤٥ م] مكي بن أبي طالب حموش بن محمد ابن مختار الأندلسي القسيي، أبو محمد: عالم بالتفسير والعربية، مقرئ، من أهل القيروان، وبها نشأ وتعلم، وحج، فسمع بمصر ومكة، وعاد إلى بلده، وأقرأ بها. ثم دخل قرطبة أيام المظفر بن أبي عامر (سنة ٣٩٣ هـ) وخطب وأقرأ بجامعها، فعلا ذكره، ورحل الناس إليه. مات بقرطبة. من تصانيفه "الهداية إلى بلوغ النهاية" في معاني القرآن وتفسيره وأنواع علومه، مخطوط، بضعة أجزاء، من سبعين جزء، و "مشكل إعراب القرآن" - وقد ذكر في كتب التراجم بأسماء مختلفة - مثل "شكل إعراب القرآن" و "إعراب القرآن" و "تفسير إعراب القرآن" و "إعراب مشكل القرآن" الخ .. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (٢/ ٦٨٤)

وقيل: المعنى: وقال بعض الناس لبعض: هل أنتم مجتمعون لننظر لمن الغلبة لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين موسى.

وروى: أن الاجتماع كان بالاسكندرية قاله ابن زيد (١).

قال سيد قطب–رحمه الله–:" ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[الشعراء: ٣٨ - ٤٠]

وتظهر من التعبير حركة الإهاجة والتحميس للجماهير : ﴿ هل أنتم مجتمعون ، لعلنا نتبع السحرة؟ ﴾ هل لكم في التجمع وعدم التخلف عن الموعد ، ليترقب فوز السحرة وغلبتهم على موسى الإسرائيلي! والجماهير دائماً تتجمع لمثل هذه الأمور ، دون أن تفطن إلى أن حكامها الطغاة يلهون بها ويعبثون ، ويشغلونها بهذه المباريات والاحتفالات والتجمعات ، ليلهوها عما تعاني من ظلم وكبت وبؤس . وهكذا تجمع المصريون ليشهدوا المباراة بين السحرة وموسى عليه السلام!(٢)

الإطمئنان على الأجر والمكافأة:

ثم يجيء مشهد السحرة بحضرة فرعون قبل المباراة؛ يطمئنون على الأجر والمكافأة إن كانوا هم الغالبين؛ ويتلقون من فرعون الوعد بالأجر الجزيل والقربى من عرشه الكريم!

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٤١ – ٤٢]

وهكذا ينكشف الموقف عن جماعة مأجورة يستعين بها فرعون الطاغية؛ تبذل مهارتها في مقابل الأجر الذي تنتظره؛ ولا علاقة لها بعقيدة ولا صلة لها بقضية ، ولا شيء سوى الأجر والمصلحة . وهؤلاء هم الذين يستخدمهم الطغاة دائماً في كل مكان وفي كل زمان (٣).

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية (٨/ ٥٢٩٤) في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٢٥٩٤-٢٥٩٥)

(٣) المصدرنفسه (٦/ ٢٥٩٤-٢٥٩٥)

ظهور الحق وإيمان سحرة فرعون :

مازال السياق في الحديث عن المباراة التي بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون إنه لما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم وتحركت واضطربت ومتلأت بها الساحة شعر موسى بخوف في نفسه فأوحى إليه ربه تعالى في نفس اللحظة: ﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨ ﴾[طه: ٦٧ – ٦٨]

﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾أي الغالب القاهر لهم.

قال ابن كثير –رحمه الله–: "وقد ذكر الله في سورة الأعراف: أنهم ﴿ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴾ [الأعراف:١١٦] ، وقال في "سورة طه": ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴾[طه: ٦٦]

وقال هاهنا: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴾[الأعراف: ١١٧] أي: تختطفه وتجمعه من كل بقعة وتبتلعه فلم تدع منه شيئا.

قال تعالى: ﴿ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢ ﴾ [الأعراف:١١٨–١٢٢] وكان هذا أمرا عظيما جدًا، وبرهانًا قاطعًا للعذر وحجة دامغة، وذلك أن الذين استنصر بهم وطلب منهم أن يغلبوا، قد غلبوا وخضعوا وآمنوا بموسى في الساعة الراهنة، وسجدوا لله رب العالمين، الذي أرسل موسى وهارون بالحق وبالمعجزة الباهرة، فَغُلِبَ فرعون غَلبًا لم يشاهد العالم مثله، [١].

السحرة بعد الجحود يُلْقُون للشكر والسجود:

قال الشعراوي:" قال الزجاج في هذا الموقف : عجيب أمر هؤلاء ، فقد ألقوا حبالهم وعِصيّهم للكفر والجحود ، فإذا بهم يُلْقُون أنفسهم للشكر والسجود .

نعم ، لقد دخلوا كافرين فجرة فخرجوا مؤمنين بررة ، لأنهم جاءوا بكل ما لديهم من الكَيْد ، وجمعوا صَفْوة السحر وأساتذته ممنْ يَعْلمون السحر جيداً ، ولا تنطلي عليهم حركات السحرة

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٤١).

وألاعيبهم ، فلما رَأوا العصا وما فعلتْ بسحرهم لم يخالطهم شكٌّ في أنها معجزة بعيدة عَمّا يصنعونه من السحر؛ لذلك سارعوا ولم يترددوا في إعلان إيمانهم بموسى وهارون .

وهذا يدلُّنا على أن الفطرة الإيمانية في النفس قد تطمسها الأهواء ، فإذا ما تيقظتْ الفطرة الإيمانية وأُزيلَتْ عنها الغشاوة سارعتْ إلى الإيمان وتأثرتْ به[١] .

قوة البرهان الذى عاينوه يلقيهم سجداً:

قوله عز وجل " ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا ﴾[طه: ٧٠]فألقي السحرة سجدا " يعني من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا وهذا قول الأخفش وقال الفراء والقتبي وقعوا للسجود " قالوا آمنا برب هارون وموسى " يعني صدقنا به " قال " لهم فرعون " آمنتم له قبل أن آذن لكم " يعني قبل أن آمركم " إنه لكبيركم " يعني موسى لعالمكم " الذي علمكم السحر " وإنما أراد به التلبيس على قومه لأنه علم أنهم لم يتعلموا من موسى وإنما علموا السحر قبل قدوم موسى وقبل ولادته[٢] .

والحق أن التعبير بقوله – تعالى – : ﴿ فَأُلْقِيَ السحرة سُجَّداً . ﴾يدل على قوة البرهان الذى عاينوه ، حتى لكأنهم أمسكهم إنسان وألقاهم ساجدين بالقوة لعظم المعجزة التى عاينوها ، وأطلق – سبحانه – عليهم اسم السحرة فى حال سجودهم له – تعالى – وإيمانهم به ، نظرا إلى حالهم الماضية .

وهكذا النفوس النقية عندما يتبين لها الحق ، لا تلبث أن تفىء إليه ، وتستجيب لأهله .

قال الكرخى[٣] : خروا ساجدين لله لأنهم كانوا فى أعلى طبقات السحر ، فلما رأوا ما فعله موسى خارجا عن صناعتهم ، عرفوا أنه ليس من السحر البتة .

وقال صاحب الكشاف : " ما أعجب أمرهم ، قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود . ثم ألقوا رءوسهم بعد ساعة للشكر والسجود . فما أعظم الفرق بين الإلقاءين "[٤].

وقال في سورة الشعراء ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾[الشعراء: ٤٦]

---

(١) تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٣١٩- ٩٣٢٠).

(٢) بحر العلوم (٢/ ٤٠٥).

(٣) الكرخي [٩١٠ - ١٠٠٦ هـ/ ١٥٠٤ - ١٥٩٨ م] محمد بن محمد الكرخي البكري، أبو عبد الله، بدر الدين فقيه شافعي، أصولي، فرضي، عارف بالتفسير، اشتهر بمصر وتوفي بها. من آثاره "مجمع البحرين ومطلع البدرين على تفسير الجلالين" مخطوط أربع مجلدات، و "حاشية على الجرلين" في مجلدين، و "المنهج الأسنى في آية الكرسي والأسماء الحسنى" مخطوط معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (٢/ ٦٢٧).

(٤) التفسير الوسيط لطنطاوي (٩/ ١٢٦).

حقيقة اليقين تتضح للسحرة:

قال الشعراوي–رحمه الله–:" هنا تظهر حقيقة السحر . . لماذا سجد السحرة؟ لأن حبالهم وعصيهم ظلت كما هي حبالا وعصيا . . ذلك أن أحدا لم يسحر أعينهم. ولكن عندما ألقى موسى عصاه تحولت إلى حية حقيقية . . فعرفوا أن هذا ليس سحرا ولكنها معجزة من الله سبحانه وتعالى . . لماذا؟ لأن السحر لا يغير طبيعة الأشياء ، وهم تأكدوا أن عصا موسى قد تحولت إلى حية . . ولكن حبالهم وعصيهم ظلت كما هي وإن كان قد خيل إلى الناس أنها تحولت إلى حية .

إذن فالسحر تخيل والساحر يرى الشيء على حقيقته لذلك فإنه لا يخاف . . بينما المسحورون الذين هم الناس يتخيلون أن الشيء قد تغيرت طبيعته . . ولذلك سجد السحرة لأنهم عرفوا أن معجزة موسى ليست سحرا . . ولكنها شيء فوق طاقة البشر[1].

ما توعد فرعون به السحرة ، وموقفهم من هذا الوعيد:

وكان وقحًا جريئًا عليه لعنة الله، فعدل إلى المكابرة والعناد ودعوى الباطل، فشرع يتهددهم ويتوعدهم، ويقول: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[الأعراف: ١٢٣- ١٢٤]

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾[طه: ٧١ – ٧٣] ﴿ قَالُواْ لَا ضَيْرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[الشعراء: ٥٠ – ٥١]

---

(١) تفسير الشعراوي (١/ ٤٩٣).

تهددهم فلم يقطع ذلك فيهم، وتوعدهم فما زادهم إلا إيمانا وتسليما. وذلك أنه قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر، وظهر لهم الحق بعلمهم ما جهل قومهم، من أن هذا الذي جاء به موسى لا يصدر عن بشر، إلا أن يكون الله قد أيده به، وجعله له حجة ودلالة على صدق ما جاء به من ربه[1] .

قال السعدي-رحمه الله- :"﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ٨٢] فألقي السحرة سجدًا حين تبين لهم الحق. فتوعدهم فرعون بالصلب، وتقطيع الأيدي والأرجل، فلم يبالوا بذلك وثبتوا على إيمانهم.

وأما فرعون وملؤه، وأتباعهم، فلم يؤمن منهم أحد، بل استمروا في طغيانهم يعمهون.

ولهذا قال: ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إلا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ ﴾ أي: شباب من بني إسرائيل، صبروا على الخوف، لما ثبت في قلوبهم الإيمان [2].

التحول في لحظة من الكفر إلى الإيمان:

قال سيد قطب-رحمه الله-:﴿فَأُلْقِيَ السحرة سُجَّداً . . ﴾إنها اللمسة تصادف العصب الحساس فينتفض الجسم كله . وتصادف « الزر » الصغير فينبعث النور ويشرق الظلام . إنها لمسة الإيمان للقلب البشري تحوله في لحظة من الكفر إلى الإيمان .

ولكن أنى للطغاة أن يدركوا هذا السر اللطيف؟ أنى لهم أن يدركوا كيف تتقلب القلوب؟ وهم قد نسوا لطول ما طغوا وبغوا ، ورأوا الأتباع ينقادون لإشارة منهم ، نسوا أن الله هو مقلب القلوب؛ وأنها حين تتصل به وتستمد منه وتشرق بنوره لا يكون لأحد عليها سلطان[3] .

القول الرابع: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ :

لا شك أن هذا القول الدال على طغيان فرعون كان بعد أن انهزم في ميادين عدة أراد أن يسترد بعض ما فقد فقال ذروني أقتل موسى أي اتركوني أقتل موسى ﴿ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ أي ليمنعه مني، وعلل لقوله هذا بقوله إني أخاف أن يبدّل دينكم، أي بعد أن يغلب عليكم فتدينون بدينه أو أن يظهر في الأرض الفساد بالقتل والفتن.

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٤١)
(٢) تفسير السعدي (ص: ٣٧١)
(٣) في ظلال القرآن (٤/ ٢٣٤٢).

قال البيضاوي –رحمه الله–: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾ [غافر: ٢٦] كانوا يكفونه عن قتله ويقولون إنه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن أنك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا في أهون شيء دليل على أنه تيقن أنه نبي فخاف من قتله أو ظن أنه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله ﴿ وليدع ربه ﴾ فإنه تجلد وعدم مبالاة بدعائه﴿إني أخاف ﴾ إن لم أقتله ﴿ أن يبدل دينكم ﴾ أن يغير ما أنتم عليه من عبادته وعبادة الأصنام لقوله تعالى : ﴿ ويذرك وآلهتك ﴾ ﴿ أو أن يظهر في الأرض الفساد ﴾ ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج إن لم يقدر أن يبطل دينكم بالكلية [١] .

قال الثعالبي –رحمه الله–: [٢]: الظاهر من أمر فرعون أنه لما بهرتهم آيات موسى

عليه السلام أنهد ركنه واضطربت معتقدات أصحابه ولم يفقد منهم من يجاذبه الخلاف في أمره وذلك بين من غير ما موضع من قصتهما وفي هذه الآية على ذلك دليلان

أحدهما قوله ذروني فليست هذه من ألفاظ الجبابرة المتمكنين من انفاذ أوامرهم

والدليل الثاني مقالة المؤمن وما صدع به وان مكاشفته لفرعون أكثر من مساترته وحكمه بنبوءة موسى أظهر من توريته في أمره[٣] .

موقف مؤمن ءال فرعون من قتل موسى:

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤۡمِنٌ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾ [غافر: ٢٨]

---

(١) تفسير البيضاوي (ص: ٩٠)

(٢) الثعالبي [٧٨٦ - ٨٧٥ هـ / ١٣٨٤ - ١٤٧٠ م] عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد: مفسر، من كبار علماء الجزائر وصلحائها الأبرار. ولد ونشأ بناحية "وادي يسر" بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر. وانتقل إلى بجاية سنة ٨٠٢ هـ فأخذ عن علمائها، ثم انتقل إلى تونس سنة ٨٠٩ هـ فلقي بها أكابر العلماء وأخذ عنهم، وفي سنة ٨١٧ هـ سافر إلى مصر وأخذ عن البساطي وولي الدين العراقي. ثم ارتحل إلى تركية ومنها إلى الحجاز، فحج وعاد إلى تونس سنة ٨١٩ هـ ومنها إلى الجزائر. ولي القضاء على غير رضى منه ثم خلع نفسه. له نحو ٩٠ كتابا، منها "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" في أربعة مجلدات، مذيلا بمعجم لغوي لشرح غريبه، طبع أكثر من مرة. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (١/ ٢٧٦)

(٣) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ١١٢) المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

قال البغوي–رحمه الله–:" واختلفوا في هذا المؤمن:

قال مقاتل والسدي : كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذي حكى الله عنه فقال: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ ، وقال قوم: كان إسرائيليا ، ومجاز الآية . وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون ، وكان اسمه حزبيل عند ابن عباس ، وأكثر العلماء.

وقال ابن إسحاق[١]–رحمه الله–:" : كان اسمه جبريل . وقيل: كان اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون حبيبا . ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ ، لأن يقول ربي الله ، ﴿ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ، أي بما يدل على صدقه ، ﴿ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ﴾، لا يضركم ذلك ، ﴿ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا﴾، فكذبتموه وهو صادق[٢] .

وقال الشوكاني–رحمه الله–:" : إنما قال هذا لأنه كان في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى مخافة أن ينزل بهم العذاب والمعنى : اتركوني أقتله ﴿ وليدع ربه ﴾ الذي يزعم أنه أرسله إلينا فليمنعه من القتل إن قدر على ذلك : أي لا يهولنكم ذلك فإنه لا رب له حقيقة بل أنا ربكم الأعلى ثم ذكر العلة التي لأجلها أراد أن يقتله فقال : ﴿ إني أخاف أن يبدل دينكم ﴾ الذي أنتم عليه من عبادة غير الله ويدخلهم في دينه الذي هو عبادة الله وحده[3].

---

(١) محمد بن إسحاق أبو بكر، وقيل أبو عبد الله، محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، وقيل يسار بن كوتان المطلبي بالولاء المديني صاحب المغازي والسير كان جده يسار مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي، سباه خالد بن الوليد من عين التمر، وكان محمد المذكور ثبتا في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسير فلاتجهل إمامته فيها، قال ابن شهاب الزهري: من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق وذكره البخاري في تاريخه؛ وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: من اراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق. وحكي عن يحيى بن معين و أحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان أنهم وثقوا محمد بن إسحاق واحتجوا بحديثه، وإنما لم يخرج البخاري عنه وقد وثقه، وكذلك مسلم وتوفي محمد بن إسحاق ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائة، وقيل سنة خمسين،
وقيل سنة اثنتين وخمسين، وقال خليفة بن خياط: سنة ثلاث وخمسين، وقيل أربع وأربعين والله أعلم، والأول أصح رحمه الله تعالى. وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٦- ٢٧٧).

(٢) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل (٦/ ٤٩٤)

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٤/ ٥٦٠)

الفصل الثالث

البلاء الذي تعرض له موسى

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : بلاء موسى عليه السلام من فرعون و وَمَلَئه

المبحث الثاني: معالجة ما شاب قومه من وهن.

المبحث الثالث : عاقبة البلاء بنهاية فرعون.

الفصل الثالث

البلاء الذي تعرض له موسى

تمهيد

الكليم الكريم موسى عليه الصلاة والسلام،يتعرض للابتلاء ابتلاء تلو ابتلاء، من الجبابرة فرعون وهامان وقارون الكذاب، ومن بني إسرائيل،بل وحصلت له المحنه والبلاء من قومه الذين معه بإخلاف الوعد والعودة إلى عبادة الاصنام .

موسى عليه الصلاة والسلام الذي رباه ربه سبحانه وتعالى على الإيمان واليقين يعلم أن هذا الدين هو لله عز وجل وليس له، وليس لأحد من الناس، وأن الذي فرض هذا الدين هو الذي سوف يدافع عنه، وأنه الآن لا بد أن تكون هناك حماية، وأن هذا البحر وإن كان مائجاً يغرق، والعدو من ورائهم فتاك عنيد، لكن لا بد أن يأتي الفرج، فيقول موسى عليه الصلاة والسلام: (كَلَّا) يعني: الآن لسنا بمدركين، هم في الحقيقة مدركون حسب الظواهر المرئية؛ لأن البحر من الأمام، والعدو يحيط من الخلف، وسوف يلجئهم إلى البحر ويغرقهم، لكن الإيمان فوق ذلك، فهو يقول: (كَلَّا) ولذلك ما قال: لا، بل قال: (كَلَّا)، وهي أبلغ في النفي وتأكيد النفي: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢]

هذا درس يجب أن يفهمه المؤمنون دائماً، ويجب أن يفهموه في ساعة الشدة بصفة خاصة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف:١١٠]، فالنصر لا يأتي غالباً إلا بآخر لحظة من لحظات الابتلاء، ولذلك أغرق الله عز وجل فرعون وجنوده، ونجا موسى ومن معه، فأصبح الأمر آية عظيمة من آيات الله .

إنها سوف تنتهي دولة الكفر التي تقول للناس: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص:٣٨] انتهت هذه المرحلة، وجاء تحقيق وعد الله عز وجل: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ [الأعراف:١٣٧]، الذين كانوا يعيشون في مصر بالأمس أذلة، لما صبروا وصابروا ورابطوا، وكانوا عضداً مع أنبياء الله موسى وهارون عليهم الصلاة والسلام ﴿بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ * وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ [الأعراف:١٣٧ – ١٣٨].

المبحث الأول

بلاء موسى عليه السلام من فرعون و وَمَلَئه

أقوال موسى عليه السلام في مواجهة البلاء:

بعد أن رأى موسى عليه السلام ماحل بقومه من بلاء ومحنة من فرعون وقومه توجه إلى ربه بهذه الأقوال في مواجهة البلاء:

١-عياذ موسى بربه سبحانه:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾[غافر: ٢٧]

قال الشنقيطي-رحمه الله- :"ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن نبيه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، عاذ بربه، أي: اعتصم به، وتمنع ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾، أي: متصف بالكبر، ﴿لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.، أي: لا يصدق بالبعث والجزاء.

وسبب عياذ موسى بربه المذكور، أن فرعون قال لقومه: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾.

فعياذ موسى المذكور بالله إنما هو في الحقيقة من فرعون، وإن كانت العبارة أعم من خصوص فرعون، لأن فرعون لا شك أنه متكبر، لا يؤمن بيوم الحساب فهو داخل في الكلام دخولاً أولياً، وهو المقصود بالكلام[(١)]

٢- دعاء موسى على فرعون وَمَلَئه الظلمة:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[يونس: ٨٨ - ٨٩]

قال ابن كثير-رحمه الله-:"هذا إخبار من الله تعالى عما دعا به موسى، عليه السلام، على فرعون وَمَلَئه، لما أبوا قبول الحق واستمروا على ضلالهم وكفرهم معاندين جاحدين، ظلما وعلوا وتكبرًا وعتوا، قال: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً ﴾ أي: من أثاث الدنيا ومتاعها، ﴿ وأموالا ﴾ أي: جزيلة كثيرة،{ فِي}هذه ﴿ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ أي:

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤٣/ ٢٢)

أعطيتهم ذلك وأنت تعلم أنهم لا يؤمنون بما أرسلتني به إليهم استدراجا منك لهم، كما قال تعالى: ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾

وقرأ آخرون: ﴿ لِيُضِلُّوا ﴾ بضم الياء، أي: ليفتتن بما أعطيتهم من شئت من خلقك، ليظن من أغويته أنك إنما أعطيت هؤلاء هذا لحبك إياهم واعتنائك بهم.

﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: أي: أهلكها. وقال الضحاك، وأبو العالية، والربيع بن أنس: جعلها الله حجارة منقوشة كهيئة ما كانت

وقال قتادة: بلغنا أن زروعهم تحولت حجارة [(١)].

قال أبو جعفر –رحمه الله–: يقول تعالى ذكره: وقال موسى يا ربَّنا إنك أعطيت فرعون وكبراء قومه وأشرافهم وهم "الملأ" "زينة" ، من متاع الدنيا وأثاثها﴿وأموالا﴾ من أعيان الذهب والفضة ﴿في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ﴾، يقول موسى لربه: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من ذلك ليضلُّوا عن سبيلك [(٢)].

استخدام المال لإضلال الناس:

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ﴾ [يونس: ٨٨]

ينشأ عنها إضلال الناس عن سبيلك ، إما بالإغراء الذي يحدثه مظهر النعمة في نفوس الآخرين . وإما بالقوة التي يمنحها المال لأصحابه فيجعلهم قادرين على إذلال الآخرين أو إغوائهم .

ووجود النعمة في أيدي المفسدين لا شك يزعزع كثيراً من القلوب التي لا يبلغ من يقينها بالله أن تدرك أن هذه النعمة ابتلاء واختبار ، وأنها كذلك ليست شيئاً ذا قيمة إلى جانب فضل الله في الدنيا والآخرة . وموسى يتحدث هنا عن الواقع المشهود في عامة الناس . ويطلب لوقف هذا الإضلال ، ولتجريد القوة الباغية المضلة من وسائل البغي والإغراء ، أن يطمس الله على هذه الأموال بتدميرها والذهاب بها ، بحيث لا ينتفع بها أصحابها . أما دعاؤه بأن يشد الله على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ، فهو دعاء من يئس من صلاح هذه القلوب ، ومن أن يكون لها توبة أو إنابة . دعاء بأن يزيدها الله قسوة واستغلاقاً حتى يأتيهم العذاب ،

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٠)

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ١٧٧)

وعندئذ لن يقبل منهم الإيمان؛ لأن الإيمان عند حلول العذاب لا يقبل ، ولا يدل على توبة حقيقية باختيار الإنسان[١] .

أقوال قوم فرعون بعد أن أصابتهم الهزيمة:

قال ابن عباس : "لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل ، قال مقاتل : ومكث موسى بمصر بعد إيمان السحرة عاماً أو نحوه يريهم الآيات وتضمن قول الْمَلاَ إغراء فرعون بموسى وقومه وتحريضه على قتلهم وتعذيبهم حتى لا يكون لهم خروج عن دين فرعون ويعني بقومه من اتبعه من بني إسرائيل[٢] .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[الأعراف: ١٢٧]

أى : قال الزعماء والوجهاء من قوم فرعون له ، بعد أن أصابتهم الهزيمة والخذلان فى معركة الطغيان والإيمان ، قالوا له على سبيل التهييج والإثارة : أتترك موسى وقومه أحراراً آمنين فى أرضك ، ليفسدوا فيها بإدخال الناس فى دينهم ، أو جعلهم تحت سلطانهم ورياستهم .

روى أنهم قالوا له ذلك بعد أن رأوا عدداً كبيراً من الناس ، قد دخل فى الإيمان متبعاً السحرة الذين قالوا ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ العالمين ﴾ وقوله ﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ معناه : أتتركهم أنت يعبدون رب موسى وهارون ، ويتركون عبادتك وعبادة آلهتك ، فيظهر للناس عجزك وعجزها ، فتكون الطامة الكبرى التى بها بفسد ملكك .

قال السدى : إن فرعون كان قد صنع لقومه أصناماً صغاراً وأمرهم بعبادتها ، وسمى نفسه الرب الأعلى .

وقال الحسن إنه كان يعبد الكواكب ويعتقد أنها المربية للعالم السفلى كله ، وهو رب النوع الإنسانى[٣].

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٨١٧)

(٢) تفسير البحر المحيط (٤/ ٣٦٦).

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (٥/ ٣٥٣).

قال الحسن : كان فرعون يعبد الأصنام ، فَكَانَ يَعْبُدُ وَيُعْبَدُ .

قال سليمان التيمي : بلغني أن فرعون كان يعبد البقر. قال التيمي : فقلت للحسن هل كان فرعون يعبد شيئا ؟ قال نعم ؛ إنه كان يعبد شيئا كان قد جعل في عنقه. وقيل : معنى {وآلهتك} أي وطاعتك ، كما قيل في قوله : {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ} [التوبة : ٣١] {وَيَذَرَكَ} بنصب الراء جواب الاستفهام ، والواو نائبة عن الفاء. {وَآلِهَتَكَ} إنهم ما عبدوهم ولكن أطاعوهم، الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٦١).

المقربون أول من خافوا على سلطانهم:

وهكذا نعرف أن المقربين من فرعون هم أول من خافوا على سلطانهم ، ويدل هذا القول أيضاً على أن فرعون لم يتعرض لموسى بأي أذى؛ لأنه مازال يعيش في رهبة اليقين وصولة الحق مما جعله متوجساً وخائفاً من موسى؛ لأن فرعون أول من يعلم أن مسألة ألوهيته كذب كلها ، ويعلم جيداً أن موسى على حق ، لكن إعلان انهزامه أمام الجمع ليس أمراً سهلاً على النفس البشرية ، وسأل الملأ من قوم فرعون الذين اهتز أمامهم سلطانه ومكانته ، قالوا : لفرعون : أتترك موسى وقومه ليفسدوا في الأرض؟ . أو فيما يبدو أن موسى وهارون تركا المكان بعد أن انتهيا من أمر السحرة ، ولم يقبض عليهما فرعون؛ لذلك تساءل الملأ من قوم فرعون : ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ ﴾[الأعراف: ١٢٧]

و « يذرك » أي يدعك ويتركك ، وكان فرعون يعتقد أن هناك آلهة علويين وآلهة سفليين ، وهو رب العالم السفلي كله . لذلك قالوا : { وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ } . وهناك قراءة أخرى « ويذرك إلاهتك أي عبادتك » . أي يتركك أنت ويترك عبادتك(١) .

أن حاشية الطغاة لَا تقف من الطاغي موقفا سلبيا، أو محايدا، بل إنهم يحرضونه مرضاة له، وطلبا لما ينفذه إجابة لهم، فهم لَا يهمهم إلا أن يأخذوا منه ما يشبع نهمتهم، وليسوا مخلصين له يمنحونه النصيحة، إنما هم المالئون له في باطله، لم يكف الملأ والحاشية ما أنزله بالسحرة، أو ما هم أن ينزله بهم، بل نبهوه إلى موسى وقومه من بني إسرائيل، وأرادوا اجتثاثهم من الأرض، قالوا محرضين(٢) .

---

(١) تفسير الشعراوي (٧/ ٤٣٠٥)
(٢) زهرة التفاسير (٦/ ٢٩٢٩)

المبحث الثاني

معالجة ما شاب قومه من وهن

لقد توجه موسى نحو قومه ليتدارك ما أصاب القوم و ماشابهم من وهن و تمثل العلاج في تذكير القوم بما يجب عليهم من خلال هذه الأمور:

١-الأمربالتوكل على الله:

قال موسى لقومه إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ موسى أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾[يونس: ٨٤] أَيْ فَإِنَّ اللَّهَ كافٍ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾ [الزمر: ٣٦] ، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾[الطلاق: ٣] ، وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين العبادة والتوكل، كقوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: ١٢٣]

وَقَدِ امْتَثَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ذَلِكَ فَقَالُوا: ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥]

أي لا تظفرهم وَتُسَلِّطْهُمْ عَلَيْنَا فَيَظُنُّوا أَنَّهُمْ إِنَّمَا سُلِّطُوا لِأَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَنَحْنُ عَلَى الْبَاطِلِ فَيُفْتَنُوا بِذَلِكَ، وقال مجاهد: لاتعذبنا بأيدي آل فِرْعَوْنَ وَلَا بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِكَ فَيَقُولُ قَوْمُ فِرْعَوْنَ: لَوْ كَانُوا عَلَى حَقٍّ مَا عُذِّبُوا ولا سلطنا عليهم فيفتنوا بنا. وعن مجاهد: لاَّ تسلطهم علينا فيفتنونا، وقوله: ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ﴾ أَيْ خَلِّصْنَا بِرَحْمَةٍ مِنْكَ وَإِحْسَانٍ ﴿مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾أَيْ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَقَّ وَسَتَرُوهُ وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا بِكَ وَتَوَكَّلْنَا عَلَيْكَ (١).

قال لهم موسى ﴿يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ ففوضوا أمركم إليه إن كنتم حقاً مسلمين لله منقادين لأمره ونهيه، فأجابوا قائلين: ﴿على الله توكلنا﴾ وسألوا الله تعالى أن لا يفتن قوم فرعون بهم بأن ينصرهم عليهم فيزدادوا كفراً وظلماً، وضمن ذلك أن لا تسلط الظالمين علينا فيفتونا في ديننا بصرفنا عنه بقوة التعذيب ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ (٢) .

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٢٠٤)

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٢/ ٥٠٠)

ويفيد هذا النص أن الذين أظهروا إيمانهم وانضمامهم لموسى بن بني إسرائيل كانوا هم الفتيان الصغار ، لا مجموعة الشعب الإسرائيلي . وأن هؤلاء الفتيان كان يخشى من فتنتهم وردهم عن

اتباع موسى ، خوفاً من فرعون وتأثير كبار قومهم ذوي المصالح عند أصحاب السلطان ، والأذلاء الذين يلوذون بكل صاحب سلطة وبخاصة من إسرائيل . وقد كان فرعون ذا سلطة ضخمة وجبروت ، كما كان مسرفاً في الطغيان ، لا يقف عند حد ، ولا يتحرج من إجراء قاس وهنا لا بد من إيمان يرجح المخاوف ، ويطمئن القلوب ، ويثبتها على الحق الذي تنحاز إليه :

﴿ وقال موسى : يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾. .

فالتوكل على الله دلالة الإيمان ومقتضاه . وعنصر القوة الذي يضاف إلى رصيد القلة الضعيفة أمام الجبروت الطاغي فإذا هي أقوى وأثبت[١] .

٢-الإستعانة بالله والصبر:

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[الأعراف: ١٢٨]

قال موسى لقومه على سبيل التشجيع والتسلية حين ضجوا وارتعبوا من تهديدات فرعون وملئه : يا قوم استعينوا بالله فى كل أموركم . واصبروا على البلاء ، فهذه الأرض ليست ملكا لفرعون وملئه ، وإنما هى ملك لله رب للعالمين ، وهو – سبحانه – يورثها لمن يشاء من عباده ، وقد جرت سنته – سبحانه – أن يجعل العاقبة الطيبة لمن يخشاه ولا يخشى أحداً سواه بهذا الأسلوب المؤثر البليغ ، وبهذه الوصايا الحكيمة ، وصى موسى قومه بنى إسرائيل فماذا كان ردهم عليه؟ لقد كان ردهم يدل على سفاهتهم، فقد قالوا له: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ ﴾[الأعراف: ١٢٩] [٢] .

إنها رؤية « النبي » لحقيقة الألوهية وإشراقها في قلبه . ولحقيقة الواقع الكوني والقوى التي تعمل فيه . ولحقيقة السنة الإلهية وما يرجوه منها الصابرون . .

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ١٧٧)
(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (٥/ ٣٥٤)

إنه ليس لأصحاب الدعوة إلى رب العالمين إلا ملاذ واحد ، وهو الملاذ الحصين الأمين . وإلا ولي واحد وهو الولي القوي المتين . وعليهم أن يصبروا حتى يأذن الولي بالنصرة في الوقت الذي يقدره بحكمته وعلمه . وألا يعجلوا ، فهم لا يطلعون الغيب ، ولا يعلمون الخير . . . وإن الأرض لله .

وما فرعون وقومه إلا نزلاء فيها . والله يورثها من يشاء من عباده – وفق سننه وحكمته – فلا ينظر الداعون إلى رب العالمين ، إلى شيء من ظواهر الأمور التي تخيل للناظرين أن الطاغوت مكين في الأرض غير مزحزح عنها[(١)].

أي اجعلوا استعانتكم بالله واتكلوا عليه، واصبروا على ما ينزل بكم، ولا تحسبوه الشر الذي لَا ينتهي فإن ملك فرعون زائل، وطغيانه منته، ولن يخلد أو يبقى، فإنه ستزول دولته. والأرض تكون لمن يرثها من الصالحين، والعاقبة والنهاية للمتقين، قال ذلك تثبيتا لقلوب بني إسرائيل، ومن اتبعه من المؤمنين:(٢).

﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾[الأعراف: ١٢٩]

لقد كان ردهم يدل على سفاهتهم ، فقد قالوا له :﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾أى : قال بنو إسرائيل لموسى رداً على نصيحته لهم : لقد أصابنا الأذى من فرعون قبل أن تأتينا يا موسى بالرسالة ، فقد قتل منا ذلك الجبار الكثير من أبنائنا وأنزل بنا ألواناً من الظلم والاضطهاد وأصابنا الأذى بعد أن جئتنا بالرسالة كما ترى من سوء أحوالنا . واشتغالنا بالأشغال الحقيرة المهينة ، فنحن لم نستفد من رسالتك شيئاً ، فإلى متى نسمع منك تلك النصائح التى لا جدوى من ورائها؟[(٣)] .

قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾[الأعراف: ١٢٩]

قال القرطبي–رحمه الله–:" ﴿عَسَى﴾ من الله واجب ؛ جدد لهم الوعد وحققه. وقد استحلفوا في مصر في زمان داود وسليمان عليهما السلام ، وفتحوا بيت المقدس مع يوشع بن نون ؛ كما

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ٢٧٧)
(٢) زهرة التفاسير (٦/ ٢٩٣١)
(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (٥/ ٣٥٥)

تقدم. وروي أنهم قالوا ذلك حين خرج بهم موسى وتبعهم فرعون فكان وراءهم والبحر أمامهم ، فحقق الله الوعيد بأن غرق فرعون وقومه وأنجاهم. ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أي يرى ذلك العمل الذي يجب به الجزاء ؛ لأن الله لا يجازيهم على ما يعلمه منهم ؛ إنما يجازيهم على ما يقع منهم [١].

التقاء الجمعان وزوال الطغيان:

﴿فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ (٦٦)﴾[الشعراء: ٦١ - ٦٦]

هذا آخر قصة موسى عليه السلام مع فرعون قال تعالى في بيان نهاية الظالمين وفوز المؤمنين ﴿فلما تراءى الجمعان﴾ جمع موسى وجمع فرعون وتقاربا بحيث رأى بعضهما بعضا ﴿قال أصحاب موسى﴾ أي بنو إسرائيل ﴿إنا لمدركون ﴾ أي خافوا لما رأوا جيوش فرعون تتقدم نحوهم صاحوا ﴿إنا لمدركون} فطمأنهم موسى بقوله {كلا ﴾ أي لن تدركوا، وعلل ذلك بقوله ﴿إن معي ربي سيهدين﴾ إلى طريق نجاتي قال تعالى ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب﴾أي اضرب بعصاك البحر فضرب امتثالاً لأمر ربه فانفلق البحر فرقتين كل فرقة منه كالجبل العظيم ﴿وأزلفنا ﴾ أي قربنا ﴿ثم الآخرين﴾ أي أدنينا هناك الآخرين وهم فرعون وجيوشه ﴿وأنجينا موسى ومن معه﴾ أي من بني إسرائيل ﴿أجمعين﴾ ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ المعادين لبني إسرائيل وهم فرعون وجنده. قوله تعالى ﴿إن في ذلك﴾ المذكور هن إهلاك فرعون وإنجاء موسى، بني إسرائيل ﴿لآية﴾ أي علامة واضحة بارزة لربوبية الله وألوهيته وقدرته وعلمه ورحمته وهي عبرة وعظة أيضاً للمعتبرين، وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين مع موجب الإيمان ومقتضيه لأنه سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون [٢].

والبحر الذي هلك فيه فرعون هو البحر الأحمر، الذي بين آسيا وأفريقيا، وذلك أن فرعون جمع جنوده وحشدهم وأراد أن يقضي على موسى وقومه، فخرج موسى عليه السلام وقومه من

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٦٣)
(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٣/ ٦٥٣)

مصر متجهين إلى الشرق، ولكن حال بينهم وبين مرادهم البحر، فلما وصلوا إلى البحر كان البحر بين أيديهم، وفرعون وقومه خلفهم، فقال قوم موسى: {إنا لمدركون } يعني هلكنا، لأن فرعون خلفنا والبحر أمامنا فكيف النجاة؟! فقال موسى: {كلا إن معى ربي سيهدين }. وهذه معية خاصة، تقتضي النصر والتأييد، قال: {سيهدين } ولم يقل: سوف يهدين، بل قال: {سيهدين } إشارة إلى قرب هذا الحصر وأنه سيزول قريباً، وهذا هو الذي حصل(١).

جهل بني إسرائيل وعودتهم لعبادة الاصنام:

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾[الأعراف: ١٣٨]

قال ابن كثير –رحمه الله–:" يخبر تعالى عما قاله جهلة بني إسرائيل لموسى، عليه السلام، حين جاوزوا البحر، وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا، ﴿ فَأَتَوْا ﴾ أي: فمروا ﴿ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ﴾ قال بعض المفسرين: كانوا من الكنعانيين. وقيل: كانوا من لخم.

وقال ابن جريج(٢)–رحمه الله–: وكانوا يعبدون أصناما على صور البقر، فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك، فقالوا: ﴿ يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ أي: تجهلون عظمة الله وجلاله، وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والمثيل.

﴿ إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ﴾أي: هالك ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٣) .

---

(١) تفسير العثيمين: الحجرات - الحديد (ص: ١٥٣ – ١٥٤) المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

(٢) عبد الملك" بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم أبو الوليد وأبو خالد المكي أصله رومي قال طلحة بن عمر المكي قلت لعطاء من نسأل بعدك قال هذا الفتى إن عاش وقال عطاء شاب أهل الحجاز بن جريج وقال علي بن المديني نظرت فإذا الإسناد تدور على ستة فذكرهم ثم قال فصار علم هؤلاء إلى من صنف في العلم منهم من أهل مكة عبد الملك بن جريج قال الوليد بن مسلم سألت الأوزاعي وغير واحد لمن طلبتم العلم فكلهم يقول لنفسي غير بن جريج فإنه قال طلبته للناس وقال علي بن المديني عن يحيى بن سعيد القطان بن جريج أثبت في نافع من مالك وقال أحمد بن جريج أثبت الناس في عطاء وقال أحمد عن عبد الرزاق ما رأيت أحسن صلاة من بن جريج قال عمرو بن علي مات سنة تسع وأربعين ومائة وقال القطان وغيره مات سنة خمسين وقال ابن المديني سنة إحدى وخمسين وقال غيره جاز المائة ،تهذيب التهذيب (٦/ ٤٠٢- ٤٠٥)

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٧) وهؤلاء القوم يقول بعض المؤرخين: إنهم من لخم قبيلة العرب المشهورة. وبعضهم يقول: من لخم وجذام. وبعضهم يقول: هم من الكنعانيين الذين أُمروا بقتالهم في البلاد المقدسة . وكان ابن جريج يقول: أصنامهم أمثلة البقر، فلما رأوا أمثلة البقرة كأنهم من ذلك الوقت أحبوا عبادة البقر؛ ولذلك أخرج لهم السامري العجل كما هو معروف، وكان بعض المؤرخين يقول: هم قوم كانوا نازلين بالرّقة من مصر. ويقولون: إنها من الريف، قريب من الساحل، يُوصَل منها إلى الفيوم. هكذا يقولون. والله تعالى أعلم مجالس الشنقيطي في التفسير (٤/ ١٣٢)

وقال سيد طنطاوي–رحمه الله– : "ولكنهم ما إن جاوزوا البحر الذى غرق فيه عدوهم والذى ما زالت رماله رطبة عالقة بنعالهم ، حتى وقعت أبصارهم على قوم يعبدون الأصنام ، فماذا كان من بنى إسرائيل؟

كان منهم أن عاودتهم طبيعتهم الوثنية ، فطلبوا من نبيهم موسى – عليه السلام – الذى جاء لهدايتهم وإنقاذهم مما هم فيه من ظلم أن يصنع لهم آلهة من جنس الآلهة التى يعبدها أولئك القوم

وهنا غضب عليهم موسى غضباً شديداً . ووصفهم بأنهم قوم يجهلون الحق ، وبين لهم فساد ما عليه المشركون ، وذكرهم بما حباهم الله – تعالى – به من نعم جزيلة ، يوجب عليهم إفراده بالخضوع والعبادة والطاعة والشكر "[١] .

يقول مروا على قوم " يعكفون على أصنام لهم " يعني يعبدون الأصنام ويقومون على عبادتها وكل من يلازم شيئا ويواظب عليه يقال عكفه ولهذا سمي الملازم للمسجد معتكفا " قالوا يا موسى اجعل لنا إلها " قال الجهال من بني إسرائيل لموسى " اجعل لنا إلهاً " نعبده " كما لهم آلهة " يعبدونها " قال " لهم موسى " إنكم قوم تجهلون " يعني تكلمتم بغير علم وعقل وجهلتم الأمر ....

ثم " قال " تعالى لهم قل " أغير الله أبغيكم إلها " يعني أسوى الله آمركم أن تعبدوا وتتخذوا إلها " وهو فضلكم على العالمين " يعني على عالمي زمانكم يعني أنه قد أحسن إليكم فلا تعرفون إحسانه وتطلبون عبادة غيره[٢].

طبيعة بني إسرائيل:

وطبيعة بني إسرائيل – كما عرضها القرآن الكريم عرضاً صادقاً دقيقاً أميناً في شتى المناسبات – طبيعة مخلخلة العزيمة ، ضعيفة الروح ، ما تكاد تهتدي حتى تضل ، وما تكاد ترتفع حتى تنحط ، وما تكاد تمضي في الطريق المستقيم حتى ترتكس وتنتكس[٣].

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٥/ ٣٦٤)
(٢) تفسير السمرقندي = بحر العلوم (١/ ٥٤٦)
(٣) في ظلال القرآن (٣/ ١٣٦٦)

العدوى تصيب الأرواح كما تصيب الأجسام:

عملية استصلاح نفوس بني إسرائيل من ذل الطاغوت الفرعوني هي التي سيواجهها موسى عليه السلام في هذه الحلقة – بعد خروجه ببني إسرائيل من مصر وتجاوزه بهم البحر – وسنرى من خلال القصص القرآني هذه النفوس ، وهي تواجه الحرية بكل رواسب الذل؛ وتواجه الرسالة بكل رواسب الجاهلية؛ وتواجه موسى – عليه السلام – بكل الالتواءات والانحرافات والانحلالات والجهالات التي ترسبت فيها على الزمن الطويل!(1) .

إنه المشهد السابع في القصة – مشهد بني إسرائيل بعد تجاوز البحر – ونحن فيه وجهاً لوجه أمام طبيعة القوم المنحرفة المستعصية على التقويم؛ بما ترسب فيها من ذلك التاريخ القديم . في ظلال القرآن

. إن العهد لم يطل بهم منذ أن كانوا يسامون الخسف في ظل الوثنية الجاهلية عند فرعون وملئه؛ ومنذ أن أنقذهم نبيهم وزعيمهم موسى – عليه السلام – باسم الله الواحد – رب العالمين– الذي أهلك عدوهم؛ وشق لهم البحر ؛ وأنجاهم من العذاب الوحشي الفظيع الذي كانوا يسامون . . إنهم خارجون للتو واللحظة من مصر ووثنيتها؛ ولكن ها هم أولاء ما إن يجاوزوا البحر حتى تقع أبصارهم على قوم وثنيين ، عاكفين على أصنام لهم ، مستغرقين في طقوسهم الوثنية؛ وإذا هم يطلبون إلى موسى – رسول رب العالمين – الذي أخرجهم من مصر باسم الإسلام والتوحيد ، أن يتخذ لهم وثناً يعبدونه من جديد!

﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر ، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا : يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴾ !

إنها العدوى تصيب الأرواح كما تصيب الأجسام! ولكنها لا تصيبها حتى يكون لديها الاستعداد والتهيؤ والقابلية(2).

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٣٦٥)
(٢) في ظلال القرآن (٣/ ١٣٦٦)

المبحث الثالث

عاقبة البلاء بنهاية فرعون

وهكذا يسدل الستار على مشهد الهلاك والدمار في جانب؛ وعلى مشهد الاستخلاف والعمار في الجانب الآخر . . وإذا فرعون الطاغية المتجبر وقومه مغرقون ، وإذا كل ما كانوا يصنعون للحياة ، وما كانوا يقيمون من عمائر فخمة قائمة على عمد وأركان ، وما كانوا يعرشون من كروم وثمار . . وإذا هذا كله حطام ، في ومضة عين ، أو في بضع كلمات قصار [1].

﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يونس: ٩٠ - ٩٢]

قال ابن كثير:" يذكر تعالى كيفية إغراقه فرعون وجنوده؛ فإن بني إسرائيل لما خرجوا من مصر بصحبة موسى، عليه السلام، وهم -فيما قيل -ستمائة ألف مقاتل سوى الذرية، وقد كانوا استعاروا من القبط حُلِيّا كثيرا، فخرجوا به معهم، فاشتد حَنَق فرعون عليهم، فأرسل في المدائن حاشرين يجمعون له جنوده من أقاليمه، فركب وراءهم في أبهة عظيمة، وجيوش هائلة لما يريده الله تعالى بهم، ولم يتخلف عنه أحد ممن له دولة وسلطان في سائر مملكته، فلحقوهم وقت شروق الشمس، { ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴾ [الشعراء: ٦١] وذلك أنهم لما انتهوا إلى ساحل البحر، وأدركهم فرعون، ولم يبق إلا أن يتقاتل الجمعان، وألح أصحاب موسى، عليه السلام، عليه في السؤال كيف المخلص مما نحن فيه؟ فيقول: إني أمرت أن أسلك هاهنا، ﴿ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢][2].

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٣٦١)

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٩١)

سر تكرير قصة موسى مع فرعون:

ذكرنا قبل ما قاله العز بن عبد السلام– في التكرير– من الأسرار الباهرة التي تشمل قصة موسى مع فرعون. ثم رأيت كلاما– في ذلك– لشيخ الإسلام تقيّ الدين بن تيمية– في خلال رسالة له– يقول رحمه الله:

«وثنّى في القرآن قصة موسى مع فرعون لأنهما في طرفي نقيض، في الحق والباطل. فإن فرعون في غاية الكفر والباطل، حيث كفر بالربوبية وبالرسالة. وموسى في غاية الحق والإيمان من جهة أن الله كلمه تكليما لم يجعل الله بينه وبين خلقه واسطة من خلقه، فهو مثبت لكمال الرسالة، وكمال التكليم، ومثبت لرب العالمين بما استحقه من النعوت، وهذا بخلاف أكثر الأنبياء مع الكفار، فإن الكفار أكثرهم لا يجحدون وجود الله، ولم يكن أيضا للرسل– من التكليم– ما لموسى. فصارت قصة موسى وفرعون أعظم القصص، وأعظمها اعتبارا لأهل الإيمان ولأهل الكفر. ولهذا كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يقص على أمته عامة ليله عن بني إسرائيل، وكان يتأسّى بموسى في أمور كثيرة، ولما بشّر بقتل أبي جهل يوم بدر قال: «هذا فرعون هذه الأمة» [(١)]

الآية التي لا ينفع بعدها ندم ولا توبة:

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذين آمنت به بنو إسرائيل، فقال جبريل عليه السلام: يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فِيْهِ مخافةَ أن تدركه الرحمة"[(٢)] .

فلما أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قالت بنو إسرائيل ما مات فرعون فأمر الله البحر فألقى فرعون على الساحل أحمر قصيرًا كأنه ثور فرآه بنو إسرائيل فمن ذلك الوقت لا يقبل الماءُ مَيْتًا فذلك قوله: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢] [(٣)] .

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل (١/ ١٦٤)

(٢) أخرجه أحمد (٣٠٩/١ ، رقم ٢٨٢١) سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٢٨٧) ٣١٠٧) وأخرجه أيضًا : عبد بن حميد (٢٢٢/١ ، رقم ٦٦٤) ، والطبرانى (٢١٦/١٢ ، رقم ١٢٩٣٢) جامع الأحاديث (١٨/ ٣٠) قال الشيخ الألباني : في الجامع الصغير وزيادته (ص: ٩٣٤) (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٢٠٦ في صحيح الجامع

(٣) تفسير البغوي (٤/ ١٤٨) .

لقد اتبع فرعون وجنوده بنى إسرائيل بغيا وعدوا ، فانطبق عليه البحر ، ولفه تحت أمواجه ولجه ، حتى إذا أدركه الغرق وعاين الموت وأيقن أنه لا نجاة له منه ، قال آمنت وصدقت . بأنه لا معبود بحق سوى الإله الذى آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من القوم الذين أسلموا نفوسهم لله وحده وأخلصوها لطاعته .

ولما كان هذا القول قد جاء في غير أوانه ، وأن هذا الإيمان لا ينفع لأنه جاء عند معاينة الموت ، فقد رد الله – تعالى – على فرعون بقوله – سبحانه ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[يونس: ٩١] أى : آلآن تدعى الإيمان حين يئست من الحياة ، وأيقنت بالموت ، والحال أنك كنت قبل ذلك من العصاة المفسدين فى الأرض[١] .

إنه الموقف الحاسم والمشهد الأخير في قصة التحدي والتكذيب . والسياق يعرضه مختصراً مجملاً ، لأن الغرض من سياقة هذه الحلقة من القصة في هذه السورة هو بيان هذه الخاتمة . بيان رعاية الله وحمايته لأوليائه ، وإنزال العذاب والهلاك بأعدائه ، الذين يغفلون عن آياته الكونية وآياته مع رسله حتى تأخذهم الآية التي لا ينفع بعدها ندم ولا توبة[٢] .

جعل فرعون آية وعظة لمن بعده من الطغاة:

قوله تعالى : ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ أي نلقيك على نجوة من الأرض. وذلك أن بني إسرائيل لم يصدقوا أن فرعون غرق ، وقالوا : هو أعظم شأنا من ذلك ، فألقاه الله على نجوة من الأرض ، أي مكان مرتفع من البحر حتى شاهدوه

وقيل {بِبَدَنِكَ} بجسد لا روح فيه ؛ قاله مجاهد. قال الأخفش : وأما قول من قال بدرعك فليس بشيء.

لأنهم لما ضرعوا إلى الله يسألونه مشاهدة فرعون غريقا أبرزه لهم فرأوا جسدا لا روح فيه ، فلما رأته بنو إسرائيل قالوا نعم! يا موسى هذا فرعون وقد غرق ؛ فخرج الشك من قلوبهم وابتلع البحر فرعون كما كان. فعلى هذا ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ احتمل معنيين :

أحدهما – نلقيك على نجوة من الأرض.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٧/ ١٢٧).

(٢) في ظلال القرآن (٤/ ١٧٩).

والثاني – نظهر جسدك الذي لا روح فيه[1].

وعن معمر عن قتادة قال: لما أغرق الله فرعون لم يصدق طا ئفة من الناس بذلك، فأخرجه الله ليكون لهم عظة وآية

وروى ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: فلما خرج موسى وأصحابه قال من تخلف من قوم فرعون: ما غرق فرعون وقومه، ولكنهم في جزائر البحر يتصيدون، فأوحى الله إلى البحر أن الفظ فرعون عريانا، فلفظه عريانا أصلع أخنس قصيرا، فهو قوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾[2]

﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢]

فاليوم نجعلك على مرتفع من الأرض ببدنك، ينظر إليك من كذَّب بهلاكك؛ لتكون لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك. فإن كثيرًا من الناس عن حججنا وأدلتنا لَغافلون، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون)[3].

وباللهِ ، لو لم يأمر الحق البحر بأن يلفظ جثمان فرعون ، أما كان من الجائز أن يقولوا : إنه إله ، وإنه سيرجع مرة أخرى؟ ولكن الحق سبحانه قد شاء أن يلفظ البحر جثمانه كما يلفظ جيفة أي حيوان غارق؛ حتى لا يكون هناك شك في أن هذا الفرعون قد غرق ، وحتى ينظر من بقي من قومه إلى حقيقته ، فيعرفوا أنه مجرد بشر ، ويصبح عبرة للجميع ، بعد أن كان جباراً مسرفاً طاغية[4] .

أقوال العلماء في إيمان فرعون حين أ دركه الغرق:

١- قال الخازن: ﴿ حتى إذا أدركه الغرق﴾ قال :" يعني فرعون آمنت أنه لا إله إلا لذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين

٢- قال ابن عباس : لم يقبل الله إيمانه عند نزول العذاب به وقد كان في مهل.

قال العلماء : إيمانه غير مقبول وذلك أن الإيمان والتوبة عند معاينة الملائكة والعذاب غير مقبولين ويدل عليه قوله تعالى : " فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا "

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٧٩-٣٨٠)
(٢) الروايات التفسيرية في فتح الباري (١/ ٥٥٤)
(٣) التفسير الميسر (٣/ ٤٦٤)
(٤) تفسير الشعراوي (١٠/ ٦١٨٥)

٣- وقيل : إنه قال هذه الكلمة ليتوصل بها إلى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ، ولم يكن قصده بها الإقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف له بالربوبية لا جرم لم ينفعه ما قال في ذلك الوقت

٤- وقيل : إن فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى : فلهذا قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك في إيمانه ولما رجع فرعون إلى الإيمان والتوبة حين إغلق بابهما بحضورالموت ومعاينة الملائكة قيل له .[١]

وقال الطنطاوي :"وعدم قبول توبة هؤلاء فى هذا الوقت سببه أنهم نطقوا بها فى حالة الاضطرار لا فى حالة الاختيار ، ولأنهم نطقوا بها فى غير وقت التكليف[٢] .

فإن هذه التوبة لَا تقبل؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨ ﴾[النساء: ١٧ - ١٨]

وراثة الأرض وتمام النعمة:

﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴾[الأعراف: ١٣٧]

وقوله تعالى: ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ١٤ ﴾ [إبراهيم: ١٣ - ١٤] بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه أوحى إلى رسله أن العاقبة والنصر لهم على أعدائهم وأنه يسكنهم الأرض بعد إهلاك

(١) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/ ٤٦٠)
(٢) الوسيط لسيد طنطاوي (ص: ٨٩٣)

أعدائهم، وبين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[الصافات: ١٧١ - ١٧٣]، وقوله: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١] وقوله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[غافر: ٥١]

قد مضى فرعون وملؤه إذن في جبروتهم؛ ونفذ فرعون وعيده وتهديده ، فقتل الرجال واستحيا النساء ولقد مضى موسى وقومه يحتملون العذاب ، ويرجون فرج الله ، ويصبرون على الابتلاء . .

وعندئذ . . عندما نمحص الموقف : إيمان يقابله الكفر . وطغيان يقابله الصبر . وقوة أرضية تتحدى الله . . عندئذ أخذت القوة الكبرى تتدخل سافرة بين المتجبرين والصابرين[1] .

خلاصة لصوروعبر للتألّه على الناس، واستعبادهم:

- القرآن الكريم يعرض علينا طوابير الطاغوت:

فلنقف قليلاً على طرف من الطريق لنشهد، في ختام رحلتنا هذه، جانباً من مهرجان الأرباب والطواغيت، ونسمع، عند مرور كل وجبة منهم، نداء القرآن الأبدي برفض الطاعة، بلسان الحال أو بلسان المقال.. والتشبّث بالحرية التي تليق بمكانة الإنسان.

إن القرآن الكريم يعرض علينا، في حشود من آياته البينات طوابير الطاغوت، وكأننا نشهد مهرجاناً أو عرضاً جماعياً.. تسير فيه أصناف المستكبرين، مصعّرة الخدود، ممطوطة القامات، منتفخة الأوداج .. يعرضها علينا جميعا ويدعونا إلى رفض طاعتها مهما تنوعت السمات واختلفت الملامح وتلوّنت الأردية ..

والقرآن الكريم يلاحق هذه الأنماط المختلفة من الطواغيت.. يلاحقها جميعاً ويدعو بصرامته الحاسمة إلى رفض طاعتها جميعاً!!

ورغم أن الله يعرف حق اليقين كيف يصدر هؤلاء جميعاً عن نبع واحد هو شهوة السلطان والتألّه على الناس، واستعبادهم، وصرفهم عن التوجه إلى خالقهم جل وعلا.

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٣٦١)

هذا هو السر الذي جعل فرعون ينتهي سلطانه، فالعلو في الأرض، من أعظم الذنوب عند الله عز وجل "التعالي"، سواء على الله سبحانه وتعالى أو على خلق الله، هو أسوأ طريق يورد الأمم إلى الهاوية

التسلط واستذلال البشر:

التسلط على الشعوب، وأذية الأمم، والجلوس لهم بالمرصاد، هذا أخطر شيء في حياة الأمم؛ وهو أخطر شيء في دمار الدول ونهايتها وسقوطها في أقرب وقت ممكن، ولذلك هذا هو الذي عجل نهايته

ولذلك فإننا نقول لكل زعيم يريد أن يحكم بحكم الله في هذه الأرض: أنه ليست مهنته استذلال البشر؛ لأن استذلال البشر معناه أن يضعف القاعدة التي يقوم عليها؛ لأنه لا يقوم سلطان لأحد في هذه الأرض إلا على قاعدة، وهذه القاعدة هم هؤلاء المؤمنون الأتقياء الصالحون، فحينما يستضعفون ويستذلون، وتسلط عليهم الأضواء، وتتابع أنفاسهم إلى غير ذلك، وتفسر وتؤول كلماتهم خلاف ما يريدون، ويؤدي ذلك إلى أن تنشأ أمة ضعيفة هزيلة لا تستطيع أن تدافع عن نفسها وعن كيان أمتها، يؤدي ذلك إلى ضعفهم وعدم قدرتهم على البقاء.

الضغط السياسي في إيجاد الفرقة:

ومن صور الضغط السياسي: السعي في إيجاد الفرقة و التنازع بين الشعوب والحكام، وبين فئات الشعب، من أحزاب وجماعات ومؤسسات، بحيث تقوم بتقوية بعض الأحزاب أو القبائل، أو بعض فرق الجيش المعارضة للزعيم أو لحزب آخر، لا ترضى عنه أمريكا، بحيث تمدهم بالمال والوسائل التي تمكنهم من إحداث اضطرابات تهز بها البلد، حتى تُسقِط من لا يستسلم لسيطرتها، ولا يعلن خضوعه لما تمليه عليه. ومن أهم الوسائل التي تمد بها تلك الأحزاب أو القبائل وفرق الجيش: المال ووسائل الإعلام والسلاح.

ومعلوم ضلوع أمريكا في هذه الوسيلة التي استعملتها في كثير من بلدان ما يسمى بالعالم الثالث، أو الدول النامية، وهي تستعملها في كثير من البلدان الإسلامية، اقتداء بفرعون.

يقول الدكتور الزحيلي :وكان لقصة موسى مع بني إسرائيل عبر وعظات نذكر منها هاتين:

١– تربّى موسى في قصور فرعون وكان مؤمنا ونبيا من أولي العزم، وموسى السامري الذي ربّاه جبريل كافر شقي ابتدع عبادة العجل.

٢– الفرج الإلهي يأتي بعد الشدة، ونصرة الحق تأتي عند اشتداد الأزمة، فقد دافع رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه عن موسى، وحذر فرعون وآله بطش الله، غير خائف ولا مبال به وبسلطته، ضاربا الأمثال بالأمم الخالية، كما جاء في قوله تعالى في سورة غافر: ﴿وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ...[1]

فعلى الأمة أن تقول وتصدع بالحق ولاتخاف في الله لومة لائم .

ولنا في السابقين عبرة؛ فهؤلاء الأنبياء ابتُلوا وغيرهم من الصالحين الذين حملوا همَّ هذا الدين؛ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾[الأنعام: ١٢٣] .

يقول تعالى: وكما جعلنا في قريتك –يا محمد –أكابر من المجرمين، ورؤساء ودعاة إلى الكفر والصد عن سبيل الله، وإلى مخالفتك وعداوتك، كذلك كانت الرسل من قبلك يبتلون بذلك، ثم تكون لهم العاقبة، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الْفُرْقَانِ: ٣١][2]

فقد سُجِن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل وعذب وما زاده ذلك إلا ثباتاً ورسوخاً، وسجن شيخ الاسلام ابن تيمية فما كان منه إلا أن قال: «ما يفعل أعدائي بي؟ أنا سجني خلوة، ونفيي سياحة، وقتلي شهادة». وقُهِرَ أناس وظلم آخرون وهددوا ، فلم يردهم ذلك عن إيمانهم .

---

(١) التفسير المنير للزحيلي (٩/ ٣٣- ٣٤)

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣١) عن ابن عباس: {أكابر مجرميها} قال: سلطنا شرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب. وقال مجاهد وقتادة: {أكابر مجرميها} قال عظماؤها.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ولست أبالي حين أقتل مسلماً *** على أي جنب كان في الله مصرعي[١] .

والإبتلاء سنة ماضية في كل عصروهناك ممن سجنوا وعذبوا وقتلوا كالإمام البناء وسيد قطب والكثير ممن لايزال يسقط ويدافع ويقف في وجه الفرعونية الحديثة في الشام واليمن ومصر وغيرها

إن الطواغيت ألتي تنحني لها الجباه... والتي طالما قدسهاأصحابها ودافعوا عنها واستماتوا من أجلها تاتي عليها الأيام وتصبح تحت الأقدام، وتكسر أمام مراى ومسمع البشرية وهذه الطواغيت الصنمية هي طواغيت البشر وهي أخطر من الاصنام المعبودة لأنها تسيطر على حرية الناس وتقتل وتقمع أبناء جنسها بل وتستولي على ثرواتها، هذه هي الطواغيت المتجبره والمستبده التي حكمت أهلها وأذاقتهاالبؤس والشقاء والحرمان والدماروهذا مشاهد وملموس في واقعنا المعاصروخاصة بلاد المسلمين .

ولكن سنة الله الماضية أن الباطل كلما تمادى في الطغيان وتجبر وظن أنه غالب أذن الله بزواله وذهابه بعدالصولة والسمعة والإجلال والتعظيم والتقديس

يذهبه الله بلحظة من اللحظات ولسبب بسيط بمشيئته تعالى.

---

(١) مجلة البيان (٢١٦/ ٦)

الباب السادس

المعبودات

في عهد خاتم الأنبياء والمرسلين

"محمد صلى الله عليه وسلم"

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول: التعريف بالإسلام وفهم تعاليمه وفيه مبحثان

المبحث الأول: التعريف بدين الإسلام .

المبحث الثاني: فهم الإسلام كما يريده الله .

الفصل الثاني: المعبودات قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: السيرة الإجمالية قبل بعثته صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: أديان العرب قبل الإسلام.

المبحث الثالث :أشهر الأصنام المعبودة عند العرب.

الفصل الثالث : المعبودات بعد بعثته صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: رفع الهمم لتوحيد الله.

المبحث الثاني: إستنكار قريش لجعل الآلهة إلهاً واحداً.

الفصل الرابع : مواجهات ومساومات المشركين وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : عروض المشركين للمساومة .

المبحث الثاني : مفارقة النبي صلى الله عليه وسلم لمعبودات المشركين.

المبحث الثالث : غلبة الحق وزوال الباطل .

الباب السادس

المعبودات في عهد خاتم الأنبياء "محمد ﷺ "

تمهيد

قَالَ ابْن إِسْحَاق: إن بني إِسْمَاعِيل وجرهم ضَاقَتْ عَلَيْهِم مَكَّة فتفسحوا فِي الْبِلَاد والتمسوا المعاش، وَأول مَا كَانَت عبَادَة الْحِجَارَة فِي بني إِسْمَاعِيل أَنه كَانَ لَا يظعن من مَكَّة ظاعن مِنْهُم إِلَّا احتملوا مَعَهم من حِجَارَة الْحرم؛ تَعْظِيمًا للحرم وصبابة[1]بِمَكَّة وَبِالْكَعْبَةِ حيت مَا حلوا وضعوه وطافوا بِهِ كالطواف بِالْكَعْبَةِ حَتَّى أفْضى ذَلِك بهم إِلَى أَن كَانُوا يعْبدُونَ مَا استحسنوا من حِجَارَة الْحرم خَاصَّة حَتَّى خلفت الخلوف بعد الخلوف، ونسوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ، واستبدلوا بدين إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل عَلَيْهِمَا السَّلَام غَيره، فعبدوا الْأَوْثَان وصاروا إِلَى مَا كَانَت عَلَيْهِ الْأُمَم من قبلهم من الضلالات، واستباحوا مَا كَانَ يعبد قوم نوح مِنْهَا على إِرْث مَا كَانَ قد بَقِي فيهم من ذكرهَا، وَفِيهِمْ على ذَلِك بقايا من عهد إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل يتمسكون بهَا من تَعْظِيم الْبَيْت وَالطّواف بِهِ وَالْحج وَالْعمْرَة وَالْوُقُوف بِعَرَفَة ومزدلفة وَهدى الْبدن والإهلال بِالْحَجِّ وَالْعمْرَة مَعَ إدخالهم فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَكَانَ أول من غير دين إِسْمَاعِيل وَإِبْرَاهِيم وَنصب الْأَوْثَان وسيّب السائبة وبحرالْبحيرَة وَوصل الوصيلة وَحمى الحام عَمْرو بن لحي[2].

وقد كانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا: "لبيك اللهم لبيك لا شريك لك، إلاّ شريك هو لك، تملكه وما ملك" فيوحدونه بالتلبية، ويدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده، يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

فإنَّ العرب جميعاً من قحطان وعدنان كانوا قبل عمرو بن لحي على التوحيد يعبدون الله وحده، ولا يشركون به شيئاً، فلما جاء عمرو بن لحي أفسدهم، ونشر بينهم الأضاليل بما جلبه لهم من بلاد الشام من أصنام، فكان داعي الوثنية عند العرب، ومضلهم الأول، وموزع

---

(١) والصَّبابَةُ :الشوق وقيل رقته وقيل رقة الهوى صببت إليه صبابة المحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٢٧٦).

(٢) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف (ص: ٦٩- ٧٠) المؤلف: محمد بن أحمد بن الض ياء محمد القرشي العمري المكي الحنفي، بهاء الدين أبو البقاء، المعروف بابن الضياء (المتوفى: ٨٥٤هـ) المحقق: علاء إبراهيم، أيمن نصر الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

الأصنام بين القبائل، ومقسمها عليها، فكان من دعوته تلك عبادة الأصنام والأوثان، إلى أن جاء الإسلام، فأعاد العرب إلى سواء السبيل[١].

(١) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام (١/ ٢٤٠-٢٤٤).

الفصل الأول

التعريف بالإسلام وفهم تعاليمه

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: التعريف بدين الإسلام

المبحث الثاني: فهم الإسلام كما يريده الله

الفصل الأول

التعريف بالإسلام وفهم تعاليمه

تمهيد

وقبل الشروع في بيان المعبودات في عهد النبي-ﷺ-نبين معنى الإسلام وفهم تعاليمه كما أراد الله ، فالإسلام كدينٍ ختم الله -تبارك وتعالى- به الشرائع والنبوات على يدِ محمد بن عبد الله -ﷺ- له خصائص كثيرة ومميزات كثيرة؛ منها كون هذه الرسالة عالمية لا تخصُّ جنسًا دون جنس ولا قومًا دون قوم، ولا أرضًا دون أرض ولا بيئة دون بيئة، وللإسلام خصائصه الخاصة به التي تميزه عن غيره تمييزًا واضحًا بارزًا، فهو من حيث مصدره من عند الله تعالى.

إن هذه الأمة لا يمكن أن تنضبط إلا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن أراد أن يحكمها بغير شرع الله عز وجل فإنه سوف يحدث هذه الفوضى التي عمت أرجاء العالم اليوم، فأصبح التمرد والخروج على السلطات المنحرفة، والقتل والنهب والفوضى والاضطرابات، كلها بسبب إعراض هؤلاء الناس عن شرع الله عز وجل.

فهذا الدين منهج حياة متكامل، نعمت به البشرية عبر القرون الماضية في ظل الدول الإسلامية التي تمسكت به، فكانت لها القيادة والسيادة والسلطة على العالم، وكان الناس يأتون إليها يبايعونها على الإسلام، ويدخلون في دين الله أفواجاً.

فهو منهج حياة متكامل لا يفرق بين العبادة والمعاملة والسلوك والأخلاق، لا كما يقول العلمانيون : إنما هو منهج عبادة فقط ولا يتدخل في شئون الحياة الأخرى؛ لا نظام الحكم، ولا الأنظمة الاقتصادية، ولا السلوك والأخلاق، ولا غير ذلك، إنما هو عبادة، فإذا أردت هذا الدين فعليك أن تبحث عنه في المسجد، وليس لك أن تبحث عنه في مجلس الشورى -كما يقولون- أو في البرلمان، أو في مجلس الأمة!! ويا ليتهم تركوا هذا الدين في المسجد غير مطارد! ولكنهم يطاردونه ويتابعونه في المسجد، وتحصى فيه أنفاس الدعاة والمصلحين في جل العالم الإسلامي.

إذاً: هم لم يعطوه الحرية حتى في المسجد، ولو أعطوه الحرية في المسجد لاستطاع أن ينقل الناس من الركود إلى الخير والسعادة، وإلى جنة عرضها السماوات والأرض، ولكنه سوف يحقق ذلك بإذن الله عز وجل رغم أنوف الحاقدين.

المبحث الأول

التعريف بدين الإسلام

الإسلام لغة : الانقياد والاستسلام والخضوع .

وشرعا : هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك ومعاداة أهله . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾الأنعام: [١٦٢ - ١٦٣] . وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] (١).

قال الدكتور عبد الكريم زيدان(٢)– رحمه الله–:"ثم خص لفظ "الإسلام" بالدين الذي جاء به محمد –ﷺ– من ربه وبالانقياد التام له بلا قيد ولا شرط، وبهذا الانقياد يظهر خضوع الانسان لله رب العالمين خضوعاً اختيارياً وهو جوهر الإسلام كما قلنا. وبهذا المعنى الخاص للإسلام جاء قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة:٣] وعلى هذا يكون تعريف الإسلام بمعناه الخاص وهو المطلوب عند اطلاق هذا الاسم "الإسلام هو الخضوع الاختياري لله رب العالمين ومظهره الانقياد لشرع الله الذي أوحاه إلى رسوله محمد –ﷺ–وأمره بتبليغه إلى الناس" وعرف الدكتور عبد الكريم زيدان الإسلام بعدة تعريفات ناخذ منها:

١– الإسلام هو النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك للانسان التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم من ربه وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على اتباعها أو

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٢٥٥)

(٢) د. عبد الكريم زيدان :ولد ببغداد سنة ١٩١٧م ونشأ فيها تدرج في مراتب العلم إبتدءاً بتعلم القرآن والتعلم على يد المشايخ وتعلم في المدارس النظامية دخل دار المعلمين الإبتدائية وبعد تخرجه أصبح مدرساً فيها، التحق بكلية الحقوق ببغداد ثم التحق بمعهد الشريعة الإسلامية في جامعة القاهرة ونال شهادة الماجستيربتقدير ممتاز، ثم حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة سنة ١٩٦٢م بمرتبة الشرف الأولى، وشغر عدة مناصب منها المراقب العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين في العراق، وأحد علماء أهل السنة في العراق، وأحد علماء أصول الفقه والشريعة الإسلامية، رحل إلي العمل في اليمن وعمل في العديد من جامعاتها. ، أستاذ الشريعة الإسلامية ورئيس قسمها في كلية الحقوق بجامعة بغداد سابقا، وأستاذ الشريعة ورئيس قسم الدين بكلية الآداب بجامعة بغداد سابقا، وأستاذ الشريعة بكلية الدراسات الإسلامية وعميدها سابقا، أستاذ متمرس في جامعة بغداد، أستاذ الشريعة الإسلامية بقسم الدراسات الإسلامية ودراسة الماجستير والدكتوراه بجامعة صنعاء حتى وفاته،وأستاذ بقسم الفقه وأصوله بجامعة الإيمان بصنعاء،حاصل على جائزة الملك فيصل العالمية١٤١٧ه-١٩٩٧م على كتابه الموسوعي "المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم"إحدى عشر مجلداً، توفي رحمه الله يوم الإثنين ٢٦ ربيع الأول١٤٣٥ه الموافق ٢٧يناير ٢٠١٤م.انظر علامة العراق"د.عبد الكريم زيدان"حياته وآثاره موقع صيد الفوائد.

مخالفتها من ثواب أوعقاب قال تعالى: ؟ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين؟ فالدين هنا يتضمن المعاني التي ذكرتها ويستلزم غيرها، وهي بمجموعها تعني الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من رب العالمين

٢- الإسلام هو مجموع ما أنزله الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من أحكام العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات والاخبارات في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وقد أمره الله بتبليغها إلى الناس قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾ [المائدة: ٦٧] وما أنزله الله عليه هو القرآن والسنة وفيهما جميع الأحكام التي ذكرناها، وهي دين الله، وهو الإسلام [1].

الفرق بين الإسلام والإيمان:

فمن قال : الإسلام والإيمان واحد فالدين عنده مرادف لهما ، وهو اختيار البخاري ومحمد بن نصر المروزي[2] وغيرهما من أهل الحديث .

و من فرق بينهما ، فاختلفوا في ذلك ؛ فمنهم من قال :

إن الدين أعم منهما ، فإنه يشمل الإيمان والإسلام والإحسان ، كما دل عليه حديث جبريل ، وقد أشار البخاري إلى هذا – فيما بعد – ؛ لكنه من لا يفرق بين الإسلام والإيمان .

و من قال : الإيمان : التصديق ، والإسلام : الأعمال ، فأكثرهم جعل الدين هو الإسلام وأدخل فيه الأعمال . وإنما أخرج الأعمال من مسمى الدين : بعض المرجئة .

ومن قال : الإسلام : الشهادتان ، والإيمان : العمل –

---

(١) أصول الدعوة (١/ ١٠) : المؤلف: عبد الكريم زيدان الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: التاسعة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(٢) المَرْوَزي(٢٠٢ - ٢٩٤ هـ = ٨١٧ - ٩٠٦ م) محمد بن نصر المروزي، أبو عبد الله: إمام في الفقه والحديث. كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم في الأحكام. ولد ببغداد. ونشأ بنيسابور، ورحل رحلة طويلة استوطن بعدها سمرقند وتوفي بها. له كتب كثيرة، منها (القسامة) في الفقه، قال أبو بكر الصيرفي: لو لم يكن له غيره لكان من أفقه الناس، و (المسند - خ) في الحديث، وكتاب (ما خالف به أبو حنيفة عليا وابن مسعود) . واختصر المقريزي ثلاثة من كتبه، طبعت في جزء واحد، وهي (قيام الليل) و (قيام رمضان) و (الوتر) الأعلام للزركلي (٧/ ١٢٥)

كالزهري[1] ، وأحمد في رواية وهي التي نصرها القاضي أبو يعلى – جعل الدين هو الإيمان بعينه ، وأجاب عن قوله تعالي ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٩] أن بعض الدين الإسلام . وهذا بعيد .

وأما من قال : إن كلا من الإسلام والإيمان إذا أطلق مجردا دخل الآخر فيه ، وإنما يفرق بينهما عند الجمع بينهما ، وهو الأظهر [2] .

قال الخطابي:" والصحيح من ذلك أي يقيد الكلام في هذا ولا يطلق وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنا في بعض الأحوال ولا يكون مؤمنا في بعضها والمؤمن مسلم في جميع الأحوال فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يختلف شيء منها وأصل الإيمان التصديق وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد فقد يكون المرء مستسلما في الظاهر غير منقاد في الباطن وقد يكون صادقا في الباطن غير منقاد في الظاهر[3].

وقال شيخ الإسلام : وحقيقة الفرق بين الإسلام والإيمان والدين أن الإسلام الذي ارتضاه الله ، وبعث به رسوله هو الاستسلام لله وحده ، فأصله في القلب وهو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه ، فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما ، ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما ، والإسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له ، والعبودية له"[4] .

---

(١) الزهري :أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة الزهري أحد الفقهاء والمحدثين، والأعلام التابعين بالمدينة، رأى عشرة من الصحابة رضوان الله عليهم، وروى عنه جماعة من الأئمة: منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري. وقيل لمكحول: من أعلم من رأيت قال: ابن شهاب، قيل له: ثم من قال: ابن شهاب، قيل له: ثم من قال: ابن شهاب. وكان قد حفظ علم الفقهاء السبعة. وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى الآفاق: عليكم بابن شهاب، فإنكم لا تجدون احدا أعلم بالسنة الماضية منه، وتوفي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة، وفيات الأعيان (٤/ ١٧٧- ١٧٨).

(٢) فتح الباري - لابن رجب (١/ ٩١) المؤلف : زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد دار النشر : دار ابن الجوزي - السعودية / الدمام - الطبعة : الثانية ،١٤٢٢هـ

(٣) تحفة الأحوذي (٧/ ٢٩٠) المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

(٤) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (١/ ٤٢٨) المؤلف : شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : ١١٨٨هـ) الناشر : مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق الطبعة : الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

الْإِسْلَامُ د ين الله:

وهو دين الله كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٩] ، وهو إسلام الوجه لله كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾[آل عمران: ٢٠] ، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم معنى الإسلام فقال :«أَنْ تُسْلِمَ قَلْبَكَ لِلَّهِ وَأَنْ تُوَجِّهَ وَجْهَكَ لِلَّهِ وَأَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ أَخَوَانِ نَصِيرَانِ[١]لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ عَبْدٍ تَوْبَةً أَشْرَكَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ»[٢] .

وكما قال رسول الله –ﷺ–: « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا »[٣] .

الإسلام دين جميع الأنبياء:

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران: ٨٤] ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]

قال ابن تيمية:" فهؤلاء الأنبياء كلهم وأتباعهم كلهم يذكر الله تعالى أنهم كانوا مسلمين وهذا مما يبين أن قوله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ وقوله ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ لا يختص بمن بعث إليه محمد ص – بل هو حكم عام في الأولين والآخرين ولهذا قال تعالى ومن احسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا

---

(١) وقوله: "أخوان نصيران": خبر لمحذوف، أي هما أخوان، "نصيران" أي يتناصران، ويتعاضدان، والنصير: فَعِيل بمعنى فاعل، ويجوز أن يكون بمعنى مفعول. ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٢١/ ٣٨١) شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى». المؤلف: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي - دار آل بروم للنشر والتوزيع [جـ ٦ - ٤٠] الطبعة: الأولى جـ (١٣ - ٤٠) / ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

(٢) صحيح ابن حبان - محققا (١/ ٣٧٧) المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

(٣) رواه مسلم "باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة ، " (١/ ٣٧)، (حديث رقم : ٨)

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البقرة: ١١١ -١١٢][(١)] .

هذا هو الإسلام في سعته وشموله لكل الرسالات قبله ، وفي ولائه لكافة الرسل حملته . وفي توحيده لدين الله كله ، ورجعه جميع الدعوات وجميع الرسالات إلى أصلها الواحد ، والإيمان بها جملة كما أرادها الله لعباده [(٢)].

وهذا الدين – وهو دين الإسلام – الذي لا يقبل الله دينا غيره ، لا من الأولين ولا من الآخرين ، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام ، قال الله تعالى عن نوح – عليه السلام – : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾[يونس: ٧١] إلى قوله تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢] ، وقال جل ثناؤه عن إبراهيم – عليه السلام – : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ١٣١]، وقال عز شأنه عن موسى – عليه السلام – : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[يونس: ٨٤] ، وقال تعالى في خبر المسيح – عليه السلام – : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١] [(٣)].

فدين الله الذي أرسل به رسله واحد في أصوله الإيمانية والعملية – في الجملة – ثم تختلف شريعة كل نبي في تفصيلها حسب المصلحة التي علمها الله لكل أمة من الأمم، وقد نسخت شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم كل الشرائع السابقة، وهيمن كتابنا على كل الكتب، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ [المائدة: ٤٨]

---

(١) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (مختارات) (١/ ٣٣٩) المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : مؤسسة علوم القرآن - دمشق تحقيق : د. محمد السيد الجليند الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ه
(٢) في ظلال القرآن (١/ ٣٩٥)
(٣) الإسلام أصوله ومبادئه (ص: ١٥٣) المؤلف : محمد بن عبد الله بن صالح السحيم الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة : الأولى تاريخ النشر : ١٤٢١هـ

الإسلام دين الوسطية:

من أهم السمات العامة للإسلام وهي الوسطية والاعتدال، تلكم هي خاصية التوازن بين الأمور المتقابلة، فيقع كل أمر أو جانب على قدر معين باعتدال موزون، بحكمة ربانية "تضبط فيها النسب بين جوانب الحياة ، وقد ضرب شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– أمثلة على وسطية الإسلام هذه بين الأديان، في الموقف من الأنبياء والرسل –عليهم الصلاة والسلام– بين جفاء اليهود وغلوّ النصارى، وفي شرائع دين الله تعالى بين اليهود الذين حرّموا على الله أن ينسخ ما يشاء أو يحكم ما يشاء، وبين النصارى الذين جوزوا ذلك لعلمائهم، وكذلك في وسطية الإسلام بينهما فيما يتعلق بالحلال والحرام، وفيما يتصل بأسماء الله وصفاته.

وبهذه الخاصية يتميز الإسلام عن سائر الأديان والمذاهب أجمعها، حيث تضخِّم جانبا وتُعنَى به على حساب الجوانب الأخرى، وإما أن يكون ذلك ابتداء، وإما أن يكون ردة فعل أو معالجة لخطأ سابق[1].

---

(١) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (ص: ٣٩٢- ٣٩٣) المؤلف: د عثمان جمعة ضميرية تقديم: الدكتور/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع الطبعة: الثانية ١٤١٧هـ-١٩٩٦م

المبحث الثاني

فهم الإسلام كما يريده الله

هذا هو الإسلام كما يريده الله:

قال سيد قطب–رحمه الله– :"إنه لا سبيل – مع هذه النصوص المتلاحقة – لتأويل حقيقة الإسلام ، ولا للي النصوص وتحريفها عن مواضعها لتعريف الإسلام بغير ما عرفه به الله ، الإسلام الذي يدين به الكون كله . في صورة خضوع للنظام الذي قرره الله له ودبره به .

ولن يكون الإسلام إذن هو النطق بالشهادتين ، دون أن يتبع شهادة أن لا إله إلا الله معناها وحقيقتها . وهي توحيد الألوهية وتوحيد القوامة . ثم توحيد العبودية وتوحيد الاتجاه . ودون أن يتبع شهادة أن محمداً رسول الله معناها وحقيقتها . وهي التقيد بالمنهج الذي جاء به من عند ربه للحياة ، واتباع الشريعة التي أرسله بها ، والتحاكم إلى الكتاب الذي حمله إلى العباد .

ولن يكون الإسلام إذن تصديقاً بالقلب بحقيقة الألوهية والغيب والقيامة وكتب الله ورسله . . دون أن يتبع هذا التصديق مدلوله العملي ، وحقيقته الواقعية التي أسلفنا . .

ولن يكون الإسلام شعائر وعبادات ، أو إشراقات وسبحات ، أو تهذيباً خلقياً وإرشاداً روحياً . . دون أن يتبع هذا كله آثاره العملية ممثلة في منهج للحياة موصول بالله الذي تتوجه إليه القلوب بالعبادات والشعائر ، والإشراقات والسبحات ، والذي تستشعر القلوب تقواه فتتهذب وترشد . . فإن هذا كله يبقى معطلاً لا أثر له في حياة البشر ما لم تنصب آثاره في نظام اجتماعي يعيش الناس في إطاره النظيف الوضيء .

هذا هو الإسلام كما يريده الله؛ ولا عبرة بالإسلام كما تريده أهواء البشر في جيل منكود من أجيال الناس! ولا كما تصوره رغائب أعدائه المتربصين به ، وعملائهم هنا أو هناك!"[1].

الفهم الصحيح للإسلام:

فالواجب إذن على الجميع أن يتخذوا الإسلام الكامل كما أمر الله جل وعلا به وكما جاء في الكتاب والسنة أن يتخذوه منهجا لهم.

وفيما أرى ويرى الكثير في الواقع أن من أسباب وقوع الخلاف اليوم بين الناس في الدعوة وبين الذين يدعون –سواء من الأفراد أو غيرهم– أن السبب هو في فهم الإسلام وفي طريقة الدعوة؛

---

(١) ظلال القرآن (١/ ٣٩٦)

لكن لو أخذ الجميع بالإسلام كله فإنهم حينئذ سيلتقون على كلمة سواء، لكن هذا يرعى جوانب لا يرعاها ذاك، وهذا يفرط في أشياء، وهذا يغلو في أشياء، وهكذا حتى صارت الأمة بل حتى صار المخلصون على قلتهم في عموم الأمة صاروا متفرقين إلى فرق وإلى أقوال وإلى جماعات.

نسأل الله جل وعلا السلامة والعافية من كل ما يخالف طريق الجماعة الأول .

قال الإمام حسن البنا[1] -رحمه الله-: "و اسمحوا لي إخواني استخدام هذا التعبير ، و لست أعني به أن للإخوان المسلمين إسلاما جديدا غير الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد -ﷺ-عن ربه ، و إنما أعني أن كثيرا من المسلمين في كثير من المسلمين في كثير من العصور خلعوا عن الإسلام نعوتا و أوصافا و رسوما من عند أنفسهم ، و استخدموا مرونته و سعته استخداما ضارا مع أنها لم تكن إلا للحكمة السامية ، فاختلفوا في معنى الإسلام اختلافا ، و انطبعت للإسلام في نفس أبنائه صور عدة تقرب أو تبعد أو تنطبق على الإسلام الأول الذي مثله رسول الله و أصحابه خير تمثيل

فمن الناس من لا يرى الإسلام شيئا غير حدود العبادة الظاهرة فإن أداها أو رأى من يؤديها اطمأن إلى ذلك و رضي به و حسبه قد وصل على لب الإسلام ، و ذلك هو المعنى الشائع

---

(١) الشيخ حَسَن البَناَّ (١٣٢٤ ـ ١٣٦٨ هـ = ١٩٠٦ ـ ١٩٤٩ م) حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا: مؤسس جمعية (الإخوان المسلمين) بمصر، وصاحب دعوتهم، ومنضم جماعتهم. ولد في المحمودية (قرب الإسكندرية) وتخرج بمدرسة دار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتعليم، فتنقل في بعض البلدان متعرفا إلى أهلها، مختبرا طباعهم وعاداتهمواستقر مدرسا في مدينة الإسماعيلية، فاستخلص أفرادا صارحهم بما في نفسه، فعاهدوه على السير معه (لإعلاء كلمة الإسلام) واختار لنفسه لقب (المرشد العام) فأقاموا بالإسماعيلية أول دار (للإخوان) وبادروا إلى إعلان (الدعوة) بالدروس والمحاضرات والنشرات، وانفرد هو بزيارة المدن الأخرى. وعظم أمر (الإخوان) وناهز عددهم نصف مليون. وخشي رجال السياسة في مصر اصطدامهم بهم، فحاولوا إبعادهم عن (السياسة) فقام الشيخ يعرّف الإسلام في إحدى خطبه الكثيرة، بأنه (عقيدة وعبادة ووطن وجنسية وسماحة وقوة وخلق ومادة وثقافة وقانون) وحدثت كارثة فلسطين، فكانت (كتيبة) الإخوان المسلمين فيها، من أنشط الكتائب المتطوعة فلجأ رئيس الوزارة (محمود فهمي النقراشي) إلى إقفال أندية (الإخوان) ومطاردة البارزين منهم، واعتقال الكثيرين، والتضييق على زعيمهم (البنا) ولم يمض وقت طويل حتى تصدى له ثلاثة أشخاص وهو أمام مركز (جمعية الشبان المسلمين) في القاهرة، ليلا، فأطلقوا عليه رصاصهم وفروا. ولم يجد البنا من يضمد جراحة، فتوفي بعد ساعتين. وكان خطيبا فياضا، ينحو منحى الوعظ والإرشاد، في خطبه، وتدور آيات القرآن الكريم على لسانه، منظِّماً، يعمل في هدوء ويبني في اطمئنان الأعلام للزركلي (٢/ ١٨٣- ١٨٤).

عند عامة المسلمين؛ و من الناس من يرى الإسلام إلا الخلق الفاضل و الروحانية الفياضة ، و الغذاء الفلسفي الشهي للعقل و الروح ، و البعد بهما عن أدران المادة الطاغية الظالمة .

و منهم من يقف إسلامه عند حد الإعجاب بهذه المعاني الحيوية العملية في الإسلام فلا يتطلب النظر إلى غيرها و لا يعجبه التفكير في سواها" .

و منهم من يرى الإسلام نوع من العقائد الموروثة و الأعمال التقليدية التي لا غناء فيها و لا تقدم معها ، فهو متبرم بالإسلام و بكل ما يتصل بالإسلام ، و تجد هذا المعنى واضحا في نفوس كثير من الذين ثقفوا ثقافة أجنبية و لم تتح لهم فرص حسن الاتصال بالحقائق الإسلامية فهم لم يعرفوا عن الإسلام شيئا أصلا ، أو عرفوه صورة مشوهة بمخالطة من لم يحسنوا تمثيله من المسلمين .

و تحت هذه الأقسام جميعا تندرج أقسام أخرى يختلف نظر كل منها إلى الإسلام عن نظر الآخر قليلا أو كثيرا ، وقليل من الناس أدرك الإسلام صورة كاملة واضحة تنتظم هذه المعاني جميعا[١]

شمولية الإسلام:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[البقرة: ٢٠٨]

قال السعدي–رحمه الله–:" هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يدخلوا { فِي السِّلْمِ كَافَّةً } أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئا، وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه، تركه، بل الواجب أن يكون الهوى، تبعا للدين، وأن يفعل كل ما يقدر عليه، من أفعال الخير، وما يعجز عنه، يلتزمه وينويه، فيدركه بنيته[٢].

قال ابن عثيمين :"وتأتي «كافة» بمعنى جميع، مثل «عامة»، كقوله –ﷺ–: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»[٣] ؛ ووجه ارتباطها بالمعنى الأصلي – الذي هو

---

(١) رسائل الإمام حسن البنا (١/ ١٢٤) (بترقيم الشاملة موافق للنسخة في الشاملة).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٩٤)

(٣) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١/ ٣١٦) المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة : الثانية - ١٤٠٥ه ١٩٨٥- م وبعثت إلى الناس كافة وأ عطيت الشفاعة " متفق عليه؛ و هو مخرج في "الإرواء" (١/٣١٥- ٣١٦).

الكف – أن الجماعة لها شوكة ومنعة تكف بجمعيتها من أرادها بسوء؛ وهنا قال تعالى: ﴿ ادخلوا في السلم كافة ﴾ هل المراد ادخلوا في السلم جميعه، فتكون ﴿ كافة ﴾ حالاً من﴿السلم ﴾؛ أو ادخلوا أنتم جميعاً في السلم، وتكون ﴿ كافة ﴾ حالاً من الواو في قوله تعالى: ﴿ ادخلوا ﴾؟

الأقرب: المعنى الأول؛ لأننا لو قلنا بالمعنى الثاني: ادخلوا جميعاً في السلم صار معنى ذلك أن بعض المؤمنين لم يدخل في الإسلام؛ وحينئذ فلا يصح أن يوجه إليه النداء بوصف الإيمان؛ فالمعنى الأول هو الصواب أن { كافة } حال من { السلم } يعني ادخلوا في الإسلام كله؛ أي نفذوا أحكام الإسلام جميعاً، ولا تدعوا شيئاً من شعائره، ولا تفرطوا في شيء منها؛ وهذا مقتضى الإيمان؛ فإن مقتضى الإيمان أن يقوم الإنسان بجميع شرائع الإسلام[١] .

قال ابوبكر الجزائري-رحمه الله-:".ينادي الحق تبارك وتعالى عباده المؤمنين آمراً إياهم الدخول في الإسلام دخولاً شمولياً، بحيث لا يتخيرون بين شرائعه وأحكامه ما وافق مصالحهم وأهواءهم قبلوه وعملوا به، وما لم يوافق ردوه أو تركوه وأهملوه، وإنما عليهم أن يقبلوا شرائع الإسلام وأحكامه كافة "

وكآفة: اسم يفيد الإحاطة بأجزاء ما وصف به، فقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ ، أي: حتى لا يبقى مشروع ما يعمل به أو لا يبقى فرد لا يدخل فيه[٢].

وأول مفاهيم هذه الدعوة أن يستسلم المؤمنون بكلياتهم لله ، في ذوات أنفسهم ، وفي الصغير والكبير من أمرهم . أن يستسلموا الاستسلام الذي لا تبقى بعده بقية ناشزة من تصور أو شعور ، ومن نية أو عمل ، ومن رغبة أو رهبة ، لا تخضع لله ولا ترضى بحكمه وقضاه...

والمسلم حين يستجيب هذه الاستجابة يدخل في عالم كله سلم وكله سلام . عالم كله ثقة واطمئنان ، وكله رضى واستقرار . لا حيرة ولا قلق ، ولا شرود ولا ضلال . سلام مع النفس والضمير . سلام مع العقل والمنطق . سلام مع الناس والأحياء . سلام مع الوجود كله ومع كل موجود . سلام يرف في حنايا السريرة . وسلام يظلل الحياة والمجتمع . سلام في الأرض وسلام في السماء .

---

(١) تفسير القرآن للعثيمين (٥/ ٢)
(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (١/ ١٨٧)

في إنه ليست هنالك مناهج متعددة للمؤمن أن يختار واحداً منها ، أو يخلط واحدا منها بواحد . . كلا! إنه من لا يدخل في السلم بكليته ، ومن لا يسلم نفسه خالصة لقيادة الله وشريعته ، ومن لا يتجرد من كل تصور آخر ومن كل منهج آخر ومن كل شرع آخر . . إن هذا في سبيل الشيطان ، سائر على خطوات الشيطان [١] .

نحن نعتقد أن أحكام الإسلام و تعاليمه شاملة تنتظم شؤون الناس في الدنيا و الآخرة ، و أن الذين يظنون أن هذه التعاليم إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحي مخطئو نفي هذا الظن ، فالإسلام عقيدة و عبادة ، و وطن و جنسية ، و دين ودولة ، ، و روحانية و عمل ، و مصحف و سيف ، و القرآن الكريم ينطق بذلك كله و يعتبره من لب الإسلام و من صميمه و يوصي بالإحسان فيه جميعه ، و إلى هذا تشير الآية الكريمة : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ [القصص:٧٧] .

أنا أعلن أيها الإخوان من فوق المنبر بكل صراحة ووضوح وقوة ، أن الإسلام شئ غير هذا المعنى الذي أراد خصومة والأعداء من أبنائه أن يحصرون فيه ويقيدون به ، وأن الإسلام عقيدة وعبادة ، ووطن وجنسية ، وسماحة وقوه ، وخلق ومادة ، وثقافة وقانون ، وأن المسلم مطالب بحكم إسلامه أن يعني بكل شؤون أمته ، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

واعتقد أن أسلافنا رضوان الله عليهم ما فهموا للإسلام معنى غير هذا ، فبه كانوا يحكمون ، وله كانوا يجاهدون ، وعلى قواعده كانوا يتعلمون ، وفى حدوده كانوا يسيرون في كل شان من شؤون الحياة الدنيا العملية قبل شؤون الآخرة الروحية ، ورحم الله الخليفة الأول إذ يقول :"لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله"[٢] .

أدلةعموم الشريعة الإسلامية وشمولها لجميع شئون الحياة:

ولقد دل النقل الصريح والعقل الصحيح على عموم الشريعة الإسلامية وشمولها لجميع شئون الحياة:

---

(١) في ظلال القرآن (١/ ٢٠٦- ٢٠٧)

(٢) رسائل الإمام حسن البنا (١/ ١٢٥و ١٧٣)

الدليل الأول: النص من الكتاب والسنة وواقع الأمة:

النص من الكتاب والسنة وواقع الأمة الإسلامية خاصة في عصر النبوة والخلافة الراشدة، يقول الله عزوجل: ﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

يقول الحافظ ابن كثير – رحمه الله–: قال ابن مسعود– رضي الله عنه–" قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء، وقال مجاهد– رحمه الله – كل حلال وكل حرام وقول ابن مسعود أعم وأشمل، فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي وكل حلال وحرام وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم"[(١)].

قال الطبري–رحمه الله– :وقوله﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾[النحل: ٨٩] يقول: نزل عليك يا محمد هذا القرآن بيانا لكلّ ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب

والعقاب﴿وَهُدًى﴾ من الضلال﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن صدّق به، وعمل بما فيه من حدود الله ، وأمره ونهيه، فأحل حلاله وحرّم حرامه[(٢)].

والآيات الواردة في هذا الصدد كثيرة، وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على شمولية الرسالة الخاتمة، فهذا يهودي يقول لسلمان الفارسي -ﷺ-: "قد علمكم نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة، فأجابه سلمان قائلا: أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي برجيع أو بعظم"[(٣)] .

وقال حذيفة – ﷺ–: " قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٩٤)
(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٢٧٨)
(٣) صحيح مسلم (١/ ٢٢٣) ٢٦٢) مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ١٢٤) ٢٣٧١٩ سنن أبي داود ت الأرنؤوط (١/ ٧) ٧ سنن الترمذي ت شاكر (١/ ٢٤) ١٦ سنن النسائي (١/ ٣٨) ٤١ من طريق عبد الرحمن بن يزيد عن سلمان قال : قيل له : قد علمكم نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شئ حتى الخراءة قال : فقال : أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين . الحديث كما ذكره المؤلف الا أنه قال : " أو " بدل " و " في كل الجمل .

هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه[1] .

الدليل الثاني: إقرار العقل الصحيح بشمولية رسالة الإسلام:

فإن العقل والاستنتاج لا يتصور أن الله سبحانه يترك خلقه مهملين دون ما رعاية ترعاهم وعناية تحوطهم في كل ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ودنياهم، لأن هذا لو حصل لاعتبر تقصيرا وتفريطا لا يليق بالله سبحانه وحاشاه من ذلك، فكيف وإذا كانت هذه الشريعة هي خاتمة الشرائع بنبيها وكتابها.

لذلك فإن التشريع الإسلامي يشمل أحوال الناس وينظمها في كل الأحوال ينظم أحوال الفرد والأسرة، وينظم شئون الدولة في الثقافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد، يحدد السياسة الداخلية والخارجية وصلة الدولة بالأعداء والأصدقاء في حالة السلم والحرب، ويحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم والعلاقة بين العامل ورب العمل وبين الابن وأبويه والزوج وزوجه [2].

إن قوة الإسلام في ذاته، في خصائصه الروحية وشموله. وهذا هو سرّ غلبته في النهاية..

(١) صحيح مسلم " باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة (٤/ ٢٢١٧)برقم (٢٨٩١)
(٢) المختصر القويم فى دلائل نبوة الرسول الكريم (ص: ٢٨٠-٢٧٨)

الفصل الثاني

المعبودات

قبل بعثته صلى اللّه عليه وسلم

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: السيرة الإجمالية قبل بعثته ((ﷺ))

المبحث الثاني: أديان العرب قبل الإسلام.

المبحث الثالث :أشهر الأصنام المعبودة عند العرب

الفصل الثاني

المعبودات قبل بعثته((ﷺ))

تمهيد

لقد كان الناس قبل البعثة في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، حتى جاءهم بمن أخرجهم من ظلمات الجهل، إلى نور العلم، جاءهم خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم جاءهم ليعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

فما مات -ﷺ- حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء، ثم قام أصحابه بتبليغ رسالته لمن بعدهم فكانوا أعلم الناس بنبيهم -ﷺ-

لقد أتى على العالم حين من الدهر فسدت فيه العقائد، وانتشرت الوثنية، وانتكست فيه الأخلاق، وسادت فيه الجهالات والخرافات، وعم التقليد حتى كادت تتعطل فيه ملكة العقل والتفكير، وتغيّرت فيه القيم الخلقية والمعاني الإنسانية، وأهدر فيه الكثير من حقوق الإنسان، وتغلبت فيه قوى الشر والبغي والضلال على دعاة الحق والخير والهدى، وساد العالم ألوان من الترف والإغراق في الملذات والشهوات، سواء في ذلك البيئات المتحضرة أم البدوية.

ذلكم الحين هي الفترة التي سبقت ميلاد نبينا محمد -ﷺ- وبعثته. فقد كانت أحوال العالم الدينية، والاجتماعية، والأخلاقية، والسياسية على أسوأ ما تكون، حتى إن أعظم المتفائلين كان يشك في أن يكون لهذا الفساد إصلاح!!

فمن وثنية في شبه الجزيرة العربية وغيرها، إلى عبادة للشمس والكواكب في بلاد سبأ، وبابل، وكلدانيا، وغيرها، ومن مجوسية في بلاد فارس وما جاورها، إلى ثنوية تقول بإله النور وإله الظلمة، إلى صابئة ليس لهم دين، ومن برهمية وعبادة للحيوان ولا سيما البقرة في بلاد الهند وما جاورها، إلى بوذية تقوم على تأليه بوذا وعبادته في بلاد الصين وما جاورها، ومن يهودية محرّفة مبدلة يزعم أهلها أن عزيرا ابن الله، إلى نصرانية مثلّثة في بلاد الروم وغيرها، حتى بلاد اليونان، ومصر الفرعونية كانت تسودها الوثنية، وتعدد الالهة، وعبادة الحيوان مع أنها

مهد مهد الحضارة، وهكذا نرى أن توحيد الله وعبادته وحده أمر يكاد يكون معدوما في الأرض[1].

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (١/ ٢٤١- ٢٤٢) المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ) الناشر: دار القلم - دمشق الطبعة: الثامنة - ١٤٢٧ هـ

المبحث الأول

السيرة الإجمالية قبل بعثته صلى الله عليه وسلم

قال صفي الرحمن المباركفوري[(١)] -رحمه الله-:" كان النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع في نشأته خير ما في طبقات الناس من ميزات، وكان طرازًا رفيعًا من الفكر الصائب، والنظر السديد، ونال حظًا وافرًا من حسن الفطنة وأصالة الفكرة وسداد الوسيلة والهدف، وكان يستعين بصمته الطويل على طول التأمل وإدمان الفكرة واستكناه الحق، وطالع بعقله الخصب وفطرته الصافية صحائف الحياة وشئون الناس وأحوال الجماعات، فعاف ما سواها من خرافة، ونأي عنها، ثم عاشر الناس على بصيرة من أمره وأمرهم، فما وجد حسنًا شارك فيه وإلا عاد إلى عزلته العتيدة، فكان لا يشرب الخمر، ولا يأكل مما ذبح على النصب، ولا يحضر للأوثان عيدًا ولا احتفالًا، بل كان من أول نشأته نافراً من هذه المعبودات الباطلة، حتى لم يكن شيء أبغض إليه منها، وحتى كان لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزى [(٢)].

نسب النبي صلى الله عليه وسلم:

إن النبي – ﷺ– أشرف الناس نسباً وأكملهم خَلْقاً وخُلُقاً وقد ورد في شرف نسبه أحاديث صحاح منها مارواه مسلم: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" إن الله عزوجل – اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"[(٣)].

---

(١) صفي الرحمن المباركفوري (١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م = ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م) ولد في قرية حسين آباد قرية قريبة من مدينة بنارس في شمال الهند عام ١٩٤٢م، ودرس على الطريقة النظامية المعروفة في القارة الهندية، في مدرسة فيض عام ،ألف «الرحيق المختوم» أشهر كتب السيرة المعاصرة على الإطلاق ، كم ترك من أثر في نفوس المحبين للنبي -ﷺ- وكم ترك، وكم غير في النفوس والسلوك، وكم حبب هذه الحقبة من التاريخ الأنصع لهذه الأمة في صدر الإسلام وقلبه، وكم ظل طلاب العلم يدعون لصاحبه الشيخ الجليل بالخير والثواب نظير استعراضه العصري لسيرة النبي -ﷺ- وغزواته.. وبعد التخرج اختير الشيخ مدرساً في نفس المدرسة،ثم أستاذاً في الفقه والحديث لعدة سنوات في الجامعة السلفية ببنارس،(كبرى جامعة السلفيين في الهند) ثم شغل بعد ذلك منصب رئيس التحرير لمجلة (محدث) وهي تصدر شهريا إلى الآن من الجامعة السلفية، وفي عام ١٤٠٨ هـ اختير باحثاً في مركز السنة والسيرة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، واستمر فيه إلى عام ١٤١٨ هـ ،ثم في عام ١٤١٨ هـ وبطلب من مدير مكتبة دار السلام بالرياض اختير مشرفا على البحوث العلمية فيها. جاءت الأخبار حزينة من الهند، حيث بلاد الإسلام الواسعة لا تعرف الحدود، بوفاة شيخ جليل أحبته جموع من المسلمين كثيرة، احتفظت في مكتباتها بكتاب ينقلها من طغيان المادة وضيق أفقها وضغوطها إلى رحابة السيرة العطرة وحياة الأرواح، حيث الجمع المبارك والجيل الفريد من صحب كرام رضوان الله عليهم يتقدمهم رسول كريم ﷺ.

(٢) الرحيق المختوم (ص: ٥٣) المؤلف: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ) الناشر: دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) الطبعة: الأولى.

(٣) مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي-ﷺ- (١٧٨٢/٤) رقم (٢٧٧٦).

وقد ذكر الإمام البخاري –رحمه الله– نسب النبي – ﷺ–: فقال:" هو أبو القاسم، محمد بن عبدالله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، ابن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان"[١] .

وقال البغوي–رحمه الله– في شرح السنة بعد ذكر النسب إلى عدنان:" ولا يصح فوق عدنان"[٢]

وقال ابن القيم– رحمه الله– : بعد ذكر النسب إلى عدنان أيضاً:" إلى هنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين، ولاخلاف البته، ومافوق عدنان مختلف فيه، ولاخلاف بينهم أنّ عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام "[٣] .

حفظ الله ورعايته لرسوله:

ولا شك أن القدر حاطه بالحفظ، فعندما تتحرك نوازع النفس لاستطلاع بعض متع الدنيا، وعندما يرضى باتباع بعض التقاليد غير المحمودة . تتدخل العناية الربانية للحيلولة بينه وبينها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمني برسالته، قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي الغنم بأعلى مكة : لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب، فقال : أفعل، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفًا، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : عرس فلان بفلانة، فجلست أسمع، فضرب الله على أذنى فنمت، فما أيقظني إلا حر الشمس . فعدت إلى صاحبي فسألني، فأخبرته، ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت بمكة فأصابني مثل أول ليلة . . . ثم ما هممت بسوء " [٤]، [٥].

---

(١) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مبعث النبي قبل (٢٨٨/٤) رقم (٣٨٥١).

(٢) شرح السنّة ١٩٣/١٣) المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد(٧١/١)

(٤) اختلفوا في صحة هذا الحديث فصححه الحاكم والذهبي وضعفه ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٨٧). التعليق: ضعيف.

قال الألباني - رحمه الله - في كتابه دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ص (١٤): (رواه ابن الأثير ورواه الحاكم عن علي بن أبي طالب، وقال عنه: صحيح على شرط مسلم. ورواه الطبراني من حديث عمار بن ياسر) التعليق على الرحيق المختوم (ص: ٥٢) المؤلف: أبو عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح تَقْدِيم: فَضِيلَة الشَّيْخ عبد الله بن مَانع الروقي الناشر: الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية - جمهورية مصر العربية الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

(٥) الرحيق المختوم (ص: ٥٣).

وقد روى الإمام مسلم-رحمه الله- في صحيحه حادثة شق الصدر في صغره، فعن أنس بن مالك[١]: « أن رسول الله - ﷺ- أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه[٢] ، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون الى أمه -يعني ظئره- فقالوا: إ ن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره» [٣]

ولا شك أن التطهير من حظ الشيطان هو إرهاص مبكر للنبوة، وإعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله، فلا يحل في قلبه إلا التوحيد الخالص، وقد دلت أحداث صباه على تحقق ذلك فلم يرتكب إثماً ولم يسجد لصنم رغم انتشار ذلك في قريش[٤].

كمال اعتناء الله- سبحانه وتعالى- بنبيه صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور : ٤٨] .

هذه الآية من أعظم الآيات التي تدل على كمال اعتناء الله- سبحانه وتعالى- بنبيه صلى الله عليه وسلّم حيث أثبتت الآية أنه صلى الله عليه وسلّم بمرأى ومسمع من الله تعالى، في كل أحواله وتقلباته صلى الله عليه وسلّم، في أولاه وأخراه، في حياته ومماته، قبل البعثة وبعدها، في حله وترحاله، في عاداته وعباداته، بل نجزم أن هذه العناية والرعاية الإلهية قد شملته صلى الله عليه وسلّم قبل ميلاده بقرون طويلة، ألم تر كيف اختار الله له نسبه الشريف، من لدن إبراهيم عليه السلام وحتى عبد المطلب، وقد حكمت بأن العناية والرعاية قد شملت كل ما

(١) أنس بن مالك بْن النضر بْن ضمضم بْن زيد بْن حرام بْن جندب بْن عامر بْن غنم بْن عدي بْن النجار واسمه: تيم اللَّه بْن ثعلبة بْن عمرو بْن الخزرج بْن حارثة الأنصاري الخزرجي النجاري من بني عدي بْن النجار. خادم رَسُول اللَّهِ -ﷺ -كان يتسمى به، ويفتخر بذلك وروى الزُّهْرِيّ، عن أنس، قال: قدم النَّبِيّ -ﷺ-المدينة وأنا ابن عشر سنين، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة. وقيل: خدم النَّبِيّ -ﷺ-عشر سنين، وقيل: خدمه ثمانيًا، وقيل: سبعًا. وهو من المكثرين في الرواية عن رَسُول اللَّهِ ﷺعنه ودعا له رَسُول اللَّهِ -ﷺ-بكثرة المال والولد واختلف في وقت وفاته، ومبلغ عمره، فقيل: توفي سنة إحدى وتسعين، وقيل: سنة اثنتين وتسعين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين، وقيل: سنة تسعين. وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة، أسد الغابة ط العلمية (١/ ٢٩٤).

(٢) جمعه وضم بعضه الى بعض (شرح النووي على مسلم ٢/٢١٦).

(٣) مسلم، كتاب الايمان، (١/٤٥) رقم ٢٥٩.)

(٤) السيرة النبوية - دروس وعبر في تربية الأمة وبناء الدولة (٣/ ٦٠)

ذكر؛ لأن الآية لم تأت مقيدة بزمن دون زمن، ولا بحال دون حال، قال تعالى: فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا، وقد أثبتّ ذلك في باب حفظه -ﷺ- منذ الصغر وباب ملء القلب إيمانا وحكمة[١]

قال ابن كثير- رحمه الله- أي: اصبر على أذاهم ولا تبالهم، فإنك بمرأى منا وتحت كلاءتنا، والله يعصمك من الناس[٢].

قال القرطبي- رحمه الله- : أي بمرأى ومنظر منا نرى ونسمع ما تقول وتفعل. وقيل: بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك. والمعنى واحد[٣].

ويؤخذ من الآية كمال عصمة النبي صلى الله عليه وسلّم من الناس، وتمام عصمته من الزلات والهفوات، ورفعة منزلته وعلو شأنه، في الدنيا والآخرة؛ لأن هذا مقام من رعاه الله وحفظه في كل أحواله[٤]

---

(١) شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (٢/ ٦٤) المؤلف: أحمد بن عبد الفتاح زواوى الناشر: دار القمة - الإسكندرية

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٣٨).

(٣) تفسير القرطبي (١٧/ ٧٨).

(٤) شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (٢/ ٦٤).

المبحث الثاني

أديان العرب قبل الإسلام

تاريخ أديان العرب قبل الإسلام:

وتأريخ أديان العرب قبل الإسلام، فصل مهم جدًّا من فصول تأريخ العرب عامة قبل الإسلام وبعدها، بدونه لا يمكن فهم عقلية القوم الذين نزل الوحي بينهم وطريقة معرفة تفكيرهم ووجهة نظرهم إلى الخالق والكون ثم الأسباب التي دعت إلى نزول الوحي وظهور الإسلام، وبدون دراسة أديان الجاهليين ومقالاتهم في الخالق والخلق، لا نتمكن أبدًا من فهم رسالة الإسلام فهمًا صحيحًا. بل إن هذا الدراسة أيضًا فصل مهم جدًّا لفهم كثير من الأمور الواردة في التوراة والإنجيل إذ كان العرب قومًا من هذه الأقوام التي كانت لها صلات قديمة بأرض الوحي التي نزل بها الكتاب المقدس بعهديه، وعضو فعال في هذه المجموعة المسماة بالشعوب السامية. ما نعثر عليه من جديد في الناحية الدينية يكشف عن غوامض عديدة من غوامض العهدين، فجدير بالعلماء وبنا إذن الانصراف إلى البحث والاستقصاء للعثور على المصطلحات المفقودة من هذا الفعل.

وسنرى في الفصول القادمة أسماء رجال كان لهم شأن وخطر في الحياة الدينية للجاهليين، وقد زعم أهل الأخبار أن بعضًا منهم كان من الأنبياء الذين جاءوا إلى قومهم برسالة. وأن بعضًا آخر. كان من المصلحين الهادين، من أصحاب العقول النيرة التي هزأت بالأوثان وبديانات قومهم. وإن رجالًا منهم كانوا على الحنيفة، يريدون بها ديانة التوحيد، وإن آخرين بشروا بالوثنية، وأشاعوها بين العرب، لما كان لهم من مكانة ونفوذ. وإن رجالًا من الجاهليين كانوا على ملة اليهودية ودين المسيح. وإن قومًا من أهل الجاهلية كانوا على عبادة "الله" و"الرحمن"، وكل المذكورين كانوا ممن مهد الجادة إذن لظهور الإسلام[1].

---

(١)المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام (١١/ ٣٠ــــ٣١) المؤلف : الدكتور جواد علي الناشر : دار الساقي الطبعة : الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

صلة الجزيرة بالنبوّات، والأديان السماوية:

والجزيرة العربية مهد نبوّات كثيرة، ومبعث عدد من الأنبياء، وقد جاء في القرآن: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢١] .

والمراد به نبيّ الله هود الذي أرسل إلى عاد، وعاد من العرب البائدة على قول المؤرّخين، وكان موطنها «الأحقاف» و "الحقف" كثيب مرتفع من الرّمال.

وكانت منازل عاد على المرتفعات المتفرّقة في جنوب الجزيرة، وهي الآن تقع في الجنوب الغربيّ من الربع الخالي، قريبا من «حضرموت» ، لا عمران فيها ولا حياة، وكانت جنّات ومتنزّهات معمورة بأقوام جبابرة [١] .

والأمة العربية من أقدم الأمم وأشهرها، كان لها في التاريخ القديم والحديث اثار لا تزال باقية إلى الان، وقد خلّد الله سبحانه وجودها بأن اختار منها خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمدا صلّى الله عليه وسلّم، فكان شاهد صدق على أنها الأمة الجديرة بقيادة العالم إذا عضّت بالنواجذ على هذا الدين الذي هو خاتم الأديان وأوفاها بحاجة البشرية، كما خلّد لغتها حينما جعل اية خاتم أنبيائه العظمى وحيا يتلى، وقرانا عربيا مبينا، باقيا ما بقي مسلم على هذه الأرض، وما من أمة إسلامية إلا وتاريخها ممتزج بتاريخ هذه الأمة العربية، ولهذه الأمة التي حملت لواء الإسلام إلى الدنيا كلها فضل عليها[٢].

أديان العرب:

كان معظم العرب يدينون بدين إبرهيم عليه السلام منذ أن نشأت ذريته في مكة وانتشرت في جزيرة العرب، فكانوا يعبدون الله ويوحدونه ويلتزمون بشعائر دينه الحنيف، حتى طال عليهم الأمد ونسوا حظًا مما ذكروا به، إلا أنهم بقى فيهم التوحيد وعدة شعائر من هذا الدين، حتى جاء عمرو بن لُحَيٍّ رئيس خزاعة، وكان قد نشأ على أمر عظيم من المعروف والصدقة

---

(١) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي (ص: ١١٦) .

(٢) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (١/ ٤٦)   المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ) الناشر: دار القلم - دمشق الطبعة: الثامنة - ١٤٢٧ هـ.

والحرص على أمور الدين، فأحبه الناس ودانوا له، ظنًا منهم أنه من أكابر العلماء وأفاضل الأولياء[١] .

وكانت أديان العرب مختلفة بالمجاورات لأهل الملل، والانتقال إلى البلدان، والانتجاعات، فكانت قريش، وعامة ولد معد بن عدنان، على بعض دين إبراهيم، يحجون البيت، ويقيمون المناسك، ويقرون الضيف، ويعظمون الأشهر الحرم، وينكرون الفواحش والتقاطع والتظالم، ويعاقبون على الجرائم، فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة البيت [٢].

عقيدة التوحيد عند العرب قبل الإسلام:

إننا لا نستطيع أن نتحدث عن عقيدة التوحيد عند العرب قبل الإسلام استنادًا إلى ما لدينا من كتابات جاهلية؛ لعدم ورود شيء عن ذلك. فالنصوص التي وصلت إلينا، هي نصوص فيها أسماء أصنام، وليس فيها ما يفهم منه شيء عن التوحيد عند العرب قبل الميلاد وبعده، إلا ما ورد في النصوص العربية الجنوبية المتأخرة من عبادة الإله "ذو سموى"، أي صاحب السماء، بمعنى إله السماء. وهي عبادة ظهرت متأخرة في اليمن بتأثير اليهودية والنصرانية [٣].

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام (١١/ ٣٠ــــ٣١).
(٢) المصدر السابق نفسه (١١/ ٣٤٦).
(٣) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام (١١/ ٣٦)

المبحث الثالث

أشهر الأصنام المعبودة عند العرب

د خول الوثنية الى بلاد العرب:

وروي ابن إسحاق عن أبي هريرة –ﷺ–قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لأكثم بن الجوف الخزاعي يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندق يجر قصبه[١] في النار فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ولا بك منه فقال أكثم عسى ألا يضرني شبهه يا رسول الله قال لا أنك مؤمن وهو كافر إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامي [٢].

قال ابن هشام[٣] حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب من أرض البلقاء وبها يؤمئذ العماليق وهم ولدعملاق ويقال عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون قالوا له هذه الأصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم أفلا تعطونني منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه فآعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمرالناس بعبادته وتعظيمه[٤].

وذكر "المسعودي[٥]"

---

(١) (قصبة) : أمعاءه.

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٦٩٠) وقال أبو هريرة قال رسول الله -ﷺ-" رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار كان أول من سيب السوائب ". وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعدود فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي .

(٣) ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري؛ قال أبو القاسم السهيلي عنه في كتاب " الروض الأنف " - شرح سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم -: إنه مشهور بحمل العلم، متقدم في علم النسب والنحو، وهو من مصر وأصله من البصرة، وله كتاب في أنساب حمير وملوكها، وكتاب في شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب فيما ذكر لي. وتوفي بمصر في سنة ثلاث عشرة ومائتين، رحمه الله تعالى وفيات الأعيان (٣/ ١٧٧).

(٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (٢/ ٤٦٥) .

(٥) المسْعُودي : صَاحبُ "مُروجِ الذَّهبِ" وغيره من التواريخ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، من ذرية ابن مسعود، عداده في البغاددة، ونزل مصر مدة. وكان أخباريا، صاحب ملح وغرائب وعجائب وفنون، وكان معتزليا. أخذ عن أبي خليفة الجمحي ونفطويه، وعدة. مات في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وثلاث مائة سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٢/ ١٢١).

أن "عمرو بن لحي"[١] حين خرج إلى الشأم ورأى قومًا يعبدون الأصنام، فأعطوه منها صنمًا فنصبه على الكعبة، وأكثر من الأصنام، وغلب على العرب عبادتها، انمحت الحنيفية منهم إلا لمامًا، ضج العقلاء في ذلك، فقال "الشاعر

يا عمرو إنك قد أحدثت آلهة *** شتى بمكة حول البيت أنصابا

وكان للبيت رب واحد أبدًا *** فقد جعلت له في الناس أربابا

لتعرفن بأن الله في مهلٍ *** سيصطفي دونكم للبيت حجابا

وذكر أهل الأخبار أن "عمرو بن لحي" كان أول من غير تلبية "إبراهيم". وكانت: "لبيك لا شريك لك. لبيك"، فجعلها: "لبيك اللهم لبيك، إلا شريك هو لك، تملكه وما لك"، وقد كان "إبليس" قد ظهر له في صورة شيخ نجدي على بعير أصهب، فسايره ساعة، ثم لبى إبليس، فلبى "عمرو" تلبيته حتى خدعه. فلباها الناس على ذلك [٢].

الأصنام المعبودة عند العرب:

أولاً:هبل:

قال هشام:" وكان لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها وأعظمها عندهم هبل وكان فيما بلغني من عقيق أحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يدا من ذهب وكان أول من نصبه خذيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان في جوف الكعبة وكان قدامه سبعة أقدح مكتوب في أحدها صريح وفي الآخر ملصق فإذا شكو في مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقدح فإن خرج صريح ألحقوه وإن خرج ملصقا فدفعوه وكانوا إذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفرا أو عملا أتوه فاستقسموا بالقداح عنده وهو الذي قال له أبو سفيان يوم أحد أعل هبل أي علا دينك فقال رسول الله -ﷺ-لأصحابه: "ألا تجيبونه" فقالوا وما نقول قال: "قولوا الله أعلى وأجل"[٣]

---

(١) وكان "عمرو بن لحي" كاهنًا على ما يذكره أهل الأخبار ، وهو من "خزاعة"، التي انخزعت من اليمن. ثبت حكمه على مكة، بعد أن انتزع الحكم من جرهم، وغلب قومه عليها، فصاروا يطيعونه ويتبعون ما يضعه لهم. وقد نسبوا إليه وضع بقية الأصنام، مثل اللات وإساف ونائلة، فهو على رأي أهل الأخبار مؤسس هذه الأصنام التي بقيت إلى أيام النبي، والتي حطمت بأمره عام الفتح، وباستيلاء المسلمين على المواضع الأخرى.

(٢) ينظر المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام (١١/ ٨٠)

(٣) تلبيس إبليس (ص: ٥٤)

كانت هُبَل أعظم أصنام قريش بمكة، وكانت على بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئْر هي التي يجمع فيها ما يُهدي للكعبة[١].

ثانياً:مَناة :

وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة وأصل اشتقاقها من اسم الله المنان وقيل من منى الله الشيء إذا قدره

وقيل سميت مناة لكثرة ما يمنى أي يراق عندها من الدماء للتبرك بها.

وكانت لهُذَيْل وخزاعة، وكانت بالمُشَلَّل على ساحل البحر الأحمر حذو قُدَيْد، والمشلل : ثنية جبل يهبط منها إلى قديد[٢] .

ثالثاً:اللات:

"اللاَّتّ": بتشديد التاء وقالوا : كان رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه.ذكره البخاري عن ابن عباس .

قال أبو صالح[٣] : إنما كان رجلا بالطائف فكان يقوم على ألهتهم ويلت لهم السويق فلما مات عبدوه[٤] .

وهو من أكبر الطواغيت في الجاهلية، وقد كان رجلاً يلت السويق،والسويق: هو الحب الذي يحمص على النار ثم يطحن، ثم يوضع معه سمن أو زيت ويخلط ويؤكل، وقد يكون معه غير ذلك، وذكروا في سبب هذا أنه كان يصنع هذه الأشياء، وكان له غنم يأخذ منها السمن، ويجعل السويق ثم يقدمه لمن يأتي إليه، وفي بعض الآثار: أنهم إذا أكلوا من سويقه سمنوا، فصار ذلك فتنة، فلما مات دفنوه تحت صخرة ونقشوا عليها نقوشاً، وصاروا يطوفون بها،

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٥١٤)

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٤٥ -١٤٦) .

(٣) ذكوان " أبو صالح السمان الزيات المدني مولى جويرية بنت الأحمس الغطفاني شهد الدار زمن عثمان وسأل سعد بن أبي وقاص مسألة في الزكاة وروى عنه وعن أبي هريرة وأبي الدرداء وأبي سعيد الخدري وعقيل بن أبي طالب وجابر وابن عمر وابن عباس ومعاوية وعائشة وأم حبيبة وأم سلمة وغيرهم وأرسل عن أبي بكر قال عبد الله بن أحمد عن أبيه ثقة ثقة من أجل الناس وأوثقهم وقال حفص بن غياث عن الأعمش كان أبو صالح مؤذنا فأبطأ الإمام فأمنا فكان لا يكاد يجيزها من الرقة والبكاء وقال ابن معين ثقة ، تهذيب التهذيب (٣/ ٢١٩)

(٤) انظر:القرطبي، ج١٧، ص١٠٠.

ويجلسون عندها للتبرك بها، ثم صاروا يطلبون من الله أن تشفع لهم. وكانت لثقيف، وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى،[١].

رابعاً:العُزَّى:

والعزى : شجرة كانت بين مكة والطائف ، وهي في الأصل شجرة ثم بني بناء على ثلاث سمرات ، وكانت امرأة كاهنة هي التي تخدم ذلك الموضع[٢].

وقال أبو سفيان[٣]: لنا العزّى، ولا عزّى لكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: "قل اللّه مولانا ولا مولى لكم"[٤].

قال هشام وحدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :"كانت العزى شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة[٥] .

وكانت هذه الأصنام الثلاثة أكبر أوثان العرب، ثم كثر فيهم الشرك، وكثرت الأوثان في كل بُقعة

وكان لهم أساف ونائلة:

قال هشام فحدث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن أساف رجل من جرهم يقال له أساف بن يعلى ونائلة بنت زيد من جرهم وكان يتعشقها في أرض اليمن فأقبلا حجاجا فدخلا البيت فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها في البيت فمسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما فعبدته خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب قال هشام لما مسخا حجرين وضعا عند البيت ليتعظ الناس بهما فلما طال مكثهما

---

(١) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - للغنيمان (٦٤/ ٣) بترقيم الشاملة .

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١/ ١٣٠)

(٣) أَبُو سُفْيَان بْن الحارث بْن عبد المطلب بْن هاشم القرشي الهاشمي ابْن عم رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
وَكَانَ أخا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، أضعتهما حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية. وأمه غزية بنت قيس بْن طريف، من ولد فهر بْن مالك بْن النضر بْن كنانة. قَالَ قوم- منهم إِبْرَاهِيم بْن المنذر: اسمه الْمُغِيرَة. وَقَالَ آخرون: بل اسمه كنيته، والمغيرة أخوه. كَانَ إسلامه يوم الفتح قبل دخول رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة، لقيه هُوَ وابنه جعفر بْن أبي سُفْيَان بالأبواء فأسلما وشهد أَبُو سُفْيَان حنينًا، وأبلى فِيهَا بلاء حسنًا، وَكَانَ ممن ثبت ولم يفر يومئذ، ولم تفارق يده لجام. بغلة رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انصرف الناس إِلَيْهِ، وَكَانَ يشبه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وَسَلَّمَ يحبه، وشهد له بالجنة، وَكَانَ يقول: أرجو أن تكون خلفًا من حمزة. وَهُوَ معدود فِي فضلاء الصحابة ،الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٦٧٣- ١٦٧٥).

(٤) الروايات التفسيرية في فتح الباري (١/ ٣١٥) .

(٥) تلبيس إبليس (ص: ٥٣) .

وعبدت الأصنام عبدا معها وكان أحدهما ملصقا بالكعبة والآخر في موضع زمزم فنقلت قريش الذي كان ملصقا بالكعبة إلى الآخر فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما

وكان من تلك الأصنام ذو الخلصة وكان مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة والمدينة على مسيرة سبع ليال من مكة وكانت تعظمها وتهدي لها خثعم وبجيلة[١].

وهكذا انتشرت الأصنام ودور الأصنام في جزيرة العرب، حتى صار لكل قبيلة ثم في كل بيت منها صنم، أما المسجد الحرام فكانوا قد ملأوه بالأصنام، ولما فتح رسول الله صلىالله عليه وسلم مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنمًا[2].

(١) تلبيس إبليس (ص: ٥٤)
(٢) الرحيق المختوم (ص: ٢٠)

الفصل الثالث

المعبودات

بعد بعثته صلى الله عليه وسلم

وفيه مبحثان

المبحث الأول: رفع الهمم لتوحيد الله.

المبحث الثاني: إستنكار قريش لجعل الآلهة إلهاً واحداً

الفصل الثالث

المعبودات بعد بعثته صلى الله عليه وسلم

تمهيد

فقد بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وحالة العرب بل وحالة أهل الأرض كلهم إلا بقايا من أهل الكتاب كانت على أسوإ حالة، لقد كانت الخليقة في هذه الفترة بين وثنية حائرة تتخذ آلهتها من حجارة منحوتة وأصنام منصوبة تعكف عندها وتطوف حولها وتقرب لها الذبائح من أنفس أموالها بل وحتى أولادها؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٣٧] . (١)

وقد تولى القرآن بنفسه بيان أن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة ولهداية الناس عامة؛ قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]

قال عكرمة و مجاهد و الضحاك و قتادة و السدي وغيرهم في قوله : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف:٢٨] يعنى: (لا إله إلا الله)، لا يزال في ذريته من يقولها " (٢)

وقد كانت هذه الكلمة وقت بعثة النبي –ﷺ–لا يعرفونها، ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب» (٣) .

وكانوا يقولون: إن لله ديناً هو أرضى من دينكم هذا، فذهبوا إلى النصارى، فوجدوهم ضلالاً، وذهبوا إلى اليهود فوجدوهم على غضب من الله تعالى، فاعتزلوا الكل وصاروا يعبدون الله على حسب ما تهديهم إليه عقولهم . فأخبر –ﷺ–أنه لم يدخل في مقت الله عز وجل ذلك بقايا من أهل الكتاب وهم عندنا والله أعلم الذين بقوا على ما بعث به عيسى –ﷺ–ممن لم يبدله ولم

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص: ٤٧- ٤٨)

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٢٢٥)

(٣) أخرجه أحمد (١٦٢/٤) رقم (١٧٥١٩) ومسلم (٢١٩٧/٤) رقم (٢٨٦٥) وأخرجه أيضًا : الطبرانى (٣٥٨/١٧ رقم ٩٨٧) عن عياض بن حمار وجاء في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ١٥٩١) المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف) عام النشر: جـ ٧: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

– يومئذ هذا ﷺيدخل فيه ما ليس منه وبقي على ما تعبده الله عليه عز وجل حتى قال النبي – القول والله تعالى نسأله التوفيق[1].

(١) شرح مشكل الاثار (٥/ ٢٢٨) المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي سنة الولادة ٢٣٩هـ/ سنة الوفاة ٣٢١هـ تحقيق شعيب الأرنؤوط مكان النشر لبنان/ بيروت الناشر مؤسسة الرسالة سنة النشر ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

المبحث الأول

رفع الهمم لتوحيد الله

فقد قال النبي –ﷺ – لقومه :"أيها الناس ، قولوا : ' لا إله إلا الله ' تفلحوا وتملكوا بها العرب ، وتدين لكم بها العجم . فإذا متم كنتم ملوكاً في الجنة ' وأبو لهب وراءه يقول : لا تطيعوه . فإنه صابيء كذاب ، فيردون على رسول الله –ﷺ–أقبح الرد . ويؤذونه ، ويقولون : عشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك . وهو يقول : ' اللهم ' لو شئت لم يكونوا هكذا ' ولما نزل عليه قوله تعالى : ! ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ! صعد الصفا فنادى : ' واصباحاه ' فلما اجتمعوا إليه قال : ' لو أخبرتكم أن خيلا تريد أن تخرج عليكم من سَفْح هذا الجبل ، أكنتم مصدقي ؟ ' قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذباً . قال ' فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ' فقال أبو لهب تَبّاً لك ، ما جمعتنا إلا لهذا ؟ فأنزل الله قوله تعالى : ! ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢﴾[المسد: ١ - ٢] ![1].

وقال خباب بن الأرت[2]– ﷺ– : أتيت النبي –ﷺ– وهو متوسد برده وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت : ألا تدعو الله، فقعد، وهو محمر وجهه، فقال : « لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله . زاد بيان الراوى . والذئب على غنمه » وفي رواية : « ولكنكم تستعجلون » [3] .

---

(١) مختصر السيرة (ص: ٨١) .

(٢) خباب بْن الأرت اختلف في نسبه، فقيل: خزاعي، وقيل: تميمي، وهو الأكثر، وهو خباب بْن الأرت بْن جندلة بْن سعد بْن خزيمة بْن كعب بْن سعد بْن زيد بْن مناة بْن تميم، يكنى أبا عَبْد اللَّهِ، وقيل: أَبُو مُحَمَّد، وقيل: أَبُو يحيى وهو من السابقين الأولين إِلَى الإسلام، وممن يعذب في الله تعالى، كان سادس ستة في الإسلام.. قال مجاهد: أول من أظهر إسلامه رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بكر، وخباب، وصهيب، وبلال، وعمار، وسمية أم عمار قال الشعبي: إن خبابا صبر ولم يعط الكفار ما سألوا، فجعلوا يلزقون ظهره بالرضف، حتى ذهب لحم متنه سأل عمر بْن الخطاب خبابًا رضي الله عنهما، عما لقي من المشركين فقال: يا أمير المؤمنين، انظر إِلَى ظهري. مات سنة سبع وثلاثين، وأنه لم يشهد صفين، فإنه كان مرضه قد طال به، فمنعه من شهودها. قال علي رضي الله عنه: رحم الله خبابًا، أسلم راغبًا، وهاجر طائعًا، وعاش مجاهدًا، وابتلى في جسمه، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملًا ، مختصر من أسد الغابة ط العلمية (٢/ ١٤٧).

(٣) صحيح البخاري " باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر" (٩/ ٢٠) برقم(٦٩٤٣).

قيام النبي بإنذار الأقربين:

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله عز وجل عليه :﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ فقال : « يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئا ، يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا »[(١)].

عن أبي هريرة قال : لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين دعا النبي صلى الله عليه وسلم قريشا ، فاجتمعوا فعم وخص ، فقال : « يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار . يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار . يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار . يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار . يا فاطمة أنقذي نفسك من النار ؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئا ، غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها[(٢)]»[(٣)] .

في عرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه الكريمة على القبائل :

عن ابن اسحق قال: حدثني الزهري قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناساً من كندة في مياه لهم، وفيهم سيد لهم ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فأبوا أن يقبلوا منه نقمة عليه.

ثم أتى حياً من كلب يقال لهم بنو عبد الله، فقال لهم: يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم، فلم يقبلوا، فأعرضوا عنه[(٤)] .

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ١١١) ٤٧٧١ باب {وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك} [الشعراء: ٢١٥] وصحيح مسلم (١/ ١٩٢) (٢٠٦) من حديث أبي هريرة .

(٢) ببلالها : بصلتها وبالإحسان إليها ، والبلال الماء شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة

(٣) صحيح مسلم باب في قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: ٢١٤] (١/ ١٩٢رقم (٢٠٤)

(٤) إمتاع الأسماع (٩/ ١٨٣) المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ) المحقق: محمد عبد الحميد النميسي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

وعن أبي الزناد[١] قال: أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الدئل، وكان جاهليا فأسلم، قال: رأيت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في الجاهلية في سوق ذي المجاز، وهو يقول: «يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول، ذو غديرتين»[٢]

يقول: إنه صابئ كاذب، يتبعه حيث ذهب[٣] .

قال جابر بن عبد الله[٤] رضي الله عنهما: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه بالموقف، فيقول: « ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي» [٥].

ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين من أول نبوته مستخفيا ثم أعلن في الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين، يوافي الموسم كل عام يتبع الحاج في منازلهم بعكاظ ومجنة وذي المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه

ولهم الجنة، فلا يجد أحدا ينصره ولا يجيبه حتى إنه سأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول: يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا العرب وتذل لكم العجم وإذا آمنتم كنتم

---

(١) عبد الرحمن" بن أبي الزناد بن عبد الله بن ذكوان القرشي مولاهم المدني قال مصعب كان أبو الزناد أحب أهل المدينة وابنه وابن ابنه وقال سعيد بن أبي مريم عن خاله موسى بن سلمة قدمت المدينة فأتيت مالك بن أنس فقلت له أني قدمت إليك لأسمع العلم وأسمع ممن تأمرني به فقال عليك بابن أبي الزناد وقال أبو داود عن ابن معين أثبت الناس في هشام بن عروة عبد الرحمن بن أبي الزناد وقال ابن سعد قدم في جامعه فسمع منه البغداديون وكان كثير الحديث وكان يضعف لروايته عن أبيه وكا يفتي مات ببغداد سنة أربع وسبعين ومائة ومولده سنة "١٠٠" وكذا أرخه أبو موسى قلت ولا أعلم فيه خلافا بين المحدثين والمؤرخين تهذيب التهذيب (٦/ ١٧٠- ١٧٢)

(٢) ذُوغديرتان: تثنية غديرة، أي ذؤابة، وهي الشعر المضفور الذي أُدخل بعضه في بعض.

(٣) الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية (ص: ١٠٦) المؤلف: أبو أسماء محمد بن طه تقديم: الشيخ وحيد عبد السلام بالي والشيخ الدكتور عبد الباري محمد الطاهر الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - دار سبل السلام - الفيوم الطبعة: الثانية، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ .

(٤) جابر بن عَبْد الله بن حرام بن عمرو بن سواد بن سلمة، ويقال: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة.،اختلف في كنيته، فقيل: أبو عَبْد الرحمن، وأصح ما قيل فيه بو عَبْد الله. شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صغير، ولم يشهد الأولى، ذكره بعضهم في البدريين، ولا يصح، لأنه قد روى عنه أنه قَالَ: لم أشهد بدرًا، ولا أحدًا، منعني أبي. وذكر البخاري أنه شهد بدرًا، وكان ينقل لأصحابه الماء يومئذ، ثم شهد بعدها مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمان عشرة غزوة وروى أبو الزبير عن جابر قَالَ: غزا رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه إحدى وعشرين غزوة. شهدت منها [معه] تسع عشرة غزوة وكان من المكثرين الحفاظ للسنن، وكف بصره في آخر عمره. وتوفي سنة أربع وسبعين. وقيل سنة ثمان وسبعين. وقيل سنة سبع وسبعين بالمدينة.، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢١٩- ٢٢٠) .

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ٥٩١) برقم (١٩٤٧).

ملوكا في الجنة' وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه فإنه صابئ كاذب، فيردون عليه أقبح الرد ويؤذونه ويقولون: قومك بك أعلم(١) .

مراسلة النبي صلى الله عليه وسلم للرؤساء والملوك:

فمنذأن عقد الرسول صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية مع قريش وما تلا ذلك من إخضاع يهود شمال الحجاز في خيبر ووادي القرى وتيماء وفدك إلى سيادة الإسلام، فإن الرسول لم يأل جهدا لنشر الإسلام خارج حدود الحجاز، وكذلك خارج حدود الجزيرة العربية، وقد عبر عليه الصلاة والسلام عن هذا المنهج قولا وعملا من خلال إرساله عددا من الرسل والمبعوثين إلى أمراء الجزيرة العربية وإلى ملوك العالم المعاصر خارج الجزيرة العربية.

وتعد هذه الخطوة نقطة تحول هامة في تاريخ العرب والإسلام ليس لأن الرسول سوف يوحد عرب الجزيرة العربية تحت راية الإسلام فحسب، ولكن لأن هؤلاء العرب بعد أن اعتنقوا الإسلام وتمثلوا رسالة السماء أنيط بهم حمل الدعوة الإسلامية إلى البشرية كافة"(٢) .

أولا: مراسلة كسرى عظيم فارس:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بداعية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس

قال عبد الله بن حذافة(٣) فانتهيت إلى بابه فطلبت الإذن عليه حتى وصلت إليه فدفعت إليه كتاب رسول الله – ﷺ– فقرئ عليه فأخذه ومزقه فلما بلغ ذلك رسول الله –ﷺ–

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ٤٥١) للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفي سنة ٩٤٢ هـ تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص: ٧١٤)

(٣) عبد الله" بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص القرشي السهمي أبو حذافة أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة مع أخيه قيس وقيل أنه شهد بدرا ونزل فيه قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم

وهو الذي أسرته الروم في زمن عمر بن الخطاب فأرادوه على الكفر فأبى فقال له ملك الروم قبل رأسي وأطلقك قال لا قال قبل رأسي وأطلقك من معك من المسلمين فقبل رأسه ففعل وأطلق معه ثمانون أسيرا فقدم بهم على عمر فقال حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله وأنا أبدأ ففعلوا له قال أبو القاسم البغوي بلغني أنه مات في خلافة عثمان وقال أبو نعيم الحافظ توفي بمصر في خلافة عثمان، تهذيب التهذيب (٥/ ١٨٥) .

قال مزق ملكه[1] .

وروى البخاري عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – أن رسول الله – ﷺ– بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين المنذر ابن ساوى نائب كسرى على البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه، فدعا عليهم رسول الله – ﷺ– أن تمزقوا كل ممزق[2].

ثانيا :مراسلة هرقل عظيم الروم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بداعية الإسلام أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فعليك إثم الأريسيين و يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون قال أبو سفيان : فلما أن

قضى مقالته علت أصوات الذين حوله من عظماء الروم وكثر لغطهم ، فلا أدري ما قالوا ، وأمر بنا فأخرجنا ، فلما أن خرجت مع أصحابي وخلوت بهم قلت لهم : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة ، هذا ملك بني الأصفر يخافه وقال أبو سفيان : والله ما زلت ذليلا مستيقنا بأن أمره سيظهر حتى أدخل الله قلبي الإسلام وأنا كاره[3] .

ثالثا:مراسلة النجاشي ملك الحبشة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاش ملك الحبشة

---

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (٢/ ٣٠٩) المؤلف / أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي تحقيق : د . محمد كمال الدين عز الدين علي دار النشر / عالم الكتب - بيروت الطبعة : الأولى- ١٤١٧هـ

(٢) صحيح البخاري (١/ ٢٣) رقم ٦٤).

(٣) دلائل النبوة للبيهقي مخرجا (٤/ ٣٨٠) المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: د. عبد المعطي قلعجي الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث الطبعة: الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

أسلم أنت فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده

وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل فقد بلغت ونصحت فأقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى

فكتب إليه النجاشي

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة

سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمه الله وبركات الله الذي لا إله إلا هو

أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقا إنه كما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين[1].

رابعا:مراسلة المقوقس عظيم القبط:

والمقوقس لقب وهو لغة: المطول للبناء واسمه جريج بن مينا بعث معه صلى الله عليه وسلم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين

فإن توليت فإنما عليك إثم القبط أي الذين هم رعاياك ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدو بأنا مسلمون وختم الكتاب وجاء به حاطب رضي الله تعالى عنه حتى دخل على المقوقس بالإسكندرية أي بعد أن ذهب إلى مصر فلم يجده فذهب إلى الإسكندرية فأخبر أنه في مجلس مشرف على البحر فركب حاطب رضي الله عنه سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب إليه فلما رآه أمر باحضاره بين يديه فلما جيىء به نظر إلى الكتاب وفضه وقرأه وقال

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (٢/ ٣١٢ - ٣١٣)

لحاطب ما منعه إن كان نبيا أن يدعو على من خالفه أي من قومه وأخرجوه من بلده إلى غيرها أن يسلط عليهم فاستعاد منه الكلام مرتين ثم سكت فقال له حاطب ألست تشهد أن عيسى ابن مريم رسول الله فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى حتى رفعه الله إليه قال احسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال له حاطب رضي الله تعالى عنه إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى يعني فرعون ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٥] فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك(١).

ولقد أرسل الرسول – ﷺ– الكثير من الرسل والسفراء – يدعوهم إلى الإسلام – ولتحقيق مثل هذا الحوار بينه وبين الأمم والحضارات الأخرى وملوك وزعماء العالم

فهذه المراسلات كانت كلهاالدعوة إلى عبادة الله وحده فغايته صلى الله عليه وسلم عظيمة

---

(١) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (٣/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) المؤلف: علي بن برهان الدين الحلبي سنة الولادة ٩٧٥/ سنة الوفاة ١٠٤٤ الناشر دار المعرفة ـ بيروت- سنة النشر ١٤٠٠هـ

المبحث الثاني

إستنكار قريش لجعل الآلهة إلهاً واحداً

روي أنه لما أسلم عمر فرح به المسلمون فرحا شديدا وشق ذك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يعنون المسلمين فجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك ، فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني ، قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك ، فقال صلى الله عليه وسلم : أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أتعطوني أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم العجم ؟ قالوا : نعم ، قال تقولوا لا إله إلا الله ، فقاموا وقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص: ٥][1].

قال القرطبي:"قوله تعالى : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص: ٥] مفعولان أي صير الآلهة إلها واحدا. ﴿ إن هذا لشيء عجاب ﴾ أي عجيب.

والعجب سواء. وقد فرق الخليل بين عجيب وعجاب فقال : العجيب العجب ، والعجاب الذي قد تجاوز حد العجب ، والطويل الذي فيه طول ، والطوال ، الذي قد تجاوز حد الطول. وقال الجوهري : العجيب الأمر الذي يتعجب منه ، وكذلك العجاب بالضم ، والعجاب بالتشديد أكثر منه ، وكذلك الأعجوبة. وقال مقاتل : ﴿عجاب ﴾ لغة أزد شنوءة.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : مرض أبو طالب فجاءت قريش إليه ، وجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وعند رأس أبي طالب مجلس رجل ، فقام أبو جهل كي يمنعه ، قال : وشكوه إلى أبي طالب ، فقال : يا ابن أخي ما تريد من قومك ؟ فقال : " يا عم إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها الجزية العجم " فقال : وما هي ؟ قال : "لا إله إلا الله" قال : فقالوا ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا ﴾[2].

---

(١) تفسير الفخر الرازى (ص: ٣٧٨٩)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ١٤٩ - ١٥٠)

يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن أخيك فمره فليكف عن شتم آلهتنا ونعده وإلهه فبعث إليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم قد سألوك النصف

أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك فقال : أي عم أولا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها ؟ قال : وإلى ما تدعوهم ؟ ! قال : أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة يدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم فقال أبو جهل من بين القوم : ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها ؟ قال : تقول لا إله إلا الله

فنفروا وقالوا سلنا غير هذه قال : لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها فغضبوا وقاموا من عنده غضابا وقالوا : والله لنشتمنك وإلهك الذي يأمرك بهذا وانطلق الملأ منهم أن امشوا إلى قوله... اختلاق[١]

المستحق للإعجاب إلهية المنحوت من الحجر:

قول الحق جل جلاله : ﴿وَعَجِبُوٓاْ﴾ أي : كفار قريش من ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ﴾ [ص: ٤] ؛ رسول من أنفسهم ، استبعدوا أن يكون الرسل من البشر.

قال القشيري[٢] : وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ، ولم يعجبوا أن يكون المنحوت إلها لهم ، وهذه مناقضة ظاهرة. هـ.

يعني : لأن المستحق للإعجاب إلهية المنحوت من الحجر ، لا وجود منذر من البشر ، وهم عكسوا القضية. ﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾أي : ساحر فيما يظهر من المعجزات ، كذاب فيما يدعيه من الرسالة. وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالكفر ، وغضبا عليهم ، وإشعارا بأن كفرهم هو الذي جسرهم على هذه المقالة الشنعاء[٣].

---

(١) ا لدر المنثور (٧/ ١٤٣) .

(٢) القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري الفقيه الشافعي؛ كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة وعلم التصوف، جمع بين الشريعة والحقيقة، أصله من ناحية أستوا من العرب الذين قدموا خراسان، توفي أبوه وهو صغير، وقرأ الأدب في صباه، وكانت له قرية مثقلة الخراج بنواحي أستوا فرأى من الرأي أن يحضر إلى نيسابور يتعلم طرفاً من الحساب ليتولى الاستيفاء ويحمي قريته من الخراج فصنف التفسير الكبير قبل سنة عشر وأربعمائة، وسماه " التيسير في علم التفسير " وهو من أجود التفاسير كان له في الفروسية واستعمال السلاح يد بيضاء، وأما مجالس الوعظ والتذكير فهو إمامها وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٥) وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٦)

(٣) البحر المديد (٦/ ٣٠٥) .

انطلاق الملأ والصبر على الآلهة:

وقوله تعالى﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴾ [ص: ٦]

﴿وانطلق الملأ منهم﴾ وهم يقولون لبعضهم بعضا امشوا واصبروا على آلهتكم ﴿إن هذا لشيء يراد﴾ أي منا إمضاؤه وتنفيذه. قالوا هذا وما بعده من القول لما اجتمعوا بالرسول صلى الله عليه وسلم في منزل عمه أبي طالب لمفاوضة الرسول في شأن دعوته فلما قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم قولوا لا إله إلا الله قاموا من المجلس وانطلقوا يمشون ويقولون ما أخبر تعالى به عنهم ﴿أن امشوا واصبروا على آلهتكم﴾ أي على عبادتها فلا تتخلوا عنها ﴿إن هذا﴾ أي الدعوة إلى لا إله إلا الله [(١)].

قال سيد قطب :"ويصور التعبير القرآني مدى دهشتهم من هذه الحقيقة الفطرية القريبة . . ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا؟ ﴾ كأنه الأمر الذي لا يتصوره متصور! ﴿ إن هذا لشيء عجاب ﴾ . . حتى البناء اللفظي { عجاب } يوحي بشدة العجب وضخامته وتضخيمه!

كما يصور طريقتهم في مقاومة هذه الحقيقة في نفوس الجماهير ، وتثبيتهم على ما هم عليه من عقيدة موروثة متهافتة . وإيهامهم أن وراء الدعوة الجديدة خبيئا غير ظاهرها؛ وأنهم هم الكبراء العليمون ببواطن الأمور ، مدركون لما وراء هذه الدعوى من خبيء! ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴾ [ص: ٦] . . فليس هو الدين ، وليست هي العقيدة ، إنما هو شيء آخر يراد من وراء هذه الدعوة . شيء ينبغي أن تدعه الجماهير لأربابه ، ولمن يحسنون فهم المخبآت وإدراك المناورات! وتنصرف هي إلى عادتها الموروثة ، وآلهتها المعروفة ، ولا تعني نفسها بما وراء المناورة الجديدة! فهناك أربابها الكفيلون بمقاومتها"[(٢)] .

إغراق الجماهير في الأباطيل:

قال سيد قطب–رحمه الله–:"فلتطمئن الجماهير ، فالكبراء ساهرون على مصالحهم وعقائدهم وآلهتهم!

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٤/ ٤٣٧)
(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٠٠٩)

إنها الطريقة المألوفة المكرورة التي يصرف بها الطغاة جماهيرهم عن الاهتمام بالشؤون العامة ، والبحث وراء الحقيقة . وتدبر ما يواجههم من حقائق خطرة . ذلك أن اشتغال الجماهير بمعرفة الحقائق بأنفسم خطر على الطغاة ، وخطر على الكبراء ، وكشف للأباطيل التي يغرقون فيها الجماهير . وهم لا يعيشون إلا بإغراق الجماهير في الأباطيل!

ثم يموهون على الناس بظواهر العقيدة القريبة منهم . عقيدة أهل الكتاب . بعدما دخلت إليها الأساطير التي حرفتها عن التوحيد الخالص فيقولون :

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾[ص: ٧]

وكانت عقيدة التثليث قد شاعت في المسيحية . وأسطورة العزيز قد شاعت كذلك في اليهودية . فكبراء قريش كانوا يشيرون إلى هذا وهم يقولون :﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ﴾ . . ما سمعنا بهذا التوحيد المطلق لله . الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فما يقول إذن إلا اختلاقا![1].

أول أمر بإظهار الدعوة ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ ! .

قال ابن القيم–رحمه الله–:" وأقام صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ثلاث سنين يدعو إلى الله سبحانه مستخفيا، ثم نزل عليه ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤] فأعلن –ﷺ بالدعوة وجاهر قومه بالعداوة، واشتد الأذى عليه وعلى المسلمين حتى أذن الله لهم بالهجرتين".[2].

لما تكونت جماعة من المؤمنين تقوم على الأخوة والتعاون، وتتحمل عبء تبليغ الرسالة وتمكينها من مقامها نزل الوحى يكلف رسول الله -ﷺ-بمعالنة الدعوة، ومجابهة الباطل بالحسنى .

وأول ما نزل بهذا الصدد قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] ، وقد ورد في سياق ذكرت فيه أولا قصة موسى عليه السلام، من بداية نبوته إلى هجرته مع بني

---

(١) في ظلال القرآن في ظلال القرآن (٥/ ٣٠٠٩- ٣٠١٠)
(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٨٦)

إسرائيل، وقصة نجاتهم من فرعون وقومه، وإغراق آل فرعون معه، وقد اشتملت هذه القصة على جميع المراحل التي مر بها موسى عليه السلام، خلال دعوة فرعون وقومه إلى الله .

-بجهر الدعوة إلى الله؛ ليكون أمامه وأمام -ﷺوكأن هذا التفصيل جيء به مع أمر الرسول أصحابه مثال لما سيلقونه من التكذيب والاضطهاد حينما يجهرون بالدعوة، وليكونوا على بصيرة من أمرهم منذ البداية ، ومن ناحية أخرى تشتمل هذه السورة على ذكر مآل المكذبين للرسل، من قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة . عدا ما ذكر من أمر فرعون وقومه . ليعلم الذين سيقومون بالتكذيب عاقبة أمرهم وما سيلقونه من مؤاخذة الله إن استمروا عليه،وليعرف المؤمنون وليعرف المؤمنون أن حسن العاقبة لهم وليس للمكذبين[1]

---

(١) الرحيق المختوم(ص: ٣٥) (مع بعض التعديلات والزيادات من د علاء الدين زعتري وغسان محمد رشيد الحموي) المؤلف: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ) الناشر: دار العصماء - دمشق الطبعة: الأول – ١٤٢٧ه

الفصل الرابع

مواجهات ومساومات المشركين

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : عروض المشركين للمساومة .

المبحث الثاني: مفارقة النبي صلى الله عليه وسلم لمعبودات المشركين.

المبحث الثالث : غلبة الحق وزوال الباطل .

الفصل الرابع

مواجهات ومساومات المشركين

تمهيد

ولما رأى المشركون صلابة المسلمين واستعلائهم بدينهم ورفعة نفوسهم فوق كل باطل ولما بدأت خطوط اليأس في نفوسهم من أن المسلمين يستحيل رجوعهم عن دينهم سلكوا مهزلة أخرى من مهازلهم الدالة على طيش أحلامهم ورعونتهم الحمقاء.

فأرسلوا الى النبي – ﷺ– الأسود بن عبدالمطلب والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، فقالوا "يامحمد، هلم فلنعبد ماتعبد، وتعبد مانعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيرا مما نعبد، كنا قد أخذنا بحظنا منه، وان كان مانعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه"(1).

ذكر ابن إسحاق وغيره عن ابن عباس : "أن سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والأسود بن عبدالمطلب ، وأمية بن خلف ؛ لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله ، فإن كان الذي جئت به خيرا مما بأيدينا ، كنا قد شاركناك فيه ، وأخذنا بحظنا منه. وإن كان الذي بأيدينا خيرا مما بيدك ، كنت قد شركتنا في أمرنا ، وأخذت بحظك منه ؛ فأنزل الله عز وجل ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[الكافرون: ١].

وقال أبو صالح عن ابن عباس : أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو استلمت بعض هذه الآلهة لصدقناك ؛ فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه السورة فيئسوا منه ، وآذوه ، وآذوا أصحابه(2) .

---

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص: ١٧٣)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٢٥)

المبحث الأول

عروض المشركين للمساومة

مساومة النبي بكل مايتمناه:

عن ابن عباس–ﷺ–: "أن قريشا وعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطئوا عقبه، فقالوا له: هذا لك عندنا يا محمد، وكف عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل، فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح. قال: "ما هي؟" قالوا: تعبد آلهتنا سنة: اللات والعزي، ونعبد إلهك سنة، قال: "حتى أنظر ما يأتي من عند ربي"، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[الكافرون: ١] السورة، وأنزل الله:﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر: ٦٤ - ٦٦][1].

عروض المشركين على النبي صلى الله عليه:

أستخدم المشركون عروضاً ووسائل كثيرة منها:كما قال تعالى﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾[القلم: ٩]

قال الليث[2]: "الإدهان اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام" .

---

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٦٢).

(٢) الليث بن سعد أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن إمام أهل مصر في الفقه والحديث، كان مولى قيس بن رفاعة، وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي وأصله من أصبهان، وكان ثقة سريا سخيا وقال الشافعي رضي الله عنه: الليث بن سعد أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به. وكان من الكرماء الأجواد، ويقال إن دخله كان هو كل سنة خمسة آلاف دينار ، وكان يفرقها في الصلات وغيرها. وقال منصور بن عمار: أتيت الليث فأعطاني ألف دينار وقال: صن بهذه الحكمة التي آتاك الله تعالى وقال يحيى بن بكير: ما رأيت أحدا أكمل من الليث بن سعد، كان فقيه البدن عربي اللسان يحسن القرآن والنحو ويحفظ الشعر والحديث حسن المذاكرة - وما زال يذكر خصالا جميلة ويعقد بيده حتى عقد عشرة - لم أر مثله. وكان الليث يقول، قال لي بعض أهلي: ولدت سنة اثنتين وتسعين للهجرة والذي أوقن سنة أربع وتسعين في شعبان. وتوفي يوم الخميس - وقيل الجمعة - منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ومائة ودفن يوم الجمعة بمصر في القرافة الصغرى وفيات الأعيان (٤/ ١٢٧- ١٣٠)

وقال المبرد :" داهن الرجل في دينه وداهن في أمره إذا خان فيه وأظهر خلاف ما يضمر والمعنى تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض مالا ترضى فتلين لهم ويلينون لك".

وروى عطاء[١] عن ابن عباس:" لو تكفر فيكفرون"[٢].

ولكن جاء التثبيت من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وحفظه من أعدائه الحريصين على فتنته﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾[الإسراء: ٧٤]

ولولا أن عصمناك من الخطأ في الاجتهاد وأريناك أن مصلحة الشدة في الدين والتنويه بأتباعه ، ولو كانوا من ضعفاء أهل الدنيا ، لا تعارضها مصلحة تأليف قلوب المشركين ، ولو كان المسلمون راضين بالغضاضة من أنفسهم استئلافا للمشركين ، فإن إظهار الهوادة في أمر الدين تطمع المشركين في الترقي إلى سؤال ما هو أبعد مدى مما سألوه ، فمصلحة ملازمة موقف الحزم معهم أرجح من مصلحة ملاينتهم وموافقتهم ، أي فلا فائدة من ذلك . ولولا ذلك كله لقد كدت تركن إليهم قليلا ، أي تميل إليهم ، أي توعدتهم بالإجابة إلى بعض ما سألوك استنادا لدليل مصلحة مرجوحة واضحة وغفلة عن مصلحة راجحة خفية اغترارا بخفة بعض ما سألوه في جانب عظم ما وعدوا به من إيمانهم[٣] .

﴿ولولا أن ثبتناك ﴾ على الحق بعصمتنا ﴿ لقد كدت تركن﴾ أي: تميل ﴿ إليهم شيئا قليلا ﴾ أي: قريبا من الفعل، فإن قيل: كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه وما طلبوه كفر؟

قيل: كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد غفر الله عز وجل عن حديث النفس.

---

(١) عطاء" بن أبي رباح واسمه أسلم القرشي مولاهم أبو محمد المكي روى عن بن عباس وابن عمرو وابن عمر ابن عباس أنه كان يقول تجتمعون إلي يا أهل مكة وعندكم عطاء وكذا روى عن بن عمر وقال أبو عاصم الثقفي سمعت أبا جعفر يقول للناس وقد اجتمعوا عليه عليكم بعطاء هو والله خير مني وكان يوم مات بن مائة سنة ورأيته يفطر في رمضان ويقول قال بن عباس وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له أي أطعم أكثر من مسكين وقال عبد الله بن إبراهيم بن عمر بن كيسان عن أبيه أذكر في زمن بني أمية صائحا يصيح لا يفتي الناس الا عطاء وذكر أحمد بن يونس الضبي أنه ولد سنة ٢٧ وقال أبو المليح الرقي مات سنة ١١٤ وقال ميمون ما خلف بعده مثله وقال يعقوب بن سفيان والبخاري عن حيوة بن شريح عن عباس بن الفضل عن حماد بن سلمة قدمت مكة وعطاء حي فقلت إذا أفطرت دخلت عليه فمات في رمضان تهذيب التهذيب (٧/ ١٩٩- ٢٠٢)

(٢) مفاتيح الغيب (٣٠/ ٧٣)

(٣) التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية (١٥/ ١٧٥)

قال قتادة: كان النبي -ﷺ-يقول بعد ذلك: "اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين"[(١)]

والجواب الصحيح هو أن الله تعالى قال: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ وقد ثبته الله ولم يركن وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء-٨٣][(٢)] .

قال السعدي:" يذكر تعالى منته على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وحفظه له من أعدائه الحريصين على فتنته بكل طريق، فقال: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾[الإسراء: ٧٣] أي: قد كادوا لك أمرا لم يدركوه، وتحيلوا لك، على أن تفتري على الله غير الذي أنزلنا إليك، فتجيء بما يوافق أهواءهم، وتدع ما أنزل الله إليك.

﴿ وإذا ﴾ لو فعلت ما يهوون ﴿ لاتخذوك خليلا﴾أي حبيبا صفيا، أعز عليهم من أحبابهم، لما جبلك الله عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، المحببة للقريب والبعيد، والصديق والعدو، ولكن لتعلم أنهم لم يعادوك وينابذوك العداوة، إلا للحق الذي جئت به لا لذاتك، كما قال الله تعالى ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣][(٣)].

المفاصلة الحاسمة ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ :

فيه معنى التهديد ؛ وهو كقوله تعالى : ﴿ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ ﴾ [الشورى: ١٥] أي إن رضيتم بدينكم ، فقد رضينا بديننا. وكان هذا قبل الأمر بالقتال ، فنسخ بآية السيف.

---

(١) ضعيف جداً. أخرجه البزار في " مسنده " مسند البزار = البحر الزخار (١٣/ ٤٩رقم ٦٣٦٨) (٤/ ٥٨/ ٣١٩٠ - كشف الأستار) من طريق إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر قال: كان من دعاء رسول الله -ﷺ-فذكره.انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٤/ ١١٦٠)المؤلف: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني دار النشر : دار المعارف البلد : الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة : الأولى سنة الطبع : ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م. وجاء بلفظ عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلمات المكروب اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه؛ وزاد في آخره لا إله إلا أنت .وهو في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٧١) للألباني الناشر : مكتبة المعارف - الرياض الطبعة : الخامسة .

(٢) تفسير البغوي (٥/ ١١٢)

(٣) تفسير السعدي (ص: ٤٦٣)

وقيل : السورة كلها منسوخة. وقيل : ما نسخ منها شيء لأنها خبر. ومعنى ﴿لكم دينكم﴾ أي جزاء دينكم ، ولي جزاء ديني. وسمى دينهم دينا ، لأنهم اعتقدوه وتولوه. وقيل : المعنى لكم جزاؤكم ولي جزائي(١).

قال الفخر الرازى: "إعلم أن هذه السورة تسمى سورة المنابذة وسورة الإخلاص والمقشقشة"(٢)؛(٣)

قال العلامة ابن القيم– رحمه الله–: إن هذه السورة – سورة الكافرون تشتمل على النفي المحض فهذا هو خاصة هذه السورة العظيمة فإنها سورة براءة من الشرك كما جاء في وصفها أنها براءة من الشرك فمقصودها الأعظم هو البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين ولهذا أتى بالنفي في الجانبين تحقيقا للبراءة المطلوبة هذا مع أنها متضمنة للإثبات صريحا فقوله لا أعبد ما تعبدون الكافرون براءة محضة ولا أنتم عابدون ما أعبد الكافرون إثبات أن له معبودا يعبده وأنتم بريئون من عبادته فتضمنت النفي والإثبات وطابقت قول إمام الحنفاء ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الزخرف: ٢٦ – ٢٧] وطابقت قول فئة الموحدين وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فانتظمت حقيقة لا إله إلا الله ولهذا كان النبي يقرنها بسورة قل هو الله أحد في سنة الفجر وسنة المغرب (٤).

قال ابن عثيمين– رحمه الله– :"هذه السورة هي إحدى سورتي الإخلاص، لأن سورتي الإخلاص ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و﴿قل هو الله أحد﴾ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما في سنة الفجر وفي سنة المغرب، وفي ركعتي الطواف لما تضمنتاه من الإخلاص لله عز وجل، والثناء عليه بالصفات الكاملة في سورة ﴿قل هو الله أحد﴾. ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ يناديهم يعلن لهم بالنداء ﴿يا أيها الكافرون﴾ وهذا يشمل كل كافر سواء كان من المشركين، أو من اليهود، أو من النصارى، أو من الشيوعيين أو من غيرهم. كل كافر يجب أن تناديه بقلبك

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٢٩).
(٢) والمقشقشتان : (قل هو الله أحد) و (قل اعوذ برب الفلق) ، لأنهما كان يبرأ بهما من النفاق . وقيل هما :(قل هو الله أحد) و (قل يا أيها الكافرون) . والقشقشة : حكاية الصوت قبل الهدير في مخض القشقشة . والقشقشة : نشيش اللحم في النار . والقشقشة : ثمرة أم غيلان المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٩٥) المؤلف : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي سنة الوفاة ٤٥٨هـ تحقيق عبد الحميد هنداوي الناشر دار الكتب العلمية - بيروت سنة النشر ٢٠٠٠م.
(٣) تفسير الفخر الرازى (ص: ٤٨٦٥).
(٤) بدائع الفوائد (١/ ١٤٥)

أو بلسانك إن كان حاضرا لتتبرأ منه ومن عبادته ﴿قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾[١].

أسلوب التكرارفي سورة الكافرون:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ١ - ٦]

قال القرطبي :"فكان التكرار في ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ؛ لأن القوم كرروا عليه مقالهم مرة بعد مرة. والله أعلم.

وقيل : إنما كرر بمعنى التغليظ. وقيل : أي ﴿لا أعبد﴾الساعة ﴿ما تعبدون ولا أنتم عابدون﴾ الساعة ﴿ما أعبد﴾ . ثم قال : ﴿ولا أنا عابد﴾ في المستقبل ﴿ما عبدتم.ولا أنتم﴾ في المستقبل ﴿عابدون ما أعبد﴾ . قاله الأخفش والمبرد[٢].

وقيل : إنهم كانوا يعبدون الأوثان ، فإذا ملوا وثنا ، وسئموا العبادة له ، رفضوه ، ثم أخذوا وثنا غيره بشهوة نفوسهم ، فإذا مروا بحجارة تعجبهم ألقوا هذه ورفعوا تلك ، فعظموها ونصبوها آلهة يعبدونها ؛ فأمر عليه السلام أن يقول لهم : ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ اليوم من هذه الآلهة التي بين أيدكم [٣].

---

(١) تفسير القرآن للعثيمين (تفسيرجزءعم ص:٣٣٩)

(٢) المبرد أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد بن عبد الله بن زيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن أسلم، وهو ثمالة، بن أحجن المعروف بالمبرد النحوي؛ نزل بغداد، وكان إماما في النحو واللغة، وله التواليف النافعة في الأدب: منها كتاب الكامل وكتاب الروضة واختلف العلماء في سبب تلقيبه بذلك، فالذي ذكره الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب الألقاب أنه قال: سئل المبرد: لم لقبت بهذا اللقب فقال: كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة طلبني للمنادمة والمذاكرة، فكرهت الذهاب إليه، فدخلت إلى أبي حاتم السجستاني، فجاء رسول الوالي يطلبني ، فقال لي أبو حاتم: ادخل في هذا، يعني غلاف مزملة فارغا، فدخلت فيه وغطى رأسه، ثم خرج إلى الرسول وقال: ليس هو عندي، فقال: أخبرت أنه دخل إليك، فقال: إدخل الدار وفتشها، فدخل فطاف كل موضع في الدار ولم يفطن لغلاف المزملة، ثم خرج فجعل أبو حاتم يصفق وينادي على المزملة: المبرد المبرد كانت ولادة المبرد يوم الاثنين عيد الأضحى سنة عشر ومائتين، وقيل سنة سبع ومائتين ز وتوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة، وقيل ذي القعدة، سنة ست وثمانين، وقيل خمس وثمانين ومائتين ببغداد، وفيات الأعيان(٤/ ٣١٣- ٣٢١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٢٨).

أقوال المفسرين في هذا التكرار:

وللمفسرين في هذه الجمل أقوال :

أحدها : أنها للتوكيد . فقوله : ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ توكيدا لقوله : ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾، وقوله : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ ثانيا تأكيد لقوله :﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ ، والتوكيد في لسان العرب كثير جدا ، وحكوا من ذلك نظما ونثرا ما لا يكاد يحصر . وفائدة هذا التوكيد قطع أطماع الكفار ، وتحقيق الأخبار بموافاتهم على الكفر ، وأنهم لا يسلمون أبدا والثاني : أنه ليس للتوكيد ، واختلفوا . فقال الأخفش : المعنى لا أعبد الساعة ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون السنة ما أعبد ، ولا أنا عابد في المستقبل ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبد ، فزال التوكيد ، إذ قد تقيدت كل جملة بزمان مغاير[(١)] .

طريق الحق واحد لاعوج فيه:

ولقد بينت سورة الكافرون بأن طريق الحق واحد لاعوج فيه، ولا فجاج له، انه العبادة الخالصة لله وحده رب العالمين، فنزلت هذه السورة على الرسول – صلى الله عليه وسلم – للمفاصلة الحاسمة بين عبادة وعبادة، ومنهج ومنهج، وتصور وتصور، وطريق وطريق، نعم نزلت نفيا بعد نفي وجزما بعد جزم، وتوكيدا بعد توكيد، بأنه لا لقاء بين الحق والباطل، ولا اجتماع بين النور والظلام، فالاختلاف جوهري كامل يستحيل معه اللقاء على شيء في منتصف الطريق والأمر لا يحتاج الى مداهنة أو مرواغة. نعم فالامر هنا ليس مصلحة ذاتية، ولا رغبة عابرة، ولا سم في عسل، وليس الدين لله والوطن للجميع كما تزعم الجاهلية المعاصرة، ويدعي المنافقون، والمستغربون الذين يتبعون الضالين والمغضوب عليهم، والملحدين أعداء الله سبحانه في كل مكان، كان الرد حاسما على زعماء قريش المشركين، ولا مساومة، ولا مشابهة، ولا حلول وسط، ولا ترضيات شخصية

فإن الجاهلية جاهلية والاسلام اسلام، في كل زمان ومكان، والفارق بينهم بعيد كالفرق بين التبر والتراب، والسبيل الوحيد هو الخروج عن الجاهلية بجملتها الى الاسلام بجملته عبادة

---

(١) تفسير البحر المحيط (٨/ ٥٢٢) المؤلف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي٢) د.أحمد النجولي الجمل دار النشر : دار الكتب العلمية - الطبعة : الأولى لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

وحكما، وإلا فهي البراءة التامة والمفاصلة الكاملة والحسم الصريح بين الحق والباطل في كل زمان ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦][١] .

حال الإسلام مع الجاهلية في كل زمان ومكان:

فهي المساومة إذن ، والالتقاء في منتصف الطريق . كما يفعلون في التجارة . وفرق بين الاعتقاد والتجارة كبير! فصاحب العقيدة لا يتخلى عن شيء منها؛ لأن الصغير منها كالكبير . بل ليس في العقيدة صغير وكبير . إنها حقيقة واحدة متكاملة الأجزاء . لا يطيع فيها صاحبها أحدا ، ولا يتخلى عن شيء منها أبدا .

وما كان يمكن أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق ، ولا أن يلتقيا في أي طريق . وذلك حال الإسلام مع الجاهلية في كل زمان ومكان . جاهلية الأمس وجاهلية اليوم ، وجاهلية الغد كلها سواء . إن الهوة بينها وبين الإسلام لا تعبر ، ولا تقام عليها قنطرة ، ولا تقبل قسمة ولا صلة . وإنما هو النضال الكامل الذي يستحيل فيه التوفيق!

ولقد وردت روايات شتى فيما كان يدهن به المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم ليدهن لهم ويلين؛ ويترك سب آلهتهم وتسفيه عبادتهم ، أو يتابعهم في شيء مما هم عليه ليتابعوه في دينه ، وهم حافظون ماء وجوههم أمام جماهير العرب! على عادة المساومين الباحثين عن أنصاف الحلول! ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان حاسماً في موقفه من دينه ، لا يدهن فيه ولا يلين . وهو فيما عدا الدين ألين الخلق جانبا وأحسنهم معاملة وأبرهم بعشيرة وأحرصهم على اليسر والتيسير . فأما الدين فهو الدين! وهو فيه عند توجيه ربه : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾القلم: ٨ ![2] .

---

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص: ١٧٤)
(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٦٥٨-٣٦٥٩)

المبحث الثاني

مفارقة النبي ((ﷺ)) لمعبودات المشركين

مواجهة النبي ومفارقته للمشركين :

لاشك وأنه وبعد المساومات والمغريات التي عرضت للنبي –ﷺ–ليرجع عن ماجاء به ياتي النهي الرباني بقوله ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦]

قال سيد قطب–رحمه الله–:"يأمر الله – سبحانه – رسوله – ﷺ– أن يواجه المشركين بأنه منهي من ربه عن عبادة الذين يدعونهم من دون الله ويتخذونهم أندادا لله . . ذلك أنه منهي عن اتباع أهوائهم – وهم إنما يدعون الذين يدعون من دون الله عن هوى لا عن علم ، ولا عن حق – وأنه إن يتبع أهواءهم هذه يضل ولا يهتدي . فما تقوده أهواؤهم وما تقودهم إلا إلى الضلال .

يأمر الله – سبحانه – نبيه – صلى الله عليه وسلم – أن يواجه المشركين هذه المواجهة ، وأن يفاصلهم هذه المفاصلة؛ كما أمره من قبل في السورة بمثل هذا وهو يقول : ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[الأنعام: ١٩]

ولقد كان المشركون يدعون رسول الله – ﷺ– أن يوافقهم على دينهم ، فيوافقوه على دينه! وأن يسجد لآلهتم فيسجدوا لإلهه! كأن ذلك يمكن أن يكون! وكأن الشرك والإسلام يجتمعان في قلب! وكأن العبودية لله يمكن أن تقوم مع العبودية لسواه! وهو أمر لا يكون أبدا . فالله أغنى الشركاء عن الشرك . وهو يطلب من عباده أن يخلصوا له العبودية؛ ولا يقبل منهم عبوديتهم له إذا شابوها بشيء من العبودية لغيره . . في قليل أو كثير[(١)] .

أسباب نزول قوله تعالى﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾[النجم: ١٩ - ٢٠]

أوردت بعض كتب التفسير في أ سباب نزول هذه الآية قصة غريبة تعرف بقصة الغرانيق . والغرنوق طائر أبيض .. وتقول القصة إن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في مكة سورة النجم

---

(١) في ظلال القرآن (٢/ ١١٠٩)

في حضور جمع من المسلمين والمشركين فلما بلغ في قراءته ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ألقى الشيطان على لسانه " تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى "

وقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، وشاع في الناس أن أهل مكة أسلموا بسبب سجودهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، حتى رجع المهاجرون من الحبشة ظنا منهم أن قومهم أسلموا، فوجدوهم على كفرهم (١).

أقوال المفسرين في هذه الآية ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠]

١- قال ابن كثير- رحمه الله-:" وكانت "اللات" صخرة بيضاء منقوشة، وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومن تابعها، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش.

٢- قال ابن جرير- رحمه الله-:" وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله "تعالى" ، فقالوا: اللات، يعنون مؤنثة منه، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. وحكي عن ابن عباس، ومجاهد، والربيع بن أنس: أنهم قرؤوا "اللات" بتشديد التاء، وفسروه بأنه كان رجلا يلت للحجيج في الجاهلية السويق، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه (٢).

قوله عز وجل: ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾ هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها، اشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فقالوا من الله: اللات، ومن العزيز: العزى. وقيل: العزى: تأنيث الأعز، أما "اللات" قال قتادة: كانت بالطائف، وقال ابن زيد: بيت بنخلة كانت قريش تعبده وقرأ ابن عباس ومجاهد وأبو صالح: "اللات" بتشديد التاء، وقالوا: كان رجلا يلت السويق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه(٣).

٣- قال الثعالبي- رحمه الله-:" ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ الآية أي ارأيتم هذه الأوثان وحقارتها وبعدها عن هذه القدرة والصفات العلية واللات صنم كانت العرب تعظمة والعزى صخرة بيضاء كانت العرب أيضا تعبدها واما مناة فكانت بالمشلل من قديد وكانت اعظم هذه الأوثان عندهم

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٥/ ٥١)
(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٥٥)
(٣) تفسير البغوي (٧/ ٤٠٧)

وكانت الأوس والخزرج تهل لها ووقف تعالى الكفار على هذه الأوثان وعلى قولهم فيها انها بنات الله فكأنه قال أرأيتم هذه الأوثان ثم قال تعالى على جهة الانكار تلك اذا قسمة ضيزى أي عوجاء قاله مجاهد وقيل جائرة قال ابن عباس [(١)].

وروى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: «من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك[(٢)]، فليتصدق» [(٣)] .

نسخ مايلقي الشيطان وإحكام اياته:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ ﴾[الحج: ٥٢]

قيل: إن السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن الشيطان كان ألقي على لسانه في بعض ما يتلوه مما أنزل الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه، فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم واغتم به، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات.

ذكر أن رسول الله -ﷺ- جلس في ناد من أندية قريش كثير أهله، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه، فأنزل الله عليه: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ [النجم: ١ - ٤] فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا بلغ: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾[النجم: ١٩ - ٢٠]

ألقى عليه الشيطان كلمتين: تلك الغرانقة العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، فتكلم بها. ثم مضى فقرأ السورة كلها. فسجد في آخر السورة، وسجد القوم جميعا معه، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود. فرضوا بما تكلم به وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيي ويميت، وهو الذي يخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، إذ جعلت

---

(١) تفسير الثعالبي (٤/ ٢٢٦) وقال سفيان منقوصة وقال ابن زيد مخالفة والعرب تقول ضزته حقه اضيزه بمعنى منعته.

(٢) (أقامرك) ألعب معك القمار وهو أن يتغالب اثنان فأكثر في قول أو فعل على أن يكون للغالب جعل معين من مال ونحوه وهو حرام بالإجماع. (فليتصدق) ليكفر ذنب ما تكلم به من المعصية فضلا عن الفعل].

(٣) صحيح البخاري (٤/ ١٨٤١) أخرجه مسلم في الإيمان باب من حلف باللات والعزى...رقم (١٦٤٧).

لها نصيبا، فنحن معك، قالا فلما أمسى أتاه جبرائيل عليه السلام، فعرض عليه السورة؛ فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال: ما جئتك بهاتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: افتريت على الله، وقلت على الله ما لم يقل، فأوحى الله إليه:﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾ [الإسراء: ٧٣] ... إلى قوله:﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾[الإسراء: ٧٥] . فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) ﴾[الحج: ٥٢]

قال: فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، فرجعوا إلى عشائرهم وقالوا: هم أحب إلينا، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان [١].

كلام أهل العلم في قصة الغرانيق:

١- قال ابن تيمية -رحمه الله- عن هذه القصة:" هذا فيه قولان للناس منهم من يمنع ذلك .. وطعن في وقوع ذلك. ومن هؤلاء من قال: إنهم سمعوا ما لم يقله فكان الخطأ في سمعهم والشيطان ألقى في سمعهم. ومن جوز ذلك قال: إذا حصل البيان ونسخ ما ألقى الشيطان لم يكن في ذلك محذور" [٢].

٢- وقال ابن حجر- رحمه الله-:" بعد أن أورد أقوال العلماء فيها وطرقها في الفتح وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمراسيل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض. وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع منها مما يستنكر وهو قوله:" ألقى الشيطان على لسانه" تلك الغرانيق ... " فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه- صلى الله عليه وسلم- أن يزيد في القرآن عمدا ما ليس منه، وكذا سهوا إذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته" اهـ [٣].

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٦٦٣).
(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٣٦)
(٣) فتح الباري - ابن حجر (٨/ ٤٣٩- ٤٤٠) .

٣- وقال ابن عطية[(١)] -رحمه الله-:" وهذا الحديث الذي فيه الغرانيق العلى وقع في كتب التفسير ونحوها، ولم يدخله البخاري ولا مسلم، ولا ذكره في علمي مصنف مشهور بل يقتضي مذهب أهل الحديث أن الشيطان ألقى، ولا يعنون هذا السبب ولا غيره، ولا خلاف أن إلقاء الشيطان إنما هو لألفاظ مسموعة، بها وقعت الفتنة" اهـ [(٢)].

٤- قال ابن كثير -رحمه الله- :" قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة، ظنا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا. ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم [(٣)].

٥- قال الشيخ الألباني[(٤)] -رحمه الله-:" فقد كتب بعض الأساتذة من الإخوان الأعزة من الباكستان حيث أوفد إليها لغاية علمية يسألني عن رأيي في حديث الغرانيق الذي اختلف فيه قول حافظين كبيرين هما : ابن كثير الدمشقي وابن حجر المصري فقد أنكره الأول وقواه الآخر . وطلب مني أن لا أضن بالجواب عليه فلبثت بعض الأشهر أترقب فرصة أستطيع فيها إجابة طلبه . ثم لقيني أحد الأحبة عقب صلاة عيد الأضحى لهذه السنة ١٣٧١ هـ فسألني أيضا عن حديث الغرانيق فأجبته بأنه لا يصح بل هوباطل موضوع"[(٥)].

---

(١) ابن عطية [٤٨١ - ٥٤٢ هـ / ١٠٨٨ - ١١٤٨ م] عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر، قاض، عارف بالأحكام والحديث، له شعر، من فقهاء المالكية، من أهل غرناطة. ولي قضاء المرية سنة ٥٢٩ هـ، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين. وولي قضاء مرسية فقصدا، فصد عن دخولها وصرف منها إلى لررقة، فتوفي بها. قال ابن الزبير: "كان فقيها جليلا عارفا بالأحكام والحديث والتفسير، أديبا بارعا نحويا شاعرا لغويا ضابطا سني فاضلا، غاية في توقد الذهن وحسن الفهم وجلالة التصرف". من كتبه "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (١/ ٢٥٧).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٥٩) وقال القرطبي في تفسيره (١٢/ ٨١):" وليس منها شيء صحيح"

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٤١).

(٤)الألباني، محمد ناصر الدين (١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م). أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين ، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الأرنؤوطي، شخصية إسلامية علمية فذة، وصاحب مدرسة متميزة في علم الحديث أغنى الحقل العلمي بها. وقد أفاد، بعلمه الغزير ومؤلفاته ودروسه عدداً كبيراً من طلاب العلم ودارسي الحديث النبوي الشريف. ولد الشيخ محمد ناصر الدين الألباني السوري الجنسية، رحمه الله، في أشقودرة بألبانيا. وتلقى تعليمه في دمشق على يد عدد من الشيوخ وكبار رجال العلم. حبب الله، سبحانه وتعالى، إليه علم الحديث النبوي الشريف، فعكف على دراسته طوال سني عمره، وتفوق فيه على جميع معاصريه. بدأ التأليف منذ مطلع شبابه حتى بلغ عدد مؤلفاته أكثر من مائة كتاب، وطبع نحو سبعين منها. ومن أبرز كتبه: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة؛ سلسلة الأحاديث الضعيفة؛ تحقيق كتاب مشكاة المصباح للتبريزي؛ صحيح الجامع الصغير وزياداته؛ صحيح الجامع الضعيف وزياداته، وغيرها من مؤلفات ومراجع لا غنى عنها لدارسي الحديث. حاز الألباني جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م. نقلا عن الموسوعة العربية العالمية http://www.mawsoah.net .

(٥) نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق (ص: ٣ - ٤) ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٧٢ه/ ١٩٥٢م وكانت الكتابه بتاريخ ١٤ / ٧ / ١٩٥٢ م.

المبحث الثالث

غلبة الحق وزوال الباطل

وهذا وعد الله الصادق الذي كان والذي لا بد أن يكون على الرغم مما قد يبدو أحيانا من الظاهر الذي يخالف هذا الوعد الصادق .

فالذي وقع بالفعل أن الإيمان والتوحيد قد غلبا على الكفر والشرك . واستقرت العقيدة في الله في هذه الأرض؛ ودانت لها البشرية بعد كل ما وقف في طريقها من عقبات الشرك والوثنية ، وبعد الصراع الطويل مع الكفر والشرك والإلحاد . وإذا كانت هناك فترات عاد فيها الإلحاد أو الشرك إلى الظهور في بعض بقاع الأرض كما يقع الآن في الدول الملحدة والوثنية فإن العقيدة في الله ظلت هي المسيطرة بصفة عامة . فضلا على أن فترات الإلحاد . والوثنية إلى زوال مؤكد ، لأنها غير صالحة للبقاء . والبشرية تهتدي في كل يوم إلى أدلة جديدة تهدي إلى الاعتقاد في الله والتمكين لعقيدة الإيمان والتوحيد[١] .

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾ [المجادلة: ٢١]﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات : ١٧١ ، ١٧٣]

فتح مكة، اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بإزالة كل ما يمت للوثنية بصلة، فبعث السرايا والبعوث من مكة لتحطيم بقية رموز الشرك والوثنية، فانطلقت السرايا لتحطيم العزى، ومناة، واللات وسواع، وذا الخلصة، وغيرها من الأصنام والطواغيت الوثنية.

ثم انطلقت السرايا الدعوية إلى كافة أرجاء الجزيرة العربية، تدعو إلى عبادة الله وحده وتزيل من طريق الدعوة كل العراقيل والقوى التي تقف في وجه الدعوة الإسلامية وهي خاضعة للضبط العسكري النبوي، منفذة لكل الأوامر النبوية العليا، والتي يمكن اعتبارها قمة أهداف وممارسات الحرب الفروسية المشرفة التي لم يشهد لها العالم مثيلا من قبل ولا من بعد، والتي هي أحد دعائم الدعوة الإسلامية، بل أحد أهم الأسباب التي دعت معظم سكان المناطق التي

---

(١) في ظلال القرآن (٧/ ١٥٤).

كانت تمر بها هذه السرايا النبوية، ثم الجيوش الراشدية الفاتحة بعد ذلك إلى الدخول طواعية وبحب غامر ورغبة ملحة في الإسلام[١] .

وفي مرالظهران[٢] قرر النبي صلى الله عليه وسلم الزحف على مكة، فعين القادة وقسم الجيش إلى ميمنة وميسرة وقلب، فكان خالد بن الوليد على الميمنة، وكان الزبير بن العوام على الميسرة، وأبو عبيدة على الرجالة "المشاة"

وأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم وقف القتال عصر أول يوم من الفتح، وأصدر عفوا عاما عن أهل مكة:«ما تظنون أني فاعل بكم؟ فقالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: لا تثريب عليكم، اليوم يغفر الله لكم» . وفي رواية أحمد قال: "نصبر ولا نعاقب". هذا العفو حفظ الأنفس من القتل أو السبي وأبقى الأموال والأراضي بيد أصحابها، وهذا خاص بمكة لقدسيتها وحرمتها[٣].

إنما روح الإسلام الخالدة، التي لا تنتصر للنفس والذات بقدر ما تنتصر للإسلام، إنها القيادة الرحيمة، حتى بمن كانوا بالأمس أعداءها، لقد اجتمعت قريش حول الرسول – صلى الله عليه وسلم – في ذهول واستسلام، وفي داخل كل نفس صراع من الخوف والرجاء، حتى هتف فيهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ما تظنون أني فاعل بكم؟». قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. فقال لهم رسول الله – ﷺ–: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

هذا كل الحساب بين الجيش الزاحف المنتصر وبين أهل مكة المستسلمين[٤].

تطهير مكة من الشرك والأوثان :

دخل رسول الله –ﷺ –خاشعا يقرأ سورة الفتح وهو على راحلته، وطاف بالكعبة، وبين حرمة مكة وأنها لا تغزى بعد الفتح، وأمر بتحطيم الأصنام وتطهير البيت الحرام منها، وكان عددها ستين وثلاثمائة من الأنصاب، وشارك في ذلك بيده الشريفة، وهو يقرأ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١]

---

(١) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة (ص: ٦٥) المؤلف : بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري المحقق : أكرم ضياء العمري الناشر : دار ابن الجوزي الطبعة : الطبعة الأولى - جمادى الأول - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

(٢) مر وهو الذي يقال له مر الظهران ، وهو على مرحلة من مكة؛ ينظر البداية والنهاية (٢/ ١٩٦).

(٣) إقامة الحجة على العالمين بنبوة خاتم النبيين (١/ ٤١-٤٠).

(٤) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية (٢/ ٥٩٤) المؤلف: محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود الناشر: دار اليقين للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

وعن عبد الله بن مسعود قال: دخل النبي -ﷺ- مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١] (١)

تكسير النبي صلى الله عليه وسلم للأصنام:

ولما دخل مكة صلوات الله وسلامه عليه وجد حول الكعبة ثلاثمائة وستين صنما منصوبا حول الكعبة، أصنام من أحجار وخشب وطين، يصورونها ويعبدونها، فجعل يضربها بعصا معه ويقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١]

وهي تتساقط من حين يشير إليها صلوات الله وسلامه عليه، فالمقصود أنهم ما كانت عبادتهم أنهم يعتقدون أنها تتصرف مع الله، وأنها تخلق وتحيي وتميت، ..، فالمشركون ما كانوا يعتقدون أن هذه الأصنام وهذه المعبودات تتصرف مع الله، وأنها تخلق، وترزق، وتحيي، وتميت، وتجلب المطر، وتنبت النبات، وتفعل ما طلبوا منها، لا، ولكن مثلما قال الله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣]

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ هذه بشارة أخرى بأن الله تعالى سيفتح له مكة، ويدخلها ظافرا منتصرا وهو يكسر الأصنام حول الكعبة وكانت ثلاثمائة وستين صنما ويقول جاء الحق وزهق الباطل أي ذهب الكفر واضمحل. ﴿إن الباطل كان زهوقا﴾. لا بقاء له ولا ثبات إذا صاول الحق، ووقف في وجهه، وجائز أن يكون المراد بالحق، القرآن وبالباطل الكذب والافتراء، وجائز أن يكون الحق الإسلام والباطل الكفر والشرك وأعم من ذلك (٢).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «كان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة ، فلما دخل النبي المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسها ، ويقول : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١]

---

(١) انظر:الجمع بين الصحيحين (١، / ص ١١٧.،محمد بن فتوح الحميدي ،الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم تحقيق : د. علي حسين البواب (بيروت: دار ابن حزم ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م).

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٣/ ٢٢٠).

فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه ولا لقفاه إلى وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم»[1] .

وعن عبد الله بن مسعود قال: «دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبأ: ٤٩]»[2] .

هدم بقية الأصنام:

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله –ﷺ–خالد بن الوليد[3] إلى العزى[4]، وكانت بيتا بنخلة يعظمه قريش وكنانة ومضر، وكان سدنتها وحجابها من بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم، فلما سمع حاجبهاالسلمى بمسير خالد بن الوليد إليها علق سيفه عليها ثم اشتد في الجبل الذى هي فيه وهو يقول:

أيا عز شدى شدة لا شوى لها *** على خالد ألقى القناع وشمرى

أيا عز إن لم تقتلي المرء خالدا *** فبوئى بإثم عاجل أو تنصري

قال: فلما انتهى خالد إليها هدمها ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد روى الواقدي وغيره أنه لما قدمها خالد لخمس بقين من رمضان فهدمها ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " ما رأيت ؟ " قال: لم أر شيئا، فأمره بالرجوع، فلما رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سوداء ناشرة شعرها تولول فعلاها بالسيف وجعل يقول:

يا عزى كفرانك لا سبحانك *** إنى رأيت الله قد أهانك

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ محذوف الأسانيد (١/ ٥٩٢) المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) الناشر: دار الفيحاء ـ عمان الطبعة: الثانية ـ ١٤٠٧هـ .
وهذا في فتح الباري ٤٠٠/٨ باب ١٢ من كتاب التفسير حديث (٤٧٢٠) ، وصحيح مسلم (١٢/١٢٦-١٣٣) في فتح مكة من كتاب الجهاد والسير وغيرهم.

(٢) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (١/ ١١٧) .

(٣) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد اللَّه بن عمرو بن مخزوم القرشيّ المخزوميّ سيف اللَّه، أبو سليمان كان أحد أشراف قريش في الجاهليّة، وشهد مع كفّار قريش الحروب إلى عمرة الحديبيّة. كما ثبت في الصّحيح أنه كان على خيل قريش طليعة، ثم أسلم في سنة سبع بعد خيبر، وقيل قبلها، ووهم من زعم أنه أسلم سنة خمس. وروى أبو يعلى من طريق الشعبي، عن ابن أبي أوفى- رفعه: «لا تؤذوا خالدا فإنّه سيف من سيوف اللَّه صبّه اللَّه على الكفّار.» وفي البخاريّ ، عن خالد بن الوليد، قال: لقد اندقّ في يدي يوم مؤتة تسعة [أسياف، فما صبرت معي إلا صفيحة يمانية مات خالد بن الوليد بمدينة حمص سنة إحدى وعشرين، وقيل: توفّي بالمدينة النبويّة وقال ابن المبارك، عن حماد بن زيد: حدّثنا عبد اللَّه بن المختار، عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل قال: لما حضرت خالدا الوفاة قال: لقد طلبت القتل مظانّة، فلم يقدّر لي إلا أن أموت على فراشي، ثم قال: إذا أنا متّ فانظروا في سلاحي وفرسي فاجعلوه عدّة في سبيل اللَّه. الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٢١٥- ٢١٩).

(٤) بعث خالد بن الوليد إلى صنم العزى لخمس ليال بقين من شهر رمضان ـ سنة ٨ هـ ـ ليهدمها وكانت بنخلة، وكانت لقريش وجميع بني كنانة وهي أعظم أصنامهم . وكان سدنتها بني شيبان، فخرج إليها خالد في ثلاثين فارسًا حتى انتهى إليها، فهدمها.

ثم خرب ذلك البيت الذى كانت فيه، وأخذ ما كان فيه من الاموال رضى الله عنه وأرضاه، ثم رجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " تلك العزى ولا تعبد أبدا "[1].

– وبعث –ﷺ–سراياه إلى الأوثان التي حول مكة فكسرت كلها ، منها اللات والعزى ومناة . ونادى مناديه بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر : فلا يدع في بيته صنما إلا كسره .

– وبعث عمرو بن العاص[2] في شهر رمضان إلى سواع – وهو لهذيل – قال : فأتيته وعنده السادن ، فقال : ما تريد ؟ قلت : أهدمه قال : لا تقدر على ذلك ، قلت : لم ؟ قال : تمنع . قلت حتى الآن أنت على الباطل ؟ ويحك . وهل يسمع أو يبصر ؟ فدنوت منه فكسرته . وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته . فلم نجد فيه شيئا . فقلت للسادن : كيف رأيت ؟ قال : أسلمت لله .   ثم بعث سعد بن زيد[3] لهدم مناة :

، في شهر رمضان إلى مناة . وكانت عند قديد بالمشلل ، للأوس والخزرج وغسان وغيرهم[4]

زهوق الباطل واندحاره:

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١]

بهذا السلطان المستمد من الله ، أعلن مجيء الحق بقوته وصدقه وثباته ، وزهوق الباطل واندحاره وجلاءه . فمن طبيعة الصدق أن يحيا ويثبت ، ومن طبيعة الباطل أن يتوارى ويزهق . .

---

(١) السيرة النبوية (٣/ ٥٩٧).

(٢) عَمْرو بْن العاص بْن وائل بْن هاشم بْن سَعِيد بْن سهم بْن عَمْرو بْن هصيص بْن كعب بْن لؤي بْن غالب الْقُرَشِيّ السهمي يكنى أبا عَبْد اللَّه، وقيل: أَبُو مُحَمَّد. وقدم عَلَى النَّبِيّ -ﷺ-هُوَ وخالد بْن الْوَلِيد، وعثمان بْن طلحة العبدري، فتقدم خَالِد، وأسلم وبايع، ثُمَّ تقدم عَمْرو فأسلم وبايع عَلَى أن يغفر لَهُ ما كَانَ قبله، فَقَالَ له رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْإِسْلَام والهجرة يجب ما قبله ". ثُمَّ بعثه رَسُول اللَّه -ﷺ-أميرًا عَلَى سرية إِلَى ذات السلاسل إِلَى أخوال أَبِيهِ العاص بْن وائل، وكانت أمه من بلي بْن عَمْرو بْن الحاف بْن قضاعة يدعوهم إِلَى الإسلام، ويستنفرهم إِلَى الجهاد، فسار فِي ذَلِكَ الجيش وهم ثلاثمائة، فلما دخل بلادهم استمد رَسُول اللَّه -ﷺ-فأمده ثُمَّ إن عمرًا سيره أَبُو بَكْر أميرًا إِلَى الشام، فشهد فتوجه، وولي فلسطين لعمر بْن الخطاب، ثُمَّ سيره عُمَر فِي جيش إِلَى مصر، فافتتحها، ولم يزل واليًا عليها إِلَى أن مات عُمَر وكان من شجعان العرب وأبطالهم ودهاتهم، وكان موته بمصر ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين أسد الغابة ط العلمية (٤/ ٢٣٢).

(٣) سعد بْن زيد بْن مالك بْن عبد بْن كعب بْن عبد الأشهل الأنصاري الأوسي الأشهلي ، وقال الواقدي وحده: إنه شهد العقبة، تفرد بذلك، وقال غيره: شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسد وسعد بْن زيد هذا الذي بعثه رَسُول اللَّهِ بسبايا من سبايا قريظة إِلَى نجد، فابتاع لهم به خيلًا وسلاحًا، وهو الذي هدم المنار الذي كان بالمشلل للأنصار، ولسعد بْن زيد حديث واحد في الجلوس في الفتنة، آخى رَسُول اللَّهِ -ﷺ- بينه وبين عمرو بْن سراقة، قال: وسعد بْن زيد الطائي الذي روى عنه قصة الغفارية غيرهما، عَلَى أَنَّهُ قد قيل فيه أيضًا: إنه أنصاري. الغابة ط العلمية (٢/ ٤٣٦).

(٤) مختصر السيرة (ص: ٢٠٦) .

﴿ إن الباطل كان زهوقا ﴾ . . حقيقة لدنية يقررها بصيغة التوكيد . وإن بدا للنظرة الأولى أن للباطل صولة ودولة . فالباطل ينتفخ ويتنفج وينفش ، لأنه باطل لا يطمئن إلى حقيقة؛ ومن ثم يحاول أن يموه على العين ، وأن يبدو عظيما كبيرا ضخما راسخا ، ولكنه هش سريع العطب ، كشعلة الهشيم ترتفع في الفضاء عاليا ثم تخبو سريعا وتستحيل إلى رماد؛ بينما الجمرة الذاكية تدفئ وتنفع وتبقى؛ وكالزبد يطغو على الماء ولكنه يذهب جفاء ويبقى الماء .

﴿إن الباطل كان زهوقا﴾. . لأنه لا يحمل عناصر البقاء في ذاته ، إنما يستمد حياته الموقوته من عوامل خارجية وأسناد غير طبيعية؛ فإذا تخلخلت تلك العوامل ، ووهت هذه الأسناد تهاوى وانهار . فأما الحق فمن ذاته يستمد عناصر وجوده . وقد تقف ضده الأهواء وتقف ضده الظروف ويقف

ضده السلطان . . ولكن ثباته واطمئنانه يجعل له العقبى ويكفل له البقاء ، لأنه من عند الله الذي جعل { الحق } من أسمائه وهو الحي الباقي الذي لا يزول .

﴿ إن الباطل كان زهوقا ﴾. . ومن ورائه الشيطان ، ومن ورائه السلطان . ولكن وعد الله أصدق ، وسلطان الله أقوى . وما من مؤمن ذاق طعم الإيمان ، إلا وذاق معه حلاوة الوعد ، وصدق العهد . ومن أوفى بعهده من الله؟ ومن أصدق من الله حديثاً؟[1] .

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾ [الإسراء: ٨١] ،

"الحق" في لغة العرب: الثابت الذي ليس بزائل ولا مضمحل. والباطل: هو الذاهب المضمحل. والمراد بالحق في هذه الآية: هو ما في هذا القرآن العظيم والسنة النبوية من دين الإسلام. والمراد بالباطل فيها: الشرك بالله، والمعاصي المخالفة لدين الإسلام.

وقد بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الإسلام جاء ثابتا راسخا، وأن الشرك بالله زهق. أي ذهب واضمحل وزال. تقول العرب: زهقت نفسه: إذا خرجت وزالت من جسده.

ثم بين جل وعلا أن الباطل كان زهوقا، أي مضمحلا غير ثابت في كل وقت. وقد بين هذا المعنى في غير هذا الموضع. وذكر أن الحق بزيل الباطل ويذهبه. كقوله: ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٤١).

بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾[سبأ: ٤٨ - ٤٩] ، وقوله: ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الأنبياء: ١٨] (١) .

قال النسفي(٢)–رحمه الله–:" وهذه استعارة لطيفة لأن أصل استعمال القذف والدمغ في الأجسام ، ثم استعير القذف لإيراد الحق على الباطل والدمغ لإذهاب الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي فكأنه قيل : بل نورد الحق الشبيه بالجسم القوي على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله إبطال الجسم القوي الضعيف { فإذا هو } أي الباطل { زاهق } هالك ذاهب﴿ولكم الويل مما تصفون ﴾ [الأنبياء : ١٨] (٣).

خلاصة ماواجهه –ﷺ– من معبودات:

– تناولت في هذا الباب المعبودات التي واجهها النبي –ﷺ –وواجها الأنبياء قبله لنتعرف على أشكال هذه المعبودات وكيف أن النبي –ﷺ–لم يرضخ للمساومات والإغراءات من قبل قومه ليترك ما جاء به من الحق .

– وذكرت في ذلك الأحداث والوقائع التي عايشها وأن الله حال بينه وبين أعمال الجاهلية واصطفاه الله لهذه المهمة العظيمة بأن يعبدوا الله، ويواجههم بهذه الحقيقة الحاسمة والفاصلة التي غيرت ما كانوا يألفونه عن أبائهم الأولين بأن يعبدوا الله ويتركوا ما سواه.

– تطرقت إلى المعبودات قبل بعثته –ﷺ– وماكان عليه العرب قبل أن يبعثه الله وكيف دخلت الوثنية بلاد العرب؟ وذكرت أشهر أصنامهم التي سطرها القرآن.

– وبينت سوء الحال التي بعث فيها –ﷺ –والجهد الذي بذله بدعوة قومه الى عبادة الله ابتداءً بالأقربين ثم بأهله وقبيلته ومراسلة الرؤساء والملوك وما أعقب ذلك من ردود قومه .

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٨/ ٣٣٨).

(٢) النسفي [.. - ٧١٠ هـ / .. - ١٣١٠ م] عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، إبو البركات، حافظ الدين: مفسر، متكلم، أصولي، من فقهاء الحنفية. من أهل إيذج - كورة وبلدة بين خوزستان وأصبهان - ونسبته إلى "نسف" من بلاد السند، بين جيحون وسمرقند، تتلمذ لشيوخ كثيرين، ورحل إلى بغداد. قال في "الفوائد البهية": "كان إماما عديم النظير في زمانه، رأسا في الفقه والأصول، بارعا في الحديث ومعانيه ... ". من كتبه "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" في التفسير، معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (١/ ٣٠٤).

(٣) تفسير النسفى (٣/ ٦٧) المؤلف : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي تحقيق الشيخ : مروان محمد الشعار دار النشر : دار النفائس ـ بيروت ٢٠٠٥ م.

وتطرقت الى المواجهات والمساومات والعروض والمغريات التي أراد القوم صرف النبي -ﷺ- عن ماجاء به من الحق؛ وواجه النبي كل هذا بمفارقة المشركين والقول الفصل الذي صدع به في وجه القوم ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦]

- وبينت فيه النهايةالحالة التي آل إليهامحمد -ﷺ- بعد كل هذه المواجهات والإضطهادات، بأن أحق الله الحق وزهق الباطل وفتح مكة وطهرها من الأصنام والأوثان وأصبحت دار إسلام ولله الحمد.

أصالة الحق في بناء الوجود ونظامه:

والتعبير يرسم هذه السنة في صورة حسية حية متحركة . فكأنما الحق قذيفة في يد القدرة . تقذف به على الباطل ، فيشق دماغه! فإذا هو زاهق هالك ذاهب . .

هذه هي السنة المقررة ، فالحق أصيل في طبيعة الكون ، عميق في تكوين الوجود . والباطل منفي عن خلقه هذا الكون أصلا ، طارئ لا أصالة فيه ، ولا سلطان له ، يطارده الله ، ويقذف عليه بالحق فيدمغه . ولا بقاء لشيء يطارده الله؛ ولا حياة لشيء تقذفه يد الله فتدمغه!

ولقد يخيل للناس أحيانا ان واقع الحياة يخالف هذه الحقيقة التي يقررها العليم الخبير . وذلك في الفترات التي يبدو فيها الباطل منتفشا كأنه غالب ، ويبدو فيها الحق منزويا كأنه مغلوب . وإن هي إلا فترة من الزمان ، يمد الله فيها ما يشاء ، للفتنة والابتلاء . ثم تجري السنة الأزلية الباقية التي قام عليها بناء السماء والأرض؛ وقامت عليها العقائد والدعوات سواء بسواء .

والمؤمنون بالله لا يخالجهم الشك في صدق وعده؛ وفي أصالة الحق في بناء الوجود ونظامه؛ وفي نصرة الحق الذي يقذف به على الباطل فيدمغه . . فإذا ابتلاهم الله بغلبة الباطل حينا من الدهر عرفوا أنها الفتنة؛ وأدركوا أنه الابتلاء؛ وأحسوا أن ربهم يربيهم ، لأن فيهم ضعفا أو نقصا؛ وهو يريد أن يعدهم لاستقبال الحق المنتصر ، وأن يجعلهم ستار القدرة ، فيدعهم يجتازون فترة البلاء يستكملون فيها النقص ويعالجون فيها الضعف . . وكلما سارعوا إلى العلاج قصر الله عليهم فترة الابتلاء ، وحقق على أيديهم ما يشاء . أما العاقبة فهي مقررة : ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾والله يفعل ما يريد[1].

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ١٥١).

الباب السابع

المعبودات المعاصره

وفيه فصلان

الفصل الأول : عبادة الطواغيت وفيه مبحثان:

المبحث الأول : الأنظمة الوضعية

المبحث الثاني : الطواغيت البشرية .

الفصل الثاني : عبدة المصالح والمنافع وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : عبدة الشهوات.

المبحث الثاني : عبدة الأموال.

المبحث الثالث : عبدة الاهواء.

الباب السابع

المعبودات المعاصره

تمهيد

إن "الخلافة في الأرض"تعني إقامةً لحكم الله، وتطبيقًا لشريعته، لإرشاد من ضل وغوى، وإنقاذ من انحرف وهوى، وتحرير من استعبدته الأهواء، واستبد به طواغيت الأرض، فشوهوا فطرته، وأفسدوا عقيدته وأذلوا كرامته، وجعلوا منه مطيةً سهلةً لمطامعهم، وساقوه سوق السوائم إلى مذبح رغباتهم وشهواتهم[١].

إن الحق الأصيل الذي قامت عليه السماوات والأرض، وقامت عليه فطرة الأشياء والأحياء .. الحق الذي يتمثل في تفرد اللّه – سبحانه – بالألوهية والسلطان والتدبير والتقدير وفي عبودية الكون كله: سمائه وأرضه، أشيائه وأحيائه، لهذه الألوهية المتفردة ولهذا السلطان المتوحد، ولهذا التدبير وهذا التقدير بلا معقب ولا شريك ..

والباطل الزائف الطارئ الذي كان يعم وجه الأرض إذ ذاك ويغشي على ذلك الحق الأصيل ويقيم في الأرض طواغيت تتصرف في حياة عباد اللّه بما تشاء، وأهواء تصرف أمر الحياة والأحياء! ..

لقد قال الرجل العربي – بفطرته وسليقته – حين سمع رسول اللّه – ﷺ– يدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه: «هذا أمر تكرهه الملوك!». وقال له رجل آخر من العرب بفطرته وسليقته: «إذن تحاربك العرب والعجم» ..

لقد كان هذا العربي وذاك يفهم مدلولات لغته. كان يفهم أن شهادة أن لا إله إلا اللّه ثورة على الحاكمين بغير شرع اللّه عربا كانوا أم عجما، فما كان أحد منهم يفهم أنه يمكن أن تجتمع في قلب واحد، ولا في أرض واحدة، شهادة أن لا إله إلا اللّه، مع الحكم بغير شرع اللّه! فيكون هناك آلهة مع اللّه!

---

(١) لمحات في الثقافة الإسلامية (ص: ١٨) المؤلف: عمر عودة الخطيب الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الخامسة عشرة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

إنه لا بقاء ولا قرار لحكم الطواغيت مع الدعوة إلى رب العالمين. وهم إنما يقوم ملكهم على تنحية ربوبية اللّه للبشر بتنحية شريعته. وإقامة أنفسهم أربابا من دون اللّه يشرعون للناس ما يشاءون، ويعبدون الناس لما يشرعون![1]

---

(١) وقفات على الطريق (ص: ١٣٣- ١٣٧) جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

الفصل الأول

عبادة الطواغيت

وفيه مبحثان

المبحث الأول : الأنظمة الوضعية والتحاكم إليها .

المبحث الثاني : تقديس الطواغيت البشرية .

الفصل الأول

عبادة الطواغيت

تمهيد

إن طواغيت البشر – قديماً وحديثاً – قد نازعوا الله في حق الأمر والنهي والتشريع بغير سلطان من الله تعالى، فادعاه الأحبار والرهبان لأنفسهم فأحلوا به الحرام، وحرموا به الحلال، واستطالوا به على عباد الله، وصاروا بذلك أرباباً من دون الله، ثم نازعهم الملوك في هذا الحق حتى اقتسموا السلطة مع هؤلاء الأحبار والرهبان، ثم جاء العلمانيون فنزعوا الحق من هؤلاء وهؤلاء، ونقلوه إلى هيئة تمثل الأمة أو الشعب، أطلق عليها اسم البرلمان، أو مجلس النواب...

ومن هذه الطواغيت ماذكره أهل العلم بقوله :" ثلاثة طواغيت في العالم، يريد سدنة البيت الأبيض وكهّانه، وحاخامات تل أبيت أن يُعبِّدوا لها الخلق.

الأول: الحضارة الغربية المادية الصليبية المتحالفة مع الصهيونية.

الثاني: الشرعة الطاغوتية الدولية المتمثلة في مواثيق الأمم المتحدة.

الثالث: الحدود السياسية الزائفة التي هي تركة الاحتلال الصليبي السابق للدول الإسلامية، فقد تحولت إلى طواغيت معبودة، تقدم على شريعة الله الآمرة بموالاة المؤمنين والبراءة من الكافرين، فصار المؤمنون بهذا الطاغوت العصري (الحدود السياسية) يوالون ويعادون، ويصلون ويقطعون، ويحبون ويبغضون، على أساس العلاقة بهذا الطاغوت والموقف منه، وبعضهم مع ذلك يشهدون الشهادتين، لكنهم لتلك الطواغيت، راكعون ساجدون، ملكت عليهم قلوبهم، فاتخذوها أربابا من دون الله – تعالى –. وهذه الطواغيت الثلاثة هي: (اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) لهذا العصر، وهي الأصنام العصرية التي تعبد من دون الله – تعالى –، وما هي إلا أسماء سمَّوها زورا، ما نزّل الله بها من سلطان، وهي زيف كبير باطل من صنع الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله – تعالى –، وهي الجاهلية الأخرى بعينها واسمها، ورسمها، لاتعدوها طرفة عين .

وإن الغريب في هذه ، هو الحدود السياسية بين الدول الإسلامية وعلى رأسها الدول العربية التي لم تتزحزح عن كياناتها بعد خروج المستعمر الى اليوم

المبحث الأول

الأنظمة الوضعية

لقد وصل امتهان الشريعة الإلهية ونبذها – في بعض تلك الدساتير – إلى حد أنهم جعلوا هذه الشريعة الربانية مصدراً ثانوياً من مصادر القانون، فتأتي الشريعة متأخرة بعد التشريع الوضعي، والعرف، كما أنهم يجاهرون صراحة بحق التشريع لغير الله تعالى، بحيث أن نصوص الشريعة لا تكتسب صفة القانون عندهم لو أرادوا العمل بتلك النصوص إلا بصدورها عمن يملك حق التشريع، وهي السلطة التى يمنحها الدستور الاختصاص بذلك!

وعلى هذا فالتطور يؤدي إلى الاستبداد السياسي والظلم، ويعيش الناس في قلق دائم من تغير القوانين وتبديل الدساتير، زيادة عن التعب النفسي وعدم الطمأنينة من قبل الناس، لأنهم يعلمون أن هذه الأنظمة ليست من عند الله، فإطاعتها ليست عبادة، بل تقديم أية مادة قانونية على ما ورد في القرآن مع الرضا القلبي كفر، لأنك تفضل كلام البشر على القرآن، أي على كلام رب العالمين، فأنت تفضل البشر على رب البشر، ومن فعل هذا فقد خرج من هذا الدين، أما دين الله ونظامه فإطاعته عبادة، ومقابل إطلاق يد الراعي في تغيير الأحكام كما يشاء، هو بدوره يطلق للرعية العنان في اقتناص الشهوات والانطلاق بالسعار الجنسي إلى أقصاه، وبالنزوات الحيوانية التي لا ترفع عن مستوى البهيمة.

فهذه نتيجة طبيعية ومنطقية وواقعية لتطور النظم والأفكار[1].

يقول د. صلاح الصاوي – عن تلك الأوضاع : –" إن الحالة التي تواجهها مجتمعاتنا المعاصرة هي حالة الإنكار على الإسلام أن تكون له صلة بشؤون الدولة، والحجر عليه ابتداء أن تتدخل شرائعه لتنظيم هذه الجوانب، وتقرير الحق في التشريع المطلق في هذه الأمور للبرلمانات والمجالس التشريعية.

إننا أمام قوم يدينون بالحق في السيادة العليا والتشريع المطلق للمجالس التشريعية، فالحلال ما أحلته، والحرام ما حرمته، والواجب ما أوجبته، والنظام ما شرعته، فلا يجرم فعل إلا بقانون منها، ولا يعاقب عليه إلا بقانون منها، ولا اعتبار إلا للنصوص الصادرة منها...

---

(١) العقيدة وأثرها في بناء الجيل (ص: ٥٣) بقلم: الدكتور عبد الله عزام الطبعة: الأولى نشر وتوزيع مركز شهيد عزام الإعلامي بيشاور-باكستان.

هذه المحنة التي نواجهها اليوم، والتي لا يصلح لدفعها ترقيع جزئي بإلغاء بعض المواد، والنص على اخرى، وإنما يصلحه أن نبدأ بتقرير السيادة المطلقة والحاكمية العليا للشريعة الإسلامية، والنص على أن كل ما يتعارض معها من القوانين أو اللوائح فهو باطل.[١] "

" وهذا ما يميز الشريعة الإسلامية عن غيرها من الأنظمة الوضعية، فالأنظمة الوضعية يطبقها المكلفون خوفا من عقوبة السلطة، فإذا أمنوا من رقابتها لم يردعهم شيء، وأما الشريعة الإسلامية فإن المسلم يتقيد بأحكامها بوازع من داخله، وهو خشيته من الله تعالى ومراقبته له، سواء اطلع عليه الخلق أم لم يطلعوا"[٢]

التفصيل بين النظام الوضعي:

يقول الشنقيطي:" التفصيل بين النظام الوضعي: "اعلم أنه يجب التفصيل بين النظام الوضعي الذي يقتضي تحكيمه الكفر بخالق السماوات والأرض ، وبين النظام الذي لايقتضي ذلك

وإيضاح ذلك أن النظام قسمان : إداري ، وشرعي .

أما الإداري الذي يراد به ضبط الأمور وإتقانها على وجه غير مخالف للشرع ، فهذا لا مانع منه ، ولا مخالف فيه من الصحابة ، فمن بعدهم . وقد عمل عمر رضي الله عنه من ذلك أشياء كثيرة ما كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، ككتبه أسماء الجند في ديوان لأجل الضبط ، ومعرفة من غاب ومن حضر ، وكاشرائه . أعني عمر رضي الله عنه . دار صفوان بن أمية وجعله إيَّاها سجناً في مكة المكرمة ، مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يتخذ سجناً هو ولا أبو بكر . فمثل هذا من الأمور الإدارية التي تفعل لإتقان الأمور مما لا يخالف الشرع لا بأس به ، كتنظيم شؤون الموظفين ،وتنظيم إدارة الأعمال على وجه لا يخالف الشرع ، فهذا النوع من الأنظمة الوضعية لا بأس به ، ولا يخرج عن قواعد الشرع من مراعاة المصالح العامة[٣].

---

(١) تحكيم الشريعة ودعاوي العلمانية لصلاح الصاوي ص ٨١

(٢) مجلة البحوث الإسلامية (/ ٠) الكتاب : مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- معها ملحق بتراجم الأعلام والأمكنة المؤلف : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عدد الأجزاء : ٧٩ جزءا مصدر الكتاب : موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٩/ ١٣٠)

موقف الدول العلمانية من الأديان السماوية:

موقف الدول العلمانية من الأديان السماوية موقف عدائي فهي مقبولة ومرضي عنها إذا بقى الدين ضعيفا مسجوناً في مسجد أو كنيسة، وهو مقبول إذا تكلم في الأمور الأخلاقية والاجتماعية ولم يخرج عن الوعظ والإرشاد، وبعضها يسمح بوجود أحزاب شيوعية أو ملحدة ولكنها ترفض وجود أحزاب دينية وإذا نظرنا إلى واقعنا العربي وجدنا أن فصل الدين عن السياسة أدى وسيؤدي إلى أن يكون عالم السياسة بلا مبادئ ولا أخلاق فالكذب شئ طبيعي ، والاختلاسات شطارة ، والنفاق ذكاء وحكمة ، والغاية تبرر الوسيلة ، ويعني فصل الدين عن السياسة أن كل المبادئ سيسمح لها بالدخول إلى عالم السياسة ما عدا الإسلام أي سنسلم الحكم والسلطة إلى المفاهيم والتناقضات العلمانية والعصبيات العرقية وأصحاب المصالح وهو يعني أيضا فصل الدين " الإسلام " عن التشريع والتعليم والاقتصاد لأن للسياسة علاقة بكل ذلك

قال الدكتور يوسف القرضاوي(١) :" إن العلمانية بمعيار الدين دعوة مرفوضة ، لأنها دعوة إلى حكم الجاهلية، أي إلى الحكم بما وضع الناس لا بما أنزل الله – إنها دعوه تتعالم على الله جل جلاله، وتستدرك على شرعه وحكمه وكأنها تقول لله رب العالمين نحن أعلم بما يصلح لنا منك "(٢)

أسماء ما أنزل اللهِ بها من سلطان:

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠]

---

(١) يوسف القرضاوي ولد في ٩/ ١٩٢٦/٩م بقرية صفت تراب مركز المحلة الكبرى، محافظة الغربية، وأتم حفظ القرآن الكريم، وأتقن أحكام تجويده، وهو دون العاشرة من عمره. انتظم في الدراسة الأكاديمية بالأزهر الشريف حتى حصل في سنة ١٩٧٣م على (الدكتوراه) من كلية أصول الدين، عن: «الزكاة وأثرها في حل المشاكل الاجتماعية». عمل بالخطابة والتدريس في المساجد، ثم أصبح مشرفاً على معهد الأئمة التابع لوزارة الأوقاف في مصر، وفي سنة ١٩٧٧م تولى تأسيس وعمادة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وظل عميداً لها إلى نهاية العام الجامعي ١٩٨٩/ ١٩٩٠م، كما أصبح المدير المؤسس لمركز بحوث السنة والسيرة النبوية بجامعة قطر، ولا يزال قائما بإدارته إلى اليوم.

(٢) الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه صـ٧٥.د يوسف القرضاوي .مكتبة وهبه عابدين – القاهرة – الطبعة السابعة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م

.

إن ما تعبدون مع الله ليس شيئاً ذا حقيقة! إنها مجرد أسماء أطلقتموها أنتم وآباؤكم؛ من عند أنفسكم ، لم يشرعها الله ولم يأذن بها ، فما لها إذن من سلطان ولا لكم عليها من برهان .

والتعبير المتكرر في القرآن : ﴿ ما نزل الله بها من سلطان ﴾ . .

هو تعبير موح عن حقيقة أصيلة . . إن كل كلمة أو شرع أو عرف أو تصور لم ينزله الله ، خفيف الوزن ، قليل الأثر ، سريع الزوال . . إن الفطرة تتلقى هذا كله في استخفاف ، فإذا جاءت الكلمة من الله ثقلت واستقرت ونفذت إلى الأعماق ، بما فيها من سلطان الله الذي يودعها إياه .

وكم من كلمات براقة ، وكم من مذاهب ونظريات ، وكم من تصورات مزوقة ، وكم من أوضاع حشدت لها كل قوى التزيين والتمكين . . ولكنها تتذاوب أمام كلمة من الله ، فيها من سلطانه – سبحانه – سلطان! وفي ثقة المطمئن ، وقوة المتمكن[1]

وهكذا فكل اسم جديد تتخدع به الامم ويخرج بها عن هدي ربها فلا مكان له ...

خصائص العقيدة الإسلامية وآثارها في حياة البشر:

لا شك أن الدين الإسلامي دين سماوي لم يكن لأمة من الأمم مثله ولا نزل على نبي من الأنبياء نظيره إذ هو دين عام مبين لأحوال المجتمع الإسلامي بل البشرية عامة وبه كمل نظام العالم فهو جامع شامل للمصالح الاجتماعية والأخلاقية . .

وبالجملة فإن الدين الإسلامي جامع روابط الأمة الإسلامية بل هو حياتها تدوم بدوامه وتنعدم إذا انعدم وهو مفخرة من مفاخرها العظيمة ومن خصائصها ، حيث لم يكن لأمة من الأمم قبلنا مثله[2]

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ٢٤٣)

(٢) كمال الدين الإسلامي وحقيقته ومزاياه (ص: ٤٨) المؤلف : عبد الله بن جارالله بن إبراهيم آل جارالله الطبعة : الأولى الناشر : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية تاريخ النشر : ١٤١٨هـ

يقول الدكتور عبد الله عزام(١) معدداً بعض خصائص الشريعة الإسلامية ونذكرأهمها في نقاط:

١- إن أولى خصائص هذه العقيدة أنها ربانية من عند الله، وأنها لم تتغير ولم تتبدل، وهذا يطمئن النفس أنها خير لأنفسنا، وأن السعادة تكمن في تنفيذها، وأن الشقاء يترتب على تركها

أ. فالخير والبركة والسعادة ووفرة الإنتاج كلها من بركات تطبيق الشريعة المبنية على هذه العقيدة:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦]

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٦] .

ب. وما دامت ربانية من الله عز وجل فإنها مبرأة من النقص، سالمة من العيب، بعيدة عن الحيف والظلم .

ج-. ومادامت ربانية فهي التي تشبع جوعة الفطرة للعبادة لا يسدها إلا منهاج الله، ولا تملأها النظم الفلسفية، ولا السلطان السياسي، ولا الثراء المالي.

د. ومادامت ربانية فالناس أمامها سواء لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، فالله خالق الناس أجمعين فكلهم عبيده، وهو لا يفضل لونا على لون. الأبيض على الأسود -كما هو الحال في القانون الأمريكي

---

(١)عبد الله يوسف عزام (١٣٦٠ هـ - ١٤١٠ هـ) (١٩٤١ - ٢٤ نوفمبر ١٩٨٩) إمام وفقيه عربي يلقب بشيخ المجاهدين. ولد في فلسطين عام ١٩٤١م وتوفي ببيشاور في ٢٤ نوفمبر عام ١٩٨٩م. نشأ الشيخ عبد الله يوسف عزام في إحدى قرى قضاء جنين في فلسطين المحتلة. حصل على ليسانس الشريعة من جامعة دمشق عام ١٩٦٦م وعمل مدرساً وخطيباً لأحد مساجد الأردن ثم حصل على الماجستير من جامعة الأزهر عام ١٩٦٩م وأخيراً الدكتوراة في أصول الفقه من الجامعة نفسها عام ١٩٧٣م. تأثر بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وبأفكار سيد قطب وعمل مدرساً في جامعة عمان بالأردن وخطيباً في أحد مساجدها من عام ١٩٧٣ وحتى عام ١٩٨٠. ثم انتقل للعمل بجامعة الملك عبد العزيز وحتى عام ١٩٨١ ومن ثم ذهب إلى باكستان لنصرة إخوانه الأفغان وكان يعمل في جامعة إسلام أباد الإسلامية فترة قليلة وتركها بعد ذلك ليتفرغ للجهاد. وخلال تواجده في الأردن قاد مجموعة من المجاهدين أرعبت العدو الإسرائيلي وكبدته خسائر فادحة في الأرواح والسلاح. أدرك مكائد الأعداء فعمل على إبطالها فأحس الأعداء بخطره عليهم ومكروا له ليتخلصوا منه بوضع متفجرات أسفل المنبر الذي يخطب عليه يوم الجمعة في ١٣ أكتوبر عام ١٩٨٩م لكن الله نجاه منها حيث اكتشفت وأبطلت. لكن لم يمض شهر ونصف حتى اغتالته وولده الأيدي الآثمة.

٢- ومن خصائص هذه العقيدة أنها ثابتة:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠] .

وثبات العقيدة ناتج عن أنها منزلة من عند الله، وقد انقطع الوحي بالتحاق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى من الجنة، وبقيت النصوص ثابتة إلى يوم الدين لا ينسخها ناسخ ولا يبدلها كافر.[١]

- وثبات العقيدة يجعل أصلا يرجع الناس إليه حاكمهم ومحكومهم على السواء، والناس يستريحون ويسعدون، لأن الحاكم لا يستطيع أن يظلم الناس ويقول قبل أن يظلمهم غيرت القانون، ولا يستطيع المحكومون أن يقولوا للحاكم نحن لا نعرف القانون لأنه جديد ولكنه إذا كان ثابتا فإن الناس يتربون منذ نعومة أظفارهم على معرفته، ويكون النظام حيا في نفوسهم ويعيش في حسهم.

فلا يستطيع الحاكم في الدين الرباني أن يدعي أن الظروف طارئة، ولا أن يقول: أحكام عسكرية يوقف بها تطبيق دين الله، وتحت هذه الأسماء ووراء هذه الشعارات تسفك الدماء، وتداس الكرامة، وتنتهك الحرمة، وهذا هو شأن جميع الأنظمة الوضعية الأرضية، أو بتعبير أدق (الأديان الأرضية) التي اخترعها البشر من عند أنفسهم، وأبرز ما تكون هذه الظاهرة في الأنظمة العسكرية والانقلابات الثورية، ففي كل انقلاب قانون جديد، وفي كل مرة تنصب المشانق وتعلق على أعواد في الأسواق.

وفي كل مرة يغير فيها النظام تفقد البلد أعز أبنائها، وأقدر كفاءاتها، وأعلى طاقاتها، وأثمن ما لديها وهم العينات من الشباب والمفكرين والقادة وغيرهم.

٣- وثبات العقيدة الربانية يجعل الناس جميعا تحت ظل الدستور والحكم، وليس هنالك حاكم فوق القانون ومحكوم تحت القانون، ونظام يسري على الحاكم، ونظام يسري على المحكوم.

---

(١) العقيدة وأثرها في بناء الجيل (ص: ٤٤ : ٤٧)

ومن هنا فقد كانت الطمأنينة تلف المجتمع كله بردائها الحاكم والمحكوم سواء، وهم سعداء بهذا، لا يستطيع الحاكم أن يرفض دين الله فضلا أن يغيره أو يبدله بدين جديد من عنده[(١)].

وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه:

يقول العلامة ابن باز –رحمة الله عليه–: " وإذا كان من مقتضى رحمته وحكمته سبحانه وتعالى أن يكون التحاكم بين العباد بشرعه ووحيه؛ لأنه سبحانه المنزه عما يصيب البشر من الضعف، والهوى والعجز والجهل، فهو سبحانه الحكيم العليم اللطيف الخبير، يعلم أحوال عباده وما يصلحهم، وما يصلح لهم في حاضرهم ومستقبلهم، ومن تمام رحمته أن تولى الفصل بينهم في المنازعات والخصومات وشئون الحياة ليتحقق لهم العدل والخير والسعادة، بل والرضا والاطمئنان النفسي، والراحة القلبية؛ ذلك أن العبد إذا علم أن الحكم الصادر في قضية يخاصم فيها هو حكم الله الخالق العليم الخبير، قبل ورضي وسلم، وحتى ولو كان الحكم خلاف ما يهوى ويريد، بخلاف ما إذا علم أن الحكم صادر من أناس بشر مثله، لهم أهواؤهم وشهواتهم، فإنه لا يرضى ويستمر في المطالبة والمخاصمة.. ولذلك لا ينقطع النزاع، ويدوم الخلاف، وأن الله سبحانه وتعالى إذ يوجب على العباد التحاكم إلى وحيه، رحمة بهم وإحسانا إليهم[(٢)]

الفطرة تعرف لها إلهاً واحداً:

قال تعالى:﴿ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ يوسف: ٣٩]

قد رسم يوسف عليه السلام بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة ، كل معالم هذا الدين ، وكل مقومات هذه العقيدة . كما هز بها كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزاً شديداً عنيفاً..

وهو سؤال يهجم على الفطرة في أعماقها ويهزها هزاً شديداً . . إن الفطرة تعرف لها إلهاً واحداً ففيم إذن تعدد الأرباب؟ . . إن الذي يستحق أن يكون رباً يعبد ويطاع أمره ويتبع شرعه هو الله الواحد القهار . ومتى توحد الإله وتقرر سلطانه القاهر في الوجود فيجب تبعاً لذلك أن يتوحد الرب وسلطانه القاهر في حياة الناس . وما يجوز لحظة واحدة أن يعرف الناس أن الله

---

(١) العقيدة وأثرها في بناء الجيل (ص٤٩: ٥٢)

(٢) وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه (ص: ١٦) المؤلف : عبد العزيز بن عبد الله بن باز الناشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة الطبعة : الخامسة تاريخ النشر : ١٤٠٩هـ

واحد ، وأنه هو القاهر ، ثم يدينوا لغيره ويخضعوا لأمره ، ويتخذوا بذلك من دون الله ربا . . إن الرب لا بد أن يكون إلهاً يملك أمر هذا الكون ويسيره . ولا ينبغي أن يكون العاجز عن تسيير أمر هذا الكون كله رباً للناس يقهرهم بحكمه ، وهو لا يقهر هذا الكون كله بأمره!

والله الواحد القهار خير أن يدين العباد لربوبيته من أن يدينوا للأرباب المتفرقة الأهواء الجاهلة القاصرة العمياء عن رؤية ما وراء المنظور القريب كالشأن في كل الأرباب إلا الله وما شقيت البشرية قط شقاءها بتعدد الأرباب وتفرقهم ، وتوزع العباد بين أهوائهم وتنازعهم . . فهذه الأرباب الأرضية التي تغتصب سلطان الله وربوبيته؛ أو يعطيها الجاهليون هذا السلطان تحت تأثير الوهم والخرافة والأسطورة ، أو تحت تأثير القهر أو الخداع أو الدعاية! هذه الأرباب الأرضية لا تملك لحظة أن تتخلص من أهوائها ، ومن حرصها على ذواتها وبقائها ، ومن الرغبة الملحة في استبقاء سلطانها وتقويته ، وفي تدمير كل القوى والطاقات التي تهدد ذلك السلطان من قريب أو من بعيد؛ وفي تسخير تلك القوى والطاقات في تمجيدها والطبل حولها والزمر والنفخ فيها كي لا تذبل ولا تنفثىء نفختها الخادعة![١]

الله وحده هو الذي يشرع لعباده:

إن الواقع أنه لو كانت حقيقة العبادة هي مجرد الشعائر التعبدية ما استحقت كل هذا الموكب الكريم من الرسل والرسالات؛ وما استحقت كل هذه الجهود المضنية التي بذلها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وما استحقت كل هذه العذابات والآلام التي تعرض لها الدعاة والمؤمنون على مدار الزمان! إنما الذي استحق كل هذا الثمن الباهظ هو إخراج البشر جملة من الدينونة للعباد ، وردهم إلى الدينونة لله وحده في كل أمر وفي كل شأن ، وفي منهج حياتهم كله للدنيا وللآخرة سواء[٢]

يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾[الشورى: ٢١]   ومعنى الهمزة في " أم " التقرير والتقريع . والضمير في " شَرَعوا " يجوز أن يكون عائداً على " الشركاء " ، والضمير في " لهم " على الكفار ، ويجوز العكس ؛ لأنهم جعلوا لهم أنصباء ، والمعنى شركاؤهم أي شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وإنكار البعث ، والعمل للدنيا

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٣٠٨)
(٢) في ظلال القرآن (٤/ ٢٧٨)

وقيل : شركاؤهم أوثانهم ، وإنما أضيفت إليهم ؛ لأنهم هم الذي اتَّخذوها شركاء لله . ولما كانت سبباً لضلالتهم جعلت شارعة [1]

وليس لأحد من خلق الله أن يشرع غير ما شرعه الله وأذن به كائنا من كان؛ فالله وحده هو الذي يشرع لعباده . . .

ومع وضوح هذه الحقيقة إلى حد البداهة؛ فإن الكثيرين يجادلون فيها ، أو لا يقتنعون بها ، وهم يجرؤون على استمداد التشريع من غير ما شرع الله ، زاعمين أنهم يختارون الخير لشعوبهم ، ويوائمون بين ظروفهم والتشريع الذي ينشئونه من عند أنفسهم . كأنما هم أعلم من الله وأحكم من الله! أو كأنما لهم شركاء من دون الله يشرعون لهم ما لم يأذن به الله! وليس أخيب من ذلك ولا أجرأ على الله!

لقد شرع الله للبشرية ما يعلم سبحانه ، أنه يتناسق مع طبيعتها وفطرتها وطبيعة الكون الذي تعيش فيه وفطرته" [2].

التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعظم ما يفسد في الأرض:

ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ؟ .

وقال تعالى : ؟ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير ؟ .

وقال تعالى : ؟ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ؟ .

الإفساد على قسمين :

القسم الأول : إفساد حسي مادي ، وذلك مثل هدم البيوت ، وإفساد الطرق ، وما أشبه ذلك .

القسم الثاني : إفساد معنوي ، وذلك بالمعاصي ، فهي من أكبر الفساد في الأرض ، قال تعالى : ؟

قال ابن القيم : " قال أكثر المفسرين : لا تفسدوا فيه بالمعاصي بالدعاء إلى غير طاعة الله ، بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة ، والدعاء إلى طاعة الله ، فإن عبادة غير

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ١٨٥)

(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٢١)

الله والدعوة إلى غيره ، والشرك به ، هو أعظم فساد في الأرض ، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك به ومخالفة أمره ، فالشرك والدعوة إلى غير الله ، وإقامة معبود غيره ، ومطاع متبع غير رسول الله (، هو أعظم الفساد في الأرض ، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود المطاع ، والدعوة له لا لغيره ، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا " . أ . هـ[١]

قال ابن كثير -رحمه الله-: ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء، والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات، [٢]

قال سيد قطب-رحمه الله-: "إن الذين يحكمون على عابد الوثن بالشرك ، ولا يحكمون على المتحاكم إلى الطاغوت بالشرك . ويتحرجون من هذه ولا يتحرجون من تلك . . إن هؤلاء لا يقرأون القرآن ، ولا يعرفون طبيعة هذا الدين . . فليقرأوا القرآن كما أنزله الله؛ وليأخذوا قول الله بجد : { وإن أطعتموهم إنكم لمشركون } وإن بعض هؤلاء المتحمسين لهذا الدين ليشغلون بالهم وبال الناس ببيان إن كان هذا القانون ، أو هذا الإجراء ، أو هذا القول ، منطبقاً على شريعة الله أو غير منطبق . . وتأخذهم الغيرة على بعض المخالفات هنا وهناك . . كأن الإسلام كله قائم ، فلا ينقص وجوده وقيامه وكماله إلا أن تمتنع هذه المخالفات!

هؤلاء المتحمسون الغيورون على هذا الدين ، يؤذون هذا الدين من حيث لا يشعرون . بل يطعنونه الطعنة النجلاء بمثل هذه الاهتمامات الجانبية الهزيلة . . إنهم يفرغون الطاقة العقيدية الباقية في نفوس الناس في هذه الاهتمامات الجانبية الهزيلة . . إنهم يؤدون شهادة ضمنية لهذه الأوضاع الجاهلية . شهادة بأن هذا الدين قائم فيها ، لا ينقصه ليكمل إلا أن تصحح هذه المخالفات . بينما الدين كله متوقف عن « الوجود » أصلا ، ما دام لا يتمثل في نظام وأوضاع ، الحاكمية فيها لله وحده من دون العباد"[٣]

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٥٢٥).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣١).
(٣) في ظلال القرآن (٣/ ١٥٤)

أفحكم الجاهلية يبغون :

قال الله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠] أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون. ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عَقَل عن الله شرعه، وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين[(١)]

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ المراد بالجاهلية: ما كان قبل الإسلام، كان أهل الجاهليّة على ضلالة، ومن ذلك: التّحاكم، كانوا يتحاكمون إلى الكُهّان، وإلى السحرة، وإلى الطّواغيت، وإلى العوارِف القَبَليّة.

فهؤلاء المنافقون الذين ادّعوا الإسلام يريدون حكم الجاهليّة، ولا يريدون حكم الله سبحانه وتعالى، ولا يريدون أن ينتقلوا من حكم الجاهلية إلى حكم الشريعة، بل يريدون البقاء على حكم الجاهلية، وهذا مذهب المنافقين دائماً ومَن سار في رَكْبِهم.

وهذا استنكارٌ من الله سبحانه وتعالى لمن يريد أن يستبدل الشّريعة بالقوانين الوضعيّة، لأنّ القوانين الوضعيّة هي حكم الجاهليّة، لأنّ حكم الجاهلية أوضاع وضعوها ما أنزل الله بها من سلطان، والقوانين الوضعيّة أوضاع وضعها البشر، فهي وحكم الجاهليّة سواء لا فرق، فالذي يريد أن يحكم بين الناس بالقوانين الوضعيّة يريد حكم الجاهليّة الذي أراده المنافقون من قبل[(٢)].

قال سيد قطب– رحمه الله تعالى– في تفسير هذه الآيات الكريمة : " لقد جاء كلّ دين من عند الله ليكون منهج حياة ، منهج حياة واقعية ، جاء الدين ليتولى قيادة الحياة البشرية ، وتنظيمها ، وتوجيهها ، وصيانتها ، ولم يجئ دين من عند الله ليكون مجرد عقيدة في الضمير ، ولا ليكون مجرد شعائر تعبدية تؤدى في الهيكل والمحراب . فهذه وتلك – على ضرورتهما للحياة البشرية وأهميتها في تربية الضمير البشري – لا يكفيان وحدهما لقيادة الحياة وتنظيمها

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣١)
(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١٢٩)

وتوجيهها وصيانتها ، ما لم يقم على أساسها منهج ونظام وشريعة تطبق عملياً في حياة الناس ، ويؤخذ بها بحكم القانون والسلطان ، ويؤاخذ الناس على مخالفتها ، ويؤخذون بالعقوبات .

والحياة البشرية لا تستقيم إلا إذا تلقت العقيدة والشعائر والشرائع من مصدر واحد يملك السلطان على الضمائر والسرائر ، كما يملك السلطان على الحركة والسلوك ، ويجزي الناس وفق شرائعه في الحياة الدنيا ، كما يجزيهم وفق حسابه في الحياة الآخرة .

حكم البشر للبشر:

إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟ ﴾ فالجاهلية – كما يصفها الله ويحددها قرآنه – ، لأنها هي عبودية البشر للبشر ، والخروج من عبودية الله ، ورفض ألوهية الله ، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر وبالعبودية لهم من دون الله . .

إن الجاهلية – في ضوء هذا النص – ليست فترة من الزمان؛ ولكنها وضع من الأوضاع . هذا الوضع يوجد بالأمس ، ويوجد اليوم ، ويوجد غداً ، فيأخذ صفة الجاهلية ، المقابلة للإسلام ، والمناقضة للإسلام .

والناس – في أي زمان وفي أي مكان – إما أنهم يحكمون بشريعة الله – دون فتنة عن بعض منها – ويقبلونها ويسلمون بها تسليماً ، فهم إذن في دين الله . وإما إنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر – في أي صورة من الصور – ويقبلونها فهم إذن في جاهلية؛ وهم في دين من يحكمون بشريعته ، وليسوا بحال في دين الله . والذي لا يبتغي حكم الله يبتغي حكم الجاهلية؛ والذي يرفض شريعة الله يقبل شريعة الجاهلية ، ويعيش في الجاهلية[1]

حكم القوانين الوضعية والتحاكم إليها:

١– قال ابن كثير –رحمه الله– : 'فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر'. .

٢– ورحم الله العلامة ابن القيم إذ يقول: "فَطَاغُوتُ كُلِّ قَوْمٍ مِنْ يَتَحَاكَمُونَ إلَيْهِ غَيْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْ يَتْبَعُونَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنْ اللَّهِ، أَوْ يُطِيعُونَهُ فِيمَا لَا

---

(١) في ظلال القرآن (٢/ ٣٨٤)

يَعْلَمُونَ أَنَّهُ طَاعَةٌ لِلَّهِ؛ فَهَذِهِ طَوَاغِيتُ الْعَالَمِ إذَا تَأَمَّلْتَهَا وَتَأَمَّلْتَ أَحْوَالَ النَّاسِ مَعَهَا رَأَيْت أَكْثَرَهُمْ (عَدَلُوا) مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ إلَى عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ "(١)

- يقول الشنقيطي-رحمه الله-: في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[الكهف: ٢٦] "إن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم ، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته ، وأعماه عن نور الوحي مثلهم "(٢)

٤- قال ابن عثيمين-رحمه الله-:" من لم يحكم بما أَنزل الله استخفافا به، أو احتقارا له، أو اعتقادا أن غيره أصلح منه، وأنفع للخلق أو مثله فهو كافر كفرا مخرجا عن الملة، ومن هؤلاء من يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجا يسير الناس عليه، فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلا وهم يعتقدون أنها أصلح وأنفع للخلق، إذ من المعلوم بالضرورة العقلية، والجبلة الفطرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلا وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ونقص ما عدل عنه.

ومن لم يحكم بما أنزل الله وهو لم يستخف به، ولم يحتقره، ولم يعتقد أن غيره أصلح منه لنفسه أو نحو ذلك، فهذا ظالم وليس بكافر وتختلف مراتب ظلمه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.

ومن لم يحكم بما أنزل الله لا استخفافا بحكم الله، ولا احتقارا، ولا اعتقادا أن غيره أصلح، وأنفع للخلق أو مثله، وإنما حكم بغيره محاباة للمحكوم له، أو مراعاة لرشوة أو غيرها من عرض الدنيا فهذا فاسق، وليس بكافر وتختلف مراتب فسقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم(3)

(١) إعلام الموقعين (١/ ٥٠)
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٩/ ١٢٩)
(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٦/ ١٦١) المحقق : فتاوى العقيدة جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان الناشر : دار الوطن - دار الثريا الطبعة : الأخيرة - ١٤١٣ هـ

المبحث الثاني

تقديس الطواغيت البشرية

وإذا نظرنا إلى حال هذه الأمة وجدنا أنها ما أصيبت إلا أنها فتحت أبواب سنن الجاهلية على الناس، فعبادة الأوثان ما جاءت إلا عن طريق ابتغاء سنن الجاهلية، وعبادة القبور وتعظيم القبور والبناء عليها وتعظيم الأموات ونحو ذلك كل هذا كان مأخوذا من سنن الجاهلية، كذلك صور ورفع الصور تقديس الأشخاص وإعطائهم بعض ما لله جل وعلا من صفات والتعظيم المذموم شرعا، هذا كله كان في أهل الجاهلية، كما قال النبي –ﷺ–مثلا لما قام عليه الصحابة في الصلاة وكان قاعدا –ﷺ–يعني صلى قاعدا لمرض ألم به– قال «كدتم أن تفعلوا آنفا فعل فارس والروم بعظمائها»[1]

.قال النووي[2]–رحمه الله–:" فيه النهي عن قيام الغلمان والتباع على رأس متبوعهم الجالس لغير حاجة وأما القيام للداخل إذا كان من أهل الفضل والخير فليس من هذا بل هو جائز قد جاءت به احاديث وأطبق عليه السلف والخلف وقد جمعت دلائله وما يرد عليه في جزء وبالله التوفيق والعصمة[3]

---

(١) صحيح ابن خزيمة (٢/ ٧٧٨) برقم (١٦٢١) المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ) حَققهُ وعلّق عَلَيه وَخَرّجَ أحَاديثه وَقدَّم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

وجاءفي صحيح مسلم (٢/ ١٩) بلفظ «إِنْ كِدْتُمْ آنِفًا لَتَفْعَلُونَ فِعْلَ فَارِسَ وَالرُّومِ يَقُومُونَ عَلَى مُلُوكِهِمْ وَهُمْ قُعُودٌ فَلاَ تَفْعَلُوا ائْتَمُّوا بِأَئِمَّتِكُمْ إِنْ صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا وَإِنْ صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا»

(٢) هو أبو زكريا يحيى ابن الشيخ الزاهد الورع وليّ الله أبي يحيى شرف بن مِرَا بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام -بالحاء المهملة والزاي - الحزامي النوويُّ، ذو التصانيف المفيدة، والمؤلفات الحميدة، أوحد دهرِهِ، وفريدُ عصرِه، الصوَّام، القوام، الزَّاهد في الدنيا، الرَّاغب في الآخرة، صاحب الأخلاق الرضيَّة، والمحاسن السنيَّة، العالم الرَّبَّاني المتَّفق على علمه وإمامته وجلالته وزهده وورعه وعبادته وصيانته في أقواله وأفعاله وحالاته، أما مولده؛ فهو في العشر الأوسط من المحرم سنة إحدى وثلاثين وست مئة ،ذكرالشيخ ياسين بن يوسف المراكشي ولي الله رحمه الله قال: "رأيت الشيخ محيي الدين -وهو ابن عشر سنين- بنوى، والصبيان يُكْرِهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم، ويبكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي محبته. وجعله أبوه في دُكَّان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشِّراء عن القرآن". قال: "فأتيتُ الذي يُقْرِئُه القرآن، فوصيتُه به، وقلتُ له: هذا الصبيُّ يُرْجى أن يكون أعلمَ أهل زمانه، وأزهدهم، وينتفع الناس به. وذكر لي الشيخ -قدَّس الله روحه- قال: "كنتُ أقرأ كلَّ يومِ اثنتي عشر درساً على المشايخ؛ شرحاً وتصحيحاً: قال: "وبارك الله لي في وقتي، واشتغالي، وأعانني عليه". وأما وفاته؛ فهي ليلة الأربعاء، الثلث الأخير من الليل، رابع وعشرين رجب، سنة ست وسبعين ولست مئة [بنوى] . تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين (ص: ٣٩- ٥٠) المؤلف: علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان، أبو الحسن، علاء الدين ابن العطار (المتوفى: ٧٢٤هـ) ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: الدار الأثرية، عمان - الأردن الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٤/ ١٣٥) : المؤلف : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ هـ

قال ابن عثيمين–رحمه الله–:" :"القيام عليه كأن يكون جالساً ويقوم واحد على رأسه تعظيماً له فهذا منهي عنه

قال الرسول –ﷺ– :«لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا»[1] حتى إنه في الصلاة إذا صار الإمام لا يستطيع القيام وصلى جالسا فإن المأمومين يصلون جلوسا ولو كانوا يقدرون على القيام لئلا يشبهوا الأعاجم الذين يقومون على ملوكهم

فالقيام على الرجل منهي عنه، اللهم إلا إذا دعت الحاجة إلي ذلك، كأن يخاف على الرجل أن يتعدي عليه أحد فلا بأس أن يقوم عليه القائم، وكذلك إذا قام عليه الرجل إكراماً له في حال يقصد فيه إكرامه وإهانة [2] .

صور التقديس البشري اليوم:

ويُعَدُّ الغلو في الأشخاص وتقديسهم من الظواهر القديمة في تاريخ البشرية ، ولا تزال هذه الظاهرة جاثمة في العصر الحاضر بهيئات متنوعة وصور شتى

ومن صور هذا التقديس قديما ما واجهه الأنبياء مع أقوامهم و ما قاله ربعي بن عامر رضي الله عنه[3]

"الله ابتعثنا لنُخرِجَ من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا نبيُّه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمَنْ قَبِلَ ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نُفضي إلى موعود الله.

---

(١) شعب الإيمان (١١/ ٢٧٥) برقم (٨٥٣٨)المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ -٢٠٠٣ م وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: ٩٠٤) برقم (٦٢٦٢) المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) أشرف على طبعه: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي

(٢) شرح رياض الصالحين (١/ ١٥٨) المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة: ١٤٢٦ هـ

(٣) ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو قال الطبري:" كان عمر أمد به المثنى بن حارثة وكان من أشراف العرب وللنجاشي الشاعر فيه مديح وقال سيف في الفتوح عن أبي عثمان عن خالد وعبادة قالا قدم علي أبي عبيدة كتاب عمر بأن يصرف جند العراق إلى العراق وعليهم هاشم بن عتبة وعلي مقدمته القعقاع بن عمرو وعلى مجنبته عمير بن مالك وربعي بن عامر وفي ذلك يقول ربعي ... أنحنا إليها كورة بعد كورة ... نقصهم حتى احتوينا المناهلا وله ذكر أيضا في غزوة نهاوند وكان ممن بنى فسطاطا أمير تلك الغزوة النعمان بن مقرن وولاه الأحنف لما فتح خراسان على طخارستان وقد تقدم غير مرة أنهم كانوا لا يؤمرون إلا الصحابة،الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٤٥٤) المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر : دار الجيل - تحقيق : علي محمد البجاوي بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ .

بهذه الكلمات واجه ربعيٌّ بن عامر رضي الله عنه رستم الفارسي ، ولم يكن ربعي بن عامر بذلك الخطاب شجاعاً مقداماً فحسب ، بل كان ذكياً فطناً يدرك أحوال مخاطبيه ؛ فإن الفرس قد أُولِعوا بتأليه «الأكاسرة» وتقديسهم ؛ فلذا قال ربعي : « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله » . [(١)]

وهذا التقديس يشمل الموتى أصحاب القبور وهو أيضاً أظهر وأبين لتقديس الأحياء بصور واشكالٍ عدة وهو أعظم من تقديس الأموات في هذه الأزمان

أولاً: تقديس الموتى "أصحاب القبور:

وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب فتنة أصحاب القبور، وهي أصل فتنة عباد الأصنام؛ كما قال السلف من الصحابة والتابعين؛ فإن الشيطان ينصب لهم قبر رجل معظم يعظمه الناس، ثم يجعله وثنا يعبد من دون الله [(٢)]

قال ابن تيمية – رحمه الله–: "علم بالنقل المتواتر، بل علم بالاضطرار من دين الإسلام أن رسول الله ﷺ شرع لأمته عمارة المساجد بالصلوات، والاجتماع للصلوات الخمس، ولصلاة الجمعة والعيدين، وغير ذلك، وأنه لم يشرع لأمته أن يبنوا على قبر نبي ولا رجل صالح لا من أهل البيت ولا من غيرهم لا مسجداً ولا مشهداً، ولم يكن على عهده صلّى الله عليه وسلّم مشهد مبني على قبر وكذلك على عهد خلفائه الراشدين وأصحابه الثلاثة وعلي بن أبي طالب ومعاوية لم يكن على عهدهم مشهد مبني لا على قبر نبي ولا غيره لا على قبر إبراهيم الخليل ولا على غيره...[(٣)] "

ومما ورد في النهي عن ذلك: ما رواه جندب بن عبد الله –رضي الله عنه– قال: « سمعت النبي -ﷺ – قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ الله إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لا تخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك» [(٤)]

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٧/٤٠).وينظر في مجلة البيان (١٥١/ ١٢)
(٢) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (٢/ ٦٢٥).
(٣) دقائق التفسير (٢/ ١٥١).
(٤) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (١/ ٢٣٨).

قال الشوكاني– رحمه الله–:: " فإن الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بنيت عليه قبة فدخلها ونظر على القبر الستور الرائعة، والسرج المتلألئة، وقد صدعت حوله مجامير الطيب، فلا شك ولا ريب أنه يمتلئ قلبه تعظيما لذلك القبر، ويضيق ذهنه عن تصور ما لهذا الميت من المنزلة، ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكايد الشيطان للمسلمين، وأشد وسائله إلى إضلال العباد ما يزلزله عن الإسلام قليلا قليلا، حتى يطلب من صاحب ذلك القبر مالا يقد عليه إلا الله – سبحانه – فيصير في عداد المشركين.

وقد يحصل له هذا الشرك بأول رؤية لذلك القبر الذي صار على تلك الصفة، وعند أول زورة له ، لأنه يخطر بباله أن هذه العناية البالغة من الأحياء بمثل هذا الميت لا يكون إلا لفائدة يرجونها منه، إما دنيوية أو أخروية، ويستصغر نفسه بالنسبة إلى من يراه زائرا لذلك القبر، وعاكفا عليه، ومتمسحا بأركانه.

وقد يجعل الشيطان طائفة من إخوانه من بني آدم يقفون على ذلك القبر [١]

اتخذوا قبورالأنبياء مساجد:

وعن عائشة قالت: « لما نُزل برسول الله –ﷺ– طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» [٢].يُحَذِّرُ مِثْلَ مَا صَنَعُوا

قال المناوي: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» أي اتخذوها جهة قبلتهم أوان اتخاذها مساجد لازم لاتخاذ المساجد عليها كعكسه لما فيه من المغالاة في التعظيم وخص اليهود لابتدائهم هذا الاتخاذ فهم أظلم وضم إليهم في رواية النصارى وهم وإن لم يكن لنبيهم قبر لأن المراد النبي وكبار اتباعه[٣]

اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يعني لما مات أنبيائهم جعلوا عليهم مساجد وهذا شرك أو وسيلة للشرك وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – يحذر ما صنعوا حتى إنه وهو في سياق

---

(١) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص: ١٧) المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة الطبعة: الرابعة، ١٤٠٨هـ

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٦٩) برقم (٣٤٥٣) صحيح مسلم (١/ ٣٧٧) برقم (٥٣١)

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى (٢/ ٣٥٢) المؤلف / الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي دار النشر / مكتبة الإمام الشافعي ـ الرياض ـ الطبعة: الثالثة١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م

الموت يقول ذلك – ﷺ – « لعن من اتخذ القبور مساجد ومع الأسف الشديد انه يوجد في الأمة الإسلامية اليوم من جعلوا قبور من هم دون الأنبياء مساجد جعلوا أولياء يتخذونهم أولياء والله اعلم بحالهم وبنوا على قبورهم مساجد وجعلوا يطوفون بها ويحترمونها ويعظمونها وينذرون لها ويتصدقون لها وهذا كله أما شرك واما وسيلة للشرك[١]

قال التوربشتي[٢]– رحمه الله–: " هو مخرج على الوجهين أحدهما كانوا يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لهم وقصد العبادة في ذلك وثانيهما أنهم كانوا يتحرون الصلاة في مدافن الأنبياء والتوجه إلى قبورهم في حالة الصلاة والعبادة لله نظرا منهم أن ذلك الصنيع أعظم موقعا عند الله لاشتماله على الأمرين عبادة والمبالغة في تعظيم الأنبياء وكلا الطريقين غير مرضية وأما الأول فشرك جلي

وأما الثانية فلما فيها من معنى الاشراك بالله عز و جل وإن كان خفيا[٣]

استشكل ذكر النصارى فيه إذ نبيهم عيسى عليه السلام وهو لم يمت ، وأجيب بأنه كان فيهم أنبياء أيضا لكنهم غير مرسلين كالحواريين ومريم في قول أو ضمير الجمع في قوله أنبيائهم للمجموع من اليهود والنصارى أو المراد الأنبياء وكبار أتباعهم فاكتفى بذكر الأنبياء يؤيده رواية مسلم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد أو المراد بالاتخاذ أعم من أن يكون ابتداعا أو اتباعا فاليهود ابتدعت والنصارى اتبعت ، ولا ريب أن النصارى تعظم قبور جمع من الأنبياء الذين يعظمهم اليهود[٤]

---

(١) الشرح المختصر على بلوغ المرام (٣/ ٨٠)

(٢) فضل الله التوربشتي رجل مُحدث فَقِيه من أهل شيراز شرح مصابيح الْبَغَوِيّ شرحا حسنا وروى صَحِيح البُخَارِيّ عَن عبد الْوَهَّاب بن صَالح بن مُحَمَّد بن المعزم إِمَام الْجَامِع الْعَتِيق وأظن هَذَا الشَّيْخ مَاتَ فِي حُدُود السِّتين والستمائة وواقعة التتار أوجبت عدم الْمعرفَة بِحَالهِ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٣٤٩)المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ

(٣) تحفة الأحوذي (٢/ ٢٢٦)

(٤) حاشية السندي على سنن النسائي (٢/ ٤١) المؤلف: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ) الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م

قال ابن الأمير الصنعاني[1]- رحمه الله-: "واتخاذ القبور مساجد أعم من أن يكون بمعنى الصلاة إليها أو بمعنى الصلاة عليها وفي مسلم لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها ولا عليها

قال البيضاوي[2]- رحمه الله-: " لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيما لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها اتخذوها أوثانا لهم ومنع المسلمين من ذلك قال وأما من اتخذ مسجدا في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا لتعظيم له ولا لتوجه نحوه فلا يدخل في ذلك الوعيد قلت قوله لا لتعظيم له يقال اتخاذ المساجد بقربه وقصد التبرك به تعظيم له ثم أحاديث النهي مطلقة ولا دليل على التعليل بما ذكر والظاهر أن العلة سد الذريعة والبعد عن التشبه بعبدة الأوثان الذين يعظمون الجمادات التي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر [3]

ويقول ابن تيمية- رحمه الله-: " فكل من غلا في حي، أو في رجل صالح... وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يقول يا سيدي فلان اغفري لي، أو ارحمني، أو انصرني، أو ارزقني، أو أغثني، أو أجرني، أو توكلت عليك، أو أنت حسبي، أو أنا في حسبك، أو نحو هذه الأقوال والأفعال، التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل، فإن الله إنما أرسل الرسل، وانزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له، ولا نجعل مع الله إلهاً آخر.[4]

---

(١) ابن الأمير الصَّنْعَاني (١٠٩٩ - ١١٨٢ هـ = ١٦٨٨ - ١٧٦٨ م) محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير: مجتهد، من بيت الإمامة في اليمن. يلقب (المؤيد بالله) ابن المتوكل على الله. أصيب بمحن كثيرة من الجهلاء والعوام. له نحو مئة مؤلف، ذكر صديق حسن خان أن أكثرها عنده "في الهند" . ولد بمدينة كحلان، ونشأ وتوفي بصنعاء. من كتبه (توضيح الأفكار، شرح تنقيح الأنظار - ط) مجلدان في مصطلح الحديث، و (سبل السلام، شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني - ط) و (منحة الغفار) حاشية على ضوء النهار، و (إسبال المطر على قصب السكر) و (المسائل المرضية في بيان اتفاق أهل السنة والزيدية - خ) في مكتبة عبيد بدمشق، مع ردّ عليه باسم (السيوف المنضية على زخارف المسائل المرضية) الأعلام للزركلي (٦/ ٣٨) .

(٢) البَيْضاوي(٣٩٢ - ٤٩٨ هـ = ١٠٠٢ - ١٠٧٦ م) محمد بن أحمد بن العباس أبو بكر البيضاوي: فقيه من كبار الشافعية، له علم بالأدب، صنف كتبا منها " التبصرة " مختصر في الفقه، وشرحه " التذكرة - خ " مجلدان في طوبقبو، و " الإرشاد " في شرح الكفاية للصيمري الأعلام للزركلي (٥/ ٣١٤)

(٣) سبل السلام (١/ ١٥٣) المؤلف : محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (المتوفى : ١١٨٢هـ) الناشر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي الطبعة : الرابعة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٥)

وقال الشافعي- رحمه الله-: أكره أن يعظم مخلوق، حتى يجعل قبره مسجدًا مخافة الفتنة عليه، وعلى من بعده من الناس. وقال أيضًا: تسطَّح القبور ولا تبنى ولا ترفع، وتكون على وجه الأرض.[1]

من مظاهر تأليه البشر التوابيت:

وتُعنى هذه المقالة بالحديث عن مظاهر تأليه البشر والتوابيت أنواع:

النوع الأول: تابوت ينصب فوق القبر، إما من رخام يضعونه فوق القبر منصوباً، ثم يضعون عليه الستور من الأقمشة الثمينة جداً كالحرير وغيره، ويغطونه ويسترونه، فهذا نوع.

النوع الثاني: يجعلون تابوتاً من الخشب شبيهاً بالنصب، ويضعونه فوق القبر، ثم يكسونه بالأقمشة النفيسة، وكلما تقادم الوقت على هذه جددوها ونظفوها وزخرفوها، وهذا يفعله سدنة الأوثان، وسدنة القبور، وربما فعله الأثرياء، وربما فعله القادة، فبعض القادة قد يموت له قريب فيضعون عليه هذه الأشياء ويكون سبباً لعبادة الناس له، فيكون هذا من الدعاة إلى جهنم نسأل الله العافية.

الشيعة أول من فتح باب الغلو في الأشخاص:

كان الشيعة أول من فتح باب الغلو في الأشخاص وذلك بغلوهم في علي رضي الله عنه وذريته حتى ذهبوا في ذلك مذاهب شتى فمنهم من ادعى أن عليا وذريته معصومون ومنهم من ادعى أن عليا كان نبيا ، ومنهم من غلا فيه حتى ادعى أنه إله وأن روح الإله حلت فيه وفي الأئمة من ذريته ولما كان علي -رضي الله عنه-ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته ، ووصيه وخليفته من بعده- على مذهبهم- كان طبعيا أن يبتدأ غلوهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذ دور التسلسل إلى علي رضي الله عنه والأئمة من ذريته [2]

وأول من أظهر عقيدة التشبيه طائفة من الرافضة تسمى السبئية أتباع عبد الله بن سبأ، اليهودي الذي أظهر الإسلام، من أجل الكيد لأهله، مع بقائه على يهوديته إذ إن هذه الفرقة

---

(١) المختصرالمفيد في عقائد أئمة التوحيد (ص: ٢٦٥) المؤلف: أبو يوسف مدحت بن حسن آل فراج المصري (المتوفى: ١٤٣٥هـ) الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

(٢) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع (ص: ٢٠٧) المؤلف : عبد الرءوف محمد عثمان الطبعة : الأولى الناشر : رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة - الرياض تاريخ النشر : ١٤١٤هـ

الضالة ألهّت علياً رضي الله عنه، وشبهوه بذات الإله الحق، فلما أحرق قوماً منهم لهذا السبب قالوا له: الآن علمنا أنك إله، لأن النار لا يعذب بها إلا الله(١).

الشيعة عطلت المساجد وعظمت المشاهد .

ولكن الشيعة أبت إلا أن تعظم المشاهد، وتعطل المساجد . فهم يعكفون على القبور ويطوفون بها، ويدعون أصحابها من دون الله ، ويلتمسون منهم البركة وجلب النفع ودفع الضر .. ألخ . وفي المقابل لا يقيمون الجماعة ولا الجمعة في مساجدهم، وإن صلوا صلوا فرادى"(٢)

ثانياً: تأليه وتقديس البشر الأحياء

من أعظم أسباب تأليه البشر :

١– ضعف التعلق بالله تعالى بتحقيق العبودية .

فإذا ضعف تعلُّق العبد بربه ، وانحسر تحقيقه لعبودية الله تعالى قوي تعلُّق قلبه بغير الله ، وصُبَّ في قلبه من العبودية للبشر بحسب ذلك ؛ فما كان لبشر أن يُستعبَد قلبه لبشر مثله إلا بسبب إخلاله بعبودية الله تعالى .

يقولُ شيخ الإسلام– رحمه الله تعالى– : " إذ الرق والعبودية في الحقيقة: هو رقُّ القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده، فالقلبُ عبده، ولهذا يقال: العبدُ حُرٌ ما قنع، والحرُ عبدٌ ما طمع،

وكلما قوي طمعُ العبد في فضل الله ورحمته ورجائِهِ، لقضاءِ حاجتِهِ، ودفعِ ضرورته، قويت عبوديته وحريته عمًّا سواه، فكما أن طمعه في المخلوق يوجبُ عبوديته له، فيأسهُ منه يوجب غنى قلبه عنه، فإنَّ أسرَ القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن، فإنَّ من استعبد بدنهُ واسترق وأسر، لا يبالي ما دام قلبهُ مستريحًا من ذلك مطمئنًا، بل يمكنهُ الاحتيال في الخلاص، وأما إذا كان القلب الذي هو ملك الجسم رقيقًا مستعبدًا، متيمًا لغير

---

(١) البيهقي وموقفه من الإلهيات (ص: ٢٧٦) صل الكتاب : رسالة دكتوراة من كليه الشريعة والدراسات الاسلامية - جامعة الملك عبد العزيز المؤلف : أحمد بن عطية بن علي الغامدي الناشر : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة : الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

(٢) منهاج السنة النبوية : (٤٧٤/١) .

الله، فهذا هو الذلُ والأسرالمحض، والعبودية الذليلة لما استعبد القلب، فالحرية حريةُ القلب،والعبوديةعبوديةالقلب[1]

ويقولُ سيد قطب– رحمه الله تعالى– :" إنَّ الدينونة لله تعالى تحرر البشر من الدينونة لغيره، وتخرجُ الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، وبذلك تحقق للإنسان كرامته الحقيقية وحريته الحقيقية، هذه الحرية وتلك الكرامة اللتان يستحيل ضمانهما في ظل أي نظامٍ آخر غير النظام الإسلامي، والذين لا يدينون لله وحده يقعونَ من فورهم في شر ألوان العبودية لغير الله، في كل جانب من جوانب الحياة، إنَّهم يقعون فرائسَ لأهوائهم وشهواتهم بلا حد ولا ضابط"[2] .

٢ –الطاعة العمياء والاستجابة المطلقة للمتألهين:

ومن أسباب تأليه البشر وبواعثه : الطاعة العمياء والاستجابة المطلقة للمتألهين ؛ وإنما استكبر من استكبر من الفراعنة والجبابرة لأنهم وجدوا من الرّعاع من يسارع إلى إجابة أهوائهم وإطاعة نزواتهم دون بصر أو حذر فعتوا في الأرض وعلوا علواً كبيراً .

وفساد الأديان الأولى جاء من طراوة الأتباع في أيدي رؤسائهم ، وتحولهم مع مبدأ السمع والطاعة إلى أذناب مسيَّرة لا فكر لها ولا رأي .

إن الفراعنة والأباطرة تألهوا ؛ لأنهم وجدوا جماهير تخدمهم بلا وعي .

والأحبار والرهبان والبابوات تألهوا كذلك ؛ لأنهم وجدوا رعايا تمنحهم الثقة المطلقة وتلغي وجودها الأدبي أمام ما يصدرون من أحكام ، والشعوب التافهة في كل زمان ومكان هي التي تصنع المستبدين وتغريهم بالأثرة والجبروت[3]

استخفاف الطغاة للجماهير:

يقول سيد قطب –رحمه الله– في ظلال هذه الآية : " واستخفاف الطغاة للجماهير أمر لا غرابة فيه ؛ فهم يعزلون الجماهير أولاً عن كل سبل المعرفة ، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها ، ولا يعودوا يبحثون عنها ، ويلقون في روعهم ما يشاؤون من المؤثرات حتى تنطبع

---

(١) العبودية (ص: ٨١) المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

(٢) في ظلال القرآن ٣ / ١٩٣٩ ، ١٩٤٠) .

(٣) مجلة البيان (١٥٢/ ١٦)   تصدر عن المنتدى الإسلامي رقم الجزء ، هو رقم العدد . ورقم الصفحة ، هي الصفحة التي يبدأ عندها المقال في العدد المطبوع]

نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة ، ومن ثَمَّ يسهل استخفافهم بعد ذلك ، ويلين قيادهم ، فيذهبون بهم ذات اليمين وذات الشمال مطمئنين ! ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفعلة إلا وهم فاسقون لا يستقيمون

على طريق ، ولا يمسكون بحبل الله ، ولا يَزِنون بميزان الإيمان ، فأما المؤمنون فيصعب خداعهم واستخفافهم واللعب بهم كالريشة في مهب الريح ، ومن هنا يعلل القرآن استجابة الجماهير لفرعون فيقول : ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ ﴾[الزخرف: ٥٤] [١]

٣-غلبة أرباب الاستبداد وهيمنة أهل العلو في الأرض والفساد:

ومن أسباب تأليه البشر : غلبة أرباب الاستبداد وهيمنة أهل العلو في الأرض والفساد ، وإنهاكهم في البغي والعدوان ، واستفحال قمع النفوس وإتلافها .

وقد خلّف ذاك الاستبداد والطغيان ثماراً نكدة في حياة الناس ، فعمّ الجبن والمهانة والذل والاستكانة ، فراج سوق النفاق ، وأُهدرت الحريات ، وشُلت الطاقات ، ونُهبت خيرات البلاد .

إن الحكم الاستبدادي تهديم للدين وتخريب للدنيا ؛ فهو بلاء يصيب الإيمان والعمران جميعاً وهو دخان مشؤوم الظل تختنق الأرواح والأجسام في نطاقه حيث امتد فلا سوق الفضائل والآداب تنشط ، ولا سوق الزراعة والصناعة تروج ! !

إن المستبدين ينبتون في مناصبهم نبتاً شيطانياً لا توضع له بذور ، ولا تحف به رعية ، ولا تشرف عليه موازنة أو مشورة ! وعندما يوضع رأس فارغ على كيان كبير فلا بد أن يفرض عليه تفاهته ، وأثرته ، وفراغه[٢] .

بل تمادى المستبدون في كبت الحريات ، حتى نهوا عن ذكر عمر الفاروق رضي الله عنه .

فقال أحدهم : أنهى عن ذكر عمر ؛ فإنه مرارة للأمراء مفسدة للرعية

وذلك لما اشتهر به عمر الفاروق رضي الله عنه من تمام الإحسان إلى الرعية ، والقيام بحقوقها والرفق بهم ، وإكرامهم والشفقة عليهم[٣] .

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٣١٩٤)
(٢) مجلة البيان (١٥٢/ ١٦)
(٣) البداية والنهاية (٩/ ٨٠)

الفرعونية تتجدد في هذه الأمة بصورها القديمة:

والفرعونية تتجدد اليوم بصورها القديمة بممارسة الظلم والاضطهاد وتكميم الافواه وقتل وسجن المعارضين ،ففرعون قتل وسجن وعذب واستخف بقومه واحتقر موسى عليه السلام ..وهذا شان طواغيت اليوم يعملون مايعمله طاغوتهم الأول "فرعون".

وكل طاغوت يُخضِع العباد لشريعة من عنده، وينبذ شريعة الله، هو من المفسدين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون

التقديس للأمراء والملوك :

يقول الشيخ محمد رشيد رضا[1] –رحمه الله –:"ألا وإن مشيئته في إيتاء الملك ونزعه، وخفض الملك ورفعه، واعتزاز السلطان وإذلاله، ليست مشيئة استبدادية مغيرة لسننه الاجتماعية، وإنما جعل لكل شيء سببًا، ولكل أمر مقادير وسننًا، فما من أمة تفرقت كلمتها، وغلب عليها الجهل بحقوقها، واعتقاد وجوب التقديس لأمرائها وملوكها، وكثر فيها المنافقون، وقل فيها الصادقون، إلا وابتليت بالمستبدين ومنيت بالظالمين، يسومونها سوء العذاب، ويقطعون بها الأسباب، فيأكلون الأموال، ويستذلون الرجال، ويجعلون الحرائر إماءً، ليتمتعوا بالمئات من النساء، ويعبثون بالشريعة والقانون، ويجنون على الأخلاق والآداب، فيذلون أمتهم ويضعفون دولتهم، فإذا استيقظت الأمة من سباتها، واجتمعت بعد شتاتها، وعرفت حقوقها، وغيرت ما بأنفسها من تقديس السلاطين، وأرادت أن تجعل الحكم فيها للشريعة والقوانين ، فإن الله يغير ما بها من الذل والعبودية، فتستبدل بهما العز والحرية، من حيث يذل ظالميها، ويهلك

---

(١)محمَّد رَشِيد رِضا(١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ = ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بَهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس. وتنسك، ونظم الشعر في صباه،وأصبح مرجع الفتيا، في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة. ولما أعلن الدستور العثماني (سنة ١٣٢٦ هـ زار بلاد الشام، واعترضه في دمشق، وهو يخطب على منبر الجامع الأموي، أحد أعداء الإصلاح، فكانت فتنة، عاد على أثرها إلى مصر وأنشأ مدرسة (الدعوة والإرشاد) ثم قصد سورية في أيام الملك فيصل بن الحسين، وانتخب رئيسا للمؤتمر السوري، فيها. وغادرها على أثر دخول الفرنسيين إليها (سنة ١٩٢٠ م) فأقام في وطنه الثاني (مصر) مدة. ثم رحل إلى الهند والحجاز وأوربا. وعاد، فاستقر بمصر إلى أن توفي فجأة في (سيارة) كان راجعا بها من السويس إلى القاهرة. ودفن بالقاهرة. أشهر آثاره مجلة (المنار) أصدر منها ٣٤ مجلدا، و (تفسير القرآن الكريم - ط) الأعلام للزركلي (٦/ ١٢٦)

مذليها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾[الرعد: ١١][(١)]

ومن صور الاستعباد:

استعباد القلوب:

القلب أعظم ما يمتلك المرء؛ إذ إنه ملك الجوارح وسيدها المطاع وهو موجه الأوامر؛ ولذا فإن من أخطر أنواع الاستعباد أن يُستعبد قلب المرء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: « فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن، فإن من استعبد بدنه واسترق لا يبالي إذا كان قلبه مستريحا من ذلك مطمئنا، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص، وأما إذا كان القلب الذي هو الملك رقيقا مستعبدا متيما لغير الله فهذا هو الذل والأسر المحض، والعبودية لما استعبد القلب »[(٢)] .

دخول أهل النفاق في الإسلام:

وبدعة التشيع هي مفتاح باب الشرك والغلو في الصالحين وعبادتهم والتبرك بقبورهم، قال ابن تيمية –رحمه الله–:"ومن هنا أدخل أهل النفاق في الإسلام ما أدخلوه، فإن الذي ابتدع دين الرافضة كان زنديقاً يهودياً، أظهر الإسلام وأبطن الكفر، ليحتال في إفساد دين المسلمين[(٣)].

يقول إحسان إلهي ظهير الباكستاني[(٤)]: وقد أثبتنا في مختصرنا هذا أن الشيعة ليست إلا لعبة يهودية، ناقمة على الإسلام، وحاقدة على المسلمين، وعلى رأسهم أصحاب رسول الله صلى الله

---

(١) مجلة المنار (١٢/ ٢٧٦) المؤلف: مجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ) وغيره من كتاب المجلة(رقم الجزء، هو رقم المجلد. ورقم الصفحة، هي الصفحة التي يبدأ عندها المقال في المجلد المطبوع) [ترقيم الكتاب] موافق للمطبوع.

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ١٨٣) المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

(٣) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة (١/ ١١٧)

(٤) إحسان إلهي ظهير بن ظهور إلهي شيخ(١٣٦٠ - ١٤٠٧ هـ) (١٩٤١ - ١٩٨٧ م) كاتب إسلامي مبرِّز من لاهور. ولد في سيالكوت، المدينة التي ولد فيها الشاعر الإسلامي محمد إقبال، وحفظ القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية الأهلية في مدينة ججرا نواله، وأكمل دراسته في الجامعة السلفية بفيصل آباد، وحصل على الماجستير من كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. ثم حصل على خمسة ماجستيرات أو أكثر من جامعة البنجاب، وكان يتقن الأردية والبنجابية والفارسية والعربية ويلم بالإنجليزية، وشغل منصب الأمين العام لجمعية أهل الحديث في باكستان، ومركزها لاهور، وكان رئيس تحرير مجلة ترجمان الحديث. له مؤلفات عديدة، كلها في الفرق الإسلامية. توفي إثر إلقاء قنبلة عليه وهو يخطب تكملة معجم المؤلفين (ص: ٢٥- ٢٦) المؤلف: محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

عليه وسلم، حملة هذا الدين، والتابعين لهم بإحسان، ومن سلك مسلكهم إلى يوم الدين، ثم وقد بينا فيه عقيدتهم في القرآن، أساس الإسلام، وأصله، ورسالة الله التي جاء بها محمد النبي، الصادق، المصدوق عليه السلام، إلى الناس كافة، ببيان واضح، مستند، مفصل، لم أسبق عليه بفضل الله ومنّه. كما أوضحنا أن الكذب (باسم التقية) هو شعار الشيعة قاطبة، ويعدونه من أطيب الأعمال، وأعظم القربات إلى الله [1].

الارتباط في عجلة الكافرين:

أصبحت بلاد المسلمين الآن مرتعاً لكل كافر وطاغوت من طواغيت البشر ومن شذاذ العالم، وهذه حقيقة ملموسة وواقعية وأصبحت بلاد المسلمين يرفع هؤلاء الكفار رءوسهم بها، ولربما يخفض كثير من المسلمين رءوسهم في بلاد المسلمين؛ بل لربما يخفض العلماء والدعاة والمصلحون رءوسهم في بلاد المسلمين، في وقت نجد أن شذاذ العالم والكفرة والمارقين من كل بلاد العالم يجوبون خلال الديار قد رفعوا رءوسهم في بلاد المسلمين! وهذه هي المصيبة، وهذه هي البلية، وهذه كلها ترجع إلى سوء الظن بالله عز وجل وحسن الظن بالكافرين، فحسن الظن بالكافرين جعلهم يعتمدون على غير الله عز وجل وعلى غير المؤمنين، ويتخذون بطانة من دون المؤمنين، وسوء الظن بالله عز وجل جعلهم لا يعتمدون على شيء من أمر الله سبحانه وتعالى، فتنكب المسلمون كثيراً عن دين الله عز وجل، وربطوا أنفسهم في عجلة الكافرين، وهؤلاء الكافرون بالرغم من أنهم ربما يمدون يد العون للأمة الإسلامية لمصالح مؤقتة، لكنهم يحملون الحقد الدفين على هذه الأمة، وهذا هو الشيء الذي يجب أن نؤمن به، ويجب أن نأخذه من كتاب الله عز وجل مباشرة: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المائدة:٥٢].

---

(١) الشيعة والسنة (ص: ١٤) المؤلف: إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ) الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان الطبعة: الثالثة، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٩ م

عن أبي سعيد الخدري-ﷺ-، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرا شبرا وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب[1] تبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»[2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها؛ شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع. فقيل: يا رسول الله! كفارس والروم؟ فقال: "ومن الناس إلا أولئك؟!»[3]

تخاصم الأتباع بعبادتهم للمتبوعين:

قال العلامة ابن القيم-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾[البقرة:١٦٦]: فهؤلاء المتبوعون كانوا على الهدى، وأتباعهم ادعوا أنهم على طريقهم ومناهجهم، وهم مخالفون لهم سالكين غير طريقهم، ويزعمون أن محبتهم لهم تنفعهم مع مخالفتهم؛ فيتبرءون منهم يوم القيامة؛ فإنهم اتخذوهم أولياء من دون الله.[4]

وهذا حال كل من اتخذ من دون الله وليجة وأولياء؛ يوالي لهم، ويعادي لهم، ويرضى لهم ويغضب لهم، فإن أعماله كلها باطلة، يراها يوم القيامة حسرات عليه مع كثرتها وشدة تعبه فيها ونصبه.[5]

اختلف أهل التأويل في الذين عَنى الله تعالى ذكره بقوله:"إذ تَبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا"، قال الطبري اختلف أهل التأويل في الذين عَنى الله تعالى ذكره بقوله:﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾[البقرة:١٦٦] :-

---

(١) والضبّ حيوان بري معروف يشبه الورل؛ قال ابن خالويه: ... وخصّ جحر الضبّ بذلك لشدّة ضيقه ورداءته، ومع ذلك فإنهم لاقتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لوافقوهم؛ قاله ابن حجر. شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ٤٢٢)

(٢) صحيح البخاري "باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» (٩/ ١٠٣) رقم (٧٣٢٠) وصحيح مسلم "باب اتباع سنن اليهود والنصارى"(٤/ ٢٠٥٤)رقم (٢٦٦٩)و دروس للشيخ عبد الله الجلالي (١٠/ ٩)

(٣) صحيح البخاري (٩/ ١٠٢) رقم (٧٣١٩)

(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٤٢)

(٥) زاد المهاجر (ص: ٥٠) الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر : مكتبة المدني - جدة تحقيق : د. محمد جميل غازي

١- عن قتادة قوله:"إذ تبرأ الذين اتُّبعوا"، وهم الجبابرة والقادةُ والرؤوس في الشرك،"من الذين اتَّبعوا"، وهم الأتباع الضعفاء،"ورأوا العذاب".

٢- وعن الربيع[١]:"إذ تَبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا" قال، تبرأت القادةُ من الأتباع يوم القيامة.

٣- قال، ابن جريج: قلت لعطاء:"إذ تبرَّأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا" قال، تبرأ رؤساؤهم وقادَتهم وساداتهم من الذين اتبعوهم.[٢]

مشهد التبرؤ والتعادي والتخاصم:

قال سيد قطب-رحمه الله- :"لو يرون إذ تبرأ المتبوعون من التابعين . ورأوا العذاب . فتقطعت بينهم الأواصر والعلاقات والأسباب ، وانشغل كل بنفسه تابعاً كان أم متبوعاً . وسقطت الرياسات والقيادات التي كان المخدوعون يتبعونها ، وعجزت عن وقاية أنفسها فضلاً عن وقاية تابعيها . وظهرت حقيقة الألوهية الواحدة والقدرة الواحدة ، وكذب القيادات الضالة وضعفها وعجزها أمام الله وأمام العذاب .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ﴾ [البقرة: ١٦٧] .

وتبدى الحنق والغيظ من التابعين المخدوعين في القيادات الضالة . وتمنوا لو يردون لهم الجميل! لو يعودون إلى الأرض فيتبرأوا من تبعيتهم لتلك القيادات العاجزة الضعيفة في حقيقتها ، التي خدعتهم ثم تبرأت منهم أمام العذاب!

إنه مشهد مؤثر : مشهد التبرؤ والتعادي والتخاصم بين التابعين والمتبوعين . بين المحبين والمحبوبين! وهنا يجيء التعقيب الممض المؤلم :

كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٧] [٣]

---

(١) الربيع" بن أنس البكري ويقال الحنفي البصري ثم الخراساني. روى عن أنس بن مالك وأبي العالية والحسن البصري وصفوان بن محرز وجديه قال العجلي بصري صدوق وقال أبو حاتم صدوق وهو أحب إلي في أبي العالية من أبي خلدة وقال النسائي ليس به بأس قال بن سعد مات في خلافة أبي جعفر المنصور. تهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٨- ٢٣٩)

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢٨٧)

(٣) في ظلال القرآن (١/ ١٢٥)

من كان يعبد شيئا فليتبعه:

حديث أبي هريرة-ﷺ- أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله، قال: « فإنكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت» (١) .

مصير هذه المعبودت ومن عبدها:

يقول ابن كثير:" يقول تعالى مخاطبا لأهل مكة من مشركي قريش، ومن دان بدينهم من عبدة الأصنام والأوثان: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨]

قال ابن عباس: أي وقودها، يعني كقوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦] .

وقال ابن عباس أيضا: ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ بمعنى: شجر جهنم. وفي رواية قال : ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾يعني: حطب جهنم، بالزنجية.

وقال مجاهد، وعكرمة، وقتادة: حطبها. وهي كذلك في قراءة علي وعائشة –رضي الله عنهما.

وقال الضحاك: ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾أي: ما يرمى به فيها.

وكذا قال غيره. والجميع قريب.(٢)

قال ابن عباس رضي الله عنهما : "آية لا يسألني الناس عنها! لا أدري أعرفوها فلم يسألوا عنها ، أو جهلوها فلا يسألون عنها ؛ فقيل : وما هي ؟ قال : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعبد ونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ لما أنزلت شق على كفار قريش ، وقالوا : شتم آلهتنا ، وأتوا ابن الزبعرى وأخبروه ، فقال : لو حضرته لرددت عليه. قالوا : وما كنت تقول ؟ قال : كنت أقول له : هذا المسيح تعبده واليهود تعبد عزيرا أفهما من حصب جهنم ؟ فعجبت قريش من مقالته ، ورأوا أن محمدا قد خصم ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠١] وفيه نزل ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا ﴾ [الزخرف :

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (ص: ـ٦٤)
(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٧٧)

٥٧] يعني ابن الزبعرى ﴿إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف : ٥٧] بكسر الصاد ؛ أي يضجون ؛ وسيأتي.[١]

(ثم قام رسول الله وأقبل عبد الله بن الزِبَعْرَى السهمي[٢] قبل أن يُسلم فحدثه الوليد بن المغيرة بما جرى في ذلك المجلس فقال عبدالله بن الزِبعْرى : أما والله لو وجدتُه لخصمته ، فاسألوا محمداً أكلُّ ما يعبد من دون الله في جهنم مع مَن عبدوهم ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهودُ تعبد عزيرا ، والنصارى تعبد عيسى ابن مريم . فحُكِي ذلك لرسول الله ، فقال رسول الله : إن كلّ من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبَده ، إنهم إنما يعبدون الشيطانَ الذي أمرهم بعبادتهم ، فأنزل الله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء : ١٠١] اه .[٣]

قال ابن عثيمين–رحمه الله– :"ولهذا لما نزلت:﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ [الأنبياء: ٩٨] ، وكان ظاهر الآية يشمل الأنبياء الذين عُبدوا من دون الله، استثناهم الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ الآية[٤].

قال الشعراوي–رحمه الله–:" حصب جهنم إذن هم المشركون ومعهم الأصنام التي كانوا يعبدونها وستكون وقوداً للنار التي يعذبون بها . وبعض من الناس السطحيين يظن أن هذا عذاب للأحجار ، لا ، بل هي غيرة ونقمة وغضب من الأحجار على خروج المشركين عن منهج الله في توحيد الله . فتقول الأحجار : لقد كنتم مفتونين بي ولذلك سأكون أنا أداة إحراقكم . إننا نجد المفتونين في الآلهة من البشر أو الآلهة من الأشجار أو الآلهة من الكواكب أو الآلهة يصيبهم الله بالعذاب ، والأحجار التي عبدوها تقول كما قال بعضهم فيها شعراً :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٤٣)

(٢) عَبْد اللَّهِ بْن الزبعري بْن قيس ابن عدي بْن سعد بْن سهم بْن عمرو بْن هصيص القرشي السهمي الشاعر، أمه عاتكة بنت عَبْد اللَّهِ بْن عمير بْن أهيب بْن حذافة بْن جمح. وكان من أشد الناس عَلَى رَسُول اللَّهِ -ﷺ- في الجاهلية، وعلى أصحابه بلسانه ونفسه، وكان يناضل عن قريش ويهاجي المسلمين، وكان من أشعر قريش، قال الزبير: كذلك تقول رواة قريش: إنه كان أشعرهم في الجاهلية، وأما ما سقط إلينا من شعره وشعر ضرار بْن الخطاب، فضرار عندي أشعر منه وأقل سقطًا. ثم أسلم عَبْد اللَّهِ بعد الفتح وحسن إسلامه، أسد الغابة ط العلمية (٣/ ٢٣٩)

(٣) التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية (١٧/ ١٥٤)

(٤) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٢٢٢) محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) المملكة العربية السعودية: الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

عبدونا ونحن أعبد لله *** من القائمين في الأسحار

واتخذوا صمتنا علينا دليلا *** وغدونا لهم وقود النار

للمغالي جزاؤه والمغالي *** فيه تنجيه رحمة الغفار [(١)]

الحكمة في دخول الأصنام النار:

فإن قيل ما الحكمة في إدخال الأصنام في النار؟

قيل زيادة عقوبة للكفار لأن الأصنام أحجار فيكون الحر فيها أشد

ويقال الفائدة في إدخال المعبود النار زيادة ذل وصغار عليهم حيث رأوا معبودهم في النار معهم من غير أن يكون للأصنام عقوبة لأنه لا يجوز التعذيب بذنب غيرهم[(٢)]

قال الشوكاني –"رحمه الله–ووجه إلقاء الأصنام في النار مع كونها جمادات لا تعقل ذلك ولا تحس به : التبكيت لمن عبدها وزيادة التوبيخ لهم وتضاعف الحسرة عليهم وقيل إنها تحمى فتلصق بهم زيادة في تعذيبهم"[(٣)]

وقال السعدي –رحمه الله– "والحكمة في دخول الأصنام النار، وهي جماد، لا تعقل، وليس عليها ذنب، بيان كذب من اتخذها آلهة، وليزداد عذابهم، فلهذا قال:

﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا﴾وهذا كقوله تعالى: ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ وكل من العابدين والمعبودين فيها، خالدون، لا يخرجون منها، ولا ينتقلون عنها.[(٤)]

والخلاصة في الحكمة أنهم قرنوا بآلهتهم أمور:

أحدها: أنهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة لأنهم ما وقعوا في ذلك العذاب إلا بسببهم هوالنظر إلى وجه العدو باب من العذاب.

وثانيها: أن القوم قدروا أنهم يشفعون لهم في الآخرة في دفع العذاب فإذا وجدوا الأمر على عكس ما قدروا لم يكن شيء أبغض إليهم منهم.

وثالثها: أن إلقاءها في النار يجري مجرى الاستهزاء بعبادها.

---

(١) تفسير الشعراوي (٦/ ٣٨٥٧)

(٢) بحر العلوم (٢/ ٤٤٢)

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٣/ ٥٠٦) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) دمشق، بيروت الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – ط١ - ١٤١٤ هـ

(٤) تفسير السعدي (ص: ٥٣١)

ورابعها: قيل ما كان منها حجراً أو حديداً يحمى ويلزق بعبادها وما كان خشباً يجعل جمرة يعذب بها صاحبها[1]

(١) مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٩٤)

الفصل الثاني

عبدة المصالح والمنافع

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : عبدة الشهوات والملذات.

المبحث الثاني : عبدة الأموال.

المبحث الثالث : عبدة الاهواء.

الفصل الثاني

عبدة المصالح والمنافع

تمهيد

جميع الأمم المكذبة لأنبيائهم إنما حملهم على كفرهم وهلاكهم حب الدنيا، فإن الرسل لما نهوهم عن الشرك والمعاصي التي كانوا يكسبون بها الدنيا حملهم حبها على مخالفتهم وتكذيبهم؛ فكل خطيئة في العالم أصلها حب الدنيا... فحب الدنيا والرياسة هو الذي عمر النار بأهلها، والزهد في الدنيا والرياسة هو الذي عمر الجنة بأهلها، والسكر بحب الدنيا أعظم من السكر بشرب الخمر بكثير، وصاحب هذا السكر لا يفيق منه إلا في ظلمة اللحد... والدنيا تسحر العقول أعظم سحر كما يقول ابن القيم –رحمه الله – ".[1]

قال سيد قطب–رحمه الله– "وفي كل زمان ومكان تستهوي زينة الأرض بعض القلوب ، وتبهر الذين يريدون الحياة الدنيا ، ولا يتطلعون إلى ما هو أعلى وأكرم منها؛ فلا يسألون بأي ثمن اشترى صاحب الزينة زينته؟ ولا بأي الوسائل نال ما نال من عرض الحياة؟ من مال أو منصب أو جاه . ومن ثم تتهافت نفوسهم وتتهاوى ، كما يتهافت الذباب على الحلوى ويتهاوى! ويسيل لعابهم على ما في أيدي المحظوظين من متاع ، غير ناظرين إلى الثمن الباهظ الذي أدوه ، ولا إلى الطريق الدنس الذي خاضوه ، ولا إلى الوسيلة الخسيسة التي اتخذوها .

فأما المتصلون بالله فلهم ميزان آخر يقيم الحياة ، وفي نفوسهم قيم أخرى غير قيم المال والزينة والمتاع . وهم أعلى نفساً ، وأكبر قلباً من أن يتهاووا ويتصاغروا أمام قيم الأرض جميعاً ".[2]

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله - ابن قيم الجوزية] (ص: ١٨٥) : الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت تحقيق : زكريا علي يوسف

(٢) في ظلال القرآن (٥/ ٤٤٥)

المبحث الأول

عبدة الشهوات

قال الراغب– رحمه الله – : أصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده وذلك في الدنيا ضربان : صادقة وكاذبة ، –فالصادقة ما يختل البدن من دونه كشهوة الطعام عند الجوع ؛ والكاذبة ما لا يختل من دونه وقد يسمى المشتهى شهوة ، وقد يقال للقوة التي تشتهي الشيء شهوة ؛ وقوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ يحتمل!الشهوتين ؛ وقوله عز وجل : ﴿ واتبعوا الشهوات ﴾ ، فهذا من الشهوات الكاذبة ومن !المشتهيات المستغنى عنها ، انتهى .

والشهوة الخفية : كل شيء من المعاصي يضمره صاحبه ويصر عليه وإن لم يعمل ، وقيل : حب اطِّلاعِ الناسِ على العَمَل[1]

يقول الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران:١٤]

قال الألوسي[2]–رحمه الله –:﴿ زُيّنَ لِلنَّاسِ﴾ كلام مستأنف سيق للتنفيرعن الحظوظ النفسانية التي كثيراً ما يقع القتال بسببها إثر بيان حال الكفرة والتنصيص على عدم نفع أموالهم وأولادهم لهم وقد كانوا يتعززون بذلك ، والمراد من الناس الجنس﴿ حُبُّ الشهوات﴾ أي المشهيات وجعلها نفس الشهوات إشارة إلى ما ركز في الطباع من محبتها والحرص عليها حتى كأنهم يشتهون اشتهاءها كما قيل لمريض : ما تشتهي؟ فقال : أشتهي أن أشتهي ، أو تنبيهاً على خستها لأن الشهوات خسيسة عند الحكماء والعقلاء ففي ذلك تنفير عنها وترغيب فيما عند الله تعالى[3] .

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس (٣٨/ ٤٠٢).
(٢) الآلوسي الكبير(١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ = ١٨٠٢ - ١٨٥٤ م) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ وعزل، فانقطع للعلم. ثم سافر (سنة ١٢٦٢ هـ إلى الموصل، فالآستانة، ومر بماردين وسيواس، فغاب ٢١ شهرا وأكرمه السلطان عبد المجيد. وعاد إلى بغداد يدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، فاستمر الى أن توفي. من كتبه (روح المعاني - ط) في التفسير، تسع مجلدات كبيرة، الأعلام للزركلي (٧/ ١٧٦).
(٣) تفسير الألوسي (٢/ ٤٤٤) .

قال السعدي- رحمه الله -:" يخبر تعالى أنه زين للناس حب الشهوات الدنيوية، وخص هذه الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات الدنيا وغيرها تبع لها، قال تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾[الكهف: ٧] فلما زينت لهم هذه المذكورات بما فيها من الدواعي المثيرات، تعلقت بها نفوسهم ومالت إليها قلوبهم، وانقسموا بحسب الواقع إلى قسمين: قسم: جعلوها هي المقصود، فصارت أفكارهم وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهم عما خلقوا لأجله، وصحبوها صحبة البهائم السائمة، يتمتعون بلذاتها ويتناولون شهواتها، ولا يبالون على أي: وجه حصلوها، ولا فيما أنفقوها وصرفوها، فهؤلاء كانت زادا لهم إلى دار الشقاء والعناء والعذاب، والقسم الثاني: عرفوا المقصود منها وأن الله جعلها ابتلاء وامتحانا لعباده، ليعلم من يقدم طاعته ومرضاته على لذاته وشهواته، فجعلوها وسيلة لهم وطريقا يتزودون منها لآخرتهم ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته، قد صحبوها بأبدانهم وفارقوها بقلوبهم، وعلموا أنها كما قال الله فيها ﴿ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾فجعلوها معبرا إلى الدار الآخرة ومتجرا يرجون بها الفوائد الفاخرة، فهؤلاء صارت لهم زادا إلى ربهم"(١)

أسرى الشهوات والمطامع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله -:"إن المتبعين لشهواتهم من الصور والطعام والشراب واللباس يستولي على قلب أحدهم ما يشتهيه حتى يقهره ويملكه، ويبقى أسير ما يهواه يصرفه كيف تصرّف ذلك المطلوب..(٢)"

وقال حسن البناء-رحمه الله-:" فبربك عزيزي : هل فهم المسلمون من كتاب ربهم هذا المعنى فسمت نفوسهم و رقت أرواحهم ، و تحرروا من رق المادة و تطهروا من لذة الشهوات و الأهواء ، و ترفعوا عن سفاسف الأمور و دنايا المقاصد ، و وجهوا وجوههم للذي فطر السموات و الأرض حنفاء يعلون كلمة الله و يجاهدون في سبيله ، و ينشرون دينه و يذودون عن حياض شريعته ، أم هؤلاء أسرى الشهوات و عبيد الأهواء والمطامع ، كل همهم لقمة لينة و مركب فاره و حلة جميلة و نومة مريحة و امرأة وضيئة و مظهر كاذب و لقب أجوف

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٢٣).
(٢) الزهد والورع والعبادة (ص: ٣٣) .

رضوا بالأماني و ابتلوا بحظوظهم *** و خاضوا بحار الجد دعوى فما ابتلوا

و صدق رسول الله -ﷺ-: «تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة»[1]

قال الشافعي رحمه الله: من لزم الشهوات لزمته عبودية أبناء الدنيا.[2]

لا بد أن يكون عبداً لأحدهم، لجمالٍ أو مالٍ، أو شهوة أو رئاسة ونحو ذلك، وإذا كان الإفراط في الشهوات مذموماً شرعاً: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٩] فكذلك اتباع الشهوات مذمومٌ عقلاً.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ – رضي الله عنه-: اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها فإنها طلاعة تنزع إلى شر غاية. إن هذا الحق ثقيل مري، وإن الباطل خفيف وبي، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة، وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا.

إذا المرء أعطى نفسه كلما اشتهت *** ولم ينهها تاقت إلى كل باطل

وساقت إليه الإثم والعار بالذي *** دعته إليه من حلاوة عاجل[3]

ويقول ابن تيمية-رحمه الله- : "فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وإرادته فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته بل استكبر عن ذلك فلا بد أن له مراد محبوب يستعبده غير الله فيكون عبدا لذلك المراد المحبوب إما المال وإما الجاه وإما الصور وإما ما يتخذه إلها من دون الله كالشمس والقمر والكواكب والأوثان واتباع الشهوات والانكباب عليها يؤول إلى استيلائها على القلب ، فيصير القلب عبداً وأسيراً لتلك الشهوات[4]

وقال ابن القيم -رحمه الله-: «وليعلم اللبيب أن مدمني الشهوات يصيرون إلى حالة لا يلتذون بها، وهم مع ذلك لا يستطيعون تركها؛ لأنها قد صارت عندهم بمنزلة العيش الذي لا بدّ لهم منه .»[5].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد ، باب الحراسة فى الغزوفى سبيل الله برقم (٢٨٨٦) وأخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة ، باب فضل الضعفاء والخاملين برقم (٢٦٢٢) وانظر رسائل الإمام حسن البنا (١/ ٢٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢) مؤسسة الرسالة رسمية أو افرادا الطبعة التاسعة ١٤١٣ - هـ ١٩٩٣ م بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة

(٣) أدب الدنيا والدين (ص: ٢٩ ، ٣٢) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: ١٩٨٦م

(٤) العبودية (ص: ١٠٠)

(٥) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤٧٠) المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م

خلاصة عَبِيدِ الشَّهَوَاتِ:

هناك غرائب من خذلان الأمم في التعاون على الظلم والفساد، مما هو مشاهد في كثير من البلاد، وسره وأغربه مساعدة عبيد الشهوات للأجانب على استعباد أمتهم والسيطرة على بلادها لينالوا في ظل سيادتهم عليها ما لا يطمعون بمثله في حال حريتها واستقلالها، ثم هم يدعون أنهم يخدمونها بذلك ؛ لأن سلطة الأجنبي لا مندوحة عنها بزعمهم، ومشاركتهم إياه ومساعدتهم له تخفف عن الأمة ثقل وطأته، وتحفظ لها بعض الحقوق والمنافع، وتمهد لهم السبيل إلى الترقي الذي يرجى أن

تسير فيه إِلَى الْحُرِّيَّةِ وَالِاسْتِقْلَالِ. وَهَذِهِ الدَّعَاوَى مِنَ الْخِدَعِ الَّتِي تَعَلَّمُوهَا مِنْ سَاسَةِ الْأَجَانِبِ قَدْ يَخْدَعُونَ بِهَا أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ [1].

إن عدوّكم يعتمد على متانة الأخلاق قبل اعتماده على الحديد والنار، فأعدّوا له أخلاقًا أمتن تفلوا حديده وتطفئوا ناره.

إن عبيد الشهوات لا يتحررون أبدًا، فلا تصدّقوا أن من تغلبه شهواته يستطيع أن يغلب عدوًا في موقف.

ابدأوا بتحرير أنفسكم من نفوسكم وشهواتها ورذائلها، فإذا انتصرتم في هذا الميدان فأنتم منتصرون في كل ميدان [2].

وحين تستذل النفس البشرية لطاغية من طغاة الأرض، أو لشهوة من شهوات الجسد؛ فإنها تعجز عن التحليق في جو الحرية الطليق، وتلصق بتراب الأرض، وترتكس في وحل المستنقع: مستنقع الشهوة، أو مستنقع العبودية سواء[3]

---

(١) تفسير المنار (٨/ ٩١) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م.

(٢) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٤/ ٣٠٨) المؤلف: محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي. الناشر: دار الغرب الإسلامي. الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م.

(٣) مجلة الرسالة (٩٩٩/ ١).

المبحث الثاني

عبدة الأموال

وقد جاء في " صحيح البخاري " أن من كان قصده الدنيا يجري وراءها بكل همه أنه يصير عبدا لها : فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :« تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة إن أعطي؛ رضي، وإن لم يعط؛ سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش »[١]

«تعس»سقط على وجهه أو شقي وهلك.«عبد الدينار»مجاز عن الحرص عليه وتحمل الذلة من أجله فمن بالغ في طلب شيء وانصرف عمله كله إليه صار كالعابد له. «القطيفة» دثار مخمل والدثار ما يلبس فوق الشعار والشعار ما لامس الجسد من الثياب. «الخميصة» كساء أسود مربع له خطوط. «أعطي» من المال. «رضي» عن الله تعالى وعمل العمل الصالح. «انتكس» انقلب على رأسه وهو دعاء عليه بالخيبة والخسران. «شيك» أصابته شوكة. «فلا انتقش» فلا قدر على إخراجها بالمنقاش ولا خرجت والمراد إذا أصيب بأقل أذى فلا وجد معينا على الخلاص منه[٢]

ومعنى " تعس " لغة : سمط، والمراد هنا هلك، وسماه عبدا لهذه الأشياء لكونها هي المقصودة بعمله؛ فكل من توجه بقصده لغير الله؛ فقد جعله شريكا له في عبوديته؛ كما هو حال الأكثر، وقد دعا الرسول -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث على من جعل الدنيا قصده وهمه بالتعاسة والانتكاسة وإصابته بالعجز عن انتقاش الشوك من جسده، ولابد أن يجد أثر هذه الدعوات كل من اتصف بهذه الصفات الذميمة فيقع فيما يضره في دنياه وآخرته[٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : " فسماه النبي -صلى الله عليه وسلم- عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة، وذكر فيها ما هو دعاء بلفظ الخبر، وهو قوله : " تعس وانتكس، وإذا شيك؛ فلا انتقش " ، وهذا حال من إذا أصابه شر؛ لم يخرج منه ولم يفلح؛ لكونه تعس وانتكس؛ فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه، وهذه حال من عبد المال، وقد

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد ، باب الحراسة فى الغزوفى سبيل الله(٤/ ٣٥) برقم (٢٨٨٦)
(٢) صحيح البخاري (٤/ ٣٥) .
(٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص: ١١٥)

وصف ذلك بأنه إن أعطي رضي وإن منع سخط؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [التوبة: ٥٨] ؛ رضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقا منها برئاسة أو صورة ونحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رضي وإن لم يحصل له سخط؛ فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له؛ إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته؛ فما استرق القلب واستعبده فهو عبده[١]

قال ابن حجر –رحمه الله–:" قوله عبد الدينار أي طالبه الحريص على جمعه القائم على حفظه فكأنه لذلك خادمه وعبده.

قال الطيبي[٢]–رحمه الله–:"قيل خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها كالاسير الذي لايجد خلاصا ولم يقل مالك الدينار ولا جامع الدينار لان المذموم من الملك والجمع الزيادة على قدر الحاجة وقوله ان أعطي الخ يؤذن بشدة الحرص على ذلك وقال غيره جعله عبدا لهما لشغفه وحرصه فمن كان عبدا لهواه لم يصدق في حقه إياك نعبد فلا يكون من اتصف بذلك صديقا قوله والقطيفة هي الثوب الذي له خمل والخميصة الكساء المربع تطريز[٣]"

ولقد قال– ﷺ–: «لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب» [٤]

المال فتنة هذه الأمة :

وأما فتنة المال فيقول عليه الصلاة والسلام: « إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال»[٥]

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٨٠).

(٢) الطِّيبي(٩١٠ - ٩٧٩ هـ = ١٥٠٥ - ١٥٧٢ م) أحمد بن أحمد بن بدر الدين، شهاب الدين الطيبي الصالحي الدمشقي: فقيه شافعيّ متصوف. كان إماما بجامع بني أمية. له (زاد الأبرار وسلاح الأخيار - خ) أدعية ٢٨ صفحة في مكتبة عارف حكمت. وله نظم وليس بشاعر الأعلام للزركلي (١/ ٩١).

(٣) فتح الباري - ابن حجر (١١/ ٢٥٤).

(٤) متفق عليه؛ رواه البخاري:في باب ما يتقى من فتنة المال (٨/ ٩٢) برقم (٦٤٣٦) و مسلم : باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا (٢/ ٧٢٥) رقم (١٠٤٨) .

(٥) مسند أحمد ط الرسالة (٢٩/ ١٥)رقم (١٧٤٧١) ، والترمذى ت شاكر (٥٦٩/٤ ، رقم ٢٣٣٦) ، وقال حسن صحيح غريب . والحاكم (٣٥٤/٤ ، رقم ٧٨٩٦) ، وقال: صحيح الإسناد . المعجم الكبير للطبراني (١٧٩/١٩ ، رقم ٤٠٤) عن كعب بن عياض.

ومعنى الفتنة في كلام العرب: "الاختبار والابتلاء والفتنة: الإمالة عن القصد ومنه قوله تعالى ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ [الإسراء: ٧٣] : أي ليميلونك والفتنة أيضا الاحتراق ومنه قوله تعالى ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾[الذاريات: ١٣] أي يحرقون .

﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[التغابن: ١٥]

وقول الله بالجر عطف على قوله من فتنة المال وقد أخبر الله تعالى عن الأموال والأولاد أنها فتنة لأنها تشغل الناس عن الطاعة قال الله تعالى ألهاكم التكاثر أي شغلكم التكاثر وخرج لفظ الخطاب بذلك على العموم لأن الله تعالى فطر العباد على حب المال والأولاد[(١)]

– عن أَبي موسى الأَشعري، قال: قال رسول الله – ﷺ–:"أَلا إنَّ الدينار والدرهم أَهلكا من كانَ قبلَكم، وهما مُهلكاكم"[(٢)]

– وعن أبي هريرة أن رسول الله -ﷺ- قال بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا[(٣)]

معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الاعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر ووصف صلى الله عليه و سلم نوعا من شدائد تلك الفتن وهو أنه يمسى مؤمنا ثم يصبح كافرا أو عكسه شك الراوى وهذا لعظم الفتن ينقلب الانسان فى اليوم الواحد هذا الانقلاب والله أعلم "[(٤)].

قال ابن عثيمين–رحمه الله– ": ولا تظن أن العرض من الدنيا هو المال كل متاع الدنيا عرض سواء مال أو جاه أو رئاسة أو نساء أو غير ذلك كل ما في الدنيا من متاع فإنه عرض كما قال تعالى ﴿ تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾ [النساء: ٩٤] فما

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣٣/ ١٩٥)
(٢) صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (٢/ ٤٦٧) ٢٠٨٩ المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ) لناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م
(٣) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (٣/ ٢٣٦)
(٤) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٣٣)

في الدنيا كله عرض فهؤلاء الذين يصبحون مؤمنين ويمسون كفارا أو يسمون ويصبحون كفارا كلهم يبيعون دينهم بعرض من الدنيا نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من الفتن[(١)].

– عن النعمان بن بشير[(٢)]، رضي الله عنهما ، قال :" صحبنا رسول الله –ﷺ–وسمعناه ، يقول : إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمنا ثم يمسي كافرا ، ثم يمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع أقوام خلاقهم بعرض من الدنيا يسير قال الحسن : ولقد رأيناهم صورا ، ولا عقل ، أجسام ، ولا أحلام ، فراش نار وذئاب طمع ، يغدون بدرهمين ويروحون بدرهمين ، يبيع أحدهم دينه بثمن العنز "[(٣)] .

قال " الإمام علي بن أبي طالب–رضي الله عنه–":

النفس تجزع أن تكون فقيرة *** والفقر خير من غنى يطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت *** فجميع ما في الأرض لا يكفيها[(٤)]

---

(١) شرح رياض الصالحين ـ باب المبادرة إلى الخيرات (٢/ ٢٠) المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)

(٢) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد الأنصاري الخزرجيّ. تقدم تمام نسبه في ترجمة والده في حرف الباء الموحدة، يكنى أبا عبد اللَّه، وهو مشهور. له ولأبيه صحبة.
قال الواقديّ: كان أوّل مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهرا، وعن ابن الزبير: كان النعمان بن بشير أكبر مني بستة أشهر. وروى عن النّبي صلى اللَّه عليه وسلّم، وعن خالد بن عبد اللَّه بن رواحة، وعمر وعائشة. روى عنه ابنه، وغبرهم، وقال أبو مسهر، عن شعبة بن عبد العزيز: كان قاضي دمشق بعد فضالة بن عبيد، وقال سماك بن حرب: استعمله معاوية على الكوفة، وكان من أخطب من سمعت. وقال الهيثم: نقله معاوية من إمرة الكوفة إلى إمرة حمص، وضمّ الكوفة إلى عبيد اللَّه بن زياد، وكان بالشّام لما مات يزيد بن معاوية. ولما استخلف معاوية بن يزيد، ومات عن قرب دعا النعمان إلى ابن الزّبير ثم دعا إلى نفسه، فواقعه مروان بن الحكم بعد أن واقع الضّحاك بن قيس، فقتل النّعمان بن بشير، وذلك في سنة خمس وستين. الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٣٤٦- ٣٤٧).

(٣) مسند أحمد (٣٠/ ٣٥٤) المؤلف : أحمد بن حنبل المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م وقال شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه.

(٤) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة) مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار المؤلف: شحاتة محمد صقر الناشر: جـ١ / دَارُ الفُرْقَان للتُرَاث – البحيرة.

المبحث الثالث

عبدة الاهواء

قال اللغويون:" الهوى محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه"، قال الله تعالى ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠﴾[النازعات: ٤٠] معناه ونهى النفس عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله عز وجل[١]

وقال الجرجاني[٢]–رحمه الله– "الهوى ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع"[٣]

قال الشاطبي[٤] –رحمه الله–: "المقصد الأصلي من وضع الشريعة في هذه الأحكام، إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبدٌ لله اضطراراً وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أُمُورٌ:

أحدها: النص الصريح الدال على أن العباد خلقوا للتعبد لله، والدخول تحت أمره ونهيه، كقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾[الذاريات: ٥٦–٥٧]

والثاني: ما دل على ذم مخالفة هذا القصد من النهي أولا عن مخالفة أمر الله، وذم من أعرض عن الله، وإيعادهم بالعذاب العادل من العقوبات الخاصة بكل صنف من أصناف المخالفات، والعذاب الآجل في الدار الآخرة، وأصل ذلك اتباع الهوى والانقياد إلى طاعة الأغراض العاجلة، والشهوات الزائلة، فقد جعل الله اتباع الهوى مضادا للحق، وعده قسيما له، كما في

---

(١) الزاهر فى معانى كلمات الناس (٢/ ٣٢٥) المؤلف / أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري تحقيق : د. حاتم صالح الضامن
بيروت :مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى- ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.

(٢) الْجُرْجَاني(٧٤٠ - ٨١٦ هـ = ١٣٤٠ - ١٤١٣ م) علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية. ولد في تاكو (قرب استراباد) ودرس في شيراز. ولما دخلها تيمور سنة ٧٨٩هـ فرَّ الجرجاني إلى سمرقند. ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي. له نحو خمسين مصنفا، منها " التعريفات - ط " الأعلام للزركلي (٥/ ٧).

(٣) التعريفات (ص: ٣٢٠) المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ط١ ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

(٤) الشَّاطِبي(٥٣٨ - ٥٩٠ هـ = ١١٤٤ - ١١٩٤ م) القاسم بن فِيرُّه بن خلف بن أحمد الرعينيّ، أبو محمد الشاطبي: إمام القراء. كان ضريرا ، ولد بشاطبة (في الأندلس) وتوفي بمصر. وهو صاحب " حرز الأماني - ط " قصيدة في القراآت تعرف بالشاطبية. وكان عالما بالحديث والتفسير واللغة، قال ابن خلكان: كان إذا قرئ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ، تصحح النسخ من حفظه. والرعينيّ نسبة إلى ذي رعين أحد أقيال اليمن الأعلام للزركلي (٥/ ١٨٠).

قوله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [ص: ٢٦] [1].

شر إله عبد في الأرض الهوى:

قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –: الهوى إله يعبد من دون الله. ثم تلا: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية: ٢٣] [2]

واتخاذ الهوى إلها، إنما هو بالانقياد لهوى النفس، والامتثال لما تأمر به..

وفى الأثر: «الهوى إله معبود» [3].

واتباع الهوى نوع من أنواع الشرك الذي ندد الله بأهله كما قال بعض السلف: شر إله عبد في الأرض الهوى [4].

وقال أبو أمامة[5] رضي الله عنه: سمعت النبي –ﷺ– يقول: « ما عبد تحت السماء إله أبغض إلى الله من الهوى»[6]

التوحيد والهوى متضادان:

التوحيد والهوى متضادان، كما قال ابن القيم : فإن الهوى صنم ولكل عبد صنم في قلبه حتى في هواه، وإنما بعث رسول الله –ﷺ– لكسر الأصنام وعبادة الله، وليس مراد الله سبحانه وتعالى كسر الأصنام المجسدة وترك الأصنام التي في القلب، بل المراد كسرها من القلب أولاً –لاحظ العبارة– الرسول عليه الصلاة والسلام بعث لكسر الأصنام، هناك أصنام في القلب، وأصنام في الواقع، فمن القصور الشديد تكسير الأصنام التي في الواقع وفي الخارج وترك

---

(١) الموافقات (٢/ ٢٨٩-٢٩٠) المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

(٢) أدب الدنيا والدين (ص: ٢٩)

(٣) التفسير القرآني للقرآن (١٣/ ٢٤٦) عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

(٤) مجلة البيان (١٤٩/ ٣٨) تصدر عن المنتدى الإسلامي(رقم الجزء، هو رقم العدد. ورقم الصفحة، هي الصفحة التي يبدأ عندها المقال في العدد المطبوع) تنبيه: الأعداد بعد الـ ٢٠٠ ترقيمها غير موافق للمطبوع.

(٥) أبو أمامة الباهلي، صدي بن عجلان بن وهب غلبت عليه كنيته، ولا أعلم في اسمه اختلافا. كان يسكن حمص. قَالَ سفيان بن عيينة: كان أبو أمامة الباهلي آخر من بقى بالشام من أصحاب رَسُول اللَّهِ -ﷺ-. قال أبو عمر: قد بقى بالشام بعده عبد الله بن بسر ، هو آخر من مات بالشام من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كان أبو أمامة الباهلي ممن روى عن النبي -ﷺ-فأكثر توفي سنة إحدى وثمانين، وهو ابن إحدى وتسعين سنة. ويقَالَ: مات سنة ست وثمانين.الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٣٦).

(٦) التفسير المنير للزحيلي (٢٥/ ٢٧٨) المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر : دار الفكر المعاصر - دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

الأصنام التي في الداخل، وكل واحد عنده هواه صنماً في قلبه يعبده ويتبعه، يتبع هواه، ولذلك قالوا: صنم كل إنسان هواه[(١)] .

اتباع الهوى يضل الإنسان عن سبيل الله:

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[المائدة: ٧٧]

ولذلك كان التجرد عن الهوى من الأسباب التي تجعل الحكم صائباً أو قريباً من الصواب،وقد أوصى الله نبينا داود بالحذر الشديد من اتباع الهوى في الحكم علي الناس، ويبين أن اتباع الهوى يضل الإنسان عن سبيل الله، ولو كان من كان. فقال تعالى: ؟﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [ص: ٢٦] .

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٦] بئس مثل القوم والعياذ بالله.

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ [الكهف:٢٨].

عن سعد[(٢)]، قال: نزلت هذه الآية فينا ستة: في وفي ابن مسعود وصهيب[(٣)]

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤٨١، ٤٨٢) .

(٢) سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص: مالك بن أهيب عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي الأمير أبو إسحاق القرشي الزهري المكي أحد العشرة وأحد السابقين الأولين وأحد من شهد بدرا والحديبية وأحد الستة أهل الشورى. عن ابن عمر قال كنا جلوسا عند النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "يدخل عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة" فطلع سعد بن أبي وقاص عن الزهري: أن سعد بن أبي وقاص لما احتضر، دعا بخلق جبة صوف فقال: كفنوني فيها فإني لقيت المشركين فيها يوم بدر وإنما خبأتها لهذا اليوم. وعن أم سلمة أنها قالت: لما مات سعد، وجيء بسريره فأدخل عليها جعلت تبكي وتقول: بقية أصحاب رسول الله -ﷺ- وعن الزهري، عن عامر بن سعد قال: كان سعد آخر المهاجرين وفاة. سيرأعلام النبلاء ط الحديث (٣/ ٦٦- ٨٣).

(٣) صهيب بن سنان : بن مالك. ويقال خالد بن عبد عمرو بن عقيل. ويقال: طفيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس بن زيد مناة بن النمر بن قاسط النمريّ، أبو يحيى. وأمه من بني مالك بن عمرو بن تميم، وهو الرّوميّ. قيل له ذلك لأن الرّوم سبوه صغيرا. عن صهيب، قال: صحبت رسول اللَّه -ﷺ-قبل أن يبعث، ويقال: إنه لما هاجر تبعه نفر من المشركين، فسئل، فقال: يا معشر قريش، إني من أرماكم ولا تصلون إليّ حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي، فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه، فرضوا فعاهدهم ودلّهم فرجعوا فأخذوا ماله، فلما جاء إلي النّبي صلّى اللَّه عليه وسلم قال له: «ربح البيع» ، فأنزل اللَّه عزّ وجل: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ [البقرة: ٢٠٧] ولما مات عمر أوصى أن يصلّي عليه صهيب، وأن يصلي بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام. رواه البخاري في تاريخه، ومات صهيب سنة ثمان وثلاثين: وقيل سنة تسع.. الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٣٦٤- ٣٦٦)

وعمار[1]والمقداد[2] وبلال[3]. قال: قالت قريش لرسول الله – ﷺ–: إنا لا نرضى أن نكون أتباعا لهم، فاطردهم عنك، قال: فدخل قلب رسول الله – ﷺ– من ذلك ما شاء الله أن يدخل، و "هم أن يخرجهم من المجلس" فأنزل الله قوله: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾[الكهف:٢٨] [4].

وقال علي رضي الله عنه: الهوى عمى.

وقال عبد الله بن عون البصري[5]:"إذا غلب الهوى على القلب، استحسن الرجل ما كان يستقبحه".

وصاحب الهوى تسهل استمالته من قبل أعداء الأمة، والمتربصين بها الدوائر، فسرعان ما يرتد خنجراً في خاصرة الأمة، وسوطاً يلهبُ ظهرَها، وعيناً يكشف سرها، ويبدي سوأتها، ويهتك سترها، داعيةً لتثبيط العزائم، إماماً لكل متهتك وخائن[6].

---

(١) عمار بن ياسر : عمار بْن ياسر بْن عَامِر بْن مَالِك بْن كنانة بْن قيس بْن الحصين بْن الوذيم بْن ثعلبة بْن عوف بْن حارثة بْن عَامِر الأكبر بْن يام بْن عنس بْن مالك بْن أدد بْن زَيْد بْن يشجب المذحجي ثُمَّ العنسي، أَبُو اليقظان وهو من السابقين الأولين إِلَى الْإِسْلَام، وهو حليف بني مخزوم، وأمه سمية، وهي أول من استشهد فِي سبيل اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وهو، وأبوه، وأمه من السابقين، وكان إسلام عمار بعد بضعة وثلاثين، وهو ممن عذب فِي اللَّه. أسد الغابة (٤/ ١٢٢).

(٢) المقداد بن عمرو : صاحب رسول الله -ﷺ- وأحد السابقين الأولين. وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة القضاعي الكندي البهراني. ويقال له: المقداد بن الأسود؛ لأنه ربي في حجر الأسود بن عبد يغوث الزهري فتبناه سير شهد بدرا والمشاهد، وثبت أنه كان يوم بدر فارسا عن المقداد بن الأسود قال استعملني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على عمل فلما رجعت قال: "كيف وجدت الإمارة"؟ قلت: يا رسول الله! ما ظننت إلا أن الناس كلهم خول لي والله لا ألي على عمل ما دمت حيا. بقية: حدثنا حريز بن عثمان، حدثني عبد الرحمن بن ميسرة، حدثني أبو راشد الحبراني قال: وافيت المقداد فارس رسول الله -ﷺ- بحمص على تابوت من توابيت الصيارفة قد أفضل عليها من عظمه يريد الغزو فقلت له: قد أعذر الله إليك. فقال: أبت علينا سورة البحوث {انفروا خفافا وثقالا} [التوبة: ٤١] سير أعلام النبلاء ط الحديث (٣/ ٢٣٥).

(٣) بلال بن رباح : يكنى أبا عبد الكريم، وقيل: أبا عَبْد اللَّهِ، وقيل: أبا عمرو، وأمه: حمامة من مولدي مكة لبني جمح، وقيل: من مولدي السراة، وهو مولى أَبِي بكر الصديق. اشتراه بخمس أواقي، وقيل: بسبع أواقي، وقيل: بتسع أواقي، وأعتقه لله عَزَّ وَجَلَّ وكان مؤذنًا لرسول اللَّه -ﷺ-وخازنًا. شهد بدرًا، والمشاهد كلها، وكان من السابقين إِلَى الإسلام، وممن يعذب في اللَّه عَزَّ وَجَلَّ فيصبر عَلَى العذاب، وكان أَبُو جهل يبطحه عَلَى وجهه في الشمس، ويضع الرحا عليه حتى تصهره الشمس، ويقول: اكفر برب مُحَمَّد، فيقول: أحد، فاجتاز به ورقة بْن نوفل، وهو يعذب، ويقول: أحد، أحد، فقال: يا بلال، أحد أحد، والله لئن مت عَلَى هذا لأتخذن قبرك حنانًا وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا، يَعْنِي: بِلالًا. وقال مجاهد: أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة: رَسُول اللَّهِ، وَأَبُو بكر، وخباب، وصهيب، وعمار، وبلال، وسمية أم عمار، فأما بلال فهانت عليه نفسه في اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وهان عَلَى قومه، فأخذوه فكتفوه، ثم جعلوا في عنقه حبلًا من ليف، فدفعوه إِلَى صبيانهم، فجعلوا يلعبون به بين أخشبي مكة، فإذا ملوا تركوه، وأما الباقون فترد أخبارهم في أسمائهم.توفي بلال بدمشق، ودفن بباب الصغير سنة عشرين، وهو ابن بضع وستين سنة، وقيل: مات سنة سبع، أو ثماني عشرة، أسد الغابة ط العلمية (١/ ٤١٥).

(٤) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (٥/ ٢٤٣) وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

(٥) ابن عَوْن(٠٠٠ - ١٥١ هـ = ٠٠٠ - ٧٦٨ م) عبد الله بن عون بن أرطبان المزني بالولاء: شيخ أهل البصرة. من حفاظ الحديث. ما كان في العراق أعلم بالسنة منه. ثقة في كل شئ. يغزو ويركب الخيل. أخذ عنه الثوري ويحيى القطان وخلائق لأعلام للزركلي (٤/ ١١١)

(٦) مقالات موقع الدرر السنية (٣/ ١٥٦)

الخوف من الهوى:

قال علي رضي الله عنه: "إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة وَإِنَّ الدُّنْيَا ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً[١]

وعن أبي بَرْزَة [٢] رضي الله عنه عن النبي – ﷺ– قال: "إنّما أخشى عليكم شهواتِ الغَيّ في بطونكم وفروجكم، ومُضِلاَّتِ الهوى"[٣].

قال شيخ الإسلام : "ونفس الهوى والشهوة لا يعاقب عليها، بل على اتباعه والعمل به" إذا صار يتبع شهوته في كل شيء، ويتبع الهوى في كل شيء فالعقوبة على الاتباع لا على نفس الشهوة، وهذا كلام دقيق موزون، فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهاها كان نهيه عبادة لله وعملاً صالحاً، وكان في جهاد: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠–٤١] .

ورُوِي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله – ﷺ–:« ثلاثٌ مُهْلِكاتٌ، وثلاث مُنْجِياتٌ، وثلاثٌ كفَّاراتٌ، وثلاثٌ دَرجاتٌ، فأمَّا المُهْلِكاتُ: فشحٌّ مطاعٌ، وهوى مُتَّبَعٌ، وإعْجابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ»[٤].

ضابط الهوى في الشرع :

قال ابن القيم رحمه الله: "ولما امتحن المكلف بالهوى من بين سائر البهائم، وكان كل وقتٍ تحدث عليه حوادث جعل فيه حاكمان: حاكم العقل، وحاكم الدين، وأمره أن يرفع حوادث الهوى دائماً إلى هذين الحاكمين، وأن ينقاد لحكمهما،والمقصود العقل المتبع الموافق للشرع وليس العقل المخالف للشرع، فالمخالف للشرع ليس بعقل في الحقيقة، وإنما سمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه عما يضره.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٣٦)

(٢) أبو برزة الأسلمي اختلف فِي اسمه واسم أبيه، وأصح ما قيل فِيهِ: نضلة بن عُبَيْد، قاله أحمد بن حنبل، وابن معين. وقال غيرهما: نضلة بن عبد الله، ويقال: نضلة بن عابد وقال الخطيب أبو بكر، عن الهيثم بن عدي: اسم أبي برزة، خالد بن نضلة. وقال الوقدي: زعم ولده أن اسمه عبد الله بن نضلة، وهو نضلة بن عُبَيْد بن الحارث بن حبال بن دعبل بن ربيعة بن أنس بن خزيمة بن مالك بن سلامان بن أسلم، قاله أبو عمر وهكذا نسبه ابن حبيب، وابن الكلبي. نزل البصرة، وله بِهَا دار، وسار إلى خراسان فنزل مرو، وعاد إلى البصرة، ومات بالبصرة سنة ستين قبل موت معاوية، وقيل: مات سنة أربع وستين.
أسد الغابة ط العلمية (٦/ ٢٨).

(٣) صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٠٤) برقم (٢١٤٣)

(٤) صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٧٠٢) برقم (٢٦٠٧) والمعجم الأوسط (٥/ ٣٢٨) برقم (٥٤٥٢) عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه من الخيلاء، وثلاث منجيات: العدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفاقة، ومخافة الله في السر والعلانية»

وقال الماوردي –رحمه الله–:" في كلام نفيس له: "فلما كان الهوى غالباً، وإلى سبيل المهالك مورداً؛ جُعل العقل عليه رقيباً مجاذباً، يلاحظ عثرة غفلته، ويدفع ذاكرة خطوته، وخداع حيلته؛ لأن سلطان الهوى قوي، ومدخل مكره خفي، ومن هذين الوجهين يؤتى العاقل حتى تنفذ أحكام الهوى عليه؛ قوة السلطان وخفاؤه" [١]

خلاصة ثمرة مخالفة الهوى :

يقول ابن القيم عند ذكره لحديث « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله » [٢]
إذا تأملت السبعة الذين يظلهم الله عز وجل في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وجدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفة الهوى .

فإن الإمام المسلط القادر لا يتمكن من العدل إلا بمخالفة هواه والشاب المؤثر لعبادة الله على داعي شبابه لولا مخالفة هواه لم يقدر على ذلك والرجل الذي قلبه معلق بالمساجد إنما حمله على ذلك مخالفة الهوى الداعي له إلى أماكن اللذات والمتصدق المخفي لصدقته عن شماله لولا قهره لهواه لم يقدر على ذلك والذي دعته المرأة الجميلة الشريفة فخاف الله عز وجل وخالف هواه والذي ذكر الله عز وجل خاليا ففاضت عيناه من خشيته إنما أوصله إلى ذلك مخالفة هواه فلم يكن لحر الموقف وعرقه وشدته سبيل عليهم يوم القيامة وأصحاب الهوى قد بلغ منهم الحر والعرق كل مبلغ وهم ينتظرون بعد هذا دخول سجن الهوى فالله سبحانه وتعالى المسؤول أن يعيذنا من أهواء نفوسنا الأمارة بالسوء وأن يجعل هوانا تبعا لما يحبه ويرضاه إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير [٣]

خالِفْ هَواكَ إذا دَعاكَ لِريبَةٍ *** فَلَرُبَّ خَيْرٍ في مُخَالَفَةِ الْهَوى

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص: ٣٠) المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: ١٩٨٦م.

(٢) صحيح البخاري باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (١/ ١٣٣) برقم (٦٦٠) و صحيح مسلم باب فضل إخفاء الصدقة (٢/ ٧١٥) (١٠٣١) عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه "

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤٨٥- ٤٨٦) مجموعة القصائد الزهديات (٢/ ٢٣٧)

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي علم الإنسان ما لم يعلم. أحمده وأشكره على توفيقه وإعانته على إتمام هذه الرسالة ، وأسأله المزيد من فضله وإنعامه، وأُصلي وأُسلم على خير الخلق نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

ونسأل الله أن يهب لنا من لدنه رحمة ويهيئ لنا من أمرنا رشدا ويحسن عاقبتنا في الأمور كلها ويجيرنا وإخواننا المسلمين أينما كانوا وأن يجعل لهم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ومن كل عسر يسرا ، ونسأل الله حسن الخاتمة عند الممات إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

نتائج البحث:

١- إن الإله المعبود بحق هو الله سبحانه وتعالى وما سواه فهو باطل قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾

٢- لقد قرر القرآن الكريم أن الأساس الذي قامت عليه دعوة الرسل هو: تقرير وحدانية الله تعالى، وتنزيهه عن الشركاء والأنداد والأبناء والآباء، وصرف وجوه العباد له وحده؛ ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦]

٣- إن الشرك وعبادة الأصنام كانا أكبر مظهر من مظاهر دين أهل الجاهلية الذين كانوا يزعمون أنهم على دين إبراهيم عليه والسلام.

٤- كل عبادة لغير الله هي طاغوت وهي عدول عن الحق والهدى. وهذه الدعوة التي جاء بها رسل الله- تعالى- هي دعوة إلى توحيد الله- تعالى- ، وإخلاص العبادة بكل أنواعها، لله الواحد الأحد، وهي تنديد بالكفر والشرك وأهلهما، ودعوة إلى اجتناب الأوثان والطواغيت،

٥- الطاغوت هو كل طغيان يطغى على النفس أو العقل أو الجماعة، فيتسلط عليه، ويمنعهم من اتباع الحق من زعماء يقودونها إلى الضلال، أو ملوك يسوقونها إلى الباطل سوقا؛ ولعل أظهر معاني الطاغوت أن يفسر بالملوك المتحكمين والكبراء المتجبرين الذين يفتنون الناس عن دين الحق، ويكرهونهم على اعتناق الباطل ،وهذا يدل على تعدد الطواغيت وكثرتها.

٦- دعوة أهل الكتاب من يهود ونصارى إلى توحيد الله ويقال لهم تعالوا ارتفعوا من وهدة الباطل التي أنتم واقعون فيها إلى كلمة سواء كلمة عدل نصف بيننا وهي أن نعبد الله وحده لا نشرك به سواه وأن لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله

٧- – كل عبودية لغير الله كبرت أم صغرت هي في نهايتها عبادة للشيطان.

٨- تشابه صور الشرك وأعمال أهله في كل زمان ومكان مهما كان التفاوت الزمني في ذلك، فالأصنام التي ظهرت في قوم نوح أظهرها الشيطان للعرب فكانت فيهم يوم أن أظهرها عمرو بن لحي الخزاعي أخزاه الله، وما عمله المشركون في عهد نوح ويعمله المشركون في كل زمن من التعلق بالصالحين والغلو فيهم، ثم عبادتهم من دون الله.

٩- تطور هذه المعبودات شيئاً فشيئاً بسبب التعظيم والتقديس لتصبح مع الزمن معبوداًيعبد من دون الله وهو ما وقع في قوم نوح.

١٠- إن أول شرك ظهر في الأرض كان سببه الغلو في الصالحين، وتجاوز الحد في تعظيمهم، ولا يزال كذلك إلى يومنا هذا سبباً في وقوع كثير من الناس في الشرك بالله تعالى وأول وسائله إلى ذلك تزيين إقامة الأنصاب والتماثيل والصور حتى يتعلقوا بها ثم لا يزال بهم حتى يعبدوها،

١١- أن العقائد الباطلة الراسخة المأخوذة عمن يحسن بهم الظن من آباء أو غيرهم من أكبر الموانع لقبول الحق، والحال أنها ليست في العير ولا في النفير، ولا لها مقام في الحجج الصحيحة الدالَّة على الحقائق، فلهذا أكبر ما رد به قوم صالح لدعوته أن قالوا: أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا، وقالت جميع الأمم المكذبة رادِّين لدعوة الرسل: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[الزخرف: ٢٣]

١٢- إبراهيم الخليل هو أول من حاج الوثنيين بالأدلة وأول من قاوم الوثنية بقوة يده فجعل الأوثان جذاذاً ومع ذلك فقومه ما يزالون يصرون على أنها آلهة وهي جذاذ مهشمة ، فأما إبراهيم فهو يتهكم بهم ويسخر منهم ، وهو فرد وحده وهم كثير . ذلك أنه ينظر بعقلة المفتوح وقلبه الواصل فلا يملك إلا أن يهزأ بهم ويسخر.

١٣- مشروعية المناظرة مع ما في هذه المناظرات من صدع بالحق، وإزهاق للباطل، وفضح للمنافقين، ومباهلة إلا إنها لا تنفك عن رحمة بالمخالف، ومحبة الخير لهم، والترفق بهم من أجل هدايتهم، ومراعاة عوارض الأهلية كالجهل والتأويل ونحوهما.

١٤- فأما فرعون فوجد في قومه من الغفلة ومن الذلة ومن خواء القلب من الإيمان ، ما جرؤ به على قول هذه الكلمة الكافرة الفاجرة : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ . . وما كان ليقولها أبدا لو وجد أمة واعية كريمة مؤمنة ، تعرف أنه عبد ضعيف لا يقدر على شيء . وإن يسلبه الذباب شيئاً لا يستنقذ من الذباب شيئاً!

١٥- إظهار أن العلو الحق لله تعالى وللمؤمنين وأن علو فرعون لم يغنِ عنه شيئاً في دفع عواقب الجبروت والفساد ليكون ذلك عبرة لجبابرة المشركين من أهل مكة.

١٦- التسلط على الشعوب، وأذية الأمم، والجلوس لهم بالمرصاد، هذا أخطر شيء في حياة الأمم؛ لأن الإنسان حينما يعصي بينه وبين ربه سبحانه وتعالى فهذه معصية تحت مشيئة الله عز وجل وإرادته، ما لم تصل إلى درجة الكفر أو الشرك، لكن إذا وصل إلى استذلال الأمم، وأذية المؤمنين، فهذا أخطر شيء في دمار الدول ونهايتها وسقوطها في أقرب وقت ممكن

١٦- ظهور الطواغيت إنما هو بسبب الجماهير الغافلة الذلول ،التي تمطي له ظهرها فيركب! وتمد له أعناقها فيجر! وتحني له رؤوسها فيستعلي! وتتنازل له عن حقها في العزة والكرامة فيطغى!

١٧- نعرف أن المقربين من فرعون او الفراعنة الجدد هم أول من خافوا على سلطانهم وأن حاشية الطغاة لَا تقف من الطاغي موقفا سلبيا، أو محايدا، بل إنهم يحرضونه مرضاة له، وطلبا لما ينفذه إجابة لهم، فهم لَا يهمهم إلا أن يأخذوا منه ما يشبع نهمتهم، وليسوا مخلصين له يمنحونه النصيحة، إنما هم المالئون له في باطله.

إن الفطرة الإيمانية في النفس قد تطمسها الأهواء ، فإذا ما تيقظتْ الفطرة الإيمانية وأُزيلَتْ عنها الغشاوة سارعتْ إلى الإيمان وتأثرتْ به.

١٨- وهكذا ينكشف الموقف عن جماعة مأجورة يستعين بها فرعون الطاغية؛ تبذل مهارتها في مقابل الأجر الذي تنتظره؛ ولا علاقة لها بعقيدة ولا صلة لها بقضية ، ولا شيء سوى الأجر والمصلحة . وهؤلاء هم الذين يستخدمهم الطغاة دائماً في كل مكان وفي كل زمان

١٩- إنَّ أشكال وصور هذه المعبودات تتنوع وتتعدد وليست مقصورة على صنم أوحجر أوشمس أوقمر بل تعم لتشمل الطواغيت من البشر ومن الأنظمه الوضعية التي يرجع إليها الناس اليوم.

كانت عقيدة اليهود قبل أن يحرفوها، عقيدة التوحيد والإيمان الصحيح المنزلة من الله – تعالى – على موسى – عليه السلام –، لكنهم حرفوها وبدلوها وابتدعوا فيها ما لم ينزله الله.

٢٠- الحق أصيل في طبيعة الكون ، عميق في تكوين الوجود . والباطل منفي عن خلقه هذا الكون أصلاً ، طارئ لا أصالة فيه ، ولا سلطان له ، يطارده الله ، ويقذف عليه بالحق فيدمغه . ولا بقاء لشيء يطارده الله؛ ولا حياة لشيء تقذفه يد الله فتدمغه!

٢١- قد يخيل للناس أحياناً ان واقع الحياة يخالف هذه الحقيقة التي يقررها العليم الخبير . وذلك في الفترات التي يبدو فيها الباطل منتفشاً كأنه غالب ، ويبدو فيها الحق منزوياً كأنه مغلوب . وإن هي إلا فترة من الزمان ، يمد الله فيها ما يشاء ، للفتنة والابتلاء، والمؤمنون بالله لا يخالجهم الشك في صدق وعده؛ وفي أصالة الحق في بناء الوجود ونظامه؛ وفي نصرة الحق .

٢٢ -إذا ابتلاهم الله بغلبة الباطل حيناً من الدهر عرفوا أنها الفتنة؛ وأدركوا أنه الابتلاء؛ وأحسوا أن ربهم يربيهم ، لأن فيهم ضعفاً أو نقصاً؛ . .

٢٣- المسارعة إلى العلاج يقصر الله بها فترة الابتلاء ، ويحقق على أيديهم ما يشاء

٢٤-- إن الفساد في العالم دخل من ثلاث فِرَق، إما من الملوك الجائرة، ومن علماء السوء، وأحبار السوء، ومن رهبان السوء وعُبَّاد السوء، من الملوك الظلمة، ومن العلماء المنحرفين، ومن الرهبان العُبَّاد الذين يتعبدون على جهل وضلال.

٢٥- الترابط بين الشرك والكفر في كل مكان وزمان أمام دعوة التوحيد والإيمان ومع أن الدول قديماً لم تكن شديدة الاتصال ، والأمم لم تكن وثيقة الارتباط كما هو الشأن في عصرنا الحاضر . مع هذا فإن المشركين في مكة كانوا يحسون أن انتصار المشركين في أي مكان على أهل الكتاب هو انتصار لهم؛

٢٦- ما أحوج المسلمين اليوم في جميع بقاع الأرض أن يدركوا طبيعة المعركة ، وحقيقة القضية؛ فلا تلهيهم عنها تلك الأعلام الزائفة التي تتستر بها أحزاب الشرك والكفر ، فإنهم لا يحاربون المسلمين إلا على العقيدة ، مهما تنوعت العلل والأسباب.

٢٧- اتباع الإنسان لما يهواه هو أخذ القول والفعل الذي يحبه، ورد القول والفعل الذي يبغضه بلا هدى من الله" وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه

٢٨- فإذا صار الهوى هو القائد للإنسان والدافع له صار أصحابه أحزاباً متفرقة يتعصب كل واحد لرأيه وذوقه ، ويعادي من يخالفه في الرأي، ولو كان الحق مع غيره،لأن الحق ليس مراده ومبتغاه، وبهذا ينشب الخلاف والتفرق بين الأمة، ويحصل فيها ما حذر الله منه في كتابه فتذهب ريحها وتتفرق كلمتها، وتكون فريسة سهلة لأعدائها.

٢٩- إن القرآن الكريم يعرض علينا، في حشود من آياته البينات طوابير الطاغوت، وكأننا نشهد مهرجاناً أو عرضاً جماعياً.. تسير فيه أصناف المستكبرين، مصعّرة الخدود، ممطوطة القامات، منتفخة الأوداج .. يعرضها علينا جميعا ويدعونا إلى رفض طاعتها مهما تنوعت السمات واختلفت الملامح وتلوّنت الأردية ..

٣٠- إن الإسلام الذي جاء به محمد -ﷺ- شئ غير هذا المعنى الذي أراد خصومة والأعداء من أبنائه أن يحصرون فيه ويقيدون به ، وأن الإسلام عقيدة وعبادة ، ووطن وجنسية ، وسماحة وقوه ، وخلق ومادة ، وثقافة وقانون ، وأن المسلم مطالب بحكم إسلامه أن يعني بكل شؤون أمته.

٣١- فهم الإسلام كما يريده الله؛ ولا عبرة بالإسلام كما تريده أهواء البشر في جيل منكود من أجيال الناس! ولا كما تصوره رغائب أعدائه المتربصين به ، وعملائهم هنا أو هناك

٣٢- حفظ الله ورعايته لرسوله من أعمال الجاهلية وصرفه عن هذه المعبودات وطقوسها.

٣٣- إنَّ الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم إلى أهل الأرض لينقذهم من الحالة التي وصلوا إليها من التخبط والحيرة والضلال.

٣٤-- إذا وحّدَّ الناس ربهم وتركوا عبادة ماسواه فإنهم سيكونون سادةً وملوكاً يقودون هذا العالم إلى مافيه الخير.

٣٥-- لاتنفع العروض والمغريات أيَّاً كانت لأصحاب الحق وخاصة لمحمدصلى الله عليه وسلم وأصحابه وأتباعه على مر العصور فهي سنة ثابته لاتتغيير.

٣٦- - إنَّ المبهر في سيرة النبي محمد - ﷺ-أنه هدَّمَ الأصنام بأيدِ من صنعوها وعبدوها .. وهذا لاشك من دلائل نبوة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - إنه لا يكسر الأصنام بيديه بل يكسرها بيد من عبدوها !

٣٧-- أرأيت كيف تحول حال هؤلاء الصحابة من أناس يقدسون الأصنام والأوثان إلى رجال موحدين، وقادة فاتحين، وعلماء ومفكرين ..

٣٨- - وهكذا، كان لمحمد - ﷺ- الفضل الأعظم في دحر الوثنية التي طالما سقطت بمستوى الإنسان إلى دركات الحيوانية، حيث عبادة الأصنام والأبقار والفروج.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وصحبه وسلم

توصيات البحث:

بعد حمد الله سبحانه وتعالى والصلاة والسلام على رسوله-ﷺ- فإن من أهم التوصيات التي ينبغي أن نتواصى بها جميعاً ونذكرها في ختام بحثنا هذا ما أوصانا الله به في كتابه وأوصانا بها رسوله -ﷺ- فإنها نعم الوصايا التي تجعلنا نعتز ونفخر بها بين الأمم بأن نحقق معنى العبودية لله تعالى التي هي ذروة الشرف ولأجلها بعث الله رسله.

وسوف نركز على بعض التوصيات في النقاط التالية :

١- إن من أهم الوصايا والغايات التي بعث من أجلها رسله ودعوا أقوامهم إليها بأن يعبد الله ولا ويشرك به شيئا.

٢- بذل الجهد في إخراج البشرية من عبادة الأصنام والأوثان والطواغيت بكل أشكالها وصورها وذلك ببيان الحق والدلالة على وحدانية الله تعالى بكل الوسائل الممكنة في هذا العصر وهو واجب الوقت على الأمة .

٣- تحذير الناس من التساهل في الشرك ومقدماته وذلك بالإطراء والمدح والتقديس والغلو إلى أن يصبح معبوداً والعياذ بالله.

٤- إظهار الإسلام بين الأديان الأخرى بأبهى صوره وأجمل حلله،بعكس ما يروج له أعدائه من أباطيل وأراجيف بأنه دين التطرف والإرهاب وسفك الدماء لما يشاهدونه في الواقع اليوم.

٥- توضيح مايجري من أحداث في هذا العصر وماتقوم به الوثنية الحديثة من داخله وخارجه بمحاربة الدين وأهله والتي أصبحت مكشوفة ولاتخفى على ذي لبٍ وبصيرة.

٦- تنبيه الأمة من كثرة وتعداد المعبودات في هذا العصر سواءً من تقديس الأشخاص وأصحاب الأهواء والمصالح والشهوات ومايفعله الناس اليوم بأهوائهم وليس له مرجع من شرع فهو داخل في عبادة الهوى والطاغوت.

٧- توصية أخيرة أختم بها ولاأريد الإطالة إلى الأمة الإسلامية بكل أطيافيها الكل يجعل الإسلام الذي ارتضاه الله لنا هدفه وغايته وهمه الذي بفقده يفقد العالم روحه وحياته،و تحل المصائب والمحن ، وبعدم تطبيقه الصحيح كما أراده الله نكون سبباً في تفاخر اليهودوالنصارى بدينهم و أهل الملل الأخرى من الوثنيين الذين يتربصون بنا وبديننا ....**والحمد لله رب العالمين** .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبة......

المصادر والمراجع:

١- "القرآن الكريم"

٢- الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان ، المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ) الناشر: دار العاصمة الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ

٣- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، المؤلف: محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي. الناشر: دار الغرب الإسلامي. الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م.

٤- أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة المؤلف: ٣٢٧- عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م

٥- أدب الدنيا والدين ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: ١٩٨٦م

٦- أدب الدنيا والدين ، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: ١٩٨٦م.

٧- الإرشاد إلى توحيد رب العباد ، جمع وتأليف: عبد الرحمن بن حماد آل عمر الناشر: دار العاصمة، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ.

٨- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان الناشر: دار ابن الجوزي الطبعة: الرابعة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٩- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة : الثانية - ١٤٠٥ه ١٩٨٥- م

١٠- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت -الطبعة : الثانية - ١٤٠٥ ه – ١٩٨٥م

١١- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : ١٤٢٠هـ) إشراف: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م
١٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: علي محمد البجاوي الناشر: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
١٣- أسد الغابة ط العلمية ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.
١٤- الإسلام أصوله ومبادئه ، المؤلف : محمد بن عبد الله بن صالح السحيم ،الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة : الأولى، تاريخ النشر : ١٤٢١هـ.
١٥- الإسلام أصوله ومبادئه ، المؤلف : محمد بن عبد الله بن صالح السحيم الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة : الأولى تاريخ النشر : ١٤٢١هـ
١٦- الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه صـ٧٥.د . للقرضاوي .مكتبة وهبه عابدين – القاهرة – الطبعة السابعة ١٤١٧ه-١٩٩٧م
١٧- الأسماء والصفات للبيهقي ، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي الناشر: مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
١٨- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة : الأولى تاريخ النشر : ١٤٢١هـ
١٩- أصول الدعوة ، : المؤلف: عبد الكريم زيدان الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: التاسعة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٢٠-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، تأليف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي١٣٩٣ هـ الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م
٢١- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد المؤلف الشيخ صالح بن فوزان الفوزان الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م
٢٢-إعلام الموقعين عن رب العالمين (ابن قيم الجوزية) المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله تحقيق : طه عبد الرءوف الناشر : دار الجيل - بيروت ، ١٩٧٣م.
٢٣-أعلام النبوة للماوردي ، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت الطبعة: الأول - ١٤٠٩ هـ
٢٤-الأعلام للزر كلي ، خير الدين الزركلي الجزء الاول دار العلم للملايين ص. ب ١٠٨٥ - بيروت تلفون: ٢٢٤٥٠٢ - ٢٩١٠٢٧جميع الحقوق محفوظة الطبعة الخامسة: أيار (مايو) ١٩٨٠م)
٢٥- إغاثة اللهفان المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله تحقيق : محمد حامد الفقي الناشر : دار المعرفة - بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ه – ١٩٧٥م
٢٦-الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية، المؤلف: أبو أسماء محمد بن طه تقديم: الشيخ وحيد عبد السلام بالي والشيخ الدكتور عبد الباري محمد الطاهر الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - دار سبل السلام - الفيوم الطبعة: الثانية، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢
٢٧-اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٢٨-الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، المؤلف / أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي تحقيق : د . محمد كمال الدين عز الدين علي دار النشر / عالم الكتب - بيروت الطبعة : الأولى- ١٤١٧هـ

٢٩- إكمال المعلم بفوائد مسلم   شرح صحيح مسلم للقاضى عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل
٣٠- إمتاع الأسماع ، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ) المحقق: محمد عبد الحميد النميسي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٣١- أمراض القلوب وشفاؤها ، أحمد بن تيمية سنة الولادة ٦٦١/ سنة الوفاة ٧٢٨ تحقيق الناشر المطبعة السلفية مكان النشر القاهرة سنة النشر ١٣٩٩ هـ
٣٢- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار   المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ) المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م
٣٣- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، المؤلف : مجير الدين الحنبلي العليمي تحقيق : عدنان يونس عبد المجيد نباتة دار النشر : مكتبة دنديس - عمان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
٣٤- انظر:الجمع بين الصحيحين   ،.،محمد بن فتوح الحميدي ،الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم تحقيق : د. علي حسين البواب   (بيروت: دار ابن حزم ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م).
٣٥- أوضح التفاسير، المؤلف: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ) الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤ م.
٣٦- الآيات الكونية دراسة عقدية ، رسالة: مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض إعداد: عبد المجيد بن محمد الوعلان إشراف: عبد الكريم بن محمد الحميدي، الأستاذ المشارك العام الجامعي: ١٤٣٢ هـ / ١٤٣٣ هـ.
٣٧- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، المؤلف : جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري الناشر : مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة : الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣٨- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المؤلف : جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري الناشر : مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة : الخامسة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٣٩- الإيمان لابن منده، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ.
٤٠- البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ
٤١- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة الطبعة: ١٤١٩ هـ
٤٢- البداية والنهاية ط الفكر ، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
٤٣- البداية والنهاية ط هجر ، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م
٤٤- بدائع الفوائد - ابن القيم الجوزية المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر : مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة الطبعة الأولى ، ١٤١٦ه- ١٩٩٦م
٤٥- بدائع الفوائد: المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله تحقيق : هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد الج الناشر : مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة- الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
٤٦- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، المؤلف : أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : مطبعة الحكومة - مكة المكرمة الطبعة الأولى ، ١٣٩٢ هـ.

٤٧- تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية.

٤٨- تاريخ ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي الناشر دار الكتب العلمية مكان النشر لبنان / بيروت سنة النشر ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

٤٩- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري ،المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ) الناشر: دار التراث - بيروت الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ

٥٠- تاريخ الفكر الديني الجاهلي ،المؤلف: محمد إبراهيم الفيومي (المتوفى: ١٤٢٧هـ) الناشر: دار الفكر العربي الطبعة: الرابعة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٥١- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، المؤلف: محمد بن أحمد بن الض ياء محمد القرشي العمري المكي الحنفي، بهاء الدين أبو البقاء، المعروف بابن الضياء (المتوفى: ٨٥٤هـ) المحقق: علاء إبراهيم، أيمن نصر الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٥٢- تجريد التوحيد المفيد المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ) المحقق: طه محمد الزيني الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة الطبعة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

٥٣- تجريد التوحيد المفيد ، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ) المحقق: طه محمد الزيني الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة الطبعة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

٥٤- التحرير والتنوير - الطبعة التونسية ، المؤلف : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.

٥٥- تحفة الأحوذي ، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

٥٦- تحفة الأحوذي ، بشرح جامع الترمذي المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

٥٧- تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين ، المؤلف: علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان، أبو الحسن، علاء الدين ابن العطار (المتوفى: ٧٢٤هـ) ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: الدار الأثرية، عمان - الأردن الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

٥٨- تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

٥٩- تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ للذهبي ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م

٦٠- الترغيب و الترهيب ، للألباني الناشر : مكتبة المعارف - الرياض الطبعة : الخامسة.

٦١- تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير أرشيف ملتقى أهل الحديث (http://history.al)

٦٢- التعريفات ، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق جماعة من العلماء الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

٦٣- التعليق على الرحيق المختوم ، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح تَقْدِيم: فَضِيلَة الشَّيْخ عبد الله بن مَانع الروقي الناشر: الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية - جمهورية مصر العربية الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

٦٤- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه ، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ) مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٦٥- تفسير ابن كثير ، المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي[٧٠٠ -٧٧٤ هـ] المحقق : سامي بن محمد سلامة الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

٦٦- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

٦٧- تفسير البغوي ،ا لمؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) المحقق : عبد الرزاق المهدي الناشر : دار إحياء التراث العربي -بيروت الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

٦٨- تفسير البغوي ، معالم التنزيل المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ] المحقق : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م

٦٩- التفسير البياني للقرآن الكريم ، المؤلف: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ) دار النشر: دار المعارف - القاهرة الطبعة: السابعة

٧٠- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٧١- تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٧٢- تفسير الجلالين ، المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكرالسيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الحديث – القاهرة الطبعة: الأولى.

٧٣- التفسير الحديث ، المؤلف: دروزة محمد عزت الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة الطبعة: ١٣٨٣ هـ

٧٤- تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل ، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)

المحقق: تصحيح محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.
٧٥- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٦/ ٣٣٨) المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ
٧٦- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
٧٧- تفسير الراغب الأصفهاني، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٧٨- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ
٧٩- تفسير السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
٨٠- تفسير السمرقندي (بحر العلوم) ، المؤلف : أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي تحقيق: د.محمود مطرجي، دار النشر : دار الفكر - بيروت .
٨١- تفسير الشعراوي ، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم(ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م.
٨٢- تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [٢٢٤ - ٣١٠ هـ] المحقق : أحمد محمد شاكر الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٨٣- تفسير العثيمين: الحجرات - الحديد ، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

٨٤- تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة ، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٨٥- تفسير العثيمين: جزء عم ، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٨٦- تفسير العز بن عبد السلام ، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي الناشر: دار ابن حزم - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٨٧- تفسير القاسمي = محاسن التأويل ،المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٨٨- تفسير القرآن للعثيمين، المؤلف : محمد بن الصالح العثيمين الطبعة الثالثة ١٤٢٤ه - ٢٠٠٢م.

٨٩- التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

٩٠- التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم ، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ.

٩١- تفسير الماوردى - النكت والعيون ، المؤلف : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .

٩٢-تفسير المراغي ، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

٩٣-تفسير المنار ، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م.

٩٤-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر : دار الفكر المعاصر - دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ

٩٥-التفسير المنير للزحيلي ، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر : دار الفكر المعاصر - دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ

٩٦-التفسير الميسر ، المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.

٩٧-التفسير الميسر ، المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م

٩٨-تفسير النسفى ، المؤلف : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي تحقيق الشيخ : مروان محمد الشعار دار النشر : دار النفائس - بيروت ٢٠٠٥ م.

٩٩-التفسير الواضح ، المؤلف: الحجازي، محمد محمود الناشر: دار الجيل الجديد - بيروت الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ

١٠٠- التفسير الوسيط - مجمع البحوث ، مؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م)

١٠١- التفسير الوسيط لطنطاوي ، المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى تاريخ النشر: أجزاء ١ - ٣: يناير ١٩٩٧م.

١٠٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

١٠٣- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم

محمد علي بن حسين مهدي الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٠٤- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ،المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٠٥- تفسير روح البيان المؤلف : إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي دار النشر / دار إحياء التراث العربى_بيروت.

١٠٦- تفسير عبد الرزاق،المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

١٠٧- تقديم: الشيخ وحيد عبد السلام بالي والشيخ الدكتور عبد الباري محمد الطاهر الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - دار سبل السلام - الفيوم الطبعة: الثانية، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢

١٠٨- تلبيس إبليس المؤلف : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى : ٥٩٧هـ) الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان الطبعة : الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١٠٩- تلبيس إبليس ، لمؤلف : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى : ٥٩٧هـ) الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان الطبعة : الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١١٠- التمهيد لشرح كتاب التوحيد ، المؤلف: دروس ألقاها صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم طُبعت الناشر: دار التوحيد الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١١١- التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام المؤلف : عبد المجيد بن سالم المشعبي الناشر : أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة : الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م

١١٢- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (المتوفى: ٦٨هـ) جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان .

١١٣- تهذيب التهذيب ، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ

١١٤- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ) المحقق: د. بشار عواد معروف الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠

١١٥- تهذيب اللغة،المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

١١٦- التوقيف على مهمات التعاريف ، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١١٧- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ) المحقق: زهير الشاويش الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق. الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١١٨- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد المؤلف : سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الناشر : مكتبة الرياض الحديثة – الرياض

١١٩- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ه

١٢٠-	التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى ، المؤلف / الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي دار النشر / مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - الطبعة: الثالثة١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

١٢١-	الجامع لأحكام القرآن المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ) الناشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

١٢٢-	جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد ، المؤلف: محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) تحقيق وتخريج: أبو علي سليمان بن دريع الناشر: مكتبة ابن كثير، الكويت - دار ابن حزم، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

١٢٣-	الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم - تأليف: محمد بن فتوح الحميدي تحقيق : د. علي حسين البواب دار النشر / دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - الطبعة: الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

١٢٤-	جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية المؤلف : أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى : ١٤٢٠هـ) الناشر : دار الصميعي الطبعة : الأولى - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

١٢٥-	الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ،تحقيق : د.علي حسن ناصر،د.عبد العزيز إبراهيم العسكر ،د. حمدان محمد الناشر : دار العاصمة - الرياض الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ.

١٢٦-	حاشية السندي على سنن النسائي ، المؤلف: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ) الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ ه- ١٩٨٦م

١٢٧-	حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول ، المؤلف: عبد الله بن صالح الفوزان الناشر: مكتبة الرشد

١٢٨-	حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد ، المؤلف: محمد بن عبد الله زربان الغامدي الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣٢هـ/٢٠٠٣م المؤلف: محمد بن عبد

الله زربان الغامدي الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣٢هـ/٢٠٠٣م

١٢٩- دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث ، لمؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سلطان بن خميس الملقب بـ"أبابطين" (المتوفى: ١٢٨٢هـ) المحقق: عبد السلام بن برجس بن ناصر العبد الكريم الناشر: دار العاصمة الطبعة: الثانية ، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٦ م.

١٣٠- الدر المنثور- المؤلف : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي الناشر : دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٣م

١٣١- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، المؤلف: سعود بن عبد العزيز الخلف الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

١٣٢- دراسات في علوم القرآن، المؤلف: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٣٣- دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية - عرض ونقد ، المؤلف: د. عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.

١٣٤- دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية ، المؤلف: أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله الحصين الناشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٣٥- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (مختارات) ، المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : مؤسسة علوم القرآن - دمشق تحقيق : د. محمد السيد الجليند الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ه

١٣٦- دلائل النبوة للبيهقي مخرجا (٤/ ٣٨٠) المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: د. عبد المعطي قلعجي الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث الطبعة: الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

١٣٧- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ) اعتنى بها: خليل مأمون شيحا الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٣٨- دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة) مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار المؤلف: شحاتة محمد صقر الناشر: / دَارُ الفُرْقَان للتُرَاث – البحيرة.

١٣٩- الرحيق المختوم ، المؤلف: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ) الناشر: دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) الطبعة: الأولى.

١٤٠- الرحيق المختوم المؤلف:صفي الرحمن المباركفوري جمعيةإحياءالتراث الإسلامي:الطبعة الثانية ،١٤١٦ ه -١٩٩٦م.

١٤١- الرحيق المختوم، (مع بعض التعديلات والزيادات من د علاء الدين زعتري وغسان محمد رشيد الحموي) المؤلف: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ) الناشر: دار العصماء - دمشق الطبعة: الأول – ١٤٢٧ه

١٤٢- الرد الوافر ، المؤلف: محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى: ٨٤٢هـ) المحقق: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ.

١٤٣- الرد على المنطقيين ط٦ ، المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : دار المعرفة – بيروت.

١٤٤- رسائل الإمام حسن البنا ((بترقيم الشاملة موافق للنسخة في الشاملة).

١٤٥- الرسل والرسالات ، المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي ،الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة: الرابعة، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

١٤٦- الروايات التفسيرية في فتح =الباري ، المؤلف : عبد المجيد الشيخ عبد الباري رسالة دكتوراة الناشر : وقف السلام الخيري الطبعة : الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ مـ

١٤٧- الروايات التفسيرية في فتح الباري المؤلف : عبد المجيد الشيخ عبد الباري الناشر : وقف السلام الخيري الطبعة : الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ مـ

١٤٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،المؤلف : محمود الألوسي أبو الفضل الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٤٩- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م

١٥٠- زاد المسير في علم التفسير ، المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت -الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤ه.

١٥١- زاد المعاد في هدي خير العباد- المؤلف : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : ٧٥١هـ) الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة : السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

١٥٢- زاد المهاجر ، الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر : مكتبة المدني - جدة تحقيق : د. محمد جميل غازي

١٥٣- الزاهر فى معانى كلمات الناس ، المؤلف / أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري تحقيق : د. حاتم صالح الضامن بيروت :مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى- ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

١٥٤- الزاهر في معاني كلمات الناس ، المؤلف: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ) المحقق: د. حاتم صالح الضامن الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.

١٥٥- الزهد لأبي داود ، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

١٥٦- الزهد والورع والعبادة ، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي

(المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: حماد سلامة ، محمد عويضة الناشر: مكتبة المنار - الأردن الطبعة: الأولى، ١٤٠٧
١٥٧- زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي.
١٥٨- سبل السلام ، المؤلف : محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (المتوفى : ١١٨٢هـ) الناشر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي الطبعة : الرابعة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م
١٥٩- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفي سنة ٩٤٢ هـ تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
١٦٠- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ،للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفي سنة ٩٤٢ هـ دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان الطبعة الأولى- ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م
١٦١- السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، المؤلف : بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري المحقق : أكرم ضياء العمري الناشر : دار ابن الجوزي الطبعة : الطبعة الأولى - جمادى الأول - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
١٦٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف) عام النشر: جـ ٧: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م
١٦٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ،المؤلف: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني دار النشر : دار المعارف البلد : الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة : الأولى سنة الطبع : ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
١٦٤- سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط ، وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله الناشر: دار الرسالة العالمية
١٦٥- سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط ،المؤلف: ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل

مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

١٦٦- سنن أبي داود ت الأرنؤوط ،المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

١٦٧- سنن الدارمي ، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م .

١٦٨- السنن الكبرى للبيهقي ،المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

١٦٩- سنن النسائي ،المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

١٧٠- سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة رسمية أو افرادا الطبعة التاسعة ١٤١٣ - هـ ١٩٩٣ م بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة

١٧١- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ، المؤلف: علي بن برهان الدين الحلبي سنة الولادة ٩٧٥/ سنة الوفاة ١٠٤٤ الناشر دار المعرفة - بيروت- سنة النشر ١٤٠٠ه

١٧٢- السيرة النبوية - دروس وعبر في تربية الأمة وبناء الدولة تأليف: الدكتور علي محمد الصّلابي١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

١٧٣- السيرة النبوية : للامام أبى الفداء اسماعيل بن كثير ٧٠١ - ٧٤٧ ه تحقيق مصطفى عبد الواحد الجزء الاول ١٣٩٦ ه - ١٩٧١ م دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

١٧٤- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص: ١٧) المؤلف: عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: السابعة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٧٥- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ) الناشر: دار القلم - دمشق الطبعة: الثامنة - ١٤٢٧ هـ

١٧٦- السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ، المؤلف: علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: دار ابن كثير - دمشق الطبعة: الثانية عشرة - ١٤٢٥ هـ

١٧٧- شرح الزرقاني على الموطأ ، المؤلف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري تحقيق: طه عبد الرءوف سعد الناشر: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

١٧٨- شرح السنّة ، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٧٩- شرح السنة للبغوي ،المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١٨٠- شرح الصدور بتحريم رفع القبور ، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة الطبعة: الرابعة، ١٤٠٨هـ

١٨١- شرح الطحاوية ، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ) تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي) الطبعة: الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٨٢- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، المؤلف : محمد خليل هراس الناشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الطبعة : الأولى تاريخ النشر : ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٨٣- شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري،المؤلف:أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) الناشر:المطبعة الكبرى الأميرية، مصرالطبعة:السابعة، ١٣٢٣هـ

١٨٤- شرح ثلاثة الأصول لصالح الفوزان ، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى - ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

١٨٥- شرح رياض الصالحين ، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة: ١٤٢٦ هـ

١٨٦- شرح رياض الصالحين ، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة: ١٤٢٦ هـ

١٨٧- شرح صحيح البخارى لابن بطال ، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٨٨- شرح مشكل الآثار ،المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م .

١٨٩- شرح مشكل الاثار ، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي سنة الولادة ٢٣٩هـ/ سنة الوفاة ٣٢١هـ تحقيق شعيب الأرنؤوط مكان النشر لبنان/ بيروت الناشر مؤسسة الرسالة سنة النشر ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

١٩٠- شعب الإيمان للبيهقي - المؤلف : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١ ه.

١٩١- شعب الإيمان ، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد

الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ -٢٠٠٣ م

١٩٢- شعب الإيمان ،المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهندالناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

١٩٣- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - محذوف الأسانيد ، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) الناشر: دار الفيحاء - عمان الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ ه .

١٩٤- شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ،المؤلف: أحمد بن عبد الفتاح زواوى الناشر: دار القمة - الإسكندرية

١٩٥- الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة ، المؤلف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: السنة الحادية عشرة- العدد الرابع- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٩٦- الشيعة والسنة المؤلف: إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ) الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان الطبعة: الثالثة، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٩ م

١٩٧- صحيح ابن حبان - محققا ، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

١٩٨- صحيح ابن حبان - مخرجا، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤ ه- ١٩٩٣م .

١٩٩- صحيح ابن خزيمة ، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ) حَققهُ وعَلّق عَلَيه وَخَرّجَ أحَاديثه وَقدَّم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

٢٠٠- صحيح ابن خزيمة ، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ) حَققهُ وعَلّق عَلَيه وَخَرّجَ أحَاديثه وَقدَّم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٢٠١- صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ه.

٢٠٢- صحيح السيرة النبوية ،المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن الطبعة: الأولى

٢٠٣- صحيح مسلم ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

٢٠٤- صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ،المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ) لناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

٢٠٥- الصفدية ، المؤلف : تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى : ٧٢٨هـ) المحقق : محمد رشاد سالم الناشر : مكتبة ابن تيمية، مصر الطبعة : الثانية، ١٤٠٦هـ

٢٠٦- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: علي بن محمد الدخيل الله الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٠٧- ضعيف الترغيب والترهيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني الناشر : مكتبة المعارف – الرياض.
٢٠٨- ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) أشرف على طبعه: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي
٢٠٩- ضعيف الجامع الصغير وزيادته المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ أشرف على طبعه: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: المجددة والمزيدة والمنقحة.
٢١٠- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ،المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ) المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ
٢١١- طريق الهجرتين وباب السعادتين - ابن قيم الجوزية : تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر الناشر : دار ابن القيم - الدمام الطبعة الثانية ، ١٤١٤ه – ١٩٩٤م.
٢١٢- عالم الجن والشياطين ، المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.
٢١٣- العبودية ، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
٢١٤- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله - ابن قيم الجوزية] : الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت تحقيق : زكريا علي يوسف
٢١٥- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم المؤلف: محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي الناشر: مكتبة دار الزمان الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
٢١٦- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، المؤلف: محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي الناشر: مكتبة دار الزمان الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

٢١٧- العقيدة الصحيحة وما يضادها ، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة السابعة العدد الثالث محرم ١٣٩٥ هـ/ يناير ١٩٧٥ م.

٢١٨- العقيدة وأثرها في بناء الجيل، بقلم: الدكتور عبد الله عزام الطبعة: الأولى نشر وتوزيع مركز شهيد عزام الإعلامي بيشاور-باكستان.

٢١٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ' المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٢٠- عون المعبود وحاشية ابن القيم،تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته ، المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.

٢٢١- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة : الثالثة - ١٤٠٥ ه.

٢٢٢- الفتاوى الكبرى لابن تيمية ، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

٢٢٣- فتاوى مهمة لعموم الأمة، المؤلف: عبد العزيز بن باز ، محمد بن صالح العثيمين المحقق: إبراهيم الفارس الناشر: دار العاصمة - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ

٢٢٤- فتح الباري - ابن حجر ، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.

٢٢٥- فتح الباري - لابن رجب ، المؤلف : زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب تحقيق : أبو معاذ طارق بن

عوض الله بن محمد دار النشر : دار ابن الجوزي - السعودية / الدمام - الطبعة : الثانية ،١٤٢٢هـ

٢٢٦- فتح البيان في مقاصد القرآن ، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

٢٢٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) دمشق، بيروت الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ

٢٢٨- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ) المحقق: محمد حامد الفقي الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر الطبعة: السابعة.

٢٢٩- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها المؤلف: د. غالب بن علي عواجي الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٢٣٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، المؤلف : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد الناشر : مكتبة الخانجي – القاهرة.

٢٣١- فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم /للدكتور علي الصلابي ، مكتبة الصحابة ، الإمارات ،الشارقة ،الطبعة الأولى ١٤٢٢ه-٢٠٠١م

٢٣٢- في ظلال القرآن ، لسيد قطب .دار الشروق :الطبعة الثانية والثلاثون ،١٤٢٣ ه -٢٠٠٣م

٢٣٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري(المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦

٢٣٤- قصص الأنبياء ، قصص الانبياء للامام أبى الفداء إسماعيل بن كثير (٧٠١ – ٧٧٤) ه تحقيق مصطفى عبد الواحد دار الكتب الحديثة ١٤ شارع الجمهورية بعابدين ت: ٩١٦١٠٧ الطبعة الاولى ١٣٨٨ ه - ١٩٦٨ م.

٢٣٥- القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد ، المؤلف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر الناشر: دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية / دار ابن عفان، القاهرة، مصر الطبعة: الثالثة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٣٦- القول المبين في سيرة سيد المرسلين - الرقمية ، المؤلف: محمد الطيب النجار (المتوفى: ١٤١١هـ) الناشر: دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان.

٢٣٧- القول المفيد على كتاب التوحيد ، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ .

٢٣٨- كتاب الأصنام ، المؤلف: أبو المنذر هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي (المتوفى: ٢٠٤هـ) المحقق: أحمد زكي باشا الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الرابعة، ٢٠٠٠م

٢٣٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، المؤلف : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٤٠- كشف اللثام شرح عمدة الأحكام ، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨ هـ) اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، دار النوادر - سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

٢٤١- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) المحقق: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الرابعة، ١٣٩٧هـ.

٢٤٢- كمال الدين الإسلامي وحقيقته ومزاياه ، المؤلف : عبد الله بن جارالله بن إبراهيم آل جارالله الطبعة : الأولى الناشر : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية تاريخ النشر : ١٤١٨ه

٢٤٣- اللباب في علوم الكتاب ، المؤلف: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ط : الأولى - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م

٢٤٤- لسان العرب المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري الناشر : دار صادر – بيروت الطبعة الأولى.
٢٤٥- لمحات في الثقافة الإسلامية ، المؤلف: عمر عودة الخطيب الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الخامسة عشرة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م
٢٤٦- لوامع الأنوار البهية ، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ) الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
٢٤٧- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، المؤلف : شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : ١١٨٨هـ) الناشر : مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق الطبعة : الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
٢٤٨- مباحث العقيدة في سورة الزمر ، المؤلف: ناصر بن علي عايض حسن الشيخ الناشر:مكتبةالرشد،الرياض،المملكةالعربيةالسعودية،الطبعةالأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٢٤٩- مجلة البحوث الإسلامية الكتاب : مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- معها ملحق بتراجم الأعلام والأمكنة المؤلف : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عدد الأجزاء : ٧٩ جزءا مصدر الكتاب : موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
٢٥٠- مجلة البيان ، تصدر عن المنتدى الإسلامي(رقم الجزء، هو رقم العدد. ورقم الصفحة، هي الصفحة التي يبدأ عندها المقال في العدد المطبوع) تنبيه: الأعداد بعد الـ ٢٠٠ ترقيمها غير موافق للمطبوع.
٢٥١- مجلة المنار ، المؤلف: مجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ) وغيره من كتاب المجلة(رقم الجزء، هو رقم المجلد. ورقم الصفحة، هي الصفحة التي يبدأ عندها المقال في المجلد المطبوع) [ترقيم الكتاب] موافق للمطبوع.

٢٥٢- مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير) المؤلف : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ) المحقق : أنور الباز – عامر الجزار الناشر : دار الوفاء الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٢٥٣- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ، المحقق : فتاوى العقيدة جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان الناشر : دار الوطن - دار الثريا الطبعة : الأخيرة - ١٤١٣ هـ

٢٥٤- مجموعة القصائد الزهديات ، المؤلف: أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ) الناشر: مطابع الخالد للأوفسيت - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ

٢٥٥- محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ، المؤلف : عبد الرءوف محمد عثمان الطبعة : الأولى الناشر :رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة - الرياض تاريخ النشر : ١٤١٤هـ

٢٥٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان - الطبعة : الأولى: ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

٢٥٧- المحكم والمحيط الأعظم ، المؤلف : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي سنة الوفاة ٤٥٨هـ تحقيق عبد الحميد هنداوي الناشر دار الكتب العلمية - بيروت سنة النشر ٢٠٠٠م.

٢٥٨- مختار الصحاح ،المؤلف : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي تحقيق : محمود خاطر الناشر : مكتبة لبنان ناشرون - بيروت الطبعة: طبعة جديدة ، ١٤١٥ه – ١٩٩٥م.

٢٥٩- مختصر السيرة محمد بن عبد الوهاب ،تحقيق عبد العزيز بن زيد الرومي ، د . محمد بلتاجي ، د . سيد حجاب . الناشر مطابع الرياض مكان النشر الرياض.

٢٦٠- مختصر تفسير ابن كثير ، المؤلف: محمد علي الصابوني (اختصار وتحقيق) الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م

٢٦١- مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل ، المؤلف: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٦٢- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لمحمد بن عبد الوهاب ، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ) الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ

٢٦٣- مختصر صحيح الإمام البخاري،المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتَبة المَعارف للنَّشْر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٢٦٤- مختصر صحيح مسلم للمنذري ،المؤلف: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦ هـ) المحقق: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان.ت الألباني ، الطبعة: السادسة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٢٦٥- المختصر في أخبار البشر ، المؤلف: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ) الناشر: المطبعة الحسينية المصرية الطبعة: الأولى.

٢٦٦- المختصرالمفيد في عقائد أئمة التوحيد ، المؤلف: أبو يوسف مدحت بن حسن آل فراج المصري (المتوفى: ١٤٣٥هـ) الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٢٦٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٢٦٨- مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن ، المؤلف: عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد الناشر: دار البيان العربى – القاهرة.

٢٦٩- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (ص: ٣٩٢- ٣٩٣) المؤلف: د عثمان جمعة ضميرية تقديم: الدكتور/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع الطبعة: الثانية ١٤١٧هـ-١٩٩٦م

٢٧٠- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، المؤلف : أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري

(المتوفى : ١٤١٤هـ) الناشر : إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند الطبعة : الثالثة - ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م.

٢٧١- المستدرك على الصحيحين للحاكم ، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠

٢٧٢- مسند ابن أبي شيبة ، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي الناشر: دار الوطن - الرياض الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م.

٢٧٣- مسند أحمد ، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٧٤- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف : القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي دار النشر : المكتبة العتيقة ودار التراث.

٢٧٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، المؤلف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي الناشر : المكتبة العلمية – بيروت الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م)

٢٧٦- مصنف ابن أبي شيبة في ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (١٥٩ - ٢٣٥ هـ) تحقيق : محمد عوامة. ملاحظات : رقما الجزء والصفحة يتوافقان مع طبعة الدار السلفية الهندية القديمة ترقيم الأحاديث يتوافق مع طبعة دار القبلة

٢٧٧- مصنف ابن أبي شيبة، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد - الرياض الطبعة: الأولى.

٢٧٨- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول المؤلف : حافظ بن أحمد حكمي تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر الناشر : دار ابن القيم – الدمام الطبعة الأولى ، ١٤١٠ه – ١٩٩٠م.

٢٧٩- معجم الفروق اللغوية ، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٨٠- المعجم الكبير للطبرانى المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني الناشر : مكتبة العلوم والحكم - الموصل تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ه – ١٩٨٣م.

٢٨١- معجم اللغة العربية المعاصرة ،المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

٢٨٢- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» ، المؤلف: عادل نويهض قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

٢٨٣- المعجم الوسيط المؤلف / إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار تحقيق / مجمع اللغة العربية دار النشر : دار الدعوة

٢٨٤- معجم حفاظ القرآن عبرالتاريخ،لمؤلف:محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ) الناشر: دار الجيل - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.

٢٨٥- المغرب في ترتيب المعرب المؤلف "المطرزي" : أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيدبن علي بن المطرز تحقيق : محمود فاخوري و عبدالحميد مختار الناشر : مكتبة أسامة بن زيد - حلب -الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م

٢٨٦- مفاتيح الغيب ، المؤلف : الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة : الأولى- ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م

٢٨٧- المفردات في غريب القرآن ،المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

٢٨٨- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسن بن محمد الحسين بن محمد ،تحقيق محمد سيد كيلاني الناشر دار المعرفة مكان النشر لبنان.

٢٨٩- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام الدكتور جواد علي الناشر : دار الساقي : الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

٢٩٠- المفيد في مهمات التوحيد المؤلف: الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي الناشر: دار الاعلام الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ- ١٤٢٣هـ.

٢٩١- مناظرات ابن تيمية لأهل الملل والنحل ، جمع وتعليق: د. عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف الناشر: مطابع أضواء المنتدى الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٢٩٢- مناهل العرفان في علوم القرآن ، المؤلف : محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى : ١٣٦٧هـ) الناشر : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة : الطبعة الثالثة.

٢٩٣- المنتخب من مسند عبد بن حميد ، المؤلف: أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام (المتوفى: ٢٤٩هـ) المحقق: صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي الناشر: مكتبة السنة - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ – ١٩٨٨م .

٢٩٤- منهاج السنة النبوية ، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: محمد رشاد سالم الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م..

٢٩٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، : المؤلف : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ هـ

٢٩٦- منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين ،إعداد: أحمد بن علي الزاملي عسيري إشراف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب

المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤٣١ هـ

٢٩٧- منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين ، إعداد: أحمد بن علي الزاملي عسيري إشراف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤٣١ هـ

٢٩٨- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام ، المؤلف: د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م

٢٩٩- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ) حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٠٠- الموافقات ، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

٣٠١- الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، المؤلف: محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود الناشر: دار اليقين للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٣٠٢- موجز الأديان في القرآن، للدكتور/عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت –لبنان ، الطبعة الأولى :١٤٢٣ه-٢٠٠٢م.

٣٠٣- موسوعة الألباني في العقيدة ، موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني صَنَعَهُ: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء - اليمن الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .

٣٠٤- الموسوعة القرآنية ، المؤلف: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري(المتوفى: ١٤١٤هـ) الناشر: مؤسسة سجل العرب، الطبعة: ١٤٠٥ هـ

٣٠٥- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ

٣٠٦- موسوعة علوم القرآن ، المؤلف: عبد القادر محمد منصور الناشر: دار القلم العربى - حلب الطبعة: الأولى، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م).

٣٠٧- موطأ مالك،المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ) صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان عام النشر: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥م. ١٤١- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الرابعة.

٣٠٨- مؤلفات الفوزان ، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

٣٠٩- النبوات لابن تيمية ، المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : المطبعة السلفية - القاهرة ، ١٣٨٦هـ.

٣١٠- نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ، ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٧٢ه/ ١٩٥٢م وكانت الكتابه بتاريخ ١٤ / ٧ / ١٩٥٢ م.

٣١١- النصر والتمكين آت بإذن الله ، المؤلف: علي بن نايف الشحود الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م

٣١٢- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ، المؤلف : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي

٣١٣- النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣١٤- نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة ، المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني الناشر: مطبعة سفير، الرياض توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

٣١٥- نونية ابن القيم = الكافية الشافية ، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ.

٣١٦- نيل الأوطار، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار المؤلف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني الناشر : إدارة الطباعة المنيرية.

٣١٧- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد أحمد الحاج الناشر: دار القلم- دار الشامية، جدة - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

٣١٨- الهداية الى بلوغ النهاية ، في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

٣١٩- وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه ، المؤلف : عبد العزيز بن عبد الله بن باز الناشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة الطبعة : الخامسة تاريخ النشر : ١٤٠٩هـ

٣٢٠- وفيات الأعيان ، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٧١م.

321- وقفات على الطريق ، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

فهرس الموضوعات

والحمد لله رب العالمين